

# التوضيحات الجليلية

على

شرح العقيدة الطحاوية

تأليف

الأستاذ أفندي محمد بن محمد الرحمن المحمدي

الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - كلية أصول الدين

قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

الجزء الثالث

دار ابن الجوزي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## حكم مرتكب الكبيرة

قال الطحاوي:

قوله: «وأهل الكبائر من أمة محمد في النار لا يخلدون إذا ماتوا وهم موحدون وإن لم يكونوا تائبين بعد أن لقوا الله عارفين وهم في مشيئته وحكمه إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضلته كما ذكر ﷺ في كتابه: ﴿وَيَقْرِأُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وإن شاء عذبهم في النار بعدله ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته ثم يبعثهم إلى جنته، وذلك بأن الله تعالى تولى أهل معرفته ولم يجعلهم في الدارين كأهل نكرته الذين خابوا من هدايته ولم ينالوا من ولايته، اللهم يا ولي الإسلام وأهله ثبتنا على الإسلام حتى نلقاك به».

قال الشارح ابن أبي العز: «وأهل الكبائر من أمة محمد في النار لا يخلدون إذا ماتوا وهم موحدون»، رد لقول الخوارج والمعتزلة القائلين بتخليد أهل الكبائر في النار، لكن الخوارج تقول بتكفيرهم والمعتزلة بخروجهم عن الإيمان لا بدخولهم في الكفر بل لهم منزلة بين منزلتين كما تقدم عند الكلام على قول الشيخ ﷺ: «ولا تكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله».

وقوله: «وأهل الكبائر من أمة محمد، تخصيصه أمة محمد يفهم منه أن أهل الكبائر من أمة غير محمد قبل نسخ تلك الشرائع به حكمهم مخالف لأهل الكبائر من أمة محمد وفي ذلك نظر، فإن النبي أخبر أنه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان ولم يخص أمته بذلك بل ذكر الإيمان مطلقاً فتأمل، وليس في بعض النسخ ذكر الأمة».

وقوله: «في النار» معمول لقوله: «لا يخلدون»، وإنما قدمه لأجل السجعة لا أن يكون «في النار» خبر لقوله: «وأهل الكبائر» كما ظنه بعض الشارحين.

واختلف العلماء في الكبائر<sup>(١)</sup> على أقوال:

(١) انظر: الفتاوى (١١/٦٥٠).

ف قيل : سبعة .

وقيل : سبعة عشر .

وقيل ما اتفقت الشرائع على تحريمه ، وقيل : ما يسد باب المعرفة بالله .

وقيل : ذهاب الأموال والأبدان .

وقيل : سميت كبائر بالنسبة والإضافة إلى ما دونها .

وقيل : لا تعلم أصلاً أو أنها أخفيت كليلة القدر .

وقيل : إنها إلى السبعين أقرب .

وقيل : كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة .

وقيل : إنها ما يترتب عليها حد أو توعدها بالنار أو اللعنة أو الغضب . وهذا

أمثل الأقوال .

واختلفت عبارات السلف في تعريف الصغائر :

منهم من قال : الصغيرة ما دون الحدين حد الدنيا وحد الآخرة .

ومنهم من قال : كل ذنب لم يختم بلعنة أو غضب أو نار .

ومنهم من قال : الصغيرة ما ليس فيها حد في الدنيا ولا وعيد في الآخرة ،

والمراد بالوعيد الوعيد الخاص بالنار أو اللعنة أو الغضب ، فإن الوعيد الخاص

في الآخرة كالعقوبة الخاصة في الدنيا أعني المقدرة ، فالتعزير في الدنيا نظير

الوعيد بغير النار أو اللعنة أو الغضب .

وهذا الضابط يسلم من القوادح الواردة على غيره فإنه يدخل فيه كل ما ثبت

بالنص أنه كبيرة كالشرك والقتل والزنا والسحر وقذف المحصنات الغافلات

المؤمنات ونحو ذلك كالفرار من الزحف وأكل مال اليتيم وأكل الربا وعقوق

الوالدين واليمين الغموس وشهادة الزور وأمثال ذلك .

وترجيح هذا القول من وجوه :

أحدها : أنه هو المأثور عن السلف كابن عباس وابن عيينة وابن حنبل وغيرهم .

الثاني : أن الله تعالى قال : ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ

سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ [النساء : ٣١] ، فلا يستحق هذا الوعد الكريم

من أوعده بغضب الله ولعنته وناره ، وكذلك من استحق أن يقام عليه الحد لم تكن

سيئاته مكفرة عنه باجتناب الكبائر .



الثالث: أن هذا الضابط مرجعه إلى ما ذكره الله ورسوله من الذنوب فهو حد متلقى من خطاب الشارع.

الرابع: أن هذا الضابط يمكن الفرق به بين الكبائر والصغائر بخلاف تلك الأقوال، فإن من قال سبعة أو سبعة عشر أو إلى السبعين أقرب مجرد دعوى.

ومن قال: ما اتفقت الشرائع على تحريمه دون ما اختلفت فيه يقتضي أن شرب الخمر والفرار من الزحف والتزوج ببعض المحارم والمحرم بالرضاعة والصحفية ونحو ذلك ليس من الكبائر، وأن الحبة من مال اليتيم والسرقة له والكذبة الواحدة الخفيفة ونحو ذلك من الكبائر وهذا فاسد.

ومن قال: ما سد باب المعرفة بالله أو ذهاب الأموال والأبدان يقتضي أن شرب الخمر وأكل الخنزير والميتة والدم وقذف المحصنات ليس من الكبائر وهذا فاسد.

ومن قال: إنها سميت كبائر بالنسبة إلى ما دونها أو كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة يقتضي أن الذنوب في نفسها لا تنقسم إلى صغائر وكبائر وهذا فاسد، لأنه خلاف النصوص الدالة على تقسيم الذنوب إلى صغائر وكبائر.

ومن قال: إنها لا تعلم أصلاً أو إنها مبهمة وإنما أخبر عن نفسه أنه لا يعلمها فلا يمنع أن يكون قد علمها غيره، والله أعلم.

وقوله: وإن لم يكونوا تائبين لأن التوبة لا خلاف أنها تمحو الذنوب وإنما الخلاف في غير التائب<sup>(١)</sup>.

وقوله: بعد أن لقوا الله تعالى عارفين، لو قال مؤمنين بدل قوله عارفين كان أولى، لأن من عرف الله ولم يؤمن به فهو كافر وإنما اكتفى بالمعرفة وحدها الجهم وقوله مردود باطل كما تقدم، فإن إبليس عارف بربه: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الحجر: ٣٦]، ﴿قَالَ فِعْرَنُكَ لَأَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [٨٧] إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ [ص: ٨٢، ٨٣]، وكذلك فرعون وأكثر الكافرين، قال تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥] ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ

(١) بين أهل السنة وبين الخوارج والمعتزلة.

فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴿المؤمنون: ٨٤ - ٨٥﴾ إلى غير ذلك من الآيات الدالة على هذا المعنى.

وكان الشيخ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أراد المعرفة الكاملة المستلزمة للاهتداء التي يشير إليها أهل الطريقة وحاشا أولئك أن يكونوا من أهل الكبائر بل هم سادة الناس وخاصتهم.

وقوله: وهم في مشيئة الله وحكمه إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضلته إلى آخر كلامه، فصلَّ اللهُ تعالى بين الشرك وغيره لأن الشرك أكبر الكبائر كما قال وأخبر الله تعالى أن الشرك غير مغفور وعلق غفران ما دونه بالمشيئة، والجائز يعلق بالمشيئة دون الممتنع، ولو كان الكل سواء لما كان للتفصيل معنى، ولأنه علق هذا الغفران بالمشيئة وغفران الكبائر والصغائر بعد التوبة مقطوع به غير معلق بالمشيئة كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَبَادِيُ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣]، فوجب أن يكون الغفران المعلق بالمشيئة هو غفران الذنوب سوى الشرك بالله قبل التوبة.

وقوله: ذلك أن الله مولى أهل معرفته، فيه مؤاخذه لطيفة كما تقدم.

وقوله: اللهم يا ولي الإسلام وأهله مسكنا بالإسلام، وفي نسخة: ثبتنا على الإسلام حتى نلقاك به، روى شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري في كتابه الفاروق بسنده عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كان من دعاء رسول الله ﷺ يقول: (يا ولي الإسلام وأهله مسكني بالإسلام حتى ألقاك عليه)<sup>(١)</sup>، ومناسبة ختم الكلام المتقدم بهذا الدعاء ظاهرة، وبمثل هذا الدعاء دعا يوسف الصديق صلوات الله عليه حيث قال: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مَا تَأْوِيلُ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَالْحَقِيقِي بِالصَّلَاحِينَ ﴿١٢١﴾﴾ [يوسف: ١٠١]، وبه دعا السحرة الذين كانوا أول من آمن بموسى صلوات الله على نبينا وعليه حيث قالوا: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦]، ومن استدل بهاتين الآيتين على جواز تمني الموت فلا دليل له فيه، فإن الدعاء إنما هو بالموت على الإسلام لا بمطلق الموت، ولا بالموت الآن، والفرق ظاهر.

(١) قال الهيثمي في المجمع (١٠/١٧٦): رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات.

## الشرح

## عناصر الموضوع:

١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب:

يتبين غرض المصنف من عقد هذا الباب فيما يلي:

أ - تقرير مذهب أهل السنة والجماعة في المؤمنين الذين ماتوا وهم يفعلون الكبائر من الذنوب ولم يتوبوا ويقلعوا عنها.

الرد على المخالفين لمذهب أهل السنة والجماعة في هذا الباب وهم:

١ - الوعيدية من الخوارج وغيرهم الذين حكموا على مرتكب الكبيرة بالكفر في الدنيا والخلود في النار يوم القيامة.

٢ - المرجئة الذين يرون أن مرتكب الكبيرة كامل الإيمان.

٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق:

بين المصنف فيما سبق حقيقة الإيمان ومسمّاه وأركانه وأن الناس يتفاضلون فيه وفي ولاية الله بحسب الإيمان والتقوى، فناسب بعد ذلك أن يبين معتقد أهل السنة والجماعة في المؤمنين الذين ارتكبوا الكبائر وماتوا على ذلك ولم يتوبوا ويقلعوا عن الذنب.

٣ - معاني الكلمات:

الكلمة	المعنى
نكرته	إنكاره وجحوده.

٤ - معنى كلام الطحاوي:

«وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ في النار لا يخلدون، إذا ماتوا وهم موحدون، وإن لم يكونوا تائبين بعد أن لقوا الله عارفين مؤمنين، وهم في مشيئته وحكمه، إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله، كما ذكر ﷺ في كتابه: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦] إن شاء عذبهم في النار بعدله، ثم يخرجهم منها برحمته

وشفاعة الشافعين من أهل طاعته، ثم يبعثهم إلى جنته، وذلك بأن الله تعالى تولى أهل معرفته، ولم يجعلهما في الدارين كأهل نكرته، الذين خابوا من هدايته، ولم ينالوا من ولايته. اللهم يا ولي الإسلام وأهله، ثبتنا على الإسلام حتى نلقاك به:

إن مرتكب الكبيرة لا يخلد في النار إن دخلها، لأنه مات على التوحيد، حتى وإن مات من غير توبة، وما دام قد لقي الله ﷻ مؤمناً له عارفاً به، فإنه تحت المشيئة إن شاء الله عاقبه بعدله وعذبه بالنار لكن لا يخلد فيها، بل يخرج منها برحمة الله وبشفاعة الشافعين من أهل الطاعة، وأعظمهم محمد ﷺ، وإن شاء عفا عنه وغفر له بفضلته وكرمه، وكل ذنب سوى الشرك ترجى له المغفرة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] وكما في حديث النبي ﷺ: (ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه)، وهذا حتى لو مات مرتكب الكبيرة من غير توبة، وهذا هو الحق، خلافاً للمعتزلة والخوارج الذين قالوا بخلوده في النار، وذلك أن الله تعالى برحمته لم يجعل أهل معرفته والإقرار به كأهل إنكاره سواء في الدنيا أو في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً نَجِيهَهُمْ وَمِمَّا تُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

ونسأل الله ولي الإسلام وأهله أن يثبت قلوبنا على الإسلام حتى نلقاه مسلمين مؤمنين... آمين.

#### ٥) تحرير محل النزاع:

محل النزاع هو في المؤمن الذي مات وهو مرتكب للكبيرة من غير توبة، أما الكبيرة التي تاب منها صاحبها فإن التوبة تجب ما قبلها، ومن تاب قبل الموت توبة صادقة فإله ﷻ يقبل توبته.

#### ٦) انقسام الذنوب إلى كبائر وصغائر:

اختلف العلماء في انقسام الذنوب إلى كبائر وصغائر على قولين:

١ - ذهب الجمهور من السلف والخلف إلى أن من الذنوب كبائر وصغائر<sup>(١)</sup>.

(١) شرح مسلم للنووي (٨٥/٢)، وفتح الباري (٤٠٩/١٠)، والمرقاة في شرح المشكاة (١٢١/١).

٢ - وشذت طائفة فقالت: إن جميع الذنوب كبائر ليس فيها صغائر<sup>(١)</sup>.  
ونسب هذا القول إلى الخوارج القاضي عبد الجبار<sup>(٢)</sup>، ونسبه إلى  
الأشعرية<sup>(٣)</sup>، ونسب النووي والحافظ ابن حجر هذا القول إلى أبي إسحاق  
الإسفراييني. وقال أيضاً: «وحكى القاضي عياض المذهب عن المحققين»<sup>(٤)</sup>.  
ونسب الحافظ ابن حجر هذا القول إلى الباقلاني وأصحابه<sup>(٥)</sup>.  
قلت: روي هذا أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنه<sup>(٦)</sup>، ولكن القرطبي علّق على ما قاله  
الحافظ: «ما أظنه يصح عن ابن عباس؛ لأنه مخالف لظاهر القرآن في الفرق بين  
الصغائر والكبائر»<sup>(٧)</sup>.

قلت: لو سلمت صحته؛ فيحمل على قوله الآخر المفسر المفصل تحديد  
الكبيرة<sup>(٨)</sup>.

وقد تفلسف إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك الجويني فقال: «كل ذنب  
كبيرة بالنسبة إلى حق الله تعالى، وإن كان في الذنوب تفاوت في الصغر والكبر  
فيما بينهما»<sup>(٩)</sup>.

وقد نوّه الحافظ ابن حجر بكلام الجويني هذا بعض التنويه<sup>(١٠)</sup>. ولكن الحقيقة  
أن كلامه هذا من قبيل القياس الفلسفي، بل الحق أن من الذنوب كبائر وصغائر.  
قال أبو حامد الغزالي: «إنكار الفرق بين الصغيرة والكبيرة لا يليق بالفقيه»<sup>(١١)</sup>.  
وقال النووي والحافظ ابن حجر: «وقد تظاهر على ذلك - أي على الفرق -  
دلائل من الكتاب والسنة واستعمال سلف الأمة وخلفها»<sup>(١٢)</sup>.

(١) فتح الباري (٤٠٩/١٠)، والمراعاة (١٢١/١).

(٢) شرح الأصول الخمسة (ص ٦٣٢). (٣) انظر: فتح الباري (٤٥٩/١٠).

(٤) شرح مسلم للنووي (٨٤/٢)، وفتح الباري (٤٠٩/١٠).

(٥) فتح الباري (٤٠٩/١٠). (٦) رواه ابن جرير في تفسيره (٤١/٥).

(٧) فتح الباري (٤٠٩/١٠).

(٨) انظر: حد الكبيرة عند ابن عباس في تفسير ابن جرير (٤١/٥).

(٩) انظر: الإرشاد (ص ٣٢٨)، وشرح الإرشاد لأبي بكر بن ميمون (ص ٦٣١).

(١٠) انظر: فتح الباري (٤٠٩/١٠ - ٤١٠).

(١١) شرح مسلم للنووي (٨٥/٢)، وفتح الباري (٤٠٩/١٠)، عن كتاب البسيط للغزالي.

(١٢) شرح مسلم للنووي (٨٥/٢)، وفتح الباري (٤٠٩/١٠)، والمرقاة في شرح المشكاة

وقال ابن القيم في الجواب الكافي: «وقد دل القرآن والسنة وإجماع الصحابة والتابعين بعدهم والأئمة على أن من الذنوب كبائر وصغائر»<sup>(١)</sup>.

وقال في المدارج: «الذنوب تنقسم إلى صغائر وكبائر بنص القرآن والسنة وإجماع السلف»<sup>(٢)</sup>.

أما القرآن فقوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾ [النجم: ٣٢].

أما من السنة فقول النبي ﷺ: (الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر)<sup>(٣)</sup>.

#### ٧ ضابط الكبيرة:

المراد بها في اللغة: الكبائر جمع كبيرة، من كبر الشيء إذا عظم، وأصلها في الاستعمال بوصف ثم انتقلت إلى الاسمى وأطلقت على معان مخصوصة.

أما من حيث الاصطلاح فقد اختلف القائلون بانقسام الذنوب في حد الكبيرة والصغيرة على ضربين:

الأول: من حصر الكبيرة في عدد معين ثم اختلفوا، ف قيل: هي ثلاث<sup>(٤)</sup>، وقيل: هي أربع<sup>(٥)</sup>، وقيل: هي سبع<sup>(٦)</sup>، وقيل: هي تسع<sup>(٧)</sup>، وقيل: هي إحدى عشرة<sup>(٨)</sup>، وقيل: هي سبع عشرة<sup>(٩)</sup>، وقيل: سبعون<sup>(١٠)</sup>، وقيل: سبعمائة.

ولا يخفى أن حصر الكبائر في عدد معين لا وجه له ولا دليل عليه، وقد نص النبي ﷺ على بعض الذنوب بأنها من الكبائر، فقد قال ﷺ: (اجتنبوا السبع الموبقات)<sup>(١١)</sup>.

(١) الجواب الكافي (ص ١٨٦). (٢) مدارج السالكين (١/٣٤٢).

(٣) رواه مسلم (٢٣٣).

(٤) روى ذلك ابن جرير عن عبد الله بن مسعود (٥/٤١).

(٥) روى ذلك ابن جرير عن عبد الله بن مسعود (٥/٤١).

(٦) روى ذلك ابن جرير عن علي بن عبد الله (٥/٣٧).

(٧) روى ذلك ابن جرير عن عمر بن عبد الله (٥/٣٩).

(٨) الجواب الكافي (ص ١٨٨). (٩) الجواب الكافي (ص ١٨٨).

(١٠) روى ذلك ابن جرير عن عبد الله بن مسعود (٥/٤١).

(١١) البخاري (٧٧٦).

وقال: (ألا أنبتكم بأكبر الكبائر؟ قول الزور)<sup>(١)</sup>.

وقال: (من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه)<sup>(٢)</sup>.

الضرب الثاني: من عرف الكبيرة بضابط دون ذكر عدد معين، ثم اختلفوا

فقيل: الكبيرة كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب فهو كبيرة<sup>(٣)</sup>.

وقيل: الكبائر ما كان فيه من المظالم بينك وبين العباد، والصغائر ما كان

بينك وبين الله<sup>(٤)</sup>.

وقيل: كل معصية يقدم عليها المرء من غير استشعار خوف وحادار ندم

كالمتهاون بارتكابها والتجرؤ عليها اعتياداً<sup>(٥)</sup>.

وقيل: كل ذنب عظم عظماً يصح معه أن يطلق عليه اسم الكبيرة<sup>(٦)</sup>.

وقيل: كل ما اتفقت الشرائع على تحريمه فهو من الكبائر. والراجع: هو أن

كل ذنب توعد عليه بالنار أو اللعنة أو الغضب فهو كبيرة، وهذا أمثل الأقوال قاله

ابن أبي العز.

ومن أجمع ما قيل في بيانه؛ ما قاله المباركفوري: «والراجع أن كل نص على

كبره أو عظمه أو توعد عليه بالعقاب في الآخرة أو ختم بالغضب واللعنة أو علق

عليه حد أو شدد التكبير عليه أو وصف فاعله بالفسق فهو كبيرة»<sup>(٧)</sup>.

قال شيخ الإسلام: «إن هذا الضابط أولى من سائر تلك الضوابط المذكورة

لوجوه:

أحدها: أنه المأثور عن السلف بخلاف تلك الضوابط فإنها لا تعرف عن أحد

من الصحابة والتابعين والأئمة..

الثاني: أن الله قال: ﴿إِن تَجْتَبِئُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ

وَنُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ [النساء: ٣١].

فقد وعد مجتنب الكبائر بتكفير السيئات واستحقاق الوعد الكريم، وكل من

وعد بغضب الله أو لعنته أو نار أو حرمان جنة أو يقتضي ذلك فإنه خارج عن هذا

الوعد..

(١) البخاري (٥٩٧٦). (٢) البخاري (٥٩٧٣)، ومسلم (٩٠).

(٣) روى ذلك ابن جرير عن ابن عباس (٤١/٥).

(٤) مدارج السالكين (٣٤٩/١). (٥) شرح مسلم للنووي (٨٥/٢).

(٦) شرح مسلم للنووي (٨٥/٢). (٧) مرقاة المفاتيح (١٢/١).

الثالث: أن هذا الضابط مرجعه إلى ما ذكره الله ورسوله في الذنوب، فهو حد يتلقى من خطاب الشارع، وما سوى ذلك ليس متلقى من كلام الله ورسوله.  
الرابع: أن هذا الضابط يمكن الفرق به بين الكبائر والصغائر، وأما تلك الأمور فلا يمكن الفرق بها بين الكبائر والصغائر... (١).

وبما ذكر من هذه الوجوه يتبين رجحان هذا القول، وإنه أولى من سائر تلك الضوابط.

وأما الصغيرة فهي خلاف الكبيرة؛ فكل ذنب لم يقترن بوعيد أو حد أو لعن أو لم يثقل النكير عليه ولم يوصف فاعله بالفسق فهو صغيرة (٢).

### ٨ حكم مرتكب الكبيرة في الكتاب والسنة:

نصوص الكتاب والسنة تدل دلالة واضحة على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر ولا يخرج من الدين بسبب ارتكابه للكبيرة، وإنما ينقص إيمانه، ولا يذهب عنه الإيمان بالكلية، بل يبقى معه مطلق الإيمان، وارتكاب الكبيرة ليس سبباً للخلود في النار، إلا الشرك بالله.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

قال ابن جرير في تفسير هذه الآية: «وقد أبانت هذه الآية أن كل صاحب كبيرة ففي مشيئة الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه عليها ما لم تكن الكبيرة شركاً بالله» (٣).

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُذِّبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبِ وَالْعَبْدِ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: ١٧٨].

فسمى المقتول أحياناً للقاتل: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَلَنْ طَافَيْنَا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَقْتُلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقْتُلُوا الَّتِي تَبَغَىٰ حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَ تَ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَسْطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩].

فالإيمان والأخوة الإيمانية لا يزولان مع وجود الاقتتال كغيره من الذنوب

(١) مجموع الفتاوى (١١/٦٥٤ - ٦٥٥).

(٢) انظر: الجواب الكافي (ص ١٨٨).

(٣) تفسير الطبري (٥/١٢٦).



والكبائر التي دون الشرك<sup>(١)</sup>.

وقال النبي ﷺ: (بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا بيهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه)<sup>(٢)</sup>.

وقول النبي ﷺ: (إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كفه ويستره فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هالك قال: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته. وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهداء: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [مرد: ١٨] <sup>(٣)</sup>.

وأدلة الكتاب والسنة جميعها متضافرة على تقرير ذلك، ولقد بوب البخاري باب المعاصي من أمر الجاهلية، ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك لقول النبي ﷺ: (إنك امرؤ فيك جاهلية)<sup>(٤)</sup>.

وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وهذا هو قول أهل السنة والجماعة جميعهم.

## ٩ أقسام أصحاب الكبائر:

يقسم بعض العلماء أصحاب الكبائر إلى قسمين:

- ١ - الكبائر الاعتقادية: كالجبر والاعتزال، وكبائرهم ناشئة عن شبهة.
  - ٢ - الكبائر العملية: كالزنا والقذف وشرب الخمر، وكبائرهم ناشئة عن شهوة.
- والمقصود به هنا هم أصحاب الكبائر العملية لا الاعتقادية.

## ١٠ المخالفون لأهل السنة في مرتكب الكبيرة:

اختلفت الأمة في حكم أصحاب الكبائر العملية في الدنيا.. هل يحكم عليهم بالإيمان أو بالكفر، أو لا يحكم عليهم بإيمان ولا كفر؟

(١) تفسير السعدي (٧/١٣٤، ١٣٥).

(٢) البخاري (١١)، ومسلم (١٧٠٩).

(٣) البخاري (٢٤٤١)، ومسلم (٢٧٦٨).

(٤) مسلم (١٦٦١).

- أ - يرى الخوارج أنه كافر يعامل معاملة الكفار.
- ب - ويرى المعتزلة أنه خارج من الإيمان ولم يدخل في الكفر فهو في منزلة بين منزلتين.
- ج - ويرى المرجئة أن مرتكب الكبيرة مؤمن كامل الإيمان.
- د - ويرى أهل السنة أنه مؤمن بإيمانه، فاسق بمعصيته ناقص الإيمان. ومنهم من لا ينفون عنه مطلق الإيمان، كالخوارج والمعتزلة ولا يثبتون له الإيمان المطلق كالمرجئة.

### دليل كل طائفة:

دليل الخوارج: استدلو بما يأتي:

- ١ - قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] فإن الله يحكم على من لم يحكم بما أنزل الله - بالكفر - وهو مرتكب الكبيرة.
- ٢ - قوله ﷺ: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)، وجه الدلالة: أنه نفى الإيمان عن كل من الزاني والسارق وشارب الخمر. وإذا انتفى عنهم الإيمان ثبت لهم الكفر.
- ٣ - قوله ﷺ: (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر). فقد أخبر بأن قتال المؤمن كفر، فدل ذلك على أن مرتكب الكبيرة خارج عن دائرة الإيمان.
- دليل المعتزلة: استدلو بقوله ﷺ: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن)، فنفى الإيمان عنهم ولم يثبت لهم الكفر. قالوا: فننفي عنه الإيمان ولا نثبت له الكفر بل نجعله في منزلة وسطى بين منزلتين.

دليل المرجئة: استدلو بالقياس العكسي وقالوا: كما لا ينفع مع الكفر طاعة كذلك لا يضر مع الإيمان معصية.

دليل أهل السنة: استدلو بما يأتي:

- ١ - قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْمُرْتَدِّ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ﴾ [البقرة: ١٧٨]، فأثبت للقاتل أخوة الإيمان وهو مرتكب كبيرة يصدق عليه مسمى الإيمان.
- ٢ - قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَفْتِنَلُوا إِلَيْنَا فَمَنْ تَبِعِيَ حَتَّى تَقِيَهُ إِلَيْنَا أَمْرٌ لِلَّهِ فَإِنَّ لَهُ فَاةً فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا﴾

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴿٢﴾ [الحجرات: ٩ - ١٠]، فإن الله أطلق على الطائفتين المتقابلتين الإيمان وأثبت لهم أخوة الإيمان. فدل ذلك على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج عن مسمى الإيمان.

٣ - لو قلنا بأن مرتكب الكبيرة كافر للزم عليه أن يكون كافراً يقتل على كل حال، فلا يقبل عفو ولي الدم في القصاص ولا يقام حد على الزاني والسارق. وهذا باطل.

قال أهل السنة: وسميناه فاسقاً أخذاً من الفسق وهو الخروج، لأنه خرج من طاعة الله إلى معصيته.

### الترجيح:

والراجع هو قول أهل السنة لما يأتي:

أولاً: لقوة أدلتهم على إثبات مسمى الإيمان لمرتكب الكبيرة.

ثانياً: أما ما استدل به الخوارج والمعتزلة من قوله ﷺ: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن) فيجاب عنه بأن المراد: نفي الإيمان الكامل لا نفي أصل الإيمان، واستدل الخوارج بآية: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] يجاب عنه بأحد جوابين:

١ - أن المراد بالكفر هنا الكفر العملي لا الاعتقادي، فهو كفر مجازي أو هو كفر دون كفر لا يخرج من الملة.

٢ - وقد يقال: إن هذا في حق من ارتكب الكبيرة مستحلاً لها. فيكون كفره لاستحلاله الكبيرة لا لارتكابه لها، أما استدلال المرجئة فيجاب عنه بأنه قياس مع وجود النص لا يعتبر حجة في حالة وجود النص.

### ١١) حكم مرتكب الكبيرة في الآخرة:

تحريم محل النزاع:

اتفقت الأمة على أن مرتكب الكبيرة إذا كانت الإشراك بالله ومات على ذلك فهو في النار.

كما اتفقوا على أن مرتكب الكبيرة إذا كانت غير الإشراك بالله وتاب توبة نصوحاً قبلت توبته إذا توافرت شروطها.

أما إذا كانت الكبيرة غير الإشراك بالله سبحانه ومات قبل أن يتوب فهل يدخل النار أم لا؟ فيه خلاف بين الفرق:

- أ - فعند الخوارج والمعتزلة: هو في نار جهنم.  
 ب - وعند المرجئة: لا يدخل النار أصلاً.  
 ج - وعند أهل السنة قالوا: تحت مشيئة الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه بقدر ذنبه ثم يخرج بعد التمحيص وشفاعة الشافعين.  
**دليل كل طائفة:**

- أ - استدل الخوارج والمعتزلة على رأيهم بعدة أدلة منها:  
 ١ - قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعُضِيبٌ لِلَّهِ عَلَيْهِ وَلَعْنَةٌ﴾ [النساء: ٩٣]، وجه الاستشهاد: أن قاتل المؤمن عمداً مرتكب لكبيرة، وقد أخبر عنه أنه في النار.  
 ٢ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠].  
 أخبر أن آكل مال اليتيم ظلماً سيصلى سعيراً وهو مرتكب لكبيرة، فدل على أنه في النار في الآخرة.

- ٣ - من السنة قوله ﷺ: (من قتل نفسه بحديدة فحديده بيده يجاء بها في نار جهنم خالداً مخلداً)، وجه الاستدلال: أن قاتل نفسه مرتكب لكبيرة وأنه في النار.  
 ب - دليل المرجئة: وقد استدلوا على زعمهم بدليلين هما:  
 ١ - قوله ﷺ: (من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة).  
 ٢ - قوله ﷺ: (من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة).  
 ج - أدلة أهل السنة: وقد استدلوا بعدة أدلة منها:

- ١ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، فقد علق غفران ما دون الشرك على المشيئة. والمعلق عليها جائز لا ممتنع، فدل هذا على أنه تحت مشيئة الله.  
 ٢ - قوله ﷺ: (بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن عوقب به في الدنيا فهو كفارة له، ومن ستر الله عليه فأمره إلى الله إذا ستر عليه) كما هو صريح في أن العقوبة مكفرة للذنوب.

اعتراض: وقد يرد عليه أنه ﷺ ذكر الشرك مع الذنوب.  
 ويجاب عنه: بأنه قد خرج بدليل خاص، وهو أن الله لا يغفر أن يشرك به...

## الترجيح:

الرأي المختار: هو ما ذهب إليه أهل السنة لما يأتي:  
أولاً: لصراحة الأدلة التي استدلت بها أهل السنة على أن مرتكب الكبيرة في الآخرة تحت مشيئة الله.

ثانياً: وأما ما قالت به الخوارج والمعتزلة من أنه في النار فيجاب عنه بعدة أجوبة:

١ - أن هذا الوعيد وارد في حق المستحل للذنب، فمن ارتكبها غير مستحل له لا يلحقه الوعيد بالخلود فيها وإن لحقه وعيد الدخول فيها.  
٢ - أن هذا الوعيد على تقدير شيء مضمّر تقديره فجزاؤه جهنم خالداً فيها إن شاء الله إدخاله وتخليده فيها.

٣ - أن هذا وعيد وإخلاف الوعيد لا يذم بل يمدح، لأن عدم عقوبة الله لمن توعدده يكون من باب عفوه وكرمه وتفضله، فالعرب تعد إخلاف الوعيد مدحاً قال الشاعر:

فإنني إذا أوعدته أو وعدته لمخلف إيعادي ومنجز موعدي  
ثالثاً: أما استدلال المرجئة: فغاية ما فيه الإخبار بأن الموحد سيدخل الجنة وليس فيه ما يدل على أنه إذا ارتكب الكبيرة العملية لا يدخل النار.

١٢ استدراك ابن أبي العز على الطحاوي في تعبيره بالمعرفة في قوله: «بعد أن لقوا الله عارفين»:

لو قال مؤمنين بدل قوله عارفين كان أولى لأن من عرف الله ولم يؤمن به فهو كافر، وإنما اكتفى بالمعرفة وحدها الجهم بن صفوان<sup>(١)</sup>، وقوله مردود باطل كما تقدم، فإن إبليس عارف بربه: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الحجر: ٣٦]. ﴿قَالَ فِعْرِيكَ أَذْعُوبَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [٨٧] إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ [٨٧] ﴿[ص: ٨٢ - ٨٣]. وكذلك فرعون وأكثر الكافرين، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [٨٤ - ٨٥] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على هذا المعنى.

(١) حقيقة الإيمان عند جهم بن صفوان هي معرفة الله، والكفر هو الجهل بالله.

وكان الشيخ رحمته الله أراد المعرفة الكاملة المستلزمة للاهتداء.

١٣ استدرارك الشارح على الطحاوي في تخصيص أمة محمد بالحكم، حيث قال: «وأهل الكباثر من أمة محمد لا يخلدون»:

ويفهم من هذا أن أصحاب الشرائع السابقة مخلدون في النار يعذبون، وهذا ليس عليه دليل، بل النصوص دلت على أن أهل الكباثر من هذه الأمة ومن سائر الأمم أتباع الأنبياء لا يخلدون في النار إذا ماتوا وهم موحدون ولم يحدثوا توبة من الذنوب.

قال الشارح: «وفي ذلك نظر، فإن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر (أنه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان) ولم يخص أمته بذلك بل ذكر الإيمان مطلقاً، وقد اعتذر عنه بأن لم يرد ذكر الأمة في بعض النسخ فلعل ذكرها في البعض الآخر سبق قلم من بعض النساخ.

١٤ الرد على فهم بعض شارحي الطحاوية أن قول الطحاوي: «في النار» هو خبر لأهل الكباثر.

جعل بعض الشارحين الجار والمجرور «في النار» خبراً «لأهل الكباثر» فيكون محكوماً به، ويتبع عن هذا أن أهل الكباثر في النار حتماً وهذا غير صحيح. والصحيح أن جملة «لا يخلدون» خبر لأهل الكباثر، وجملة «في النار» متعلقة بلا يخلدون، وإنما قدم في النار على متعلقها لأجل السجعة والتحسين اللفظي.

١٥ حكم تمنى الموت والاستدلال بقول يوسف: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

استدل بعضهم بقول يوسف عليه السلام: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]، وقول السحرة الذين آمنوا بموسى: ﴿رَبَّنَا أفرغ علينا صبرًا وتوفنا مسلمين﴾ [الأعراف: ١٢٦] على جواز تمنى الموت، وهذا غير صحيح، لأن في الآيات المتقدمة دعاء بالموت على الإسلام لا دعاء بالموت المطلق، وهناك فرق بينهما، فالأول: جائز، وقد دعا به النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (يا ولي الإسلام وأهله مسكني بالإسلام حتى إلقاك عليه).

أما الثاني: فمكروه لما فيه من الجزع وكراهية القضاء والقدر، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم:

(لا يتمنين أحدكم الموت لضرِّ أصابه، فإن كان ولا بد فليقل: اللهم أحيني ما دامت الحياة خيراً لي، وتوفني ما دام الموت خيراً لي).

### ١٦ الخلاصة:

١ - إن مرتكب الكبيرة لا يخلد في النار إن دخلها، لأنه مات على التوحيد، حتى وإن مات من غير توبة، وما دام قد لقي الله ﷻ مؤمناً به، فإنه تحت المشيئة إن شاء الله عاقبه بعدله وعذبه بالنار لكن لا يخلد فيها، بل يخرج منها برحمة الله وبشفاعة الشافعين من أهل الطاعة، وأعظمهم محمد ﷺ.

٢ - ذهب الجمهور من السلف والخلف إلى أن من الذنوب كبائر وصغائر.  
٣ - الكبيرة كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب فهو كبيرة.  
٤ - نصوص الكتاب والسنة تدل دلالة واضحة على أن مرتكب الكبيرة يكفر ولا يخرج من الدين بسبب ارتكابه للكبيرة، وإنما ينقص إيمانه، فلا يذهب عنه الإيمان بالكلية، بل يبقى معه مطلق الإيمان، وارتكاب الكبيرة ليس سبباً للخلود في النار، إلا الشرك بالله.

٥ - يقسم بعض العلماء أصحاب الكبائر إلى قسمين:

- ١ - الكبائر الاعتقادية: كالجبر والاعتزال، وكبائرهم ناشئة عن شبهة.
- ٢ - الكبائر العملية: كالزنا والقذف وشرب الخمر، وكبائرهم ناشئة عن شهوة.

### ١٧ المناقشة:

• س١: اشرح كلام الطحاوي: «وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ في النار لا يخلدون، إذا ماتوا وهم موحدون، وإن لم يكونوا تائبين بعد أن لقوا الله عارفين مؤمنين، وهم في مشيئته وحكمه، إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضلهم، كما ذكر ﷻ في كتابه: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦] وإن شاء عذبهم في النار بعدله، ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته، ثم يعثهم إلى جنته، وذلك بأن الله تعالى تولى أهل معرفته، ولم يجعلهما في الدارين كأهل نكرته، الذين خابوا من هدايته، ولم ينالوا من ولايته. اللهم يا ولي الإسلام وأهله، ثبتنا على الإسلام حتى نلتاك به».

• س٢: وضح المقصود بالكبائر لغة واصطلاحاً.

- س٣: يبين الضابط الدقيق الذي يتم به التفريق بين الكبائر والصغائر، مع ذكر الأقوال مع الترجيح والتوجيه.
- س٤: ما حكم مرتكب الكبيرة في الكتاب والسنة؟
- س٥: اذكر أقسام أصحاب الكبائر.
- س٦: وضح مذهب المخالفين لأهل السنة في مرتكب الكبيرة، مع ذكر أدلة كل طائفة.
- س٧: ما حكم مرتكب الكبيرة في الآخرة؟
- س٨: استدرك ابن أبي العز على الطحاوي في تعبيره بالمعرفة في قوله: «بعد أن لقوا الله عارفين»، وضح ذلك.
- س٩: استدرك الشارح على الطحاوي في تخصيص أمة محمد بالحكم، حيث قال: «وأهل الكبائر من أمة محمد لا يخلدون»، وضح ذلك.
- س١٠: استدرك الشارح على الطحاوي تعبيره بالمعرفة في قوله: «بعد أن لقوا الله عارفين»، وقوله: «تولى أهل معرفته»، وضح ذلك؟
- س١١: كيف ترد على فهم بعض شارحي الطحاوية أن قول الطحاوي: «في النار» هو خبر لأهل الكبائر.
- س١٢: ما حكم تمنى الموت؟ وكيف ترد على من استدل على جواز ذلك بقول يوسف: ﴿تَوَقَّئِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]؟



## الصلاة خلف كل بر وفاجر

✽ كلام ابن أبي العز:

- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب.
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق.
- ٣ - معاني الكلمات.
- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة، وعلى من مات منهم».
- ٥ - الصلاة خلف البر والفاجر من مسائل الفقه.
- ٦ - أنواع أئمة الصلاة.
- ٧ - هل يبحث عن حال الإمام أو يختبر في اعتقاده؟
- ٨ - حكم الصلاة خلف الإمام البر العادل.
- ٩ - حكم الصلاة خلف الإمام مستور الحال.
- ١٠ - حكم الصلاة خلف الإمام الفاسق.
- ١١ - يمنع الإمام الفاسق من الإمامة إذا أمنت الفتنة.
- ١٢ - حكم الصلاة خلف الإمام المخطئ.
- ١٣ - حكم الصلاة خلف الإمام المبتدع.
- ١٤ - المراد بولي الأمر.
- ١٥ - حكم الصلاة على من مات من أهل القبلة.
- ١٦ - حكم الصلاة على الشهيد.
- ١٧ - الحكمة من عدم وجوب الصلاة على الشهيد.
- ١٨ - حكم الصلاة على الكفار والمنافقين.
- ١٩ - حكم الصلاة على الفاسق.
- ٢٠ - الاستغفار لأهل القبلة.
- ٢١ - الخلاصة.
- ٢٢ - المناقشة.

## الصلاة خلف كل بر وفاجر

قوله: «ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة وعلى من مات منهم».

قال عليه السلام: «صلوا خلف كل بر وفاجر»<sup>(١)</sup>. رواه مكحول عن أبي هريرة رضي الله عنه وأخرجه الدارقطني وقال: مكحول لم يلتق أبا هريرة وفي إسناده معاوية بن صالح متكلم فيه، وقد احتج به مسلم في صحيحه وخرج له الدارقطني أيضاً وأبو داود عن مكحول عن ابن هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الصلاة واجبة عليكم مع كل مسلم برأ كان أو فاجراً وإن عمل بالكبائر، والجهاد واجب عليكم مع كل أمير برأ كان أو فاجراً وإن عمل الكبائر»<sup>(٢)</sup>.

وفي صحيح البخاري أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان يصلي خلف الحجاج بن يوسف الثقفي وكذا أنس بن مالك وكان الحجاج فاسقاً ظالماً.

وفي صحيحه أيضاً أن النبي قال: «يصلون لكم فإن أصابوا فلكم ولهم وإن أخطأوا فلكم وعليهم»<sup>(٣)</sup>.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله قال: «صلوا خلف من قال لا إله إلا الله، وصلوا على من مات من أهل لا إله إلا الله»، أخرجه الدارقطني من طرق وضعفها<sup>(٤)</sup>.

اعلم رحمك الله وإيانا أنه يجوز للرجل أن يصلي خلف من لم يعلم منه بدعاً ولا فسقاً باتفاق الأئمة وليس من شرط الائتتمام أن يعلم أن يعلم المأموم اعتقاد إمامه ولا أن يمتحنه فيقول ماذا تعتقد بل يصلي خلف المستور الحال.

ولو صلى خلف مبتدع يدعو إلى بدعته أو فاسق ظاهر الفسق وهو الإمام الراتب الذي لا يمكنه الصلاة إلا خلفه كإمام الجمعة والعيدين والإمام في صلاة الحج

(١) أخرجه الدارقطني (٥٧/٢).

(٢) أخرجه أبو داود.

(٣) أخرجه البخاري (٦٩٤).

(٤) انظر: سنن الدارقطني (٥٦/٢).

بعرفة ونحو ذلك فإن المأموم يصلي خلفه عند عامة السلف والخلف. ومن ترك الجمعة والجماعة خلف الإمام الفاجر فهو مبتدع عند أكثر العلماء والصحيح أنه يصليها ولا يعيدها، فإن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يصلون الجمعة والجماعة خلف الأئمة الفجار ولا يعيدون كما كان عبد الله بن عمر يصلي خلف الحجاج بن يوسف، وكذلك أنس رضي الله عنه كما تقدم، وكذلك عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وغيره يصلون خلف الوليد بن عقبة بن أبي معيط وكان يشرب الخمر حتى إنه صلى بهم الصبح مرة أربعاً ثم قال: أزيدكم، فقال له ابن مسعود: ما زلنا معك منذ اليوم في زيادة.

وفي الصحيح أن عثمان بن عفان رضي الله عنه لما حصر صلى بالناس شخص فسأل سائل عثمان إنك إمام عامة وهذا الذي صلى بالناس إمام فتنة، فقال: يا ابن أخي إن الصلاة من أحسن ما يعمل الناس، فإذا أحسنوا فأحسن معهم، وإذا أساءوا فاجتنب إساءتهم<sup>(١)</sup>.

والفاسق والمبتدع صلاته في نفسها صحيحة فإذا صلى المأموم خلفه لم تبطل صلاته، لكن إنما كره من كره الصلاة خلفه لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب.

ومن ذلك أن من أظهر بدعة وفجوراً لا يترتب إماماً للمسلمين فإنه يستحق التعزير حتى يتوب، فإن أمكن هجره حتى يتوب كان حسناً، وإذا كان بعض الناس إذا ترك الصلاة خلفه وصلى خلف غيره أثر ذلك في إنكار المنكر حتى يتوب أو يعزل أو ينتهي الناس عن مثل ذنبه فمثل هذا إذا ترك الصلاة خلفه كان في ذلك مصلحة شرعية ولم تفت المأموم جمعة ولا جماعة.

وأما إذا كان ترك الصلاة خلفه يفوت المأموم الجمعة والجماعة فهنا لا يترك الصلاة خلفه إلا مبتدع مخالف للصحابة رضي الله عنهم، وكذلك إذا كان الإمام قد رتبته ولاية الأمور ليس في ترك الصلاة خلفه مصلحة شرعية فهنا لا يترك الصلاة خلفه بل الصلاة خلفه أفضل، فإذا أمكن الإنسان أن لا يقدم مظهراً للمنكر في الإمامة وجب عليه ذلك لكن إذا ولاه غيره ولم يمكنه صرفه عن الإمامة، أو كان لا يتمكن من

(١) أخرجه البخاري (٦٩٥).

صرفه عن الإمامة إلا بشر أعظم ضرراً من ضرر ما أظهر من المنكر فلا يجوز دفع الفساد القليل بالفساد الكثير ولا دفع أخف الضررين بحصول أعظمهما، فإن الشرائع جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسن الإمكان، فتفويت الجمع والجماعات أعظم فساداً من الاقتداء فيهما بالإمام الفاجر لا سيما إذا كان التخلف عنها لا يدفع فجوراً فيبقى تعطيل المصلحة الشرعية بدون دفع تلك المفسدة.

وأما إذا أمكن فعل الجمعة والجماعة خلف البر فهذا أولى من فعلها خلف الفاجر، وحينئذ إذا صلى خلف الفاجر من غير عذر فهو موضع اجتهاد العلماء، منهم من قال: يعيد، ومنهم من قال: لا يعيد، وموضع بسط ذلك في كتب الفروع.

وأما الإمام إذا نسي أو أخطأ ولم يعلم المأموم بحاله فلا إعادة على المأموم للحديث المتقدم، وقد صلى عمر رضي الله عنه وغيره وهو جنب ناسياً للجنب فآعاد الصلاة ولم يأمر المأمومين بالإعادة، ولو علم أن إمامه بعد فراغه كان على غير طهارة أعاد عند أبي حنيفة خلافاً لمالك والشافعي وأحمد في المشهور عنه، وكذلك لو فعل الإمام ما لا يسوغ عند المأموم وفيه تفاصيل موضعها كتب الفروع، ولو علم أن إمامه يصلي على غير وضوء فليس له أن يصلي خلفه لأنه لاعب وليس بمصل.

وقد دلت نصوص الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة أن ولي الأمر وإمام الصلاة والحاكم وأمير الحرب وعامل الصدقة يطاع في مواضع الاجتهاد وليس عليه أن يطيع أتباعه في موارد الاجتهاد بل عليهم طاعته في ذلك وترك رأيهم لرأيه فإن مصلحة الجماعة والائتلاف ومفسدة الفرقة والاختلاف أعظم من أمر المسائل الجزئية، ولهذا لم يجز للحكام أن ينقض بعضهم حكم بعض، والصواب المقطوع به صحة صلاة بعض هؤلاء خلف بعض، يروى عن أبي يوسف أنه لما حج مع هارون الرشيد فاحتجم الخليفة وأفتاه مالك بأنه لا يتوضأ وصلى بالناس، فقيل لأبي يوسف: أصليت خلفه؟ قال: سبحان الله! أمير المؤمنين، يريد بذلك أن ترك الصلاة خلف ولاية الأمور من فعل أهل البدع. وحديث أبي هريرة والذي رواه البخاري أن رسول الله قال: يصلون لكم فإن أصابوا فلكم ولهم وإن أخطأوا فلكم وعليهم نص صحيح صريح في أن الإمام إذا أخطأ فخطؤه عليه لا على المأموم

والمجتهد غاية أنه أخطأ بترك واجب اعتقد أنه ليس واجباً أو فعل محظور اعتقد أنه ليس محظوراً، ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يخالف هذا الحديث الصريح الصحيح بعد أن يبلغه وهو حجة على من يطلق من الحنفية والشافعية والحنبلية أن الإمام إذا ترك ما يعتقد المأموم وجوبه لم يصح اقتداؤه به فإن الاجتماع والاتلاف مما يجب رعايته وترك الخلاف المفضي إلى الفساد.

وقوله: وعلى من مات منهم، أي: ونرى الصلاة على من مات من الأبرار والفجار وإن كان يستثنى من هذا العموم البغاة وقطاع الطريق وكذا قاتل نفسه خلافاً لأبي يوسف لا الشهيد خلافاً لمالك والشافعي رحمهما الله على ما عُرف في موضعه، لكن الشيخ إنما ساق هذا لبيان أنا لا نترك الصلاة على من مات من أهل البدع والفجور لا للعموم الكلي.

ولكن المظهرون للإسلام قسمان: إما مؤمن، وإما منافق، فمن علم نفاقه لم تجز الصلاة عليه والاستغفار له، ومن لم يعلم ذلك منه صلى عليه، فإذا علم شخص نفاق شخص لم يصل هو عليه وصلى عليه من لم يعلم نفاقه، وكان عمر رضي الله عنه لا يصلي على من لم يصل عليه حذيفة لأنه كان في غزوة تبوك قد عرف المنافقين وقد نهى الله صلى الله عليه وسلم رسوله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة على المنافقين وأخبر أنه لا يغفر لهم باستغفاره، وعلل ذلك بكفرهم بالله ورسوله، فمن كان مؤمناً بالله ورسوله لم ينه عن الصلاة عليه ولو كان له من الذنوب الاعتقادية البدعية أو العملية أو الفجور ما له، بل قد أمره الله تعالى بالاستغفار للمؤمنين فقال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩]. فأمره سبحانه بالتوحيد والاستغفار لنفسه وللمؤمنين والمؤمنات، فالتوحيد أصل الدين والاستغفار له وللمؤمنين كماله، فالدعاء لهم بالمغفرة والرحمة وسائر الخيرات إما واجب وإما مستحب، وهو على نوعين: عام وخاص، أما العام فظاهر كما في هذه الآية، وأما الدعاء الخاص فالصلاة على الميت، فما من مؤمن يموت إلا وقد أمر المؤمنون أن يصلوا عليه صلاة الجنائز، وهم مأمورون في صلاتهم عليه أن يدعوا له كما روى أبو داود وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه أبو داود (٣١٩٩)، وابن ماجه (١٤٩٧).

## الشرح

### عناصر الموضوع:

#### ١) غرض المصنف من عقد هذا الباب:

غرض المصنف من عقد هذا الباب يتضح فيما يلي:

أ - تقرير أصل من أصول أهل السنة والجماعة ألا وهو الصلاة خلف البر والفاجر من المسلمين.

ب - الرد على المخالفين لمذهب أهل السنة والجماعة من أهل البدع، فإنهم لا يصلون خلف أئمة الفسق والفجور، لأن الفاسق كافر عند الخوارج، وعند المعتزلة خرج من الإيمان ولم يدخل الكفر، وعند الرافضة أيضاً لا يصلون خلف الفاسق لأنهم لا يرون الصلاة إلا خلف المعصوم.

#### ٢) مناسبة هذا الباب لما سبق:

لما بيّن المصنف أن المؤمن مرتكب المعاصي هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، ناسب بعد ذلك أن يبين حكم الصلاة خلف الفاجر، وأن من أصول أهل السنة والجماعة الصلاة خلف كل بر وفاجر.

#### ٣) معاني الكلمات:

الكلمة	المعنى
بر	مطيع تقى

#### ٤) معنى كلام الطحاوي: «ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة،

وعلى من مات منهم»:

هذا فيه مسألتان:

الأولى: أن الصلاة عمل وإحسان، فإذا فعلها الناس خصوصاً ولاية الأمور، فإنهم عملوا معروفاً وإحساناً، وفي ترك الصلاة خلفهم محذور عظيم، من شق العصا، وتفريق الكلمة، وسفك الدماء، وهذا خطر عظيم، فيجب أن يتلافى،

هذا من حيث العموم، فكيف بولاية الأمور الذين في منابذتهم ومخالفتهم شق لعصا الطاعة، وتفريق الكلمة، وآثار سيئة على المسلمين؟  
هذا مذهب أهل السنة والجماعة، يصلون الجمع والجماعات، ويجاهدون في سبيل الله مع كل أمير، برأ كان أو فاجراً، ما لم يخرج عن الإسلام.  
هذا أصل من أصول أهل السنة والجماعة، من عهد الصحابة إلى عهد الأئمة، وهو الذي عليه إجماع المسلمين من أهل السنة والجماعة.

**المسألة الثانية:** الصلاة على جنازة المسلم وإن كان فاسقاً، ما لم يخرج من الإسلام، فهو مسلم له ما للمسلمين وعليه ما على المسلمين، أما إذا خرج عن الإسلام فلا يصلى عليه، لأنه ليس بمسلم، وليس كل إنسان يحكم على الناس بالردة، إنما يحكم بذلك أهل العلم والبصيرة بالرجوع إلى قواعد أهل السنة والجماعة، أما كل أحد فلا يحكم بذلك، وإن كانت نيته طيبة ومقصده حسناً، إنما الحكم لأهل البصيرة والراسخين في العلم<sup>(١)</sup>.

#### ٥ الصلاة خلف البر والفاجر من مسائل الفقه:

الصلاة خلف البر والفاجر من مسائل الفقه التي أدخلها العلماء في كتب العقائد، وذلك للرد على أهل البدع من الخوارج والمعتزلة والرافضة وغيرهم.

#### ٦ أنواع أئمة الصلاة:

الأصل أن يكون الإمام عدلاً برأ، لكن هناك أئمة ما اجتمعت فيهم هذه الصفات وهم أقسام:

- ١ - مستور الحال: وهو من لا يعلم منه فسوق ظاهر، ولا تعلم عدالته.
- ٢ - الإمام المبتدع الداعي إلى بدعته.
- ٣ - الإمام الفاسق ظاهر الفسق.
- ٤ - الإمام المخطئ المعذور.
- ٥ - الإمام العدل البر.

#### ٧ هل يبحث عن حال الإمام أو يختبر في اعتقاده؟

لا يجب على المأموم أن يسأل عن عقيدة الإمام أو يختبره، بل يصلي وراءه، ويحمله على الأصل على العدالة، فإن ظهر له بعد ذلك شيء حكم بمقتضاه.

(١) التعليقات المختصرة على العقيدة الطحاوية للفرزان (ص ١٦١ - ١٦٢).

## ٨ حكم الصلاة خلف الإمام البر العادل:

المراد بالإمام البر هو ما توافرت فيه شروط ثلاثة:

- أ - اجتنابه لكبائر الذنوب.
- ب - عدم إصراره على الصغائر.
- ج - استعماله للمروءة وتحليه بها... وهي تمسك الإنسان بما يجمله ويزينه وابتعاده عما يندسه ويشينه.

## حكم الصلاة خلفه:

جائز بالاتفاق. ودليل الجواز: ما سيأتي في الأدلة في جواز الصلاة خلف الفاسق... ولم يخالف في ذلك سوى فرقة من غلاة الرافضة القائلين بأنه لا تقام الجمع والأعياد والجماعات إلا إذا ظهر «المنتظر» (الإمام المعصوم) ورأيهم شاذ مخالف للجماعة.

## ٩ حكم الصلاة خلف الإمام مستور الحال:

المراد به: من لم يظهر بدعة ولا فجوراً بأن كانت حالته الظاهرة العدالة ولم يعلم بحالته الباطنة، وحكم الصلاة خلفه: جائزة بالاتفاق أيضاً، ذلك لأن الأصل في المسلم العدالة إلا إذا ظهر منه خلاف ذلك. وليس من شرطه أن تسأله ماذا تعتقد ونحو ذلك.

وأدلة الجواز علاوة على الإجماع ما سيأتي من أدلة جواز الصلاة خلف الفاسق...

قال شيخ الإسلام: «فالصلاة خلف المستور جائزة باتفاق علماء المسلمين»<sup>(١)</sup>.

## ١٠ حكم الصلاة خلف الإمام الفاسق:

المراد به من اقترف الكبائر أو أصر على الصغائر ولم يجعل فقدان المروءة شرطاً فيه لأنها مكملة للمرء ولا يوصله فقدانها إلى الفسق.

## حكم الصلاة خلفه:

اختلف العلماء في حكمها على قولين:

- أ - ذهب الجمهور إلى جواز الصلاة خلفه ولا ينبغي له أن يعيدها.

(١) قاعدة أهل السنة والجماعة في رحمة أهل البدع (ص ٧ - ٨).



ب - ذهب بعضهم إلى عدم جواز الصلاة خلفه، وهو رواية عن الإمام أحمد واستثنى من ذلك حالتين:

١ - إذا خشي فوات الجمعة أو الجماعة، فإن من ترك الجمعة والجماعة خلف الإمام الفاجر فهو مبتدع عند أكثر العلماء.

٢ - إذا خشي الفتنة في ماله أو بدنه أو عرضه، فإن درء المفساد مقدم على جلب المصالح...

أدلة المجيزين:

استدلوا بعدة أدلة منها:

١ - ما روى عن أبي هريرة أنه رضي الله عنه قال: «صلوا خلف كل بر وفاجر»، قال المخالف، إن هذا الحديث منقطع فإنه من رواية مكحول، وهو لم ير أبا هريرة. قلنا: الحديث الثاني يعضده...

٢ - ما رواه أبو هريرة عنه رضي الله عنه أنه قال: «الصلاة واجبة عليكم مع كل مسلم برأ كان أو فاجراً، وإن عمل بالكبائر، والجهاد واجب عليكم مع كل أمير برأ كان أو فاجراً وإن عمل بالكبائر».

٣ - ما رواه ابن عمر أنه رضي الله عنه قال: «صلوا خلف كل من قال لا إله إلا الله وصلوا على من مات من أهل لا إله إلا الله».

٤ - قوله رضي الله عنه في الأئمة الأشرار: «يصلون لكم فإن أصابوا فلكم ولهم، وإن أخطأوا فلكم وعليهم».

٥ - فعل الصحابة:

أ - فقد روي أن عبد الله بن عمر وأنس بن مالك رضي الله عنهما كانا يصليان خلف الحجاج. وكان فاسقاً ظالماً ولو لم يجيزوا الصلاة خلفه لم يصليا خلفه.

ب - ما روي أن عبد الله بن مسعود وغيره كانوا يصلون خلف الوليد بن عقبة ابن أبي معيط وكان يشرب الخمر حتى أنه صلى بهم الصبح مرة أربعاً ثم قال: «أزيدكم؟ فقال له ابن مسعود: «ما زلنا معك في زيادة منذ اليوم».

ج - ما ورد في الصحيح أن عثمان بن عفان رضي الله عنه لما حصر صلى بالناس شخص، فدخل عبيد الله بن عدي فقال لعثمان رضي الله عنه: «إنك إمام عامة وهذا الذي صلى بالناس إمام فتنة؟ فقال: إذا أحسن الناس فأحسن معهم» الحديث.

قال شيخ الإسلام: «وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يصلون خلف من

يعرفون فجوره كما صلى ابن مسعود وغيره من الصحابة خلف الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وقد كان يشرب الخمر، وصلى بهم يوماً الصبح أربعاً، وجلده عثمان بن عفان رضي الله عنه على ذلك»<sup>(١)</sup>.

### ١١ يمنع الإمام الفاسق من الإمامة إذا أمنت الفتنة:

ج - إذا أمكن الإنسان أن يمتنع من الالتئام وحب عليه، وإن لم يتمكن من منعه أو تمكن من ذلك ولكن يترتب عليه شر كبير فلا يجوز، وذلك لما تقدم من أنه لا يجوز دفع أخف الضررين بارتكاب أعظمهما ولا يدفع الفساد القليل بالكثير فإن الشرائع جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب الإمكان.

### ١٢ حكم الصلاة خلف الإمام المخطف:

ج: المراد به: من ترك شرطاً من شروط الصلاة أو واجباً من واجباتها ناسياً. وحكم الصلاة خلفه: إذا لم يعلم المأموم بحاله فإن صلاته صحيحة ولا تلتزم الإعادة، وكذلك إذا علم بعد الصلاة عند مالك والشافعي وأحمد في المشهور عنه ويلزمه إعادة الصلاة عند أبي حنيفة. ودليل الأولين ما روي أن عمر رضي الله عنه صلى بالناس وهو جنب فأعاد صلاته ولم يأمرهم بالإعادة.

ولما تقدم من حديثه رضي الله عنه في الأئمة الأشرار: «يصلون بكم، فإن أصابوا فلكم ولهم، وإن أخطأوا فلكم وعليهم». فهذان دليلان على أنه لا تلتزم إعادة الصلاة ولو علم المأموم بذلك».

قال الشارح: «وكذلك لو فعل الإمام ما لا يسوغ عند المأموم وفيه تفاصيل موضعها كتب الفروع، ولو علم أن إمامه يصلي على غير وضوء!! فليس له أن يصلي خلفه، لأنه لاعب وليس بمصل، وقد دلت نصوص الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة أن ولي الأمر وإمام الصلاة يطاع في مواضع الاجتهاد وليس عليه أن يطيع أتباعه في مواد الاجتهاد، بل عليهم طاعته في ذلك وترك رأيهم لرأيه، فإن مصلحة الجماعة في الائتلاف ومفسدتهم في الفرقة والاختلاف أعظم من أمر المسائل الجزئية... فإن الاجتماع والائتلاف مما يوجب رعايته وترك الخلاف المفضي إلى الفساد».

(١) قاعدة أهل السنة والجماعة في رحمة أهل البدع (ص ٧ - ٨).

١٣) حكم الصلاة خلف الإمام المبتدع:

لا يخلو الأمر من حالتين:

١ - أن توصله بدعته إلى الكفر كغلاة المشبهة وغلاة الشيعة القائلين بالحلول وغلاة المعطلة من الجهمية والمعتزلة ونحوهم المنكرين لعلو الله تعالى والقائلين بخلق القرآن، وهؤلاء لا تصح الصلاة خلفهم لأن بدعته تؤدي بهم إلى الكفر.

٢ - ألا تبلغ به بدعته الكفر، وهنا خلاف بين الفقهاء، فمنهم من قال: يصلي خلفه وهو الراجح، ومنهم من قال: لا يصلي خلفه إلا إذا خشي فوات الجمعة والجماعات أو خشي على ماله أو بدنه أو عرضه.

١٤) المراد بولي الأمر:

المراد بولي الأمر هو الإمام الأعظم، أي: خليفة المسلمين.

والمراد بفروعه:

١ - أمراء البلدان.

٢ - وأمير الحرب.

٣ - وعامل الصدقة ونحو ذلك.

ولا يجوز مخالفة ولي الأمر ولا فروعه في المسائل الاجتهادية التي لا نص فيها شرعي.

وقد دلت النصوص من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة على ذلك؛ ولأن مصلحة الجماعة في الاتحاد والاتفاق ومفسدتهم في الفرقة والاختلاف أعظم من أمر المسائل الجزئية، ولهذا لم يجز للحكام أن ينقض بعضهم حكم بعض.

١٥) حكم الصلاة على من مات من أهل القبلة:

اتفق العلماء على أن صلاة الجنائز من فروض الكفاية إذا قام بها من يكفي سقط الإثم عن الباقيين، وإذا تركها الكل أثموا، وذلك لأمر الرسول ﷺ بها ومحافظته عليها، وبناء عليه فإن من مات من الأبرار ولم يكن شهيداً تجب الصلاة عليه، وقد ورد في الحث على الصلاة على الجنائز آثار منها:

قوله ﷺ: «من تبع جنازة وصلى عليها فله قيراط، ومن تبعها حتى يفرغ منها فله قيراطان، أصغرهما مثل أحد».

١٦) حكم الصلاة على الشهيد:

حكم الصلاة عليه:

اختلف العلماء في حكمها على أقوال ثلاثة:

- أ - فذهب الجمهور إلى أنه لا يصلّى عليه.  
 ب - وذهب البعض إلى أنه يصلّى عليه.  
 ج - وذهب ابن حزم إلى التخيير، فقال: إن صلى عليه فحسن، وإن تركها فحسن وهذا القول رواية في المذهب استصوبها ابن القيم.  
 منشأ الخلاف بين العلماء في حكم الصلاة على الشهيد هو: اختلاف الآثار المنقولة عن الرسول ﷺ في شهداء أحد هل صلى عليهم الرسول أم لا؟ فمن قال يصلّى عليهم فهو آخذ بالآثار التي ورد فيها أن الرسول ﷺ صلى على شهداء أحد... والعكس بالعكس.  
 وقد اقتصرنا على شهداء أحد لأنه لم ينقل عن الرسول أنه صلى في شيء من المعارك على غير شهداء أحد... وهذا مما يجعلنا نرجح عدم جواز الصلاة عليه لأنه يبعد أن يصلي الرسول على غير شهداء أحد ولم ينقل إلينا مع وجود الجمع الغفير... ولو كانت الصلاة على الشهداء مشروعة لصلى الرسول عليهم ولو صلى عليهم لنقل إلينا.

### ١٧) الحكمة من عدم وجوب الصلاة على الشهيد:

التمس بعضهم حكمة لذلك فقال: إن ذلك لسببين هما:

- ١ - لأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون. كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] والصلاة إنما على الميت.  
 ٢ - لأن الصلاة على الميت إنما شرعت للشفاعة له والدعاء له، والشهيد ليس في حاجة إلى الشفاعة لأنه كما ورد (يشفع في سبعين من أهله).

### ١٨) حكم الصلاة على الكفار والمنافقين:

من مات من الكفار والمنافقين، فلا تجوز الصلاة عليه بل تحرم بدليل:

- ١ - قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّا تَأْتِيهِمْ مَّاتَ أَدْبًا وَلَا نَقَمَ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٨٤]، فقد نهى الله نبيه عن الصلاة على المنافقين والنهي يقتضي التحريم.  
 ٢ - قوله تعالى: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣]، فإن الله بين أنه لا ينبغي ولا يجوز للنبي والمؤمنين أن يستغفروا للمشركين

والصلاة على الميت استغفار له. فدلّت على عدم جواز الصلاة على المشركين.  
 ٣ - ومن أجل أنه لا يصلّي على الكفار والمنافقين كان عمر لا يصلّي على من لم يصل عليه حذيفة بن اليمان... لأن حذيفة قد علم المنافقين من النبي ﷺ في غزوة تبوك.

قال شيخ الإسلام: «ولا يصلّي على الكفار والمنافقين»<sup>(١)</sup>.

### ١٩ حكم الصلاة على الفاسق:

اختلف العلماء في ذلك على أقوال ثلاثة:

- أ - ذهب الجمهور إلى أنه يصلّي عليهم.
- ب - وذهب البعض إلى عدم الصلاة عليهم.
- ج - وذهب أبو حنيفة إلى أنه يصلّي عليهم باستثناء ثلاثة وهم:
  - ١ - البغاة.

٢ - وقطاع الطريق.

٣ - وقاتل نفسه.

أدلة كل طائفة:

أ - أدلة الجمهور: وقد استدلووا بما يأتي:

١ - قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾

[محمد: ١٩]، وجه الدلالة بأن الله أمر نبيه ﷺ بعد التوحيد والاستغفار له وللمؤمنين والمؤمنات. قالوا: والاستغفار للمؤمنين والمؤمنات على قسمين عام وخاص.

وهو إما واجب أو مستحب، فأما العام وهو المستحب فهو دعاء المؤمنين للمؤمنين والمؤمنات في سائر الأوقات.

وأما الخاص: وهو الواجب فهو صلاة الجنازة، قالوا: فما من ميت يموت إلا وقد أمر المسلمون بالصلاة عليه. وهم: مأمورون بالدعاء له فقد ورد في الحديث عن النبي ﷺ: «إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء»، وبما أن الآية عامة في الأمر بالاستغفار فيدخل في مسمى المؤمنين الفاسق وغير الفاسق.

٢ - أدلة المانعين:

استدلووا بما ورد من أن الرسول ﷺ لم يصل على قاتل نفسه ولم يصل على الغال.

(١) قاعدة أهل السنة والجماعة في رحمة أهل البدع (ص ٨).

قالوا: والغآٓ وقاتل نفسه فاسقان فيقاس عليهما سائر الفساق.

ج - أدلة أبي حنيفة:

١ - استدل على المنع من الصلاة على قاتل نفسه بما ورد من أنه ﷺ لم يصل عليه.

٢ - أما دليبه على منع الصلاة على قاطع الطريق والبغاة... فقال لأنهم باينوا دار الإسلام فأشبهوا أهل الحرب، وأهل الحرب لا يصلى عليهم.

الرأي المختار:

هو ما ذهب إليه الجمهور من أنه يصلى على الفساق لعموم الأدلة التي استدلوها بها ولردهم على أدلة المخالفين:

أ - أما استدلال من قال: لا يصلى عليهم بأنه ﷺ: لم يصل على الغال وقاتل نفسه فيجواب عنه: بأن الرسول لم يصل عليهما للزجر عن فعلهم وليس لأن الصلاة عليهم لا تجوز بدليل: أمره للصحابة بالصلاة على قاتل نفسه حيث قال: صلوا على صاحبكم.

ب - وأما استدلال أبي حنيفة بأن البغاة وقطاع الطريق باينوا دار الإسلام، فأشبهوا أهل الحرب.

فنقول: هذا الدليل لا يقوى على تخصيص عموم الأدلة الدالة على الصلاة على من مات من أهل القبلة.

قال شيخ الإسلام: «ويصلى على من مات من المسلمين وإن كان فاجراً، كأن يكون زانياً أو شارباً للخمر، أو سارقاً ما لم يكن مستحلاً»<sup>(١)</sup>.

وذكر الأشعري مذهب أهل السنة في عدم ترك الصلاة على أهل المعاصي فقال: «ويرون الصلاة على كل من مات من أهل القبلة برهم وفاجرهم»<sup>(٢)</sup>.

وقال القاضي عياض: «مذهب العلماء كافة الصلاة على كل مسلم ومحدود ومرجوم وقاتل نفسه وولد الزنا»<sup>(٣)</sup>.

٢٠ الاستغفار لأهل القبلة:

اتفق أهل السنة على عدم ترك الاستغفار لأهل الكبائر من المسلمين والصلاة

(١) قاعدة أهل السنة والجماعة في رحمة أهل البدع (ص ٨).

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين (١/٣٢٤). (٣) شرح مسلم للنووي (٤٦/٧ - ٤٧).

عليهم فمن ارتكب المعاصي وقارف الذنوب مع اعتقاده أنها منهي عنها فإن مات يجوز الاستغفار له، وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ فقال: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ مَثَلَكُمْ﴾ [محمد: ١٩]. فأمره بالاستغفار لنفسه وللمؤمنين والمؤمنات ولم يفرق بين العصاة وغيرهم من المسلمين.

### ٢١ الخلاصة:

- ١ - مذهب أهل السنة والجماعة. أنهم يصلون الجمع والجماعات، ويجاهدون في سبيل الله مع كل أمير، برأ كان أو فاجراً، ما لم يخرج عن الإسلام، وهو أصل من أصول أهل السنة والجماعة، من عهد الصحابة إلى عهد الأئمة، وهو الذي عليه إجماع المسلمين من أهل السنة والجماعة.
- ٢ - الأصل أن يكون الإمام عدلاً برأ.
- ٣ - لا يجب على المأموم أن يسأل عن عقيدة الإمام أو يختبره، بل يصلي وراءه، ويحمله على الأصل على العدالة، فإن ظهر له بعد ذلك شيء حكم بمقتضاه.
- ٤ - اتفق العلماء على أن صلاة الجنائز من فروض الكفاية إذا قام بها من يكفي سقط الإثم عن الباقيين وإذا تركها الكل أثموا.
- ٥ - من مات من الكفار والمنافقين، فلا تجوز الصلاة عليه بل تحرم.
- ٦ - مذهب الجمهور أنه يصلى على الفساق لعموم الأدلة.
- ٧ - اتفق أهل السنة على عدم ترك الاستغفار لأهل الكبائر من المسلمين والصلاة عليهم.

### ٢٢ المناقشة:

- س١: شرح قول الطحاوي: «ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة، وعلى من مات منهم».
- س٢: وضع أقسام أئمة الصلاة.
- س٣: ما السبب الذي لأجله ذكر الطحاوي هذا المبحث في عقيدته؟
- س٤: ما المراد بالبر «العدل»؟ وما حكم الصلاة خلفه؟
- س٥: هل يبحث عن حال الإمام أو يختبر في اعتقاده؟
- س٦: وضع المقصود بمستور الحال، وما حكم الصلاة خلفه؟

- س٧: من هو الفاجر «الفاسق» وما حكم الصلاة خلفه؟
- س٨: هل يجوز منع الفاسق من الإمامة؟
- س٩: ما المقصود بالمخطئ «المعذور»؟ وما حكم الصلاة خلفه؟
- س١٠: ما حكم الصلاة خلف الإمام المبتدع؟
- س١١: من هو ولي الأمر؟ ومن هم فروعه؟ وما حكم مخالفتهم في الأمور الاجتهادية؟
- س١٢: هل تجب الصلاة على من مات براً ولكنه لم يمت شهيداً؟
- س١٣: من هو الشهيد؟ وما حكم الصلاة عليه؟
- س١٤: ما الحكمة من عدم وجوب الصلاة على الشهيد؟
- س١٥: هل تجوز الصلاة على الكفار والمنافقين؟
- س١٦: هل تجوز الصلاة على فساق المسلمين؟
- س١٧: يبين وجوب الاستغفار لأهل القبلة، مع الأدلة.



# الحكم على معين بجنة أو نار أو كفر أو إشراك

❦ كلام ابن العز:

- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب.
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق.
- ٣ - معاني الكلمات.
- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «ولا تنزل أحداً منهم جنة ولا ناراً، ولا نشهد عليهم بكفر ولا بشرك ولا بنفاق، ما لم يظهر منهم شيء من ذلك، ونذر سرائرهم إلى الله تعالى».
- ٥ - من أصول أهل السنة والجماعة عدم الشهادة لمعين بجنة أو نار.
- ٦ - أقوال السلف للشهادة لمعين بالجنة.
- ٧ - حكم تكفير المسلم المعني أو تفسيره.
- ٨ - معنى كلام الطحاوي: «ولا نرى السيف على أحد من أمة محمد ﷺ إلا من وجب عليه السيف».
- ٩ - الحكم على عقائد الناس أكبر من الحكم على أموالهم وأعراضهم.
- ١٠ - الأصل أن دماء المسلمين وأموالهم معصومة.
- ١١ - الحالات التي يباح فيها دم المسلم.
- ١٢ - الخلاصة.
- ١٣ - المناقشة.

## الحكم على معين بجنة أو نار، أو كفر أو إشراك

قال ابن أبي العز:

قوله: «ولا ننزل أحداً منهم جنة ولا ناراً».

يريد إنا لا نقول على أحد معين من أهل القبلة إنه من أهل الجنة أو من أهل النار إلا من أخبر الصادق أنه من أهل الجنة كالعشرة عليهم السلام، وإن كنا نقول إنه لا بد أن يدخل النار من أهل الكبائر من شاء الله إدخاله النار ثم يخرج منها بشفاعة الشافعين، ولكننا نقف في الشخص المعين فلا نشهد له بجنة ولا نار إلا عن علم لأن الحقيقة باطنة وما مات عليه لا نحيط به، لكن نرجو للمحسنين ونخاف على المسيئين، وللأسف في الشهادة بالجنة ثلاثة أقوال:

أحدها: أن لا يشهد لأحد إلا للأنبياء<sup>(١)</sup>، وهذا ينقل عن محمد بن الحنفية والأوزاعي.

والثاني: أنه يشهد بالجنة لكل مؤمن جاء فيه النص، وهذا قول كثير من العلماء وأهل الحديث.

والثالث: أنه يشهد بالجنة لهؤلاء ولمن شهد له المؤمنون كما في الصحيحين أنه مر بجنابة فأنثوا عليها بخير فقال النبي وجبت، ومر بأخرى فأنثى عليها بشر فقال وجبت، وفي رواية كرر وجبت ثلاث مرات، فقال عمر: يا رسول الله ما وجبت؟ فقال رسول الله ﷺ: «هذا أنثيتم عليه خيراً وجبت له الجنة، وهذا أنثيتم عليه شراً وجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض»<sup>(٢)</sup>.

وقال ﷺ: «توشكون أن تعلموا أهل الجنة من أهل النار، قالوا: بم يا

(١) انظر: منهاج السنة (٢٠٣/٦).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٦٧)، ومسلم (٩٤٩).

رسول الله؟ قال: بالثناء الحسن والثناء السيء<sup>(١)</sup>، فأخبر أن ذلك مما يعلم به أهل الجنة وأهل النار.

قوله: «لا نشهد عليهم بكفر ولا بشرك ولا بنفاق ما لم يظهر منهم شيء من ذلك ونذر سرائرهم إلى الله تعالى».

لأننا قد أمرنا بالحكم بالظاهر ونهينا عن الظن واتباع ما ليس لنا به علم، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرَنَّ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ [الحجرات: ١١]، وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عِنْدَ مَسْئُولٍ﴾ [الإسراء: ٣٦].

قوله: «ولا نرى السيف على أحد من أمة محمد إلا من وجب عليه السيف». في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٢٢١).

(٢) أخرجه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦).

## الشرح

### عناصر الموضوع:

#### ١ غرض المصنف من عقد هذا الباب:

يتضح غرض المصنف من عقد هذا الباب فيما يلي:  
تقرير مذهب أهل السنة والجماعة أنهم لا يشهدون لمعين بجنة ولا نار إلا من شهدت له النصوص بذلك، ولا يشهدون على مسلم بكفر ولا بشرك ولا نفاق ما لم يظهر منه شيء من ذلك، ويتركون علة السرائر والبواطن لله ﷻ.

#### ٢ مناسبة هذا الباب لما سبق:

لما بين المؤلف فيما سبق أن المؤمن مرتكب الكبيرة هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته وأن الصلاة تجوز خلفه، والصلاة عليه إذا مات، ناسب أن يبين أن من معتقد أهل السنة والجماعة أنهم لا يحكمون لمعين بجنة ولا نار إلا من شهدت له النصوص بذلك.

#### ٣ معاني الكلمات:

المعنى	الكلمة
نترك	نذّر
جمع سريرة، وهي دخيلة الإنسان.	سرائر

#### ٤ معنى كلام الطحاوي: «ولا ننزل أحداً منهم جنة ولا ناراً، ولا نشهد

عليهم بكفر ولا بشرك ولا بنفاق، ما لم يظهر منهم شيء من ذلك، ونذر سرائرهم إلى الله تعالى»:

ولا يحكم أهل السنة لأهل القبلة بجنة ولا نار على سبيل التعيين والقطع، بل من أحسن منهم رجونا له الجنة ولم نأمن عليه مكر الله تعالى، ومن أساء أشفقنا عليه ولم نقنطه من رحمة الله تعالى.

ولا يشهد أهل السنة على مسلم بكفر ولا بشرك ولا نفاق، مما يخرج عن

الملة الإسلامية، إلا أن يكون قد ظهر منهم شيء من ذلك مع تحقق الشروط وانتفاء الموانع، ويتركون السرائر والبواطن إلى الله تعالى حيث إنه العليم بها، ويأخذون الناس بما ظهر منهم.

### ٥ من أصول أهل السنة والجماعة عدم الشهادة لمعين بجنة أو نار:

إن من أصول أهل السنة والجماعة عدم الشهادة لمعين بجنة أو نار إلا من شهد له الله ورسوله ﷺ، وإنما يشهدون الأوصاف، فيشهدون للمتقين بالجنة، ولا يعينون واحداً منهم بعينه، ويشهدون للكفار بالنار ولا يعينون أحداً منهم بعينه قبل موته.

وذلك لأن الحقيقة باطنة لم نطلع عليها. وما مات عليه المرء لم يظهر لنا وإن كنا نرجو للمحسنين الثواب ونخشى على المسيئين العقاب.

### ٦ أقوال السلف للشهادة لمعين بالجنة:

اختلف العلماء في ذلك على أقوال عدة:

- أ - أنه لا يشهد إلا للأنبياء فقط. وهذا ينقل عن محمد بن الحنفية والأوزاعي.
- ب - يشهد لمن ورد فيهم النص. وهذا قول كثير من العلماء وأهل الحديث.
- ج - يشهد لمن ورد فيهم النص ولمن شهد له المسلمون بذلك.

دليل كل طائفة:

أ - دليل الأولين: قالوا إن الأنبياء وحدهم هم المعصومون ومن سواهم فغير معصومين فيشهد للأنبياء دون من سواهم.

ب - دليل الرأي الثاني: أن الرسول ﷺ هو المخبر عن ربه وهو الصادق الأمين، فإذا أخبر عن أحد وشهد له بالجنة فقد وجبت له الشهادة بها...

ج - دليل الرأي الثالث: قالوا: دليلنا ما يأتي:

١ - ما ورد في الصحيحين: أنه مر بجنازة فأنثوا عليها بخير فقال النبي ﷺ:

«وجبت»، وفي رواية كرر: «وجبت» ثلاث مرات.

فقال عمر: يا رسول الله، ما وجبت؟ فقال رسول الله: «هذا أنثيتم عليه خيراً فوجبت له الجنة، وهذا أنثيتم عليه شراً حتى وجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض».

٢ - قوله ﷺ: «توشكون أن تعلموا أهل الجنة من أهل النار، قالوا: بم يا

رسول الله؟ قال: بالثناء الحسن والثناء السيء».

ثمرة الخلاف: إن الرأي الأول يتوقف على الأنبياء، أما الثاني والثالث فلا يتوقف على الأنبياء بل يتعداهم إلى غيرهم على خلاف في مقدار ذلك التجاوز، وتظهر ثمرة الخلاف في مثل عمر بن عبد العزيز والأئمة الأربعة هل يشهد لهم بالجنة أم لا؟ فعلى الرأي الثالث يشهد لهم بالجنة، وعلى الرأيين الأولين لا يشهد...

الرأي المختار: هو الرأي الثاني وذلك لما يأتي:

أولاً: وجاهة ما استدلوا به وقوته.

ثانياً: أما عن دليل الأولين فإن عصمة الأنبياء تقتضي تصديقهم فيما أخبروا به... فإذا أخبروا بالشهادة لأحد في الجنة فيجب تصديقهم وذلك بالشهادة لمن شهدوا.

ثالثاً: وأما عن دليل الآخرين الأول: فنقول: إن الشهادة لإحدى الجنازتين بالجنة والأخرى بالنار إنما هي لإخبار الرسول ﷺ، وأما قوله «هذا أنثيتم» فليس هذا من ربط الأشياء بمسبباتها التي لا تختلف عنها أبداً، وإنما هو من ربط الأشياء بالقرائن التي تختلف في بعض الأمور.

ويدل على ذلك دليلهم الثاني حيث قال ﷺ «توشكون ولم يقل تعلمون، وهناك فرق بينهما، وهذا دليل على رجحان الرأي الثاني.

٧) حكم تكفير المسلم المعين أو نفيقه:

من أصول أهل السنة ألا يحكم على أحد من أهل القبلة بشيء من ذلك إلا إذا ظهر منه، وذلك لأننا قد نهينا عن اتباع الظن وقد دلت على ذلك آيات منها: ﴿أَحْتَبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]، وقال: ﴿لَا يَسْحَرُ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَوْا أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ [الحجرات: ١١] والسخرية قول بالظن وكلام على الإنسان بما لا يعلم، وقال: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦] والنهي يقتضي التحريم.

٨) معنى كلام الطحاوي: «ولا نرى السيف على أحد من أمة محمد ﷺ إلا

من وجب عليه السيف»:

يرى أهل السنة أن المسلم معصوم الدم، فلا يجوز قتاله ولا قتله إلا في حالات نص عليها الشارع يأتي بيانها في مبحث مستقل.

٩) الحكم على عقائد الناس أكبر من الحكم على أموالهم وأعراضهم: الحكم على عقائد الناس أكبر بكثير من الحكم على أموالهم وأعراضهم، لأن الأصل في دماء المسلمين وأعراضهم التحريم إلا بإذن الشرع، ونحن مطالبون بأن نحكم على ظواهر الناس ونكل البواطن إلى الله ﷻ. قال النبي ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه» رواه مسلم.

١٠) الأصل أن دماء المسلمين وأموالهم معصومة: المسلم معصوم الدم والمال والعرض إلا بإذن من الشرع، قال شيخ الإسلام: «الأصل أن دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم محرمة فيما بينهم لا تحل إلا بإذن الله ورسوله»<sup>(١)</sup>.

١١) الحالات التي يباح فيها دم المسلم: اختلف العلماء في هذا الحديث هل هو محكم أم منسوخ: أ - فجمهور العلماء على أنه محكم، وما ورد من الجرائم داخل فيه، فاللواط وإتيان البهيمة داخل في الزنا، والباغي وقاطع الطريق داخل في الارتداد عن الدين أو داخل في قتل النفس، وأما الباغي فهو داخل في الارتداد وإن لم يفارق دينه. ب - وقال قوم: هذا الحديث منسوخ، والناسخ له آية الحرابة ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا﴾ [المائدة: ٣٣]، والمنسوخ هو حكم الحصر لا الأحكام التي وردت فيها. ج - ويقال بأن الحديث عام مخصوص، فعموم النص خصص بأمر أخرى.

### ١٢) الخلاصة:

- ١ - لا يحكم أهل السنة لأهل القبلة بجنة ولا نار على سبيل التعيين والقطع.
- ٢ - ولا يشهد أهل السنة على مسلم بكفر ولا بشرك ولا نفاق، مما يخرج عن الملة الإسلامية، إلا أن يكون قد ظهر منهم شيء من ذلك مع تحقق الشروط وانتفاء الموانع.
- ٣ - ويترك أهل السنة السرائر والبواطن إلى الله تعالى حيث إنه العليم بها، ويأخذون الناس بما ظهر منهم.

(١) قاعدة أهل السنة (ص ١١).

- ٤ - يرى أهل السنة أن المسلم معصوم الدم فلا يجوز قتاله ولا قتله إلا في حالات نص عليها الشارع.
- ٥ - الحكم على عقائد الناس أكبر من الحكم على أموالهم وأعراضهم.
- ٦ - الأصل أن دماء المسلمين وأموالهم معصومة.

### ١٣ المناقشة:

- س١: ما معنى كلام الطحاوي: «ولا ننزل أحداً منهم جنة ولا ناراً، ولا نشهد عليهم بكفر ولا بشرك ولا بنفاق، ما لم يظهر منهم شيء من ذلك، ونذر سرائرهم إلى الله تعالى»؟
- س٢: وضع ما حكم الجزم لمسلم معين بجنة أو نار؟
- س٣: اذكر أقوال السلف للشهادة لمعين بالجنة.
- س٤: ما حكم تكفير المسلم المعين أو تفسيقه أو الحكم عليه بالنفاق؟
- س٥: ما معنى كلام الطحاوي: «ولا نرى السيف على أحد من أمة محمد ﷺ إلا من وجب عليه السيف»؟
- س٦: ما الحالات التي يباح فيها دم المسلم؟
- س٧: وردت نصوص أخرى في حل دم أصناف من الناس غير الثلاثة المذكورين في الحديث، فكيف توفق بين هذه النصوص؟



## طاعة ولاة الأمر وعدم الخروج عليهم

❦ كلام ابن أبي العز:

- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب.
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق.
- ٣ - معاني الكلمات.
- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا ولا ندعو عليهم ولا ننزع يداً من طاعتهم ونرى طاعتهم من طاعة الله ﷻ فريضة ما لم يأمروا بمعصية وندعو لهم بالصلاة والمعافاة».
- ٥ - وجه إدخال مسألة الخروج على ولي الأمر في الأصول.
- ٦ - حكم الخروج على ولي أمر المسلمين.
- ٧ - تفسير قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].
- ٨ - الحالات التي يجوز فيها الخروج على ولي الأمر.
- ٩ - الحكمة من النهي عن الخروج على ولي الأمر.
- ١٠ - الوسيلة الشرعية للخلاص من جور الأئمة.
- ١١ - الخلاصة.
- ١٢ - المناقشة.

## الخروج على الأئمة

قال ابن أبي العز:

قوله: «ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا ولا ندعو عليهم ولا ننزع يداً من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله ﷻ فريضة ما لم يأمرؤا بمعصية وندعو لهم بالصلاح والمعافاة».

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]. وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصا الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعصي الأمير فقد عصاني»<sup>(١)</sup>.

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: «إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع وإن كان عبداً حبشياً مجرد الأطراف». وعند البخاري: «ولو لحبشي كأن رأسه زبيبة»<sup>(٢)</sup>.

وفي الصحيحين أيضاً: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»<sup>(٣)</sup>.

وعن حذيفة بن اليمان قال: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم، فقلت: هل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم وفيه دخن»<sup>(٤)</sup>. قال: قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يستنون بغير سنتي ويهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر. فقلت: هل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم دعاة على أبواب جهنم من أجا بهم إليها قذفوه فيها، فقلت: يا رسول الله صفهم لنا. قال: نعم قوم من جلدتنا يتكلمون بالسنتنا. قلت:

(١) أخرجه البخاري (٧١٣٧)، ومسلم (١٨٣٥).

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٣)، ومسلم (٦٤٨).

(٣) أخرجه البخاري (٢٩٥٥)، ومسلم (١٨٣٩).

(٤) هو الحقد وقيل: فساد في القلب.

يا رسول الله فما ترى إذا أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم. فقلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام. قال: فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك»<sup>(١)</sup>.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات فميتته جاهلية»<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية: «فقد خلع ربة الإسلام من عنقه».

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما»<sup>(٣)</sup>.

وعن عوف بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم، فقلنا: يا رسول الله أفلا نناذبهم بالسيف عند ذلك؟ قال: لا ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا من ولي عليه وال فرآه يأتي شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعن يداً من طاعة»<sup>(٤)</sup>.

فقد دل الكتاب والسنة على وجوب طاعة أولي الأمر ما لم يأمروا بمعصية فتأمل قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، كيف قال: ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ ولم يقل: ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، لأن أولي الأمر لا يفردون بالطاعة بل يطاعون فيما هو طاعة الله ورسوله، وأعاد الفعل مع الرسول لأن من يطع الرسول فقد أطاع الله، فإن الرسول لا يأمر بغير طاعة الله بل هو معصوم في ذلك، وأما ولي الأمر فقد يأمر بغير طاعة الله فلا يطاع إلا فيما هو طاعة لله ورسوله.

وأما لزوم طاعتهم وإن جاروا فلأنه يترتب على الخروج من طاعتهم من المفسد أضعاف ما يحصل من جورهم بل في الصبر على جورهم تكفير السيئات ومضاعفة الأجور، فإن الله تعالى ما سلطهم علينا إلا لفساد أعمالنا والجزاء من جنس العمل

(١) أخرجه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧).

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٥٣)، ومسلم (١٨٤٩).

(٣) أخرجه مسلم (١٨٥٣). (٤) أخرجه مسلم (١٨٥٥).

فعلينا الاجتهاد في الاستغفار والتوبة وإصلاح العمل، قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَبَكُمْ  
 مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]، وقال تعالى:  
 ﴿أَوْ لَمَّا أَصَلَبْتُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَلَنْ هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [آل  
 عمران: ١٦٥]، وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ يَدَاكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَبِمَا  
 كَسَبَتْ يَدَاكَ﴾ [النساء: ٧٩]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُؤَيِّدُ بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾  
 [الأنعام: ١٢٩]، فإذا أراد الرعية أن يتخلصوا من ظلم الأمير الظالم فليتركوا  
 الظلم.

وعن مالك بن دينار أنه جاء في بعض كتب الله: أنا الله مالك الملك قلوب  
 الملوك بيدي، فمن أطاعني جعلتهم عليه رحمة، ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة،  
 فلا تشغلوا أنفسكم بسبِّ الملوك لكن توبوا أعطفهم عليكم.

## الشرح

### عناصر الموضوع:

#### ١ غرض المصنف من عقد هذا الباب:

يتضح غرض المصنف من عقد هذا الباب فيما يلي:  
 أ - تقرير أصل من أصول أهل السنة والجماعة ألا وهو عدم الخروج على ولاة الأمر بالمعاصي ولو جاروا وظلموا.  
 ب - الرد على المخالفين لأهل السنة والجماعة في هذا الباب من الخوارج والمعتزلة والرافضة.

#### ٢ مناسبة هذا الباب لما سبق:

قرر المصنف فيما سبق أن مرتكب الكبيرة مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، فناسب بعد ذلك أن يبين بعد ذلك معتقد أهل السنة والجماعة بأنهم لا يرون الخروج على ولاة الأمر بالمعاصي ولو جاروا وظلموا.

#### ٣ معاني الكلمات:

الكلمة	المعنى
جاروا	ظلموا
الدخن	أصل الدخن أن يكون في لون الدابة أو الثوب كدرة إلى سواد، والمعنى تكون القلوب هكذا لا يصفو بمضها إلى بعض ولا ينصح حبها كما كانت وإن لم تكن فتنة <sup>(١)</sup> .

#### ٤ معنى كلام الطحاوي: «ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن

جاروا ولا ندعو عليهم ولا ننزع يداً من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله ﷻ فريضة ما لم يأمروا بمعصية وندعو لهم بالصلاح والمعافاة»: يرى أهل السنة حرمة الخروج على الأئمة وولاة الأمور، حتى لو ظلموا

(١) انظر: تهذيب اللغة (٢/١١٦٢).

الناس، وحتى إذا ظهر منهم فسوق في أنفسهم، وذلك لما للخروج من آثار سيئة: كإراقة الدماء ونشر الفوضى، وذلك ما دام الأمراء باقين في حظيرة الإسلام ولم يبدلوا دين الله ولم يظهر منهم الكفر البواح، ولا يدعون عليهم ولا يعصونهم ويرون طاعتهم واجبة ما داموا يأمرون بمعروف، فإن أمروا بمعصية فلا يسمع لهم ولا يطاع، ويدعون للأمراء بالصلاح في دينهم والمعافة، فإن صلاحهم صلاح للأمة، وفسادهم فساد وإفساد لها. والله أعلم.

### ٥) وجه إدخال مسألة الخروج على ولي الأمر في الأصول:

وجه إدخال مسألة الخروج على ولي الأمر وهي من مسائل الفقه في أصول مذهب أهل السنة والجماعة لمخالفة أهل البدع وللدرد على الخوارج والمعتزلة، ومن سلك مسلكهم ممن يوجب الخروج على الحاكم المسلم الفاسق أو الضال، أما أهل السنة والجماعة فالذي يدينون الله ﷻ به السمع والطاعة للحاكم المسلم وإن كان فاسقاً أو ظالماً ما لم يأمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة، ويناصحونه بالحكمة والموعظة الحسنة، ولا يدعون للخروج عليه لما يترتب على ذلك من مفسد كبيرة وشور عظمة، إلا إذا رأوا منه كفراً بواحاً عندهم فيه من الله برهان، وكانوا قادرين على الخروج عليه، فيتعين عليهم.

### ٦) حكم الخروج على ولي أمر المسلمين:

ذهب الجمهور من أهل السنة<sup>(١)</sup> إلى عدم جواز الخروج على الإمام الجائر، لما يترتب على الخروج على السلطان من المفسد الكثيرة من سفك للدماء، وإزهاق للأرواح ونهب للأموال، واستحلال للمحارم، بل في الصبر على جورهم تكفير للسيئات، ومضاعفة للأجور.

وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على وجوب طاعة ولي الأمر وعدم الخروج عليه، ما لم يأمر بمعصية لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

وقال النبي ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن

(١) انظر: شرح النووي على مسلم (٢٢٩/١٢)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة

(١/١٦٧، ١٦٨، ١٧٥، ١٧٦)، وكتاب الشريعة (ص ٣٨)، وأصول السنة (ص ٩٨).

أطاع أميرى فقد أطاعني، ومن عصى أميرى فقد عصاني»<sup>(١)</sup>.

وقال النبي ﷺ: «السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر فلا سمع ولا طاعة»<sup>(٢)</sup>.

وقال النبي ﷺ: «من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه، من فارق الجماعة شبراً فمات إلا مات ميتة جاهلية»<sup>(٣)</sup>.

قال ابن المديني: «... ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين وقد اجتمع عليه الناس فأقروا له بالخلافة بأي وجه كانت برضا أو بغلبة فهو شاق هذا الخارج عليه العصا، وخالف الآثار عن رسول الله ﷺ فإن مات الخارج عليه مات ميتة جاهلية، ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه لأحد من الناس، فمن عمل ذلك فهو مبتدع على غير السنة»<sup>(٤)</sup>.

وقال الإمام أحمد: «ودفع الصدقات والأعشار والخراج والفيء والغنائم إلى الأمراء عدلوا فيها أو جاروا، والانقياد لمن ولاه الله ﷻ أمركم لا تنزع يداً من طاعته، ولا تخرج عليه بسيفك يجعل الله لك فرجاً ومخرجاً، ولا تخرج على السلطان، بل تسمع وتطيع. فإن أمرك السلطان بأمر - هو الله ﷻ معصية - فليس لك أن تطيعه، وليس لك أن تخرج عليه ولا تمنعه حقه ولا تعن على فتنة بيد ولا لسان، بل كف يدك ولسانك وهواك، والله ﷻ المعين»<sup>(٥)</sup>.

وقال البخاري: «وألا تنازع الأمر أهله لقول النبي ﷺ: «ثلاث لا يغفل عليهن قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، وطاعة ولاة الأمر، ولزوم جماعتهم، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم»<sup>(٦)</sup>، وألا يرى السيف على أمة محمد ﷺ»<sup>(٧)</sup>.

وقال أبو زرعة الرازي: «ولا نرى الخروج على الأئمة ولا القتال في فتنة

(١) البخاري (٧١٣٧)، ومسلم (١٨٣٥). (٢) البخاري (٧١٤٤)، ومسلم (١٨٣٩).

(٣) البخاري (٧٠٥٤)، ومسلم (١٨٤٩).

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/١٦٨).

(٥) كتاب السنة للإمام أحمد (ص٤٦).

(٦) الترمذي (٣٤/٥)، وأحمد (٨٠/١)، وابن ماجه (٣٠٥٦)، وصححه الألباني في صحيح

الجامع (٣٠/٦).

(٧) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/١٧٥ - ١٧٦).

ونسلم ونطيع لمن ولاه الله ﷻ أمرنا ولا ننزع يداً من طاعة ونتبع السنة والجماعة ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة»<sup>(١)</sup>.

وقال ابن أبي زمنين: «فالسمع والطاعة لولاة الأمر واجب مهما قصرُوا في ذاتهم، فلم يبلغوا الواجب عليهم، غير أنهم يدعون إلى الحق ويأمرون به ويذنبون عنه، فعليهم ما حُمِّلُوا، وعلى رعاياهم ما حُمِّلُوا من السمع والطاعة لهم»<sup>(٢)</sup>.

وقال النووي: «أجمع العلماء على وجوبها - أي طاعة الأمراء - في غير معصية، وعلى تحريمها في المعصية. نقل الإجماع على هذا القاضي عياض» إلى أن قال: «ولا تنازعوا ولاة الأمور في ولايتهم، ولا تعترضوا عليهم إلا أن تروا منهم منكراً محققاً تعلمونه من قواعد الإسلام، فإذا رأيتم ذلك فأنكروه عليهم وقولوا بالحق حيثما كنتم، وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين وإن كانوا فسقة ظالمين. وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته، وأجمع أهل السنة أنه لا ينزل السلطان بالفسق»<sup>(٣)</sup>.

٧ تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]:

أمر الله ﷻ بطاعة أولي الأمر وهم الولاة على الناس من الأمراء والحكام والمفتين، فإنه لا يستقيم للناس أمر دينهم ودنياهم إلا بطاعتهم والانقياد لهم طاعة لله ورغبة فيما عنده.

والنكتة في ذلك أن الرسول ﷺ طاعته واجبة على كل حال، لأنه لا يأمر إلا بما فيه طاعة الله، ولذلك أعاد الله الفعل معه، أما أولي الأمر فلما كانوا لا يقرون بالطاعة المطلقة وإنما يطاعون في ما هو طاعة الله، ولا يطاعون فيما هو معصية لله، لذا لم يُعد الفعل معه للدلالة على أنهم يطاعون فيما هو طاعة لله ولا يطاعون فيما ليس بطاعة الله.

٨ الحالات التي يجوز فيها الخروج على ولي الأمر:

يباح الخروج عليهم في حالتين:

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/١٧٧).

(٢) أصول السنة (ص ٩٨٠).

(٣) شرح مسلم (١٢/٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٩).



أولاهما: إن أتوا كفراً صريحاً لا شبهة فيه، وذلك لأنهم يعتبرون والحالة هذه كفاراً... وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١].

الثانية: إذا عطلوا شعيرة من شعائر الله الظاهرة، كأن لم يقيموا الصلاة جماعة ونحو ذلك... ويدل لجواز الخروج عليهم في مثل هذه الحالة: ما روي عن عوف بن مالك الأشجعي إن النبي ﷺ قال: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتقبلون عليهم ويقبلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم. قال: قلنا: أفلا نناذبهم بالسيف؟ قال: لا ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا من ولي عليه وإل فرآه يأتي شيئاً من معصية الله... ولا ينزعن يداً من طاعته» وجه الدلالة: مأخوذ من قوله: «لا ما أقاموا فيكم الصلاة» فقد دل بمنطوقه على عدم جواز الخروج عليهم ما أقاموا الصلاة.

### ٩ الحكمة من النهي عن الخروج على ولي الأمر:

دلت النصوص الشرعية على عدم جواز الخروج على الأئمة، وذلك لحكم متعددة منها:

١ - منع الفساد والفوضى، فإنه يترتب على الخروج على الأئمة من المفساد أضعاف ما يحصل من وجورهم، وذلك لأنه سبب من أسباب انتشار القتل وكثرة الفواحش.

٢ - لأن في الصبر على جورهم تكفيراً للسيئات ومضاعفة للأجور، وذلك أن الله إنما سلطهم بسبب ظلم الرعية، قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَبَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُؤَيِّنُ بِمَعْصِ الْأَظْلَمِينَ بَعْضًا﴾ [الأنعام: ١٢٩].

### ١٠ الوسيلة الشرعية للخلاص من جور الأئمة:

السبيل إلى ذلك كما قال شارح الطحاوية هو: «ابتعاد الرعية عن الظلم والتظالم فيما بينهم واجتهادهم في الاستغفار والتوبة وإصلاح العمل والنية... روى مالك بن دينار أنه جاء في بعض كتب الله: «أنا لله مالك الملك، قلوب الملوك بيدي، فمن أطاعني جعلتهم عليه رحمة، ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة، فلا تشغلوا أنفسكم بسبب الملوك ولكن توبوا أعطفهم عليكم»، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَصَبَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠]، على أن تسليط

الملوك الظلمة إنما هو بسبب الذنوب التي اقترفوها، فعليهم اجتناب تلك المعاصي.

### ١١) الخلاصة:

١ - يرى أهل السنة حرمة الخروج على الأئمة وولاية الأمور، حتى لو ظلموا الناس، وحتى إذا ظهر منهم فسوق في أنفسهم، وذلك لما للخروج من آثار سيئة، دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة.

٢ - عقد المصنف هذا الباب للرد على الخوارج والمعتزلة، ومن سلك مسلكهم ممن يوجب الخروج على الحاكم المسلم الفاسق أو الضال.

٣ - أمر الله ﷻ بطاعة أولي الأمر وهم الولاة على الناس من الأمراء والحكام والمفتين، فإنه لا يستقيم للناس أمر دينهم ودنياهم إلا بطاعتهم والانقياد لهم طاعة لله ورغبة فيما عنده.

٤ - الوسيلة الشرعية للخلاص من جور الأئمة هو ابتعاد الرعية عن الظلم والتظالم فيما بينهم واجتهادهم في الاستغفار والتوبة وإصلاح العمل والنية.

### ١٢) المناقشة:

• س١: ما معنى كلام الطحاوي: «ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاية أمورنا وإن جاروا، ولا ندعو عليهم ولا ننزع يداً من طاعتهم ونرى طاعتهم من طاعة الله ﷻ فريضة ما لم يأمرُوا بمعصية وندعو لهم بالصلاة والمعافاة؟»

• س٢: لماذا عقد المصنف هذا الباب؟

• س٣: وضع حكم الخروج على ولي أمر المسلمين، مع ذكر الدليل لما تقول.

• س٤: يقول الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، ما النكته في إعادة الأمر بالطاعة مع الرسول دون أولي الأمر؟.

• س٥: اذكر الحالات التي يجوز فيها الخروج على ولي الأمر.

• س٦: ما الحكمة من النهي عن الخروج على ولي الأمر؟

• س٧: بين الوسيلة الشرعية للخلاص من جور الأئمة.

## اتباع السنة والجماعة

❖ كلام ابن أبي العز:

- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب.
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق.
- ٣ - معاني الكلمات.
- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «ونتبع السنة والجماعة، ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة».
- ٥ - وجه إدخال مسألة اتباع السنة في كتب الاعتقاد.
- ٦ - أدلة وجوب لزوم الجماعة.
- ٧ - تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ. جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].
- ٨ - المراد بالجماعة.
- ٩ - المراد بالسنة.
- ١٠ - نشأة التسمية بأهل السنة والجماعة.
- ١١ - خطورة التفرق.
- ١٢ - الأدلة على ذم الفرقة.
- ١٣ - الأسباب المؤدية للتفرق.
- ١٤ - طريق الخلاص من الفرقة والخلاف.
- ١٥ - أنواع الخلاف.
- ١٦ - هل الاختلاف رحمة؟
- ١٧ - الواجب على المسلم عند اختلاف الأمة.
- ١٨ - الخلاصة.
- ١٩ - المناقشة.

## اتباع السنة والجماعة

قال ابن أبي العز:

قوله: «ونتبع السنة والجماعة ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة».

السنة طريقة الرسول، والجماعة جماعة المسلمين، وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين، فأتباعهم هدى وخلافهم ضلال، قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤]. وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَنَعْنَا بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

وثبت في السنن الحديث الذي صححه الترمذي عن العرياض بن سارية قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟ فقال: «أوصيكم بالسمع والطاعة فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٧٦)، وأبو داود (٤٦٠٣)، وابن ماجه (٤٢).

وقال ﷺ: «إن أهل الكتابين افرقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفرق على ثلاث وسبعين ملة يعني الأهواء كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة».

وفي رواية قالوا: «من هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي»<sup>(١)</sup>.  
 فبيّن ﷺ أن عامة المختلفين هالكون من الجانبيين إلا أهل السنة والجماعة.  
 وما أحسن قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حيث قال: «من كان منكم مستنأ فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد كانوا أفضل هذه الأمة، أبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم وتمسكوا بما استطعم من أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم».  
 وسيأتي لهذا المعنى زيادة بيان إن شاء الله تعالى عند قول الشيخ: ونرى الجماعة حقاً وصواباً، والفرقة زيغاً وعذاباً.

(١) سبق تخريجه.

## الشرح

### عناصر الموضوع:

#### ١ غرض المصنف من عقد هذا الباب:

يتضح غرض المصنف من عقد هذا الباب فيما يلي:

- أ - تقرير أن من طريقة أهل السنة والجماعة اتباع الكتاب والسنة، والتحاكم إليهما، ورد المتشابه إلى المحكم عند العلم به، وإلا وُكِّل العلم إلى عالمه.
- ب - الرد على أهل الأهواء ممن فارقوا السنة والجماعة واتبعوا المتشابه وتركوا المحكم وتأولوا النصوص الشرعية بما يناسب أهوائهم وأغراضهم.

#### ٢ مناسبة هذا الباب لما سبق:

قرر المؤلف فيما سبق أصل من أصول أهل السنة والجماعة ألا وهو عدم الخروج على ولاة الأمر بفعلهم المعاصي وإن جاروا وإن ظلموا، هذا ما جاءت به السنة، فناسب بعد ذلك أن يبين سبيل أهل السنة والجماعة وطريقتهم في عدم الخروج على جماعة المسلمين وأن الهدى في اتباع سنة النبي ﷺ ودين الجماعة من الصحابة وسلف الأمة، وأن الضلال والغواية في الفرقة والخلاف والشذوذ.

#### ٣ معاني الكلمات:

الكلمة	المعنى
الزيغ	الانحراف
الوجل	الخوف والخشية
الشذوذ	الانفراد عن الجماعة.

#### ٤ معنى كلام الطحاوي: «ونتبع السنة والجماعة ونجتنب الشذوذ والخلاف

والفرقة»:

يتجنب أهل السنة والجماعة الخروج عن جماعة المسلمين، بل يرون الهدى في اتباع سنة النبي ﷺ وجماعة المسلمين، والضلال والغواية في الشذوذ عن

الجماعة والخلاف والاختلاف على أمور الدين، والفرقة بما يترتب عليها شق صفوف المسلمين، كل هذا ما دامت جماعة المسلمين قائمة على أمر الله، على الحق والهدى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأما إذا فسد الناس وبدلت الشرائع، وصارت السنة بدعة والبدعة سنة، والمنكر معروفاً والمعروف منكراً، فحيثئذ حل الاعتزال والانفراد عن الناس، واعتزال فرق الهوى والضلالة كما جاء بذلك الأثر.

#### ٥ وجه إدخال مسألة اتباع السنة في كتب الاعتقاد:

المراد بالسنة هنا طريقة الرسول ﷺ التي يسير عليها من قول أو فعل أو تقرير، والجماعة هم الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين، فاتباعهم هدى وخلافهم ضلال، من أجل ذلك أدخل المصنف هذه المسألة في هذا الكتاب المختص ببيان الاعتقاد، وكذا للرد على أهل الأهواء والبدع الذين خالفوا السنة وفارقوا الجماعة كالخوارج والمعتزلة وغيرهم من أهل الأهواء والبدع.

#### ٦ أدلة وجوب لزوم الجماعة:

الأدلة على وجوب لزوم الجماعة أدلة كثيرة منها:

١ - قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [آل عمران: ١٠٣].

٢ - قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

٣ - قول النبي ﷺ: «أمرني ربي بخمس أن أعمل بهن وأمركم بهن ومنها الجماعة، فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام عن عنقه»، رواه أحمد والترمذي بسند صحيح.

٧ تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾:

أي ومن يخالف الرسول ﷺ ويعانده فيما جاءه من بعد ما تبين له الهدى بالدلائل القرآنية والبراهين النبوية ويتبع غير سبيل المؤمنين، وسبيلهم هو طريقهم في عقائدهم وأعمالهم، نوله ما تولى، أي: نتركه وما اختاره لنفسه، ونخذله فلا

نوفقه للخير، لكونه رأى الحق وعلمه وتركه، فجزأوه من الله عدلاً أن يبقيه في ضلالة حائراً، ويزداد ضلالاً إلى ضلالة.

ولهذا الوعيد المترتب على الشقاق ومخالفة المؤمنين مراتب لا يحصيها إلا الله بحسب حالة الذنب صغيراً وكبيراً، فمنه ما يخلد في النار ويوجب جميع الخذلان، ومنه ما هو دون ذلك.

و«سبيل المؤمنين» مفرد مضاف يشمل سائر ما المؤمنون عليه من العقائد والأعمال.

وفي الآية دليل على أن إجماع الأمة حجة، وأنها معصومة من الخطأ<sup>(١)</sup>.

#### ٨ المراد بالجماعة:

الجماعة لغة ضد الفرقة، ومعناها الطائفة من الناس والمقصود بها هنا: الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين، وهم من كان على مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه.

#### ٩ المراد بالسنة:

السنة في اللغة: هي الطريقة والسيرة، سواء كانت حسنة أو قبيحة، يقال لكل من ابتدأ عملاً أو تبعه غيره فيه أن قد سنّه.

والمراد هنا الطريقة التي سار عليها النبي ﷺ، سواء كانت من قبيل الواجب أو المستحب. وليس المراد بها ما يرادف المستحب كما اصطلح عليه الفقهاء، وإنما المراد العموم.

#### ١٠ نشأة التسمية بأهل السنة والجماعة:

نشأت التسمية بأهل السنة والجماعة بعد ظهور الفرق كالخوارج والرافضة، وتوالى ظهور الفرق بعد ذلك.

وقد وردت التسمية في كلام ابن عباس رضي الله عنهما كما ذكر اللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة [٧٩/١] برقم [٧٤] بسنده عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾: «فأما الذين ابيضت وجوههم فأهل السنة والجماعة وأولوا العلم، وأما الذين اسودت وجوههم فأهل البدع والضلالة».

لذا قال شيخ الإسلام: «ومذهب أهل السنة والجماعة مذهب قديم معروف قبل

(١) انظر: تفسير السعدي، سورة النساء الآية ١١٥.



أن يخلق الله أبا حنيفة ومالكا والشافعي وأحمد، فإنه مذهب الصحابة الذين تلقوه عن نبيهم، ومن خالفه كان مبتدعاً عند أهل السنة والجماعة»<sup>(١)</sup>.

### ١١) خطورة التفرق:

إن تفرق المسلمين فرقاً وأحزاباً وشيعاً، مما يشتت شملهم ويجعلهم ضعفاء، وبالتالي يسهل القضاء عليهم لا لقلتهم أو قلة عتادهم، وإنما نتيجة الفرقة والنزاع. قال تعالى: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنزَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال: ٤٦].

### ١٢) الأدلة على ذم الفرقة:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٥٠﴾﴾ [آل عمران: ١٥٠].

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الأنعام: ١٥٩].

وثبت في السنن الحديث الذي صححه الترمذي عن العرياض بن سارية قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟ فقال: «أوصيكم بالسمع والطاعة، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة».

وقال ﷺ: «إن أهل الكتابين افرقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة يعني الأهواء كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة».

### ١٣) الأسباب المؤدية للتفرق:

- ١ - الابتداع في دين الله ما ليس منه.
- ٢ - الجهل.
- ٣ - اتباع الهوى<sup>(٢)</sup>.

(١) منهاج السنة (٢/٤٨٢).

(٢) انظر: الاعتصام (٢/١٧٢ - ١٨٠).

- ٤ - تحكيم العقل وتقديمه على النقل<sup>(١)</sup>.
- ٥ - التعصب والتقليد واتباع العوائد والتقاليد.
- ٦ - الدعاية السيئة ضد أهل السنة والجماعة وعقيدتهم.

#### ١٤) طريق الخلاص من الفرقة والخلاف:

جاء في كتاب الله وسنة النبي ﷺ الحث على اتباع السنة، وسبيل المؤمنين السابقين من الصحابة والتابعين، وترسم خطاهم والسير على منهجهم، ومن طريقتهم أنهم متبعون للحق والهدى مجانبون للباطل والضلال، ومخلصون لله ﷻ في دينهم، متبعون لسنة نبيهم ﷺ، لذا فسبيل الجماعة:

- ١ - لزوم سنة النبي ﷺ.
- ٢ - الاقتداء بالصحابة رضوان الله عليهم في دينهم والرجوع إلى عقيدة السلف الصالح.
- ٣ - الإخلاص لله تعالى وتحكيم الكتاب والسنة.
- ٤ - تجريد المتابعة للنبي ﷺ.
- ٥ - طلب الحق وتحريه واتباع الدليل والالتزام به.

#### ١٥) أنواع الخلاف:

الخلاف على ثلاثة أنواع:

الأول: اختلاف تنوع: كما في أدعية الاستفتاح وهذا جائز.

الثاني: اختلاف أفهام: كما في وضع اليدين على الصدر بعد الرفع من الركوع، وهذا جائز.

الثالث: خلاف تضاد: وهو تقابل حق مع باطل، أو مخالفة صريح النص الشرعي، وهذا خلاف مذموم حذر منه الشارع.

#### ١٦) هل الاختلاف رحمة؟!:

لقد دل القرآن على أن الاختلاف لا يتفق مع الرحمة بل هو ضدها، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۗ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩].

ولا يتصور عاقل أن الاختلاف رحمة بعد ورود النصوص الشرعية بزمه، فضلاً عما يترتب على الاختلاف من المفاسد العظيمة في الدين والدنيا.

(١) انظر: الاعتصام (٢/٢٩٣).

### ١٧) الواجب على المسلم عند اختلاف الأمة:

الواجب على المسلم عند اختلاف الأمة لزوم جماعة المسلمين والدليل على هذا حديث حذيفة الطويل وفيه: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم»، وحديث العرباض بن سارية فإن الرسول ﷺ نصحه عند اختلاف الأمة بالتزام سنته وسنة الخلفاء الراشدين حيث قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟ فقال: «أوصيكم بالسمع والطاعة فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة».

### ١٨) الخلاصة:

- ١ - يتجنب أهل السنة والجماعة الخروج عن جماعة المسلمين، بل يرون الهدى في اتباع سنة النبي ﷺ وجماعة المسلمين، والضلال والغواية في الشذوذ عن الجماعة والخلاف والاختلاف على أمور الدين.
- ٢ - الفرقة سبب في شق صفوف المسلمين.
- ٣ - عقد المصنف هذا المبحث للرد على أهل الأهواء والبدع الذين خالفوا السنة وفارقوا الجماعة كالخوارج والمعتزلة وغيرهم من أهل الأهواء والبدع.
- ٤ - الجماعة هم الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين، وهم من كان على مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه.
- ٥ - السنة هي الطريقة التي سار عليها النبي ﷺ سواء كانت من قبيل الواجب أو المستحب.
- ٦ - نشأت التسمية بأهل السنة والجماعة بعد ظهور الفرق كالخوارج والرافضة، وتوالى ظهور الفرق بعد ذلك.
- ٧ - الأدلة متوافرة على ذم الفرقة والاختلاف.
- ٨ - الأسباب المؤدية للتفرق: البدع، والجهل، واتباع الهوى، وتحكيم العقل وتقديمه على النقل، والتعصب والتقليد، والدعاية السيئة ضد أهل السنة والجماعة وعقيدتهم.
- ٩ - طريق الخلاص من الفرقة والخلاف هو اتباع السنة، وسبيل المؤمنين السابقين من الصحابة والتابعين، وترسُّم خطاهم والسير على منهجهم.

١٠ - الخلاف على ثلاثة أنواع: تنوع، وتضاد، واختلاف أفهام.

المناقشة: ١٩

- س١: ما معنى كلام الطحاوي: «نتبع السنة والجماعة ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة»؟
- س٢: لماذا عقد المصنف هذا المبحث؟
- س٣: اذكر أدلة وجوب لزوم الجماعة.
- س٤: ما المراد بالشذوذ والخلاف والفرقة؟
- س٥: ما المراد بالجماعة؟
- س٦: ما المراد بالسنة؟
- س٧: متى نشأت التسمية بأهل السنة والجماعة؟
- س٨: بيّن خطورة التفرق.
- س٩: اذكر الأدلة على ذم الفرقة.
- س١٠: ما الأسباب المؤدية للتفرق؟
- س١١: بيّن طريق الخلاص من الفرقة والخلاف.
- س١٢: عدد أنواع الخلاف.
- س١٣: هل الاختلاف رحمة؟!

## الحب في الله والبغض في الله

✽ كلام ابن أبي العز:

- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب.
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق.
- ٣ - معاني الكلمات.
- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «ونحب أهل العدل والأمانة، ونبغض أهل الجور والخيانة».
- ٥ - المحبة الشرعية.
- ٦ - الحب في الله والبغض في الله كمال الإيمان.
- ٧ - المقصود بالحب في الله والبغض في الله.
- ٨ - حكم الحب في الله والحب مع الله.
- ٩ - الفرق بين الحب في الله والحب مع الله.
- ١٠ - لوازم المحبة.
- ١١ - معنى محبة الله للمحسنين والملتقين.
- ١٢ - اجتماع الحب في الله والبغض في الله في شخص واحد.
- ١٣ - الخلاصة.
- ١٤ - المناقشة.

## الحب في الله والبغض في الله

قال ابن أبي العز:

قوله: «ونحب أهل العدل والأمانة ونبغض أهل الجور والخيانة».

وهذا من كمال الإيمان وتمام العبودية، فإن العبادة تتضمن كمال المحبة ونهايتها وكمال الذل ونهايته، فمحبة رسل الله وأنبيائه وعباده المؤمنين من محبة الله وإن كانت المحبة التي لله لا يستحقها غيره، فغير الله يحب في الله لا مع الله، فإن المحب يحب ما يحب محبوبه ويبغض ما يبغض، ويوالي من يواليه ويعادي من يعاديه، ويرضى لرضائه ويبغض لبغضه، ويأمر بما يأمر به وينهى عما ينهى عنه، فهو موافق لمحبوبه في كل حال.

والله تعالى يحب المحسنين، ويحب المتقين، ويحب التوابين، ويحب المتطهرين، ونحن نحب من أحبه الله.

والله لا يحب الخائنين، ولا يحب المفسدين، ولا يحب المستكبرين، ونحن لا نحبهم أيضاً ونبغضهم موافقةً له ﷻ.

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا الله، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقي في النار»<sup>(١)</sup>.

فالمحبة التامة مستلزمة لموافقة المحبوب في محبوبه ومكروهه وولايته، وعداوته، ومن المعلوم أن من أحب الله المحبة الواجبة فلا بد أن يبغض أعداءه ولا بد أن يحب ما يحبه من جهادهم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانْتَهُم بَيْنَهُمْ مَرْضُوعٌ﴾ [الصف: ٤].

والحب والبغض بحسب ما فيهم من خصال الخير والشر، فإن العبد يجتمع فيه

(١) أخرجه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣).

سبب الولاية وسبب العداوة والحب والبغض، فيكون محبوباً من وجه ومبغوضاً من وجه، والحكم للغالب، وكذلك حكم العبد عند الله، فإن الله قد يحب الشيء من وجه ويكرهه من وجه آخر، كما قال ﷺ فيما يروي عن ربه ﷻ: «وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته، ولا بد له منه»<sup>(١)</sup>.

فبيّن أنه يتردد، لأن التردد تعارض إرادتين، وهو سبحانه يحب ما يحب عبده المؤمن ويكره ما يكرهه، وهو يكره الموت فهو يكرهه، كما قال: وأنا أكره مساءته، وهو سبحانه قضى بالموت فهو يريد كونه، فسمى ذلك تردداً، ثم بيّن أنه لا بد من وقوع ذلك إذ هو يفضي إلى ما هو أحب منه.

(١) سبق تخريجه ص.

## الشرح

### عناصر الموضوع:

١) غرض المصنف من عقد هذا الباب:

يتضح غرض المصنف من عقد هذا الباب فيما يلي:

أ - تقرير أصل من أصول أهل السنة والجماعة أن من كمال الإيمان محبة أهل العدل والأمانة وبغض أهل الفجور والخيانة، وكذا من أصولهم اجتماع الحب والبغض في الشخص الواحد خلافاً لأهل البدع من المرجئة وغيرهم.  
ب - الرد على الغلاة في الحب والبغض من أهل الأهواء والبدع.

٢) مناسبة هذا الباب لما سبق:

قرر المصنف فيما سبق أن من طريقة أهل السنة والجماعة اتباع الكتاب والسنة، فناسب أن يبين أن ما جاءت به السنة هو محبة أهل العدل والأمانة وبغض أهل الجور والخيانة.

٣) معاني الكلمات:

المعنى	الكلمة
الظلم والعدوان.	الجور

٤) معنى كلام الطحاوي: «ونحب أهل العدل والأمانة، ونبغض أهل الجور

والخيانة»:

أي ونحب كل عادل حاكماً أو محكوماً، ونحب كل أمين مع الله ومع الناس، ونبغض كل جائر ظالم، حاكماً أو محكوماً، وكل خائن لله ولرسوله ولأماناته.  
ونرى ذلك هو الحق، فإن المؤمن يحب المؤمنين المتقين، ويبغض العصاة الفاسقين، فنحن نحب المرء على قدر ما فيه من الطاعة والصلاح، ونبغضه على قدر ما فيه من المعصية والفجور.



## ٥ المحبة الشرعية:

المحبة الخاصة بالله تتضمن كمال الحب وكمال الذل، ومعنى الحب والبغض في الله هو أن يحب العبد أو الفعل أو الحكم لا يحبه إلا الله كحبه الشريعة، ويحب الحكم وهو وجوب الصلاة، ويحب الفعل وهو أفعال الصلاة، والبغض في الله هو بغض ما يبغضه الله لا يبغضه إلا لأجل الله.

## ٦ الحب في الله والبغض في الله كمال الإيمان:

دل على ذلك قوله تعالى: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَدَّعْتُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ ذَاكِرُونَ﴾ [٥٥] وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [٥٦] [المائدة: ٥٥، ٥٦].

فمن تمام الإيمان محبة أهل العدل والإيمان المتمسكين بكتاب الله وسنة رسوله على فهم سلف الأمة، وبغض أهل الظلم والخيانة والبدع والأهواء.

## ٧ المقصود بالحب في الله والبغض في الله:

الحب في الله: مرادف للحب لله. فإن قلت: أحب فلاناً في الله، فكأنك قلت: أحبه لله. والحب في الله هو: محبة الشيء لأجل محبة الله له سواء كان شخصاً أو فعلاً أو غيره.

والبغض في الله: مرادف للبغض لله، وعلى هذا فهو بغض الشيء لأجل بغض الله له سواء كان شخصاً أو فعلاً أو غيره.

## ٨ حكم الحب في الله والحب مع الله:

الحب في الله من كمال الدين وغاية العبودية، ولا يجد العبد حلاوة الإيمان حتى يحب في الله ويبغض في الله. فقد ورد في الصحيحين عن رسول الله ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا الله، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار»، فبدون الحب في الله

والحب لله، وكرهيته الرجوع في الكفر الذي هو البغض في الله، لا يجد المرء حلاوة الإيمان.

أما الحب مع الله فلا يخلو من حالتين:

أ - أن يقترن به كمال الذل والخضوع، وهو في هذه الحالة شرك لأن المحبة التامة والخضوع الكامل من أنواع العبادة، ومن أشرك مع الله غيره فيها فقد كفر. ومثل ذلك محبة المشركين لأصنامهم.

ب - ألا يقترن بها ذل وخضوع، وهنا لا يخلو الأمر من حالتين:

١ - ألا يقدم المحب محبوبه على أوامر الله ونواهيه، وهي هنا مباحة كسائر المباحات، ومن ذلك قوله ﷺ: «حب إلي من دنياكم النساء والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة».

٢ - أن يقدم المحب محبوبه على أوامر الله سبحانه ونواهيه، فهي هنا تكون محرمة وإن كانت لا تصل إلى الشرك.

#### ٩ الفرق بين الحب مع الله والحب في الله:

الحب في الله هو محبة الشيء لأجل محبة الله له، فهو حب مقيد بما يحبه الله ﷻ.

أما الحب مع الله فهو محبة الشيء بغض النظر عن كون الله يحبه أو لا يحبه.

#### ١٠ لوازم المحبة:

قال الشارح: «فإن المحب يحب ما يحب محبوبه ويغض ما يبغض ويأمر بما يأمر به وينهى عما ينهى عنه، فهو موافق لمحبوبه في كل حال، والله تعالى يحب المحسنين ويحب المتقين ويحب التوابين ويحب المتطهرين، ونحن نحب من أحبه الله والله، لا يحب الخائنين ولا يحب المفسدين، ولا يحب المستكبرين، ونحن لا نحبهم أيضاً بل نبغضهم، موافقة له ﷻ. ومن المعلوم أن من أحب الله المحبة الواجبة فلا بد أن يبغض أعداءه، ولا بد أن يحب ما يحبه من جهادهم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتُلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ بَيْنَ مَرْضُوصٍ﴾ [الصف: ٤].»

#### ١١ معنى محبة الله للمحسنين والمتقين:

من أصول أهل السنة والجماعة إثبات صفة المحبة لله على ما يليق بجلاله وعظمته من غير تحريف ولا تكيف ولا تمثيل ولا تعطيل، بخلاف بعض الفرق

الضالة من المعتزلة والجهمية فقد نفوا صفة المحبة وقالوا: إن المراد بها: إرادة الإحسان.

### ١٢ اجتماع الحب في الله والبغض في الله في شخص واحد:

قد يجتمع في الشخص ذلك... وذلك بحسب الخصال التي فيه فيحبه في الله لما فيه من خصال الخير ويبغضه في الله لما فيه من خصال الشر والحكم للغالب منهما في النهاية.

فإن العبد يجتمع فيه سبب الولاية وسبب العداوة... فيكون محبوباً من وجه مبغضاً من وجه آخر، كما في المؤمن الفاسق ونحوه. هذا رأي الجمهور.

أما عند الأحناف فلا يمكن أن نجتمع لأنه عندهم لا يجتمع عند الإنسان إيمان وكفر، وحب وبغض فالإيمان عندهم لا يزيد ولا ينقص، وكذلك حكم العبد عند الله قد يحب الشيء من وجه ويكرهه من وجه آخر. كما قال ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ: «وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته ولا بد منه»، فبين أنه يتردد تردداً يليق بجلاله وعظمته، لأن التردد تعارض بين إرادتين... وهو سبحانه يحب ما يحب عبده المؤمن ويكره ما يكرهه وهو يكره الموت فهو يكرهه كما قال: «وأنا أكره مساءته»، وهو سبحانه قضى بالموت فهو يريد موته فسمى ذلك تردداً، ثم بين أنه لا بد من وقوع ذلك إذ هو يفضي إلى ما هو أحب منه.

### ١٣ الخلاصة:

١ - إن المؤمن يحب المؤمنين المتقين، ويبغض العصاة الفاسقين، فنحن نحب المرء على قدر ما فيه من الطاعة والصلاح، ونبغضه على قدر ما فيه من المعصية والفجور.

٢ - عقد المصنف هذا المبحث للرد على الغلاة في الحب والبغض من أهل الأهواء والبدع.

٣ - الحب في الله والبغض في الله كمال الإيمان.

٤ - والحب في الله هو: محبة الشيء لأجل محبة الله له، سواء كان شخصاً أو فعلاً أو غيره.

٥ - البغض في الله: مرادف للبغض لله وعلى هذا فهو بغض الشيء لأجل بغض الله له سواء كان شخصاً أو فعلاً أو غيره.

- ٦ - من أصول أهل السنة والجماعة إثبات صفة المحبة لله على ما يليق بجلاله وعظمته من غير تحريف ولا تكييف ولا تمثيل ولا تعطيل.
- ٧ - قد يجتمع الحب في الله والبغض في الله في شخص واحد.

### ١٤ المناقشة:

- س١: ما معنى كلام الطحاوي: «ونحب أهل العدل والأمانة، ونبغض أهل الفجور والخيانة؟».
- س٢: لماذا عقد المصنف هذا المبحث؟
- س٣: بين أن الحب في الله والبغض في الله كمال الإيمان، مع ذكر الدليل.
- س٤: ما المقصود بالحب في الله والبغض في الله؟
- س٥: ما حكم الحب في الله والحب مع الله؟
- س٦: وضع الفرق بين الحب في الله والحب مع الله.
- س٧: اذكر لوازم المحبة.
- س٨: بين معنى محبة الله للمحسنين والمتقين.
- س٩: هل يجتمع الحب في الله والبغض في الله في شخص واحد؟

# موقف المسلم من النصوص المتشابهة والمحكمة

✽ كلام ابن أبي العز:

- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب.
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق.
- ٣ - معاني الكلمات.
- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «ونقول الله أعلم فيما اشتبه علينا علمه».
- ٥ - طريقة أهل العلم إذا اشتبه عليهم من الدين.
- ٦ - القول على الله بغير علم من كبائر الذنوب.
- ٧ - المقصود بالمحكم والمتشابه.
- ٨ - هل في القرآن محكم ومتشابه؟ والحكمة من ذلك.
- ٩ - الواجب على المسلم فيما اشتبه علمه.
- ١٠ - الطوائف التي ضلت من جهة المتشابه.
- ١١ - الخلاصة.
- ١٢ - المناقشة.

## موقف المسلم من النصوص المتشابهة والمحكمة

قال ابن أبي العز:

قوله: «ونقول الله أعلم فيما اشتبه علينا علمه».

تقدم في كلام الشيخ رحمته الله أنه ما سلم في دينه إلا من سلم لله تعالى ولرسوله ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه.

ومن تكلم بغير علم فإنما يتبع هواه، وقد قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغْيَرٍ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَاتَّخِذْهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [الحج: ٣، ٤].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كَبْرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُزَلِّ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

وقد أمر الله نبيه أن يرد علم ما لم يعلم إليه، فقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الكهف: ٢٦]، ﴿قُلْ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ﴾ [الكهف: ٢٢]، وقد قال رحمته الله لما سئل عن أطفال المشركين: «الله أعلم بما كانوا عاملين»<sup>(١)</sup>.

وقال عمر رضي الله عنه: «اتهموا الرأي في الدين فلو رأيته يوم أبي جندل فلقد رأيته وإنني لأرد أمر رسول الله برأيي فأجتهد ولا آلو، وذلك يوم أبي جندل والكتاب يكتب وقال: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، قال: اكتب باسمك اللهم فرضي رسول الله رحمته الله وكتب وأبیت، فقال: يا عمر تراني قد رضيت وتأبى»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (١٣٨٤)، ومسلم (٢٦٥٩).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٨٢)، وقال الهيثمي في المجمع (١٧٩/١): رواه أبو يعلى ورجاله موثقون. وانظر: فتح الباري (٥/٣٤٥ - ٣٤٦).

وقال أيضاً ﷺ: «السنة ما سنه الله ورسوله ﷺ لا تجعلوا خطأ الرأي سنة للأمة».

وقال أبو بكر الصديق ﷺ: «أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إن قلت في آية من كتاب الله برأيي أو بما لا أعلم».

وذكر الحسن بن علي الحلواني: حدثنا عارم، حدثنا حماد بن زيد عن سعيد بن أبي صدقة عن ابن سيرين قال: «لم يكن أحد أهيب لما لا يعلم من أبي بكر، ولم يكن بعد أبي بكر أهيب لما لا يعلم من عمر ﷺ، وإن أبا بكر نزلت به قضية فلم يجد في كتاب الله منها أصلاً ولا في السنة أثراً فاجتهد برأيه ثم قال: هذا رأيي، فإن يكن صواباً فمن الله، وإن يكن خطأ فمني وأستغفر الله».

## الشرح

### عناصر الموضوع:

#### ١ غرض المصنف من عقد هذا الباب:

عقد المصنف هذا الباب لبيان معتقد أهل السنة والجماعة وموقفهم من النصوص المتشابهة والمحكمة، فيؤمنون بالمحكم فيعلمونه ويفسرونه، أما المتشابه فلا يعلمونه بل يفوضون أمره إلى الله تعالى.

#### ٢ مناسبة هذا الباب لما سبق:

قرر المصنف في الباب السابق أن سبيل أهل السنة والجماعة اتباع سنة النبي ﷺ واجتناب أسباب الفرقة والغواية في الشذوذ عن جماعة المسلمين، والخلاف والاختلاف على أمور الدين، فناسب في هذا الباب أن يقرر أن طريقة أهل السنة رد نصوص المتشابهة إلى المحكم بخلاف أهل الأهواء فهم يأخذون بالمتشابه ويردون المحكم.

#### ٣ معاني الكلمات:

المعنى	الكلمة
مراء يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها.	الجدل

#### ٤ معنى كلام الطحاوي: «ونقول الله أعلم فيما اشتبه علينا علمه»:

أهل السنة دائماً يكونون علم ما اشتبه عليهم إلى الله تعالى ويقولون: الله أعلم، وذلك هو العدل، وهو المقصود من تحريم القول على الله بغير علم، وهو من أعظم الذنوب وشرها، وهكذا إذا سئل الإنسان عما لا يعلم فليقل: الله أعلم.

#### ٥ طريقة أهل العلم إذا اشتبه عليهم من الدين:

طريقة أهل العلم إذا اشتبه عليهم من الدين أنهم يكونون علمه إلى عالمه، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿١٢٣﴾﴾ [الأحزاب: ٦٣]، وأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يقول: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ



عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ﴿[الأنعام: ٥٠].

لذا لما سئل النبي ﷺ عن أولاد المشركين قال: «الله أعلم بما كانوا عاملين».

#### ٦ القول على الله بغير علم من كبائر الذنوب:

دل على ذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا نَصَبُ السِّنُّكُمْ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنُفَرِّقُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [النحل: ١١٦].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُبْدِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦].

فلا تحرموا وتحللوا من تلقاء أنفسكم افتراء على الله وتقولاً عليه.

#### ٧ المقصود بالمحكم والمتشابه:

للعلماء آراء في تحديدهما، ويمكن أن يستتج من مجموعها ما يأتي:  
المحكم هو: ما كان واضحاً في دلالاته على المقصود منه.

والمتشابه: هو ما خفيت دلالاته على المقصود منه، وأنواعه كثيرة ومنها:

١ - نوع لا يعلمه أحد من البشر، ولكن استأثر الله بعلمه. وذلك كالعلم بكيفية صفاته، وكذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُرَكَّبُ الْغَيْثَ﴾ [لقمان: ٣٤].

٢ - نوع قد يتوصل إليه كل إنسان عن طريق البحث والدرس. وذلك كالآب في قوله تعالى: ﴿وَفَكَهْمَةٌ وَأَبَاٌ ﴿٣١﴾﴾ [عبس: ٣١]، قالوا: الأب: هو ما ترعاه البهائم.

٣ - نوع قد يتوصل إليه بعض الناس عن طريق الفهم الذي يلقيه الله في قلبه كقوله ﷺ في دعائه لابن عباس: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل».

#### ٨ هل في القرآن محكم ومتشابه؟ والحكمة من ذلك:

١ - قد ورد في القرآن ما يدل أنه كله محكم كقوله تعالى: ﴿الرَّ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ [هود: ١].

٢ - وقد ورد في القرآن ما يدل على أنه متشابه كقوله: ﴿اللَّهُ زَلَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانًا﴾ [الزمر: ٢٣].

٣ - ورد ما يدل على أن بعضه محكم وبعضه متشابه: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرَى مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧] ولا تعارض بين الإطلاقات الثلاثة. وذلك لما يأتي:

١ - لأن الإحكام في الآية الأولى المراد به الإتيان الذي لا يتطرق إليه الخلل.

٢ - والتشابه في الآية تشابه في الجودة والإتيان وكونه معجزاً.

٣ - وأما الثالث فالمراد به أن من القرآن ما هو واضح في الدلالة على المقصود منه، وهذا هو المحكم ومنه ما هو غير واضح في الدلالة. وهو المتشابه.

أما الحكمة من وجود المتشابه في القرآن الكريم فقد ذكر العلماء عدة حكم منها:

١ - رحمة الله بهذا الإنسان الضعيف الذي لا يطيق معرفة كل شيء فأخفى عنه موعد الساعة لكي لا يتكاسل عن الاستعداد لها، ولا يجزع إذا علم بقرب مواعدها وأخفى عنه موعد أجله لما تقدم وأخفى عنه كنه ذاته سبحانه وصفاته من أنه لا يستطيع إدراك كنهه ولا يقدر على تحمله.

٢ - إظهار عجز الإنسان وجهالته، وأنه مهما بلغ من الاستعداد والقوة لا يمكن أن يعلم ما حجب الله علمه عنه.

٣ - ابتلاء الإنسان واختباره أيؤمن بما أخبر به لصادقون عن الله.

٩ الواجب على المسلم فيما اشتبه علمه:

الواجب عليه أن يوكل علمه ويفوضه إلى الله سبحانه قائلاً: والله أعلم، وتاركاً الخوض فيما لا يعلم، وقد دلت أدلة الكتاب والسنة والآثار على عدم جواز الخوض للإنسان فيما لا يعلم:

أ - فأما من الكتاب:

فقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

وقوله: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسُوا لَهُمْ غَيْبٌ﴾ [الكهف: ٢٦].

وقوله: ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ﴾ [الكهف: ٢٢].

ب - ومن السنة:

قوله ﷺ: «إن القرآن لم ينزل يكذب بعضه بعضاً، ولكن يصدق بعضه بعضاً. فما علمتم فاعملوا به، وما جهلتم فردوه إلى عالمه».

فقد أمر برد ما لا نعلم علمه إلى عالمه والأمر يقتضي الوجوب. وكذلك قوله ﷺ حين سئل عن أطفال المشركين قال: «الله أعلم بما كانوا عاملين».

ج - ومن الآثار ما يأتي:

ما روي عن أبي بكر ﷺ قال: «أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إن قلت في كتاب الله بما لا أعلم»، فهذا يدل على عدم جواز الخوض.

٢ - قال عمر ﷺ: «السنة ما سنه الله ﷻ وما سنه رسوله ﷺ، لا تجعلوا خطأ الرأي سنة».

وقال أيضاً: «اتهموا الرأي على الدين فلو رأيتني يوم أبي جندل، ولقد رأيتني وأني لأرد أمر رسول الله ﷺ برأي فأجتهد ولا ألو، وذلك يوم أبي جندل والكاتب يكتب بين يدي رسول الله ﷺ وأهل مكة، وقال رسول الله ﷺ: اكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم، قال: فقالوا: ترانا قد صدقناك بما تقول؟ ولكنك تكتب باسمك اللهم، فرضي رسول الله ﷺ وأبيت فقال: يا عمر تراني أرضى وتأبى أنت؟».

٤ - ما روي عن ابن سيرين قال: «لم يكن أحد أهيب لما لا يعلم من أبي بكر ولا بعد أبي بكر من عمر، وأن أبا بكر نزلت به قضية فلم يجدها في الكتاب والسنة فاجتهد برأيه»، ثم قال: هذا رأيي، فإن يكن صواباً فمن الله، وإن يكن خطأ فمني وأستغفر الله...

#### ١٠ الطوائف التي ضلّت من جهة المتشابه:

ضل في ذلك طوائف منها:

الطائفة الأولى: أهل وحدة الوجود: وهي طائفة ادعت التحقيق والتوحيد والمعرفة بالله تعالى، وهم أهل الإلحاد القائلون بوحدة الوجود.

الطائفة الثانية: الجهمية والمعتزلة وبعض الفلاسفة توهموا أنه إذا قيل: الموجودات تشترك في مسمى الوجود لزم التشبيه والتركيب.

الطائفة الثالثة: طائفة من الفلاسفة ظنت أنه إذا كانت الموجودات تشترك في مسمى الوجود لزم أن يكون في الخارج عن الأذهان موجود مشترك كلي، أي مطلق عن التقييد، فقالوا: بالوجود المطلق.

## ١١ الخلاصة:

- ١ - أهل السنة دائماً يكلون علم ما اشتبه عليهم إلى الله تعالى ويقولون: الله أعلم، وهي طريقة أهل العلم أنهم إذا اشتبه عليهم من الدين شيء أنهم يكلون علمه إلى عالمه.
- ٢ - القول على الله بغير علم من كبائر الذنوب.
- ٣ - المحكم هو: ما كان واضحاً في دلالته على المقصود منه. والمتشابه: هو ما خفيت دلالته على المقصود منه.
- ٤ - الطوائف التي ضلت من جهة المتشابه؛ هم أهل وحدة الوجود، الجهمية والمعتزلة والفلاسفة.

## ١٢ المناقشة:

- س١: اشرح كلام الطحاوي: «ونقول الله أعلم فيما اشتبه علينا علمه».
- س٢: ما طريقة أهل العلم إذا اشتبه عليهم من الدين؟
- س٣: بين أن القول على الله بغير علم من كبائر الذنوب.
- س٤: ما المقصود بالمحكم والمتشابه؟
- س٥: هل في القرآن محكم ومتشابه؟ وما الحكمة من ذلك؟
- س٦: ما الواجب على المسلم فيما اشتبه علمه؟
- س٧: اذكر الطوائف التي ضلت من جهة المتشابه، مبيناً وجه الضلالة.

## المسح على الخفين في السفر والحضر

❦ كلام ابن أبي العز:

- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب.
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق.
- ٣ - معاني الكلمات.
- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «ونرى المسح على الخفين في السفر والحضر، كما جاء في الأثر».
- ٥ - مناسبة ذكر هذا المبحث في العقيدة الطحاوية.
- ٦ - حكم المسح على الخفين.
- ٧ - أيهما أفضل المسح على الخفين أم غسل الرجلين؟
- ٨ - الحكمة من مسح الرأس بدل الغسل.
- ٩ - أقوال العلماء في فرض غسل الرجلين في الوضوء.
- ١٠ - الخلاصة.
- ١١ - المناقشة.

## المسح على الخفين

قال ابن أبي العز:

قوله: «ونرى المسح على الخفين في السفر والحضر كما جاء في الأثر».

تواترت<sup>(١)</sup> السنة عن رسول الله ﷺ بالمسح على الخفين وبغسل الرجلين، والرافضة تخالف هذه السنة المتواترة، فيقال لهم: الذين نقلوا عن النبي ﷺ الوضوء قولاً وفعلًا، والذين تعلموا الوضوء منه وتوضؤوا على عهده وهو يراهم ويقرهم ونقلوه إلى من بعدهم أكثر عدداً من الذين نقلوا لفظ هذه الآية، فإن جميع المسلمين كانوا يتوضؤون على عهده ولم يتعلموا الوضوء إلا منه، فإن هذا العمل لم يكن معهوداً عندهم في الجاهلية، وهم قد رأوه يتوضأ ما لا يحصي عدده إلا الله تعالى، ونقلوا عنه ذكر غسل الرجلين في ما شاء الله من الحديث حتى نقلوا عنه من غير وجه في كتب الصحيح وغيرها أنه قال: (ويل للأعقاب وبطون الأقدام من النار)<sup>(٢)</sup>.

مع أن الفرض إذا كان مسح ظاهر القدم كان غسل الجميع كلفة لا تدعو إليها الطباع، كما تدعو الطباع إلى طلب الرياسة والمال، فلو جاز الطعن في تواتر صفة الوضوء لكان في نقل لفظ آية الوضوء أقرب إلى الجواز.

وإذا قالوا لفظ الآية ثبت بالتواتر الذي لا يمكن فيه الكذب ولا الخطأ فثبت التواتر في نقل الوضوء عنه أولى وأكمل، ولفظ الآية لا يخالف ما تواتر من السنة فإن المسح كما يطلق ويراد به الإصابة، كذلك يطلق ويراد به الإساءة<sup>(٣)</sup> كما تقول العرب: تمسّحت للصلاة.

(١) انظر: منهاج السنة (٤/١٧٠).

(٢) أخرجه أحمد (٤/١٩١)، وابن خزيمة (١٦٣)، وأخرجه البخاري (٦٠)، ومسلم (١٦٣)، دون قوله: «وبطون الأقدام».

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٦/٩٢) للقرطبي.

وفي الآية ما يدل على أنه لم يرد بمسح الرجلين المسح الذي هو قسيم الغسل، بل المسح الذي الغسل قسم منه فإنه قال: ﴿إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ ولم يقل إلى الكعاب كما قال: ﴿إِلَى الْمَرَافِقِ﴾، فدلّ على أنه ليس في كل رجل كعب واحد كما في كل يد مرفق واحد، بل في كل رجل كعبان، فيكون تعالى قد أمر بالمسح إلى العظمين الناتئين وهذا هو الغسل، فإن من يمسخ المسح الخاص يجعل المسح لظهور القدمين وجعل الكعبين في الآية غاية يرد قولهم، فدعواهم أن الفرض مسح الرجلين إلى الكعبين اللذين هما مجتمع الساق والقدم عند معقد الشراك مردود بالكتاب والسنة.

وفي الآية قراءتان مشهورتان النصب والخفض، وتوجيه إعرابهما مبسوط في موضعه، وقراءة النصب نص في وجوب الغسل، لأن العطف على المحل إنما يكون إذا كان المعنى واحداً كقوله:

فلسنا بالجبال ولا الحديد

وليس معنى: مسحت برأسي ورجلي، هو معنى: مسحت رأسي ورجلي، بل ذكر الباء يفيد معنى زائداً على مجرد المسح وهو إلصاق شيء من الماء بالرأس فتعين العطف على قوله: ﴿وَأَيْدِيكُمْ﴾، فالسنة المتواترة تقضي على ما يفهمه بعض الناس من ظاهر القرآن، فإن الرسول بيّن للناس لفظ القرآن.

ومعناه كما قال أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذين كانوا يقرئونا القرآن عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعملوا معناها<sup>(١)</sup>.

وفي ذكر المسح في الرجلين تنبيه على قلة الصب في الرجلين، فإن السرف يُعتاد فيهما كثيراً، والمسألة معروفة والكلام عليها في كتب الفروع.

(١) أخرجه الطبري (٨١ - ٨٢) وهو حسن بشواهده.

## الشرح

### عناصر الموضوع:

#### ١ غرض المصنف من عقد هذا الباب:

أ - بيان أن أهل السنة والجماعة يرون المسح على الخفين في الحضر والسفر.  
ب - الرد على المبتدعة الذين لا يرون المسح على الخفين لا في السفر ولا في الحضر، وهم الرافضة، فلا يرون غسل الرجلين المكشوفتين ولا يرون المسح على الخفين، بل يوجبون مسح ظهور الرجلين إذا كانت الرجلان مكشوفتين، قالوا: تمسحان كما يمسح الرأس، فهم ينكرون غسل الرجلين المكشوفتين وينكرون المسح على الخفين<sup>(١)</sup>.

#### ٢ مناسبة هذا الباب لما سبق:

قرر المصنف فيما سبق أن سبيل أهل السنة والجماعة اتباع سنة النبي ﷺ والجماعة، واجتناب أسباب الخلاف والفرقة، فناسب أن يبين أن مما جاءت به السنة المتواترة المسح على الخفين في الحضر والسفر، فأهل السنة يرون المسح على الخفين في الحضر والسفر اتباعاً للسنة والأثر، أما الرافضة فلا يرون المسح على الخفين لا في السفر ولا في الحضر فخالفوا السنة واتبعوا أسباب الخلاف والشذوذ والفرقة.

#### ٣ معاني الكلمات:

المعنى	الكلمة
ما رواه جمع يستحيل تواطؤهم على الكذب إلى منتهاه وكان مستندهم الحسن.	المتواتر

#### ٤ معنى كلام الطحاوي: «ونرى المسح على الخفين في السفر والحضر،

كما جاء في الأثر»:

ويرى أهل السنة المسح على الخفين بالشروط الواردة في كتب الفقه، ثلاثة

(١) الهداية الربانية (ص ٢٥٥).



أيام بلياليهن للمسافر ويوم وليلة للمقيم، وكذلك المسح على الجوربين والنعلين، وقد خالفت الرافضة<sup>(١)</sup> في ذلك، غير أن المسح على الخفين متواتر عن رسول الله ﷺ.

#### ٥ مناسبة ذكر هذا المبحث في العقيدة الطحاوية:

لما كان مذهب أهل السنة وجوب غسل الرجلين في الوضوء وجواز المسح على الخفين، وقد خالفهم في ذلك بعض طوائف أهل البدع... لهذا ذكر الطحاوي والشارح هذا المبحث لبيان مذهب أهل السنة كي يتميز عن غيره...

#### ٦ حكم المسح على الخفين:

للعلماء في جواز المسح على الخفين أقوال منها:

أ - ذهب جمهور أهل السنة إلى أن المسح على الخفين جائز في الحضر والسفر لثبوت ذلك عن الرسول في آثار عدة.

ب - وذهب الخوارج والشيعة إلى عدم جواز المسح على الخفين وحجتهم في ذلك بأن الآثار التي ورد فيها المسح منسوخة.

والرأي المختار: ما ذهب إليه الجمهور من أن المسح على الخفين جائز.

والدليل: أن القول بالنسخ لا بدّ معه من معرفة تأخر الناسخ عن المنسوخ وليس هناك ما يدل على أن آية المائدة متأخرة عن مسحه ﷺ على خفيه، بل قد ورد ما يدل على أنه مسح على خفيه بعد نزول آية المائدة، ومن ذلك ما روي عن جرير رضي الله عنه أنه قال: أتفعل هكذا؟ قال: نعم رأيت رسول الله ﷺ بال ثم توضأ ومسح على خفيه، وكان إسلام جرير بعد نزول آية المائدة.

ومن ذلك أيضاً: أن آية المائدة نزلت في غزوة المريسيع، وقد ثبت أنه ﷺ مسح في غزوة تبوك، وغزوة تبوك كانت بعد غزوة المريسيع بستين.

#### ٧ أيهما أفضل المسح على الخفين أم غسل الرجلين؟:

اختلف العلماء على آراء:

أ - فقيلاً: إن غسل الرجلين أفضل بشرط ألا يفعل الغسل رغبة عن رخصة

(١) مذهب الرافضة في هذا: أنهم يمسحون ظهر القدمين ولا يغسلون ظاهر القدمين ولا العقب، انظر: الاستذكار لابن عبد البر (٢/٢٣٦)، ومجموع الفتاوى (٢١/١٢٨).

المسح، وهذا قول المالكية والشافعية، ودليلهم: أن الغسل هو الأصل، وقد واظب عليه الرسول ﷺ وهو أكثر مشقة من المسح.

ب - وقيل: إن المسح هو الأفضل، وهو أصح الروايات عن أحمد ودليلهم ما روى المغيرة بن شعبة أنه قال: توضع رسول الله ﷺ ومسح على خفيه فقلت: يا رسول الله أنسيت؟ قال: (بل أنت نسيت بهذا أمرني ربي). ومنها ما روي عن صفوان بن عسال قال: أمرنا رسول الله ﷺ (أن نمسح على الخفين) والأمر يقتضي الوجوب، إن وجد ما يصرفه عن التذنب، وهو ما ثبت عن رسول الله ﷺ أنه كان يغسل رجله.

ج - ما ذكره ابن القيم ونسبه إلى الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية وهو أن الرسول ﷺ لم يكن ليتكلف ضد الحالة التي هو عليها، فإن كان لابساً للخفين مع استيفاء الشروط مسح عليهما، وإن لم يكن كذلك غسل رجله وكذلك المسلم فالأفضل له ألا يتكلف ضد الحالة التي هو عليها.

التوجيه: وهذا هو أرجح الأقوال لجمعه بين فعلي الرسول ﷺ.

#### ٨ الحكمة من مسح الرأس بدل الغسل:

قال تعالى: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦]، ففي ذكر المسح على الرجلين تنبيه على قلة الصب على الرجلين فإن السرف يعتاد فيهما كثيراً.

وذكر بعضهم نكتة ثانية: وهي اختصار الكلام لأن الفعلين من جنس واحد والمعطوف عليه إذا كان الفعلان من جنس واحد فيجوز الاستغناء لأحدهما كما في قوله: «علفتها تبناً وماءً بارداً».

#### ٩ أقوال العلماء في فرض غسل الرجلين في الوضوء:

اختلف العلماء في فرض الرجلين في الوضوء ومقداره على أقوال:

١ - مذهب جمهور أهل السنة: أن فرضهما الغسل إلى الكعبين وهما العظام الناتان في جانبي القدم.

٢ - ذهب الشيعة والإمامية إلى أن الواجب فيهما المسح إلى الكعب، وهو العظم الناتئ في ظهر القدم عند معقد الشراك.

٣ - نقل عن بعض أهل الظاهر أنه يجب الجمع بين الغسل والمسح.

٤ - نقل عن ابن جرير الطبري أن المكلف مخير بين الغسل والمسح، وقد

أنكر الألويسي هذه النسبة إلى ابن جرير وقال: لعل القائل هو محمد بن جرير بن رستم الشيعي صاحب «الإيضاح» السمرقندي... لا الطبري، فإن المذكور في تفسيره إنما هو الغسل لا المسح ولا الجمع ولا التخيير. والرأي المختار هو ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة من أن الفرض هو غسل الرجلين إلى الكعبين لتواتر صفة الوضوء عن النبي ﷺ قولاً وفعلاً، وفيها على أن الواجب الغسل لا المسح، ولما في هذا القول من الجمع بين القراءتين - النصب والجر - في قوله: ﴿وَأَيُّكُمْ﴾ على وجه لا مانع منه لغةً ولا شرعاً.

#### ١٠ الخلاصة:

- ١ - يرى أهل السنة المسح على الخفين بالشروط الواردة في كتب الفقه.
- ٢ - ذهب جمهور أهل السنة إلى أن المسح على الخفين جائز في الحضر والسفر لثبوت ذلك عن الرسول في آثار عدة.
- ٣ - الحكمة من مسح الرأس بدل الغسل هو التنبيه على قلة الصب على الرجلين فإن السرف يعتاد فيهما كثيراً.
- ٤ - وجوب غسل الرجلين إلى الكعبين وهما العظامان الناتان في جانبي القدم.

#### ١١ المناقشة:

- س١: اشرح قول الطحاوي: «ونرى المسح على الخفين في السفر والحضر، كما جاء في الأثر».
- س٢: لماذا ذكر هذا المبحث في العقيدة الطحاوية؟
- س٣: بين حكم المسح على الخفين.
- س٤: أيهما أفضل المسح على الخفين أم غسل الرجلين؟
- س٥: ما الحكمة من مسح الرأس بدل الغسل؟
- س٦: وضح مذاهب العلماء في فرض غسل الرجلين في الوضوء.



# الحج والجهاد ماضيان مع ولي الأمر إلى قيام الساعة

✽ كلام ابن أبي العز:

- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب.
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق.
- ٣ - معاني الكلمات.
- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «والحج والجهاد ماضيان مع أولي الأمر من المسلمين برهم وفاجرهم إلى قيام الساعة لا يبطلهما شيء ولا ينقضهما».
- ٥ - مناسبة ذكر المصنف هذا المبحث في العقيدة.
- ٦ - الحكمة من ذكر الطحاوي للحج والجهاد دون غيرهما.
- ٧ - حكم الجهاد.
- ٨ - الأدلة على أن الحج ركن من أركان الإسلام.
- ٩ - الخلاصة.
- ١٠ - المناقشة.

## الحج والجهاد ماضيان مع ولي الأمر إلى قيام الساعة

قال ابن أبي العز:

قوله: «والحج والجهاد ماضيان مع أولي الأمر من المسلمين برّهم وفاجرهم إلى قيام الساعة لا يبطلهما شيء ولا ينقضهما».

يشير الشيخ رحمته الله إلى الرد على الرافضة حيث قالوا: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج الرضي من آل محمد وينادي مناد من السماء: اتبعوه، وبطلان هذا القول أظهر من أن يستدل عليه بدليل، وهم شرطوا في الإمام أن يكون معصوماً اشتراطاً من غير دليل بل في «صحيح مسلم» عن عوف بن مالك الأشجعي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم)، قال: قلت: يا رسول الله أفلا نناذبهم عند ذلك؟ قال: (لا ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا من ولي عليه وال فرآه يأتي شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعن يداً من طاعته)<sup>(١)</sup>.

وقد تقدم بعض نظائر هذا الحديث في الإمامة ولم يقل: إن الإمام يجب أن يكون معصوماً. والرافضة أخسر الناس صفقة في هذه المسألة لأنهم جعلوا الإمام المعصوم هو الإمام المعدوم الذي لم ينفعهم في دين ولا دنيا، فإنهم يدعون أنه الإمام المنتظر محمد بن الحسن العسكري الذي دخل السرداب في زعمهم سنة ستين ومائتين أو قريباً من ذلك بسامرا، وقد يقيمون هناك دابة إما بغلاً وإما فرساً ليركبها إذا خرج ويقيمون هناك في أوقات عيّنوا فيها من ينادي عليه بالخروج: يا مولانا اخرج يا مولانا اخرج، ويشهرون السلاح ولا أحد هناك يقاتلهم<sup>(٢)</sup> إلى غير ذلك من الأمور التي يضحك عليهم منها العقلاء.

(١) أخرجه مسلم (١٨٥٥).

(٢) انظر: منهاج السنة (١/٤٤).

وقوله: «مع أولي الأمر برّهم وفاجرهم» لأن الحج والجهاد فرضان يتعلقان بالسفر، فلا بدّ من سائس يسوس الناس فيهما ويقاوم العدو هذا المعنى يحصل بالإمام البرّ يحصل بالإمام الفاجر.

## الشرح

### عناصر الموضوع:

١) غرض المصنف من عقد هذا الباب:

أ - بين أن من أصول أهل السنة هو مضي الحج والجهاد مع أولي الأمر برّاً كان أو فاجراً.

ب - الرد على المخالفين لأهل السنة في هذا الأصل وهم الروافض والخوارج والمعتزلة، فإنهم لا يرون الحج ولا الجهاد مع ولي الأمر البر والفاجر، لأن الخوارج يرون أن الإمام إذا كان فاجراً وجب قتله وخلعه وإخراجه من الإمامة لأنه كافر عندهم، والمعتزلة يرون أنه خرج من الإيمان ودخل الكفر، والرافضة لا يرون الإمامة إلا إمامة المعصوم.

وأهل السنة يخالفونهم فيرون الحج والجهاد مع ولي الأمر برّاً كان أو فاجراً اتباعاً للأدلة التي جاءت في السنة.

٢) مناسبة هذا الباب لما سبق:

سبق أن قرر المصنف أن سبيل أهل السنة والجماعة اتباع سنة النبي ﷺ والجماعة واجتناب الشذوذ والفرقة والخلاف، فناسب أن يبين أن مما جاءت به السنة المستفيضة مضي الحج والجهاد مع أولي الأمر برّاً كان أم فاجراً إلى قيام الساعة. وهذا من أصول أهل السنة خلافاً لأهل البدع الذين فارقوا الجماعة واتبعوا الشذوذ والخلاف والفرقة.

٣) معاني الكلمات:

المعنى	الكلمة
باقيان.	ماضيان
لا يمحوهما ولا ينفيهما ولا يرفع بقاءهما.	لا ينقضهما



٤ معنى كلام الطحاوي: «والحج والجهاد ماضيان مع أولي الأمر من

المسلمين بزّهم وفاجرهم إلى قيام الساعة لا يبطلهما شيء ولا ينقضهما»:

ويرى أهل السنّة والجماعة أن الحج والجهاد باقيان مستمران مع أمراء المسلمين الأبرار والفجار، لا يبطلهما شيء ولا ينقضهما ولا يرفع حكم وجوبهما، وذلك إلى قيام الساعة، كل ذلك مع الأئمة العدول والجورة، فالجائر قوته للمسلمين وجوره على نفسه ما داموا باقين في حظيرة الإسلام، أما إن خرجوا من الإسلام فلذلك شيء آخر.

٥ مناسبة ذكر المصنف هذا المبحث في العقيدة:

هذا المبحث من مسائل الفقه وذكره الطحاوي لبيان مذهب أهل السنّة والردّ على أهل البدع من الروافض والخوارج والمعتزلة، فأورد هذا المبحث للردّ عليهم.

٦ الحكمة من ذكر الطحاوي للحج والجهاد دون غيرهما:

لأن الحج والجهاد فرضان يتعلقان بالسفر فلا بدّ من سائس يسوس الناس فيهما وفيهما يقاومون العدو. وهذا المعنى كما يحصل بالإمام البرّ فهو كذلك يحصل بالإمام الفاجر.

٧ حكم الجهاد:

اختلف الناس في حكمه:

ف عند أهل السنّة واجب مع كل أمير برّاً كان أو فاجراً، ووجوبه وجوب كفائي إذا قام به البعض سقط عن الباقيين، وقد يتعين أن يكون فرض عين على كل مكلف في بعض الحالات والدليل على وجوبه:

١ - قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦] فقد دلّت الآية على أن القتال مما فرض عليهم وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣] وقد أمر الله نبيه ﷺ بجهاد الكفار والأمر يقتضي الوجوب.

٢ - ومن السنّة ما روي عنه ﷺ أنه قال: (الصلاة واجبة عليكم مع كل مسلم برّاً كان أو فاجراً وإن عمل الكبائر، والجهاد واجب عليكم)، وقوله ﷺ: (الجهاد ماض منذ بعثني الله تعالى إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال).

أما دليل كونه واجباً كفايياً (فرض كفاية) فهو فعل الرسول ﷺ حيث لم يكن

يصطحب معه كل أصحابه، بل كان يتخلف بعضهم ولو لم يكن وجوبه كفاً لما تخلف عنه البعض بل أمر بسير الجميع.

أما عند الرفض فلا يجب إلا في حالات خمس:

١ - مع الرسول ﷺ.

٢ - مع علي بن أبي طالب ؑ.

٣ - مع الحسن بن علي قبل صلحه مع معاوية ؑ.

٤ - مع الحسين بن علي ؑ.

٥ - مع الإمام المعصوم (المنتظر) في زعمهم.

أما غير هؤلاء فلا يجب معهم الجهاد في زعمهم. وحجتهم في ذلك أن أمير الحرب لا بد أن يكون معصوماً، لكي لا تسفك دماء الأبرياء، وأما غيرهم فليس بمعصوم فليس يجب الجهاد معهم.

الرد عليهم: هذا دليل مرفوض مردود بما يأتي:

١ - عموم الأدلة الدالة على وجوب الجهاد، وليس فيها ما يدل على اشتراط العصمة.

٢ - وقولهم باشتراط العصمة غير وارد؛ لأنه يؤدي إلى استحالة الجهاد إذ لا معصوم إلا الأنبياء ﷺ.

٣ - مما يؤيد عدم الاشتراط قوله ﷺ: (خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وشرارهم الذين تبغضونهم ويبغضونكم؟) قيل: ألا ننايذهم العداة يا رسول الله؟ قال: (لا، ما أقاموا فيكم الصلاة). فقد وصفهم الرسول ﷺ بأنهم شرار، ومع ذلك سماهم أئمة ولو كانت العصمة مشترطة في الإمام لما سماهم الرسول ﷺ أئمة.

٨ الأدلة على أن الحج ركن من أركان الإسلام:

الحج ركن من أركان الإسلام أوجبه الله على المستطيع له مرة واحدة في العمر وقد دلّ على وجوبه الكتاب والسنة والإجماع.

أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾

[آل عمران: ٩٧].

وأما السنة فأحاديث كثيرة منها: ما روي أن رسول الله ﷺ قال في حديث

جبريل: (بني الإسلام على خمس... وتحج البيت) فقد دلّ أنه ركن من أركان الإسلام.

وأما الإجماع: فقد أجمعت الأمة على أن الحج ركن من أركان الإسلام، وعلى المستطيع أن يؤديه في العمر مرة واحدة.

#### ٩ الخلاصة:

١ - يرى أهل السنّة والجماعة أن الحج والجهاد باقيان مستمران مع أمراء المسلمين الأبرار والفضجار، لا يبطلهما شيء ولا ينقضهما ولا يرفع حكم وجوبهما، وذلك إلى قيام الساعة.

٢ - ذكر الطحاوي هذا المبحث لبيان مذهب أهل السنّة والرد على الروافض الذين حصروا وجوب الجهاد في أمور معينة.

٣ - الحج ركن من أركان الإسلام أوجبه الله على المستطيع له مرة واحدة في العمر، وقد دلّ على وجوبه الكتاب والسنّة والإجماع.

#### ١٠ المناقشة:

• س١: اشرح قول الطحاوي: «والحج والجهاد ماضيان مع أولي الأمر من المسلمين برّهم وفاجرهم إلى قيام الساعة لا يبطلهما شيء ولا ينقضهما».

• س٢: ما مناسبة ذكر المصنف هذا المبحث في العقيدة؟

• س٣: ما الحكمة من ذكر الطحاوي للحج والجهاد دون غيرهما؟

• س٤: بيّن حكم الجهاد، مع الأدلة.

• س٥: اذكر الأدلة على أن الحج ركن من أركان الإسلام.



## الإيمان بالملائكة

❦ كلام ابن أبي العز:

- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب.
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق.
- ٣ - معاني الكلمات.
- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «ونؤمن بالكرام الكاتبين، فإن الله قد جعلهم علينا حافظين».
- ٥ - التعريف بالملائكة وحكم الإيمان بهم.
- ٦ - كيف يكون الإيمان بالملائكة.
- ٧ - أسماء الملائكة الواردة في الكتاب والسنة.
- ٨ - موت الملائكة.
- ٩ - المراد بالكرام الكاتبين وعددهم.
- ١٠ - حكم الإيمان بالكرام الكاتبين وعددهم.
- ١١ - الأمور التي يكتبها الكرام الكاتبون.
- ١٢ - معنى قوله ﷺ في حق قرينه: (ولكن الله أعانني عليه فأسلم).
- ١٣ - معنى كلام الطحاوي: «ونؤمن بملك الموت، الموكل بقبض الأرواح».
- ١٤ - حكم الإيمان بملك الموت.

١٥ - الجمع بين قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ  
تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمِمْسِكَ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأَخْرَىٰ إِلَىٰ  
أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ [الزمر: ٤٢]،  
وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّنَا مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ  
رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ [السجدة: ١١]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ  
عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا  
وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ ﴿٦١﴾ [الأنعام: ٦١].

١٦ - حقيقة الروح التي في البدن ولم سميت بهذا الاسم.

١٧ - هل الروح والنفس شيء واحد أم أنهما متغايران؟

١٨ - مسكن الروح.

١٩ - الروح مخلوقة.

٢٠ - هل تموت الروح؟

٢١ - مستقر الأرواح.

٢٢ - هل مسمى الإنسان هو الروح فقط؟ أم البدن فقط؟ أم

مجموعهما؟

٢٣ - الخلاصة.

٢٤ - المناقشة.

## الإيمان بالملائكة

قال ابن أبي العز:

قوله: «ونؤمن بالكرام الكاتبين فإن الله قد جعلهم علينا حافظين».

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَتِيبِينَ ﴿١١﴾ يِعْمَلُونَ مَا تَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾﴾

[الانفطار: ١٠ - ١٢].

وقال تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَيْدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ

رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٧ - ١٨].

وقال تعالى: ﴿لَهُمْ مَعْقِبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴿١١﴾﴾ [الرعد: ١١].

وقال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلْ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْفُورُونَ ﴿٨٠﴾﴾

[الزخرف: ٨٠].

وقال تعالى: ﴿هَذَا كَتَبْنَا نَطْقًا عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾

[الجاثية: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَكْفُرُونَ﴾ [يونس: ٢١].

وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر، فيصعد إليه الذين كانوا فيكم فيسألهم الله أعلم بهم كيف تركتم عبادي، فيقولون: أتيناهم وهم يصلون وفارقناهم وهم يصلون)<sup>(١)</sup>.

وفي الحديث الآخر: (إن معكم من لا يفارقكم إلا عند الخلاء وعند الجماع فاستحيوهم وأكرموهم)<sup>(٢)</sup>.

جاء في التفسير: اثنان عن اليمين وعن الشمال يكتبان الأعمال، صاحب اليمين

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٨٠٠) وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

يكتب الحسنات وصاحب الشمال يكتب السيئات، وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه واحد من ورائه وواحد أمامه فهو بين أربعة أملاك بالنهار وأربعة آخرين بالليل بدلاً حافظان وكاتبان، وقال عكرمة عن ابن عباس: ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ قال: ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه فإذا جاء قدر الله خلوا عنه.

وروى مسلم والإمام أحمد عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: (ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة)، قالوا: وإياك يا رسول الله، قال: (وإياي، لكن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير). الرواية بفتح الميم من فأسلم، ومن رواه فأسلم برفع الميم، فقد حرّف لفظه. ومعنى فأسلم: أي فاستسلم وانقاد لي في أصح القولين، ولهذا قال: فلا يأمرني إلا بخير<sup>(١)</sup>. ومن قال: إن الشيطان صار مؤمناً فقد حرّف معناه فإن الشيطان لا يكون مؤمناً.

ومعنى: ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ قيل: حفظهم له من أمر الله، أي: الله أمرهم بذلك، يشهد لذلك قراءة من قرأ يحفظونه بأمر الله.

ثم قد ثبت بالنصوص المذكورة أن الملائكة تكتب القول والفعل وكذلك النية لأنها فعل القلب فدخلت في عموم: ﴿يَعْمَلُونَ مَا تَعْمَلُونَ﴾، ويشهد لذلك قوله ﷺ: (قال الله ﷻ: إذا همّ عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه، فإن عملها فاكتبوها عليه سيئة وإذا همّ عبدي بحسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة، فإن عملها فاكتبوها عشراً)<sup>(٢)</sup>.

وقال رسول الله ﷺ: (قالت الملائكة ذاك عبد يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر به فقال: ارقبوه فإن عملها فاكتبوها بمثلها، وإن تركها فاكتبوها له حسنة، إنما تركها من جراي)<sup>(٣)</sup>. خرجاهما في الصحيحين واللفظ لمسلم.

قوله: «ونؤمن بملك الموت الموكل بقبض أرواح العالمين».

قال تعالى: ﴿قُلْ يَتُوفَّئِكُمْ مَلَكَ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ

(١) أخرجه مسلم (٢٨١٤).

(٢) أخرجه البخاري (٧٥٠١)، ومسلم (١٢٨).

(٣) أخرجه مسلم (١٢٩).



﴿[السجدة: ١١]. ولا تعارض هذه الآية قوله: ﴿حَقَّ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١]، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَائِمِهَا فِيمَسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢] لأن ملك الموت يتولى قبضها واستخراجها ثم يأخذها منه ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب ويتولونها بعده كل ذلك بإذن الله وقضائه وقدره وحكمه وأمره فصحت إضافة التوفي إلى كل بحسبه<sup>(١)</sup>.

وقد اختلف في حقيقة النفس ما هي، وهل هي جزء من أجزاء البدن، أو عرض من أعراضه، أو جسم ساكن له مودع فيه، أو جوهر مجرد؟ وهل هي الروح أو غيرها؟ وهل الأمانة وهل اللوامة والمطمئنة نفس واحدة أم هي ثلاثة أنفس، وهل تموت الروح أو الموت للبدن وحده؟ وهذه المسألة تحتمل مجلداً، ولكن أشير إلى الكلام عليها مختصراً إن شاء الله تعالى.

ف قيل: الروح قديمة<sup>(٢)</sup>، وقد أجمعت الرسل على أنها محدثة مخلوقة مصنوعة مربوبة مدبرة، وهذا معلوم بالضرورة من دينهم أن العالم محدث ومضى على هذا الصحابة والتابعون حتى نبغت نابغة ممن قصر فهمه في الكتاب والسنة فزعم أنها قديمة واحتج بأنها من أمر الله وأمره غير مخلوق، وبأن الله أضافها إليه بقوله: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥]، وبقوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [الحجر: ٢٩] كما أضاف إليه علمه وقدرته وسمعه وبصره ويده وتوقف آخرون.

واتفق أهل السنة والجماعة أنها مخلوقة، وممن نقل الإجماع على ذلك محمد بن نصر المروزي وابن قتيبة وغيرهما، ومن الأدلة على أن الروح مخلوقة قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ١٦]، فهذا عام لا تخصيص فيه بوجه ما ولا يدخل في ذلك صفات الله تعالى فإنها داخلة في مسمى اسمه، فالله تعالى هو الإله الموصوف بصفات الكمال فعلمه وقدرته وحياته وسمعه وبصره وجميع صفاته داخل في مسمى اسمه فهو سبحانه بذاته وصفاته الخالق وما سواه مخلوق، ومعلوم قطعاً أن الروح ليست هي الله ولا صفة من صفاته وإنما هي من

(١) انظر: التذكرة للقرطبي (١/٨٦).

(٢) انظر: الروح لابن القيم (ص ٢٢٦).

مصنوعاته، ومنها قوله تعالى: ﴿هَلْ أُنِى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينَ مَنَ الْدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكَورًا ﴿١﴾ [الإنسان: ١]. وقوله تعالى لذكربيا: ﴿وَقَدْ خَلَقْتَكُ مِن قَبْلُ وَلَمْ تُكُنْ شَيْئًا﴾ [مريم: ٩] والإنسان اسم لروحه وجسده، والخطاب لذكربيا لروحه وبدنه والروح توصف بالوفاة والقبض والإمساك والإرسال، وهذا شأن المخلوق المحدث.

وأما احتجاجهم بقوله: ﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ فليس المراد هنا بالأمر الطلب بل المراد به المأمور، والمصدر يذكر ويراد به اسم المفعول وهذا معلوم مشهور.

وأما استدلالهم بإضافتها إليه بقوله: ﴿مِنْ رُّوحِي﴾ فينبغي أن يعلم أن المضاف إلى الله تعالى نوعان: صفات لا تقوم بأنفسها كالعلم والقدرة والكلام والسمع والبصر، فهذه إضافة صفة إلى الموصوف بها فعلمه وكلامه وقدرته وحياته صفات له، وكذا وجهه ويده سبحانه.

والثاني: إضافة أعيان منفصلة عنه كالبيت والناقاة والعبء والرسول والروح، فهذه إضافة مخلوق إلى خالقه، لكن إضافة تقتضي تخصيصاً وتشريفاً يتميز به المضاف عن غيره.

واختلف<sup>(١)</sup> في الروح هل هي مخلوقة قبل الجسد أم بعده؟ وقد تقدم عند ذكر الميثاق الإشارة إلى ذلك.

واختلف<sup>(٢)</sup> في الروح ما هي؟ فقيل: هي جسم، وقيل: عرض، وقيل: لا ندري ما الروح أجوهر أم عرض؟ وقيل: ليس الروح شيئاً أكثر من اعتدال الطبائع<sup>(٣)</sup> الأربع، وقيل: هي الدم الصافي الخالص من الكدرة والعفونات، وقيل: هي الحرارة الغريزية وهي الحياة، وقيل: هو جوهر بسيط منبث في العالم كله من الحيوان على جهة الأعمال له والتدبير، وهي على ما وصفت من الانبساط في العالم غير منقسمة الذات والبنية وأنها في كل حيوان العالم بمعنى واحد لا غير، وقيل: النفس هي النسيم الداخل والخارج بالتنفس، وقيل غير ذلك.

وللناس في مسمى الإنسان أربعة أقوال: هل هو الروح فقط، أو البدن فقط، أو

(١) انظر: كتاب الروح (ص ٢٤٤).

(٢) انظر: كتاب الروح (ص ٢٧٢).

(٣) الطبائع الأربع هي: الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة.

مجموعهما، أو كل منهما؟ وهذه الأقوال الأربعة لهم في كلامه هل هو اللفظ أو المعنى فقط، أو هما أو كل منهما، فالخلاف بينهم في الناطق ونطقه.

والحق أن الإنسان اسم لهما، وقد يطلق على أحدهما بقرينة، وكذا الكلام.

والذي يدل عليه الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأدلة العقل أن النفس جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس، وهو جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك ينفذ في جوهر الأعضاء ويسري فيها سريان الماء في الورد، وسريان الدهن في الزيتون، والنار في الفحم، فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقي ذلك الجسم اللطيف سارياً في هذه الأعضاء وأفادها هذه الآثار من الحس والحركة الإرادية، وإذا فسدت هذه بسبب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها وخرجت عن قبول تلك الآثار فارق الروح البدن وانفصل إلى عالم الأرواح.

والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢] ففيها الإخبار بتوفيتها وإمسакها وإرسالها.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْقُلُوبُ نَاغٍ فِي لَقَابِهِمْ ثُمَّ أَفْجَرُوا مِنْهَا فَيُصَلُّونَ عَلَيْهَا بِأَيْدِيهِمْ وَأَنفُسِهِمْ يَتُوبُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣]، ففيها بسط الملائكة أيديهم لتناولها ووصفها بالإخراج والخروج والإخبار بعذابها ذلك اليوم والإخبار عن مجيئها إلى ربها.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِمَا﴾ [الأنعام: ٦٠]، ففيها الإخبار بتوفي النفس بالليل وبعثها إلى أجسادها بالنهار وتوفي الملائكة لها عند الموت.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿١٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴿١٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿١٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٢٠﴾﴾ [الفجر: ٢٧ - ٣٠]، ففيها وصفها بالرجوع والدخول والرضا.

وقال ﷺ: (إن الروح إذا قبض تبعه البصر)<sup>(١)</sup>، ففيه وصفه بالقبض وأن البصر يراه. وقال ﷺ في حديث بلال: (قبض أرواحكم وردها عليكم)<sup>(٢)</sup>، وقال ﷺ:

(١) أخرجه مسلم (٩٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٥).

(نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة)<sup>(١)</sup>.

وسياتي في الكلام على عذاب القبر أدلة كثيرة من خطاب ملك الموت لها وأنها تخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء، وأنها تصعد ويوجد منها من المؤمن كأطيب ريح، ومن الكافر كأنتن ريح، إلى غير ذلك من الصفات. وعلى ذلك أجمع السلف ودل العقل، وليس مع من خالف سوى الظنون الكاذبة والشبه الفاسدة التي لا يعارض بها ما دل عليه نصوص الوحي والأدلة العقيلة.

وأما اختلاف الناس في مسمى النفس<sup>(٢)</sup> والروح هل هما متغايران أو مسمّاهما واحداً؟ فالتحقيق أن النفس تطلق على أمور، وكذلك الروح، فيتحد مدلولهما تارة ويختلف تارة.

فالنفس تطلق على الروح، ولكن غالب ما يسمى نفساً إذا كانت متصلة بالبدن، وأما إذا أخذت مجردة فتسمية الروح أغلب عليها.

ويطلق على الدم ففي الحديث: «ما لا نفس له سائلة لا ينجس الماء إذا مات فيه»<sup>(٣)</sup>.

والنفس العين يقال: أصابت فلاناً نفس أي عين.

والنفس الذات، كقوله تعالى: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١]، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩] ونحو ذلك، وأما الروح فلا يطلق على البدن لا بانفراده ولا مع النفس، وتطلق الروح على القرآن وعلى جبرائيل ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢] ﴿نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣].

ويطلق الروح على الهواء المتردد في بدن الإنسان أيضاً.

وأما ما يؤيد الله به أوليائه فهي روح أخرى كما قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وكذلك القوى التي في البدن فإنها أيضاً تسمى أرواحاً فيقال: الروح الباصر والروح السامع والروح الشام.

(١) أخرجه النسائي (١٠٨/٤)، وابن ماجه (٤٢٧١)، وإسناده صحيح.

(٢) انظر: الروح (ص ٣٢٥).

(٣) أخرجه الدارقطني (٣٧/١)، والبيهقي (٢٥٣/٢).

ويطلق الروح على أخص من هذا كله وهو قوة المعرفة بالله والإنابة إليه ومحبته وانبعث الهمة إلى طلبه وإرادته، ونسبة هذا الروح إلى الروح كنسبة الروح إلى البدن، فالعلم روح والإحسان روح والمحبة روح والتوكل روح والصدق روح. والناس متفاوتون في هذه الروح، فمن الناس من تغلب عليه هذه الأرواح فيصير روحانياً، ومنهم من يفقدها أو أكثرها فيصير أرضياً بهيمياً .

وقد وقع في كلام كثير من الناس أن لابن آدم ثلاثة أنفس: مطمئنة ولوامة وأمارة، قالوا: وإن منهم من تغلب عليه هذه، ومنهم من تغلب عليه هذه كما قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۗ﴾ [الفجر: ٢٧]، ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ۗ﴾ [القيامة: ٢] ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف: ٥٣].

والتحقيق أنها نفس واحدة لها صفات، فهي أمارة بالسوء، فإذا عارضها الإيمان صارت لوامة تفعل الذنب ثم تلوم صاحبها، وتلوم بين الفعل والترك، فإذا قوي الإيمان صارت مطمئنة، ولهذا قال النبي ﷺ: (من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن)<sup>(١)</sup> مع قوله: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)<sup>(٢)</sup> الحديث.

واختلف الناس هل تموت الروح أم لا؟ فقالت طائفة تموت لأنها نفس وكل نفس ذائقة الموت، وقد قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَسْفَىٰ وَجَهُ رِيْدَ الْجَلَلِ ۝ وَالْإِكْرَارِ ۗ﴾ [الرحمن: ٢٦ - ٢٧]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۗ﴾ [القصص: ٨٨] قالوا: وإذا كانت الملائكة تموت فالنفوس البشرية أولى بالموت.

وقال آخرون: لا تموت الأرواح فإنها خلقت للبقاء وإنما تموت الأبدان، قالوا: وقد دل على ذلك الأحاديث الدالة على نعيم الأرواح وعذابها بعد المفارقة إلى أن يرجعها الله في أجسادها.

والصواب أن يقال: موت النفوس هو مفارقتها لأجسادها وخروجها منها، فإن أريد بموتها هذا القدر فهي ذائقة الموت، وإن أريد أنها تعدم وتفنى بالكلية فهي لا تموت بهذا الاعتبار بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أو في عذاب كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

(١) أخرجه الترمذي (٢١٦٥)، والحاكم (١١٤/١)، وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) سبق تخريجه.

وقد أخبر سبحانه أن أهل الجنة: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ﴾ [الدخان: ٥٦]، وتلك الموتة هي مفارقة الروح للجسد، وأما قول أهل النار: ﴿رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَيْنِ وَأَحْيَيْنَا اثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١]، وقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨]، فالمراد أنهم كانوا أمواتاً وهم نطف في أصلاب آبائهم وفي أرحام أمهاتهم، ثم أحياهم بعد ذلك، ثم أماتهم ثم يحييهم يوم النشور، وليس في ذلك إماتة أرواحهم قبل يوم القيامة وإلا كانت ثلاث موتات.

وصعق الأرواح عند النفخ في الصور لا يلزم منه موتها، فإن الناس يصعقون يوم القيامة إذا جاء الله لفصل القضاء وأشرقت الأرض بنوره وليس ذلك بموت، وسيأتي ذكر ذلك إن شاء الله تعالى، وكذلك صعق موسى ﷺ لم يكن موتاً والذي يدل عليه أن نفخة الصعق والله أعلم موت كل من لم يذق الموت قبلها من الخلائق، وأما من ذاق الموت أو لم يكتب عليه الموت من الحور والولدان وغيرهم فلا تدل الآية على أنه يموت موتة ثانية، والله أعلم.

## الشرح

### عناصر الموضوع:

#### ١ غرض المصنف من عقد هذا الباب:

عقد المصنف هذا الباب لبيان أن من عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بالكرام الكاتبين، وهم الملائكة الذين كلّفهم الله بكتابة أفعال العباد وأقوالهم من خير وشر وعددهم أربعة، اثنان بالنهار واثنان بالليل، واحد عن اليمين يكتب الحسنات والآخر عن الشمال يكتب السيئات، وكذا من معتقد أهل السنة والجماعة الإيمان بملك الموت الموكل بقبض أرواح العالمين.

#### ٢ مناسبة هذا الباب لما سبق:

قرّر المصنف فيما سبق أن سبيل أهل السنة والجماعة اتباع السنة والجماعة واجتناب الفرقة والخلاف، هذا ومما جاءت به النصوص من الكتاب والسنة الإيمان بالكرام الكاتبين المكلفين بكتابة أفعال العباد وأقوالهم من خير وشر، وقد جعلهم الله علينا حافظين، والإيمان بملك الموت الموكل بقبض أرواح العالمين.

#### ٣ معاني الكلمات:

الكلمة	المعنى
الموكل	الموظف.
البرزخ	الحاجز الخفي، وهو ما بين شيئين. ومنه قيل للميت: هو في البرزخ؛ لأنه بين الدنيا والآخرة <sup>(١)</sup> .

#### ٤ معنى كلام الطحاوي: «ونؤمن بالكرام الكاتبين، فإن الله قد جعلهم علينا

#### حافظين»:

يؤمن أهل السنة والجماعة بالملائكة الكرام الكاتبين الذين جعلهم الله تعالى حفظة علينا، يحصون علينا جميع أقوالنا وأفعالنا، ولا يفارقوننا إلا عند الخلاء

(١) انظر: تهذيب اللغة (١/٣١٠ - ٣١١).

والجماع، وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَثِيرِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: ١٠ - ١٢]. ومنهم رقيب عتيد الذين ذكرهم الله تعالى في قوله: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨].

### ٥ التعريف بالملائكة وحكم الإيمان بهم:

الملائكة عالم غير عالم الإنس وعالم الجن، وهو عالم كريم، كله طهر وصفاء ونقاء، وهم كرام أتقياء، يعبدون الله حق العباد، ويقومون بتنفيذ ما يؤمرون به، ولا يعصون الله أبداً.

والملك: أصله ألك، والمألكة، والمألك: الرسالة، ومنه اشتق الملائك؛ لأنهم رسل الله.

وقيل: اشتق من (ل أ ك) الملائكة: الرسالة، وألكنني إلى فلان؛ أي بلغه عني، والملاك: الملك؛ لأنه يبلغ عن الله تعالى.

وقال بعض المحققين: الملك من الملك. قال: والمتولي من الملائكة شيئاً من السياسات يقال له: ملك، ومن البشر ملك<sup>(١)</sup>.

والإيمان بالملائكة من أصول الإيمان، لا يصح إيمان عبد ما لم يؤمن بهم، قال تعالى: ﴿ءَأَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

### ٦ كيف يكون الإيمان بالملائكة؟:

نقل السيوطي عن البيهقي في كتابه «شعب الإيمان»: «أن الإيمان بالملائكة ينتظم في معانٍ:

أحدها: التصديق بوجودهم.

الثاني: إنزالهم منازلهم، وإثبات أنهم عباد الله وخلقه، كالإنس والجن مأمورون مكلفون، لا يقدرون إلا على ما أقدرهم الله عليه، والموت عليهم جائز، ولكن الله تعالى جعل لهم أمداً بعيداً، فلا يتوفاهم حتى يبلغوه، ولا يوصفون بشيء يؤدي وصفهم به إلى إشراكهم بالله تعالى، ولا يدعون آلهة كما دعتهم الأوائل.

الثالث: الاعتراف بأن منهم رسلاً يرسلهم إلى من يشاء من البشر، وقد يجوز

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز (٤/٥٢٤).



أن يرسل بعضهم إلى بعض، ويتبع ذلك الاعتراف بأن منهم حملة العرش، ومنهم الصافون، ومنهم خزنة الجنة، ومنهم خزنة النار، ومنهم كتبة الأعمال، ومنهم الذين يسوقون الحساب، فقد ورد القرآن بذلك كله أو بأكثره<sup>(١)</sup>.

### ٧ أسماء الملائكة الواردة في الكتاب والسنة:

الملائكة كثر، ولهم أسماء، إلا أننا لا نعرف من أسماء الملائكة إلا القليل، وفيما يلي أسماء بعض الملائكة كما وردت في الكتاب والسنة.

١، ٢ - جبريل وميكائيل:

قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَيَّ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة: ٩٧ - ٩٨].

٣ - إسماعيل:

ومن الملائكة إسماعيل الذي ينفخ في الصور.

وجبريل وميكائيل وإسماعيل هم الذين كان يذكرهم الرسول ﷺ في دعائه عندما يستفتح صلاته من الليل: (اللهم رب جبريل وميكائيل وإسماعيل...) الحديث.

٤ - مالك:

ومنهم مالك خازن النار، قال تعالى: ﴿وَنَادُوا بِمَلِكٍ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكَ مَنَّكُوتٌ ﴿٧٧﴾﴾ [الزخرف: ٧٧].

٥ - رضوان:

قال ابن كثير: «وخازن الجنة ملك يقال له رضوان، جاء مصرحاً به في بعض الأحاديث»<sup>(٢)</sup>.

٦، ٧ - منكر ونكير:

ومن الملائكة الذين سَمَّاهم الرسول ﷺ منكر ونكير، وقد استفاض ذكرهما في الأحاديث الصحيحة في سؤال القبر.

٨، ٩ - هاروت وماروت:

قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ وَمَا كَفَرَ سَلِيمًا وَلَكِنَّ

(١) الحباثك في أخبار الملائك للسيوطي (ص ١٠).

(٢) البداية والنهاية (١/٥٣).

الشَّيْطَانِ كَفَرُوا يُعْلَمُونَ النَّاسَ السَّخِرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَائِكِينَ بِأَيْلِ هُرُوتَ وَمُرُوتَ وَمَا يُعْلِمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِبَصَّارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَكَّرُوا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ [البقرة: ١٠٢].

١٠ - ملك الموت:

وقد جاء في بعض الآثار تسمية ملك الموت باسم عزرائيل، ولا وجود لهذا الاسم في القرآن ولا في الأحاديث الصحيحة.

### ٨ موت الملائكة:

الملائكة يموتون كما يموت الجن والإنس، وقد جاء ذلك صريحاً في قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ بِنُظُرٍ﴾ [الزمر: ٦٨].

فالملائكة تشملهم الآية؛ لأنهم في السماء. يقول ابن كثير عند تفسير هذه الآية: «هذه هي النفخة الثانية، وهي نفخة الصعق، وهي التي يموت بها الأحياء من أهل السماوات والأرض إلا من شاء الله، كما جاء مصرحاً به في حديث الصور المشهور، ثم يقبض أرواح الباقين حتى يكون آخر من يموت ملك الموت، وينفرد الحي القيوم، الذي كان أولاً، وهو الباقي آخراً بالديمومة والبقاء، ويقول: لمن الملك اليوم؟ ثلاث مرات، ثم يجيب نفسه بنفسه فيقول: ﴿لِلَّهِ الْوَجْدُ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

ومما يدل على أنهم يموتون قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]. وهل يموت أحد منهم قبل نفخة الصور؟ هذا ما لم نعلمه، ولا نستطيع الخوض فيه، لعدم وجود النصوص المثبتة له أو النافية.

### ٩ المراد بالكرام الكاتبين وعددهم:

الكرام الكاتبون: هم صنف من ملائكة الله ﷻ كلفهم الله سبحانه بكتابة أقوال العباد وأفعالهم ونياتهم، وسموا كاتبين لقيامهم بكتابة تلك الأشياء وسموا كراماً لكرامتهم، وليستشعر الإنسان الحياء إذا أراد أن يواقع المعصية أو يسوفه أو يتذلل فهو يستحي من كرام الناس أن يفعل معصية أمامهم، فكيف من يحضر من كرام الملائكة الأعلى.

## ١٠ حكم الإيمان بالكرام الكاتبين وعددهم:

الإيمان بهم واجب، بل هو ركن من أركان الإيمان، ذلك أن الكرام الكاتبين صنف من أصناف الملائكة، ومن أركان الإيمان: الإيمان بالملائكة بجميع أصنافهم، فدل ذلك على وجوب الإيمان بهم والدليل على وجودهم:

أ- من الكتاب:

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٧﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١٨﴾ يَعْمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الانفطار: ١٠ - ١٢]، وكذلك قوله ﷺ: ﴿إِذْ يُلْقَى الْمُتَلَقَاتِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَيْنِدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٧ - ١٨].

وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ [يونس: ٢١].

ب- ومن السنة:

قوله ﷺ: (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر، فيصعد إليه الذين كانوا فيكم فيسألهم الله أعلم بهم، كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: أتيناهم وهم يصلون وفارقناهم وهم يصلون). وفي الحديث الآخر: (إن معكم من لا يفارقكم إلا عند الخلاء وعند الجماع فاستحيوا منهم وأكرمواهم).

## ١١ الأمور التي يكتبها الكرام الكاتبون:

ورد في النصوص أنهم يكتبون الأقوال والأفعال والنيات، أما دليل كتابة الأقوال، فقوله تعالى: ﴿إِذْ يُلْقَى الْمُتَلَقَاتِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَيْنِدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٧ - ١٨].

وأما دليل كتابتهم للأعمال قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُتِبَ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١٨﴾ يَعْمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٩﴾﴾. وأما دليل كتابتهم للنيات مفهوم قوله تعالى: ﴿يَعْمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الانفطار: ١٢] بنية فعل القلب... ولما ورد أنه ﷺ قال حكاية عن ربه: (إذا هم عبدي بحسنة ولم يعملها فاكتبوها حسنة، وإن عملها فاكتبوها عشراً، وإذا هم بسيئة ولم يعملها فلا تكتبوها، وإن عملها فاكتبوها سيئة - وقد ورد - أنه إذا ترك عمل السيئة كتبت له حسنة).

## ١٢ معنى قوله ﷺ في حق قرينه: (ولكن الله أعاني عليه فأسلم):

روى مسلم بسنده أن رسول الله ﷺ قال: (ما منكم من أحد إلا وقد وكل به

قرينه من الملائكة وقرينه من الجن)، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: (وإياي، لكن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير). وقد ورد في قوله: (فأسلم) روايتان بالضم: فأسلم، وبالفتح: فأسلم، وقد قال النووي: هما روايتان مشهورتان. وإن قال الشارح: «ومن رواه بالضم فقد حرّف لفظه». فأما على رواية الرفع فالضمير في الفعل يعود إلى الرسول ﷺ، أي: «فأنا أسلم منه»: والمعنى: «فأسلم من تأثيره ووساوسه».

وأما رواية النصب فقد اختلف في توجيهها، ف قيل: المعنى: «فاستسلم وانقاد لي فلا يوسوس لي بشر». وقد رجّحه الشارح.

وقيل: المعنى: أسلم أي دخل في الإسلام. ويدل على ذلك آخر الحديث حيث قال ﷺ: (فلا يأمرني إلا بخير)، وقد اعترض الشارح على هذا المعنى بقوله: ومن قال: إن الشيطان صار مؤمناً، فقد حرّف معناه فإن الشيطان لا يكون مؤمناً.

قال أحمد شاكر: وادعاء الشارح هذا تحريف للمعنى نظراً لما يأتي:

أولاً: اللفظ من الحديث: (قرينه من الجن) ولم يقل: شيطانه.

ثانياً: إن الجن فيهم المؤمن والكافر، والشياطين هم كفارهم فمن آمن منهم لم يسمّ شيطاناً...

١٣) معنى كلام الطحاوي: «ونؤمن بملك الموت، الموكل بقبض الأرواح»:

يؤمن أهل السنّة والجماعة بملك الموت الذي كلّفه الله ﷻ بقبض أرواح العالمين من الثقلين، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّيَكُمُ الْمَلَكُ الَّذِي كَلَّمَكُمْ بِكُمُ ثُمَّ إِلَيْكُمْ رَبُّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١].

ونسبة التوفي إلى ملك الموت باعتبار أنه هو الذي يباشر قبض الروح بإذن الله تعالى، ولما كان ذلك بإذن الله تعالى وإرادته نسب التوفي إلى الله تعالى أيضاً، إذ هو الفاعل الحقيقي كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَازِلِهَا فِيمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٤٢]، ولا تعارض بين الآيتين كما سيأتي بيانه.

ولم يرد لملك الموت اسم محدد في الكتاب والسنّة مما يعتمد عليه، وما ورد في ذلك من تسميته بعزرائيل فلا يصح عن رسول الله ﷺ، وإنما هو كلام أهل الكتاب.

## ١٤ حكم الإيمان بملك الموت:

الإيمان بملك الموت واجب لأنه واحد من الملائكة والتصديق بالملائكة ركن من أركان الإيمان، فيجب الإيمان بملك الموت، ومن لم يؤمن به لم يكن مؤمناً بملائكة الله جميعهم.

الدليل على وجوده:

وقد دلّ على وجوده الكتاب والسنة:

أ- فأما الكتاب:

فقد قال تعالى: ﴿قُلْ يَتُوفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١]، فقد أسند الله التوفي إلى ملك الموت.

ب- ومن السنة:

قوله ﷺ: (إن العبد المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة وانقطع من الدنيا نزلت ملائكة، كأن وجوههم الشمس ومعهم أكفان من أكفان الجنة وحنوط من الجنة، فيجلسون منه مدّ البصر ثم يجيء ملك الموت فيجلس عند رأسه فيقول: يا أيتها النفس الطيبة، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان من الله...) الحديث، فقد أسند الرسول قبض الأرواح إلى ملك الموت والإسناد لا يكون إلا إلى موجود فدلّ على أن ملك الموت موجود.

## ١٥ الجمع بين قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [٤١] ﴿[الزمر: ٤٢]، وقوله تعالى: ﴿﴾ [السجدة: ١١]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ﴾ [الأنعام: ٦١]:

﴿قُلْ يَتُوفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ﴾ [الأنعام: ٦١]:

﴿قُلْ يَتُوفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ﴾ [الأنعام: ٦١]:

الجمع بين هذه الإضافات الثلاث:

لا تعارض بين هذه الآيات، وذلك لأن الله أضاف توفي الأنفس له سبحانه؛ لأنه هو الأمر بذلك، فلا تتوفى الأنفس إلا بأمره وإضافته إلى ملك الموت؛ لأنه هو الذي يتولى قبض الروح واستخراجها، وإضافة التوفي إلى الملائكة؛ لأن ملائكة الرحمة وملائكة العذاب لا يدعون الروح في يد ملك الموت بعد الوفاة

طرفه عين، حتى يجعلوها في الكفن والحنوط المعدين لها من الجنة إذا كان مؤمناً، أو يضعونها في المسوح إذا كان المتوفى كافراً... إضافة التوفي إلى كلِّ بحسبه، ولذلك فلا تعارض بين هذه الآيات.

### ١٦ حقيقة الروح التي في البدن ولما سُميت بهذا الاسم:

واختلف في<sup>(١)</sup> الروح ما هي؟ فقيل: هي جسم، وقيل: وقيل: عَرَض، وقيل: لا ندري ما الروح أجوهر أم عرض، وقيل: ليس الروح شيئاً أكثر من اعتدال الطبائع الأربع، وقيل: هي الدم الصافي الخالص من الكدرة والعفونات، وقيل: هي الحرارة الغريزية، وهي الحياة، وقيل: هو جوهر بسيط منبث في العالم كله من الحيوان على جهة الأعمال له والتدبير، وهي على ما وصفت من الانبساط في العالم غير منقسمة الذات والبنية وأنها في كل حيوان العالم بمعنى واحد لا غير. وهي جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك، ينفذ في جوهر الأعضاء ويسري فيها سريان الماء في الورد وسريان الدهن في الزيتون والنار في الفحم، فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقي ذلك الجسم اللطيف سارياً في هذه الأعضاء وأفادها هذه الآثار من الحس والحركة الإرادة، وإذا فسدت هذه بسبب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها وخرجت عن قبول تلك الآثار فارق الروح البدن وانفصل إلى عالم الأرواح. وسميت الروح بهذا الاسم لأن بها حياة البدن.

### ١٧ هل الروح والنفس شيء واحد أم أنهما متغايران؟!:

وأما اختلاف الناس<sup>(٢)</sup> في مسمى النفس والروح هل هما متغايران أو مسماهما واحد، فالتحقيق أن النفس تطلق على أمور، وكذلك الروح، فيتحد مدلولهما تارة ويختلف تارة.

فالنفس تطلق على الروح، ولكن غالب ما يسمى نفساً إذا كانت متصلة بالبدن، وأما إذا أخذت مجردة فتسمية الروح أغلب عليها.

ويطلق على الدم. ففي الحديث: (ما لا نفس له سائلة لا ينجس الماء إذا مات فيه). والنفس: العين، يقال: أصابت فلاناً نفس، أي: عين.

(١) انظر: كتاب الروح (ص ٢٧٢).

(٢) انظر: كتاب الروح (ص ٣٢٥).

والنفس: الذات، كقوله تعالى: ﴿فَسَلِّمُوا عَلٰٓىٓ اَنْفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١]، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا اَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩] ونحو ذلك. وأما الروح فلا يطلق على البدن لا بانفراده ولا مع النفس، وتطلق الروح على القرآن وعلى جبرائيل: ﴿وَكَذٰلِكَ اَوْحَيْنَآ اِلَيْكَ رُوْحًا مِّنْ اَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، ﴿نَزَلَ بِهٖ الرُّوْحُ الْاَمِيْنُ ﴿١٧﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣].  
ويطلق الروح على الهواء المتردد في بدن الإنسان أيضاً.

وأما ما يؤيد الله به أولياءه فهي روح أخرى كما قال تعالى: ﴿اُوْتِيَتْكَ كِتٰبًا فِيْ قُلُوْبِهِمُ الْاِيْمٰنَ وَاَيَّدَهُم بِرُوْحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢].  
وكذلك القوى التي في البدن فإنها أيضاً تسمى أرواحاً فيقال: الروح الباصر والروح السامع والروح الشام.

ويطلق الروح على أخص من هذا كله وهو قوة المعرفة بالله والإنابة إليه ومحبه وانبعاث الهمة إلى طلبه وإرادته، ونسبة هذا الروح إلى الروح كنسبة الروح إلى البدن، فالعلم روح، والإحسان روح، والمحبة روح، والتوكل روح، والتصديق روح.

والناس متفاوتون في هذه الروح، فمن الناس من تغلب عليه هذه الأرواح فيصير روحانياً، ومنهم من يفقدها أو أكثرها فيصير أرضياً بهيمياً.

وقد وقع في كلام كثير من الناس أن لابن آدم ثلاثة أنفس مطمئنة ولؤامة وأمارة، قالوا: وإن منهم من تغلب عليه هذه، ومنهم من تغلب عليه هذه كما قال تعالى: ﴿يٰٓاَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمِئِنَّةُ ﴿٣٧﴾﴾ [الفجر: ٢٧]، ﴿وَلَا اَقِيْمُ بِالنَّفْسِ اللّٰوَاْمَةَ ﴿٢﴾﴾ [القيامة: ٢]، ﴿اِنَّ النَّفْسَ لَآمٰرَةٌۢ بِالسُّوْءِ﴾ [يوسف: ٥٣].

والتحقيق أنها نفس واحدة لها صفات، فهي أمارة بالسوء، فإذا عارضها الإيمان صارت لؤامة تفعل الذنب ثم تلوم صاحبها وتلوم بين الفعل والترك، فإذا قوي الإيمان صارت مطمئنة، ولهذا قال النبي ﷺ: (من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن) مع قوله: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن) الحديث.

### ١٨ مسكن الروح:

قال شيخ الإسلام: «لا اختصاص للروح بشيء من الجسد؛ بل هي سارية في الجسد... فإن الحياة مشروطة بالروح، فإذا كانت الروح في الجسد كان فيه حياة، وإذا فارقت الروح فارقت الحياة».

## ١٩ الروح مخلوقة:

أجمعت الرسل على أن الروح محدثة مخلوقة مصنوعة مربوبة مدبرة، ومعلوم بالضرورة من دينهم أن العالم محدث ومضى على هذا الصحابة والتابعون حتى نبغت نابغة ممن قصر فهمه في الكتاب والسنة، فزعم أنها قديمة واحتج بأنها من أمر الله وأمره غير مخلوق وبأن الله أضافها إليه بقوله: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥] وبقوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [الحجر: ٢٩] كما أضاف إليه علمه وقدرته وسمعه وبصره ويده وتوقف آخرون.

واتفق أهل السنة والجماعة أنها مخلوقة، وممن نقل الإجماع على ذلك محمد بن نصر المروزي وابن قتيبة وغيرهما. ومن الأدلة على أن الروح مخلوقة قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، فهذا عام لا تخصيص فيه بوجه ما ولا يدخل في ذلك صفات الله تعالى فإنها داخلة في مسمى اسمه، فالله تعالى هو الإله الموصوف بصفات الكمال فعلمه وقدرته وحياته وسمعه وبصره وجميع صفاته داخل في مسمى اسمه، فهو سبحانه بذاته وصفاته الخالق وما سواه مخلوق.

ومعلوم قطعاً أن الروح ليست هي الله ولا صفة من صفاته وإنما هي من مصنوعاته، ومنها قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١]، وقوله تعالى لذكريا: ﴿وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ [مريم: ٩]، والإنسان اسم لروحه وجسده، والخطاب لذكريا لروحه وبدنه، والروح توصف بالوفاة والقبض والإمساك والإرسال، وهذا شأن المخلوق المحدث.

وأما احتجاجهم بقوله: ﴿مِن أَمْرِ رَبِّي﴾ فليس المراد هنا بالأمر الطلب، بل المراد به الأمور، والمصدر يذكر ويراد به اسم المفعول وهذا معلوم مشهور. وأما استدلالهم بإضافتها إليه بقوله: ﴿مِن رُّوحِي﴾ فينبغي أن يعلم أن المضاف إلى الله تعالى نوعان: صفات لا تقوم بأنفسها كالعلم والقدرة والكلام والسمع، فهذه إضافة صفة إلى الموصوف بها فعلمه وكلامه وقدرته وحياته صفات له، وكذا وجهه ويده سبحانه.

والثاني: إضافة أعيان منفصلة عنه كالبيت والناقة والعبد والرسول والروح، فهذه إضافة مخلوق إلى خالقه، لكن إضافة تقتضي تخصيصاً وتشريفاً يتميز به المضاف عن غيره.



واختلف في الروح هل هي مخلوقة قبل الجسد أم بعده؟ وقد تقدم عن ذكر الميثاق الإشارة إلى ذلك.

## ٢٠ هل تموت الروح؟:

واختلف الناس<sup>(١)</sup> هل تموت الروح أم لا؟ فقالت طائفة: تموت لأنها نفس وكل نفس ذائقة الموت. وقد قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٣١﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٣٢﴾﴾ [الرحمن: ٢٦ - ٢٧]. وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴿٨٨﴾﴾ [القصص: ٨٨] قالوا: وإذا كانت الملائكة تموت فالنفوس البشرية أولى بالموت.

وقال آخرون: لا تموت الأرواح فإنها خلقت للبقاء وإنما تموت الأبدان، قالوا: وقد دلّ على ذلك الأحاديث الدالة على نعيم الأرواح وعذابها بعد المفارقة إلى أن يرجعها الله في أجسادها.

والصواب أن يقال: موت النفوس هو مفارقتها لأجسادها وخروجها منها، فإن أريد بموتها هذا القدر فهي ذائقة الموت، وإن أريد أنها تعدم وتفنى بالكلية فهي لا تموت بهذا الاعتبار بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أو في عذاب كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

وقد أخبر سبحانه أن أهل الجنة: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ ﴿٥٦﴾﴾ [الدخان: ٥٦]، وتلك الموتة هي مفارقة الروح للجسد. وأما قول أهل النار: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا أَتَيْنَنا وَأَحْيَيْتَنَا أَتَيْتَنا أَتَيْتَنا﴾ [غافر: ١١]، وقوله تعالى: ﴿كَيْفَ نَكْفُرُكَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨]، فالمراد أنهم كانوا أمواتاً وهم نطف في أصلاب آبائهم وفي أرحام أمهاتهم ثم أحياهم بعد ذلك، ثم أماتهم ثم يحييهم يوم النشور، وليس في ذلك إماتة أرواحهم قبل يوم القيامة وإلا كانت ثلاث موتات.

وصعق الأرواح عند النفخ في الصور لا يلزم منها موتها، فإن الناس يصعقون يوم القيامة إذا جاء الله لفصل القضاء وأشرقت الأرض بنوره وليس ذلك بموت وسيأتي ذكر ذلك إن شاء الله تعالى، وكذلك صعق موسى ﷺ لم يكن موتاً والذي يدل عليه أن نفخة الصعق والله أعلم موت كل من لم يذق الموت قبلها من الخلائق، وأما من ذاق الموت أو لم يكتب عليه الموت من الحور والولدان وغيرهم فلا تدل الآية على أنه يموت موتة ثانية، والله أعلم.

(١) انظر: كتاب الروح (ص ٧٠).

## ٢١ مستقر الأرواح:

وقد اختلف في مستقر الأرواح ما بين الموت إلى قيام الساعة، فقيل: أرواح المؤمنين في الجنة وأرواح الكافرين في النار.

وقيل: إن أرواح المؤمنين بفناء الجنة على بابها يأتيهم من رَوْحها ونعيمها وورزقها.

وقيل: على أفنية قبورهم. وقال مالك: بلغني أن الروح مرسلة تذهب حيث شاءت.

وقالت طائفة: بل أرواح المؤمنين عند الله ﷻ ولم يزيدوا على ذلك.

وقيل: إن أرواح المؤمنين بالجابية من دمشق، وأرواح الكافرين ببرهوت بئر بحضر موت.

وقال كعب: أرواح المؤمنين في عليين في السماء السابعة، وأرواح الكافرين في سجين في الأرض السابعة تحت حدّ إبليس.

وقيل: أرواح المؤمنين بئر زمزم وأرواح الكافرين بئر برهوت.

وقيل: أرواح المؤمنين عن يمين آدم وأرواح الكفار عن شماله.

قال ابن حزم وغيره: مستقرها حيث كانت قبل خلق أجسادها.

وقال أبو عمر بن عبد البر: أرواح الشهداء في الجنة وأرواح عامة المؤمنين على أفنية قبورهم.

وعن ابن شهاب أنه قال: بلغني أن أرواح الشهداء كطير خضر معلقة بالعرش تغدو وتروح إلى رياض الجنة تأتي ربها كل يوم تسلم عليه.

وقالت فرقة: مستقرها العدم المحض، وهذا قول من يقول: إن النفس عرض من أعراض البدن كحياته وإدراكه وقولهم مخالف للكتاب والسنة.

وقالت فرقة: مستقرها بعد الموت أبدان أخر تناسب أخلاقها وصفاتها التي اكتسبتها في حال حياتها فتصير كل روح إلى بدن حيوان يشاكل تلك الروح، وهذا قول التناسخية منكري المعاد، وهو قول خارج عن أهل الإسلام كلهم، ويضيق هذا المختصر عن بسط أدلة هذه الأقوال والكلام عليها.

ويتلخص من أدلتها أن الأرواح في البرزخ متفاوتة أعظم تفاوت.

فمنها أرواح في أعلى عليين في الملاء الأعلى وهي أرواح الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وهم متفاوتون في منازلهم.

ومنها: أرواح في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت وهي أرواح بعض الشهداء لا كلهم، بل من الشهداء من تحبس روحه عن دخول الجنة لدين عليه كما في «المسند» عن عبد الله بن جحش: أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما لي إن قُتلت في سبيل الله؟ قال: (الجنة)، فلما ولى قال: (إِلَّا الَّذِينَ سَارَنِي بِهِ جِبْرَائِيلُ أَنْفَاءً).

ومن الأرواح من يكون محبوساً على باب الجنة كما في الحديث الذي قال فيه رسول الله ﷺ: (رَأَيْتُ صَاحِبَكُمْ مَحْبُوساً عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ).

ومنهم من يكون محبوساً في قبره، ومنهم من يكون في الأرض، ومنها أرواح تكون في تنور الزناة والزواني، وأرواح في نهر الدم تسبح فيه وتلقم الحجارة. كل ذلك تشهد له السنة، والله أعلم.

وأما الحياة التي اختص بها الشهيد وامتاز بها عن غيره في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنَّ لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]، فهي أن الله تعالى جعل أرواحهم في جوف طير خضر كما في حديث عبد الله بن العباس ؓ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ يَعْنِي يَوْمَ أُحُدٍ جَعَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجْوَافِ طَيْرِ خَضِرٍ تَرُدُّ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ وَتَأْكُلُ مِنْ ثَمَارِهَا وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلٍ مِنْ ذَهَبٍ مَظَلَّةٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ) الحديث. رواه الإمام أحمد وأبو داود وبمعناه في حديث ابن مسعود رواه مسلم.

فإنهم لما بذلوا أبدانهم لله ﷻ حتى أتلها أعداؤه فيه أعضاهم منها في البرزخ أبداناً خيراً منها تكون فيها إلى يوم القيامة، ويكون تنعمها بواسطة تلك الأبدان أكمل من تنعم الأرواح المجردة عنها.

ولهذا كانت نسمة المؤمن في صورة طير أو كطير، ونسمة الشهيد في جوف طير وتأمل لفظ الحديثين، ففي الموطأ أن كعب بن مالك كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال: (إِنَّ نَسْمَةَ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يَلْقَى فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَهُ اللَّهُ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ).

فقوله: نسمة المؤمن، تعم الشهيد وغيره، ثم خص الشهيد بأن قال: هي في جوف طير خضر. ومعلوم أنها إذا كانت في جوف طير صدق عليها أنها طير

فتدخل في عموم الحديث الآخر بهذا الاعتبار، فنصيبهم من النعيم في البرزخ أكمل من نصيب غيرهم من الأموات على فرشهم، وإن كان الميت أعلى درجة من كثير منهم فلهم نعيم يختص به لا يشاركه فيه من هو دونه، والله أعلم.

٢٢ هل مسمى الإنسان هو الروح فقط؟ أم البدن فقط؟ أم مجموعهما؟:

وللناس في مسمى الإنسان هل هو الروح فقط أو البدن فقط أو مجموعهما أو كل منهما، وهذه الأقوال الأربعة لهم في كلامه هل هو اللفظ أو المعنى فقط، أو هما أو كل منهما، فالخلاف بينهم في الناطق ونطقه.

والحق أن الإنسان اسم لهما، وقد يطلق على أحدهما بقرينة وكذا الكلام.

٢٣ الخلاصة:

١ - يؤمن أهل السنة والجماعة بالملائكة الكرام الكاتبين الذين جعلهم الله تعالى حفظة علينا، يحصون علينا جميع أقوالنا وأفعالنا، ولا يفارقونا إلا عند الخلاء والجماع.

٢ - الملائكة عالم غير عالم الإنس وعالم الجن، وهو عالم كريم، كله طهر وصفاء ونقاء، وهم كرام أتقياء، يعبدون الله حق العباد، ويقومون بتنفيذ ما يؤمرون به، ولا يعصون الله أبداً.

٣ - الإيمان بالملائكة هو التصديق بوجودهم، وإنزالهم منازلهم، وإثبات أنهم عباد الله وخلقه، والاعتراف بأن منهم رسلاً يرسلهم إلى من يشاء من البشر.

٤ - الملائكة كثر، ولهم أسماء، إلا أننا لا نعرف من أسماء الملائكة إلا ما ورد في الكتاب والسنة؛ وهم جبريل وميكائيل، وإسرافيل، ومالك، ورضوان، ومنكر ونكير، وهاروت وماروت، وملك الموت.

٥ - الملائكة يموتون كما يموت الجن والإنس، وقد جاء ذلك صريحاً في قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

٦ - الكرام الكاتبون: هم صنف من ملائكة الله ﷻ كلفهم الله سبحانه بكتابة أقوال العباد وأفعالهم ونياتهم.

٧ - الإيمان بالكرام الكاتبين واجب، بل هو ركن من أركان الإيمان، ذلك أن الكرام الكاتبين صنف من أصناف الملائكة.

- ٨ - يؤمن أهل السنّة والجماعة بملك الموت الذي كلّفه الله ﷻ بقبض أرواح العالمين من الثقلين.
- ٩ - أجمعت الرسل على أن الروح محدثة مخلوقة مصنوعة مربوبة مدبرة، وهذا معلوم بالضرورة من دينهم أن العالم محدث ومضى على هذا الصحابة والتابعون.

## ٢٤ المناقشة:

- س١: اشرح قول الطحاوي: «ونؤمن بالكرام الكاتبين، فإن الله قد جعلهم علينا حافظين».
- س٢: عرف الملائكة وبيّن حكم الإيمان بهم.
- س٣: كيف يكون الإيمان بالملائكة؟
- س٤: اذكر بعضاً من أسماء الملائكة الواردة في الكتاب والسنّة.
- س٥: هل الملائكة تموت؟
- س٦: ما المراد بالكرام الكاتبين وما عددهم؟
- س٧: ما حكم الإيمان بالكرام الكاتبين؟
- س٨: عدّد الأمور التي يكتبها الكرام الكاتبون.
- س٩: بيّن معنى قوله ﷻ في حق قرينه: (ولكن الله أعانني عليه فأسلم).
- س١٠: اشرح قول الطحاوي: «ونؤمن بملك الموت، الموكل بقبض الأرواح».
- س١١: ما حكم الإيمان بملك الموت؟
- س١٢: كيف تجمع بين قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَازِلِهَا فِيمَسِّكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَيْكَ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الزمر: ٤٢]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّنَا مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَيْكَ رَجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ [السجدة: ١١]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الأنعام: ٦١]؟ حيث أضاف الله التوفي إلى نفسه وإلى الملائكة مرة، وإلى ملك الموت مرة؟

- س١٣: بيّن حقيقة الروح التي في البدن ولما سُميت بهذا الاسم؟

- س١٤: هل الروح والنفس شيء واحد أم أنهما متغايران؟!

- س١٥: أين مسكن الروح؟
- س١٦: هل الروح مخلوقة؟
- س١٧: هل تموت الروح؟
- س١٨: أين مستقر الأرواح؟
- س١٩: هل مسمى الإنسان هو الروح فقط؟ أم البدن فقط؟ أم مجموعهما؟

## عذاب القبر

❖ كلام ابن أبي العز:

- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب.
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق.
- ٣ - معاني الكلمات.
- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «وبعذاب القبر لمن كان له أهلاً وسؤال منكر ونكير في قبره عن ربه ودينه ونبيه، على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ، وعن الصحابة رضوان الله عليهم. والقبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران».
- ٥ - لماذا أورد الطحاوي هذا المبحث في عقيدته؟
- ٦ - عذاب القبر دلّ عليه الكتاب والسنة والإجماع.
- ٧ - إنكار المعتزلة لاسم الملكين منكر ونكير.
- ٨ - حكم التصديق بسؤال منكر ونكير للميت.
- ٩ - الأصول الثلاثة التي يسأل عنها الملكان.
- ١٠ - سؤال الملكين عام لكل من يموت من البشر.
- ١١ - هل يمتحن الأطفال في قبورهم؟
- ١٢ - تعريف نعيم القبر وعذابه.
- ١٣ - المستثنون من فتنة القبر.
- ١٤ - عقيدة أهل السنة والجماعة في عذاب القبر ونييمه.
- ١٥ - الملاحظة ينكرون عذاب القبر ونييمه.
- ١٦ - العذاب والنعيم للروح والبدن معاً.
- ١٧ - استمرار عذاب القبر إلى يوم القيامة.
- ١٨ - الحكمة من تعييب عذاب القبر عن الثقيلين.
- ١٩ - أجساد الأنبياء والشهداء لا تفتنى.
- ٢٠ - الخلاصة.
- ٢١ - المناقشة.

## عذاب القبر

قوله: «وبعذاب القبر لمن كان له أهلاً وسؤال منكر ونكير في قبره عن ربه ودينه ونبيه على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة رضوان الله عليهم، والقبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران».

قال تعالى: ﴿وَحَاقَ بِعَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٥ - ٤٦].

وقال تعالى: ﴿فَدَرَبَهُمْ حَتَّىٰ يَلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَٰكِنَّا أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الطور: ٤٥ - ٤٧]. وهذا يحتمل أن يراد به عذابهم بالقتل وغيره في الدنيا وإن يراد به عذابهم في البرزخ وهو أظهر لأن كثيراً منهم مات ولم يعذب في الدنيا أو المراد أعم من ذلك.

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا النبي ﷺ فقعده وقعدنا حوله كأن على رؤوسنا الطير وهو يلحد له فقال: أعوذ بالله من عذاب القبر - ثلاث مرات - ثم قال: إن العبد المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا نزلت إليه الملائكة كأن على وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة فجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: يا أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فيأخذها فإذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض، قال: فيصعدون بها فلا يمرون بها يعني على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذه الروح الطيبة فيقولون فلان ابن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء فيستفتحون له فيفتح له فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى



ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله فيقول الله ﷻ: اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض فأني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى.

قال: فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله، فيقولان له: ما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فأمنت به وصدقت فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره، قال: ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعده، فيقول له: من أنت فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير، فيقول: أنا عمك الصالح، فيقول: يا رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي.

قال: وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: تتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها كأتين ريح خبيثة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملام من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث فيقولون: فلان ابن فلان بأقبح أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهي بها إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْبِغَ الْجَمَلُ فِي سَرِّ الْجَبَالِ﴾ [الأعراف: ٤٠] فيقول الله ﷻ: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى. فتطرح روحه طرْحاً ثم قرأ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَفَطَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهَوَّى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فينادي مناد من السماء أن كذب فافرشوه من النار وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب متن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك هذا يومك الذي كنت

توعد، فيقول: من أنت فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر، فيقول أنا عمك الخبيث فيقول رب لا تقم الساعة<sup>(١)</sup>.

رواه الإمام أحمد وأبو داود وروى النسائي وابن ماجه أوله ورواه الحاكم أبو عوانة الإسفرائيني في صحيحهما وابن حبان.

وذهب إلى موجب هذا الحديث جميع أهل السنة والحديث وله شواهد من الصحيح، فذكر البخاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن سعيد عن قتادة عن أنس أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم فيأتيه ملكان فيقعدانه، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد فأما المؤمن، فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقول له: انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعداً من الجنة فيراهما جميعاً)<sup>(٢)</sup>.

قال قتادة: وروي لنا أنه يفسح له في قبره، وذكر الحديث.

وفي الصحيحين عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مر بقبرين فقال: (إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستبرئ من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة، فدعا بجريدة رطبة فشقها نصفين، وقال: لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا)<sup>(٣)</sup>.

وفي صحيح أبي حاتم عن أبي هريرة قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إذا قبر أحدكم أو الإنسان أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما: المنكر، وللآخر: النكير)<sup>(٤)</sup>، وذكر الحديث... إلخ.

وقد تواترت الأخبار عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً وسؤال الملكين فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به ولا نتكلم في كفيته إذ ليس للعقل وقوف على كفيته لكونه لا عهد له به في هذه الدار والشرع لا يأتي بما تحيله العقول، ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول، فإن عود الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا بل تعاد الروح إليه إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا.

(١) أخرجه أحمد (٤/٢٨٧، ٢٩٥ - ٢٩٦)، وأبو داود (٤٧٥٣)، والحاكم (١/٣٧ - ٤٠).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٣٨)، ومسلم (٢٨٧٠).

(٣) أخرجه البخاري (٢١٦)، ومسلم (٢٩٢).

(٤) صحيح ابن حبان (٧٨٠).

فالروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق متغايرة الأحكام:

أحدها: تعلقها به في بطن الأم جنيناً.

الثاني: تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض.

الثالث: تعلقها به في حال النوم فلها به تعلق من وجه ومفارقة من وجه.

الرابع: تعلقها به في البرزخ فإنها وإن فارقت وتجردت عنه فإنها لم تفارقه فراقاً كلياً بحيث لا يبقى لها إليه التفات البتة، فإنه ورد ردها إليه وقت سلام المسلم وورد أنه يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه، وهذا الرد إعادة خاصة لا يوجب حياة البدن قبل يوم القيامة.

الخامس: تعلقها به يوم بعث الأجساد وهو أكمل أنواع تعلقها بالبدن ولا نسبة لما قبله من أنواع التعلق إليه، إذ هو تعلق لا يقبل البدن معه موتاً ولا نوماً ولا فساداً، فالنوم أخو الموت، فتأمل هذا يزح عنك إشكالات كثيرة.

وليس السؤال في القبر للروح وحدها كما قال ابن حزم وغيره، وأفسد منه قول من قال: إنه للبدن بلا روح، والأحاديث الصحيحة ترد القولين.

وكذلك عذاب القبر يكون للنفس والبدن جميعاً باتفاق أهل السنة والجماعة تنعم النفس وتعذب مفردة عن البدن ومنتصلة به.

واعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ، فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه قبر أو لم يقبر، أكلته السباع أو احترق حتى صار رماداً ونسف في الهواء، أو صلب، أو غرق في البحر، وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المقبور.

وما ورد من إجلاسه واختلاف أضلعه ونحو ذلك فيجب أن يفهم عن الرسول ﷺ مراده من غير غلو ولا تقصير، فلا يحمل كلامه ما لا يحتمله، ولا يقصر به عن مراده وما قصده من الهدى والبيان، فكم حصل بإهمال ذلك والعدول عنه من الضلال والعدول عن الصواب ما لا يعلمه إلا الله، بل سوء الفهم عن الله ورسوله أصل كل بدعة وضلالة نشأت في الإسلام، وفي أصل كل خطأ في الفروع والأصول ولا سيما إن أضيف إليه سوء القصد والله المستعان.

فالحاصل أن الدور ثلاث<sup>(١)</sup>: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار، وقد

جعل الله لكل دار أحكاماً تخصها وركب هذا الإنسان من بدن ونفس وجعل أحكام الدنيا على الأبدان، والأرواح تبع لها، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح، والأبدان تبع لها، فإذا جاء يوم حشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد جميعاً، فإذا تأملت هذا المعنى حق التأمل ظهر لك أن كون القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار مطابق للعقل وأنه حق لا مرية فيه، وبذلك يتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم.

ويجب أن يعلم أن النار التي في القبر والنعيم ليس من جنس نار الدنيا ولا نعيمها، وإن كان الله تعالى يحمي عليه التراب والحجارة التي فوقه وتحتة حتى يكون أعظم حرّاً من جمر الدنيا ولو مسها أهل الدنيا لم يحسوا بها، بل أعجب من هذا أن الرجلين يدفن أحدهما إلى جنب صاحبه وهذا في حفرة من النار وهذا في روضة من رياض الجنة لا يصل من هذا إلى جاره شيء من حر ناره ولا من هذا إلى جاره شيء من نعيمه، وقدرة الله أوسع من ذلك وأعجب، ولكن النفوس مولعة بالتكذيب بما لم تحط به علماً، وقد أرانا الله في هذه الدار من عجائب قدرته ما هو أبلغ من هذا بكثير وإذا شاء الله أن يطلع على ذلك بعض عباده أطلعه وغيبه عن غيره، ولو أطلع الله على ذلك العباد كلهم لزالَت حكمة التكليف والإيمان بالغيب ولما تدافن الناس كما في الصحيح عنه ﷺ: (لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمع)<sup>(١)</sup>. ولما كانت هذه الحكمة متفية في حق البهائم سمعته وأدركته.

وللناس في سؤال منكر ونكير<sup>(٢)</sup> هل هو خاص بهذه الأمة أم لا ثلاثة أقوال، الثالث: التوقف وهو قول جماعة منهم أبو عمر بن عبد البر فقال: وفي حديث زيد بن ثابت عن النبي ﷺ قال: (إن هذه الأمة تبتلى في قبورها) منهم من يرويه نسأل، وعلى هذا اللفظ يحتمل أن تكون هذه الأمة قد خصت بذلك وهذا أمر لا يقطع به ويظهر عدم الاختصاص، والله اعلم.

وكذلك اختلف في سؤال الأطفال أيضاً.

وهل يدوم عذاب القبر أو ينقطع؟ جوابه أنه نوعان: منه ما هو دائم كما قال

(٢) الروح (ص ١٤٧).

(١) أخرجه مسلم (٢٨٦٧).

تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٦]. وكذلك في حديث البراء بن عازب في قصة الكافر ثم يفتح له باب إلى النار فينظر إلى مقعده فيها حتى تقوم الساعة. رواه الإمام أحمد في بعض طرقه.

والنوع الثاني: أنه مدة ثم ينقطع وهو عذاب بعض العصاة الذين خفت جرائمهم فيعذب بحسب جرمه ثم يخفف عنه كما تقدم ذكره في الممحصات العشرة.

وقد اختلف في مستقر الأرواح<sup>(١)</sup> ما بين الموت إلى قيام الساعة فقيل: أرواح المؤمنين في الجنة وأرواح الكافرين في النار.

وقيل إن أرواح المؤمنين بفناء الجنة على بابها يأتيهم من رَوْحها ونعيمها ورزقها.

وقيل: على أفنية قبورهم، وقال مالك: بلغني أن الروح مرسلة تذهب حيث شاءت.

وقالت طائفة: بل أرواح المؤمنين عند الله ﷻ ولم يزدوا على ذلك.

وقيل: إن أرواح المؤمنين بالجابية من دمشق وأرواح الكافرين ببرهوت بئر بحضرموت.

وقال كعب: أرواح المؤمنين في عليين في السماء السابعة وأرواح الكافرين في سجين في الأرض السابعة تحت خد إبليس.

وقيل: أرواح المؤمنين بئر زمزم وأرواح الكافرين بئر برهوت<sup>(٢)</sup>.

وقيل: أرواح المؤمنين عن يمين آدم وأرواح الكفار عن شماله.

قال ابن حزم<sup>(٣)</sup> وغيره: مستقرها حيث كانت قبل خلق أجسادها.

وقال أبو عمر<sup>(٤)</sup> بن عبد البر: أرواح الشهداء في الجنة وأرواح عامة المؤمنين على أفنية قبورهم.

(١) انظر: الروح (ص ١٥٤)، وأحوال القبور لابن رجب (ص ١٠٢).

(٢) برهوت: قال ابن الأثير في النهاية (١/١٢٢)، بئر عميقة بحضرموت لا يستطيع النزول إلى قعرها.

(٣) الفصل (٤/١٢٢). (٤) التمهيد (٦/٣٣٦).

وعن ابن شهاب أنه قال: بلغني أن أرواح الشهداء كطير خضر معلقة بالعرش تغدو وتروح إلى رياض الجنة تأتي ربها كل يوم تسلم عليه.

وقالت فرقة: مستقرها العدم المحض وهذا قول من يقول: إن النفس عرض من أعراض البدن كحياته وإدراكه وقولهم مخالف للكتاب والسنة.

وقالت فرقة: مستقرها بعد الموت أبدان آخر تناسب أخلاقها وصفاتها التي اكتسبتها في حال حياتها فتصير كل روح إلى بدن حيوان يشاكل تلك الروح، وهذا قول التناسخية<sup>(١)</sup> منكري المعاد وهو قول خارج عن أهل الإسلام كلهم ويضيق هذا المختصر عن بسط أدلة هذه الأقوال والكلام عليها.

ويتلخص من أدلتها أن الأرواح في البرزخ متفاوتة أعظم تفاوت.

فمنها: أرواح في أعلى عليين في الملاء الأعلى، وهي أرواح الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه وهم متفاوتون في منازلهم.

ومنها: أرواح في حواصل<sup>(٢)</sup> طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت وهي أرواح بعض الشهداء لا كلهم بل من الشهداء من تحبس روحه عن دخول الجنة لذين عليه كما في المسند عن عبد الله بن جحش: «أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما لي إن قتلت في سبيل الله؟ قال: (الجنة) فلما ولي قال: (إلا الذين سارني به جبرائيل أنفأً)»<sup>(٣)</sup>.

ومن الأرواح من يكون محبوساً على باب الجنة كما في الحديث الذي قال فيه رسول الله ﷺ: (رأيت صاحبكم محبوساً على باب الجنة)<sup>(٤)</sup>.

ومنهم من يكون محبوساً في قبره، ومنهم من يكون في الأرض، ومنها أرواح تكون في تنور الزناة والزواني وأرواح في نهر الدم تسبح فيه وتلقم الحجارة كل ذلك تشهد له السنة، والله اعلم.

وأما الحياة التي اختص بها الشهيد وامتاز بها عن غيره في قوله تعالى: ﴿وَلَا

(١) قال الجرجاني في التعريفات (ص ٦٨): التناسخ عبارة عن تعلق الروح بالبدن بعد المفارقة من بدن آخر من غير تخلل زمان بين التعليق للتعشق الذاتي بين الروح والجسد.

(٢) الحوصلة من الطير: كالمعدة للإنسان.

(٣) أخرجه أحمد (٤/٣٥٠)، والنسائي (٧/٣١٤).

(٤) أخرجه أحمد (٤/١٣٦)، وابن ماجه (٢٤٣٣)، وصحح إسناده البوصيري في الزوائد.

تَحَسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاهُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ [آل عمران: ١٦٩]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاهُ وَلَكِنَّ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]، فهي أن الله تعالى جعل أرواحهم في أجواف طير خضر كما في حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لما أصيب إخوانكم يعني يوم أحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب مظلة في ظل العرش)<sup>(١)</sup> الحديث رواه الإمام أحمد وأبو داود، وبمعناه في حديث ابن مسعود رواه مسلم.

فإنهم لما بذلوا أبدانهم لله ﷻ حتى أتلغها أعداؤه فيه أعضاهم منها في البرزخ أبداناً خيراً منها تكون فيها إلى يوم القيامة، ويكون تنعمها بواسطة تلك الأبدان أكمل من تنعم الأرواح المجردة عنها.

ولهذا كانت نسمة المؤمن في صورة طير أو كطير ونسمة الشهيد في جوف طير، وتأمل لفظ الحديشين. ففي الموطأ: أن كعب بن مالك كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال: (إن نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه)<sup>(٢)</sup>.

فقوله: «نسمة المؤمن» تعم الشهيد وغيره، ثم خص الشهيد بأن قال: هي في جوف طير خضر، ومعلوم أنها إذا كانت في جوف طير صدق عليها أنها طير فتدخل في عموم الحديث الآخر بهذا الاعتبار، فنصيبهم من النعيم في البرزخ أكمل من نصيب غيرهم من الأموات على فرشهم، وإن كان الميت أعلى درجة من كثير منهم فلهم نعيم يختص به لا يشاركه فيه من هو دونه، والله اعلم.

وحرّم الله على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء كما روي في السنن، وأما الشهداء فقد شوهد منهم بعد مدد من دفنه كما هو لم يتغير فيحتمل بقاؤه كذلك في تربته إلى يوم محشره، ويحتمل أنه يبلى مع طول المدة والله اعلم، وكأنه والله اعلم كلما كانت الشهادة أكمل والشهيد أفضل كان بقاء جسده أطول.

(١) أخرجه مسلم (١٨٨٧)، من حديث ابن مسعود.

(٢) سبق تخريجه.

## الشرح

### عناصر الموضوع:

#### ١ غرض المصنف من عقد هذا الباب:

عقد المصنف هذا الباب لبيان أن من عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بعذاب القبر وأنه عذاب حقيقي يقع على الكفار والمنافقين، وعلى من شاء الله من فسقة المسلمين. وللدرد على من أنكره من أهل البدع والأهواء.

#### ٢ مناسبة هذا الباب لما سبق:

قرر المصنف فيما سبق أن سبيل أهل السنة والجماعة اتباع السنة والجماعة واجتناب الفرقة والخلاف، هذا ومما جاءت به النصوص من الكتاب والسنة الإيمان بالغيبات، ومن جملة المغيبات عذاب القبر الثابت بالنصوص الشرعية، وسؤال الملكين منكر ونكير.

#### ٣ معاني الكلمات:

المعنى	الكلمة
	الموكل.
الحاجز الخفي، وهو ما بين شيئين. ومنه قيل للميت: هو في البرزخ؛ لأنه بين الدنيا والآخرة <sup>(١)</sup> .	البرزخ

#### ٤ معنى كلام الطحاوي: «وبعذاب القبر لمن كان له أهلاً وسؤال منكر

ونكير في قبره عن ربه ودينه ونبيه، على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ، وعن الصحابة رضوان الله عليهم. والقبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران»:

ويؤمن أهل السنة والجماعة بأن في القبر عذاباً حقيقياً يقع على الكفار

(١) انظر: تهذيب اللغة (١/٣١٠ - ٣١١).



والمنافقين، وعلى من شاء الله من فسقة المسلمين. وليس المراد من القبر هذه الحفرة في الأرض، بل المراد عالم البرزخ، فالمسيء يعذب في البرزخ سواء كان في الحفرة في باطن الأرض أو في البحر في باطن الحيتان أو في حواصل الطير أو في بطون السباع وغيرها. ويؤمنون بأن ذلك جزاء عادل لهم وأنهم يستحقون ذلك.

ويؤمنون بأن منكرًا ونكيرًا هما ملكان غليظان يباشران سؤال كل إنسان في قبره عن ربه ودينه ونبيه، وكل هذه الأخبار ثبتت عن رسول الله ﷺ بطريق التواتر فوجب اعتقاد ما دلت عليه.

والقبر إما روضة من رياض الجنة، وذلك على المؤمن الصالح الذي يثبته الله ويوجب على أسئلة الملائكة، وإما حفرة من حفر النار على الكافر والمنافق ومن أراد الله من ظلمة المسلمين وفساقهم، ولم يصح ذلك اللفظ: «القبر إما روضة من رياض الجنة، وإما حفرة من حفر النيران» لم يصح عن رسول الله ﷺ، ولكنه مضمون الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ في شأن القبر.

#### ٥ لماذا أورد الطحاوي هذا المبحث في عقيدته؟:

أورد المؤلف هذا المبحث للرد على المعتزلة الجهمية والفلاسفة وغلاة الرافضة الذين ينكرون عذاب القبر.

#### ٦ عذاب القبر دل عليه الكتاب والسنة والإجماع:

دل على عذاب القبر الكتاب والسنة والإجماع:

أما الكتاب:

فقوله تعالى: ﴿فَوَقَدْنَا اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِإِذْنِ اللَّهِ مِنَ الْعَذَابِ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥ - ٤٦].

وقوله تعالى: ﴿الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وقوله تعالى: ﴿وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَأَسْفَهُنَّ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة: ٢١].

أما السنة:

فقوله ﷺ: (استعينوا بالله من عذاب القبر ثلاثاً).

وقوله ﷺ: (اللهم إنا نعوذ بك من عذاب جهنم وعذاب القبر...).

وقوله ﷺ لما مر على قبرين: (إنهما ليعذبان...).

وأجمع السلف على إثبات عذاب القبر نقل ذلك شيخ الإسلام...

٧ إنكار المعتزلة لاسم الملكين منكر ونكير:

منكر ونكير: اسمان لملكين من ملائكة الله ﷻ ويسألان الميت عن بعض المعتقدات، وقد ورد تسميتهما بهذين الاسمين في الحديث الذي رواه أبو هريرة عنه ﷺ قال: (إذا قبر الإنسان أتاها ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما: المنكر وللآخر: النكير).

وأنكر بعض المعتزلة ذلك فقالوا: لا يجوز تسمية ملائكة الله بذلك، وإنما المنكر ما يبدو من تلججه عند السؤال، والنكير هو تقريع الملكين له. ولا عبرة بما ذكروه بعد ورود النص بذلك.

٨ حكم التصديق بسؤال منكر ونكير للميت:

التصديق بسؤالهما واجب شرعاً.. وذلك ورد الشرع به في الكتاب والسنة..  
أما الكتاب:

فقوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

فقد أخرج الشيخان عنه ﷺ قال: (نزلت في عذاب القبر)، زاد مسلم: (فيسأل من ربك: فيقول ربي الله ونبي محمد ﷺ)، فذلك قوله: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

أما من السنة:

فحديث أبي هريرة المتقدم: «إذا قبر الإنسان...»، وكذلك ما روي عن البراء بن عازب في حديث جنازة بقيع الغرقد الطويل أن الملكين يسألان العبد المؤمن والعبد الكافر أيضاً.

فيجب التصديق بذلك لوروده في القرآن والسنة.

أما من لم يصدق بهذه الأمور، فهل يكون كافراً؟.

فيه قولان للعلماء أصحابهما أنه لا يكفر؛ لأنه لا يمكن التكفير بإنكار حكم إلا إذا كان دليلاً قطعي الثبوت والدلالة معاً.

٩ الأصول الثلاثة التي يسأل عنها الملكان:

ورد أن الملكين يسألان الميت عن ربه ودينه ونبيه، وقد دل على ذلك ما رواه

البراء رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في العبد المؤمن: (فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان: وما دينك؟ فيقول ديني الإسلام، فيقولان: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو عبد الله ورسوله، فيقولان: ما عملك؟ فيقول: قرأت كتاب الله وعملت به وصدقت به. فينادي مناد من السماء: صدق عبدي فافرشوا له من الجنة.

ويأتيان العبد الكافر فيقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول في كل: هاه هاه لا أدري، فينادي مناد من السماء: أن كذب فافرشوه من النار وافتحوا له باباً من النار).

### ١٠ سؤال الملكين عام لكل من يموت من البشر:

اختلف في هذه المسألة على آراء ثلاثة:

أ - فقيل إن سؤالهما خاص بهذه الأمة.

ب - وقيل بل هو عام يشمل هذه الأمة وغيرها من الأمم.

ج - وقيل بالتوقف.

أدلة كل طائفة:

أ - استدل القائلون بأن سؤالهما خاص بهذه الأمة بما يأتي:

١ - قوله صلى الله عليه وسلم: (إن هذه الأمة تبلى في قبورها)، وفي رواية: تُسئل، ومفهومه

أن غيرها من الأمم لا يبلى في قبره ولا يسئل فيه.

٢ - ما روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (أوحى إلي أنكم تفتنون في قبوركم)، قالوا:

والخطاب منه صلى الله عليه وسلم، فدل ذلك على أنه خاص بهم.

ب - وقد استدل من قال السؤال هو عام يشمل هذه الأمة وغيرها من الأمم

بما يأتي:

١ - عموم قوله صلى الله عليه وسلم: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]. فهو لفظ عام يشمل أمة محمد وغيرها من الأمم.

٢ - عموم قوله صلى الله عليه وسلم: (إن العبد المؤمن: ... وإن العبد الكافر...).

وأما القائلون بالتوقف: فتوقفوا لعدم وجود دليل صحيح في هذه المسألة التي

لا تعرف إلا عن طريق الشرع.

الرأي المختار:

إن سؤال الملكين عام يشمل أمة محمد صلى الله عليه وسلم وغيرها من الأمم لعموم الآية

والأثر.. أما استدلال القائلين بأنه خاص بالحديثين، فهو استدلالٌ بمفهوم المخالفة ومفهوم المخالفة لا يقوى على تخصيص العموم... .

### ١١ هل يمتحن الأطفال في قبورهم؟

اختلف في هذه المسألة على قولين:

- ١ - إنهم يُسئلون، وحجة من قال بذلك أنه يشرع الصلاة عليهم، وسؤال الله أن يقيهم عذاب القبر وفتنة القبر.
- ٢ - إنهم لا يسئلون؛ لأن السؤال لمن عقل الرسول والمرسل. وأما الطفل الذي لا تمييز له فكيف يسئل؟<sup>(١)</sup>.

### ١٢ تعريف نعيم القبر وعذابه:

هم اسم لنعيم البرزخ وعذابه، وهو نتيجة لفتنة القبر، فنعيم القبر للمؤمنين الصادقين وعذابه للكافرين والمنافقين.

### ١٣ المستثنون من فتنة القبر:

ورد بعض الآثار التي تدل على أن هناك أشخاصاً لا يسئلون في القبر ولا يأتيهم الملكان منكر ونكير، ومن أولئك ما يأتي:

- ١ - الشهداء، فقد روي أن رجلاً قال: يا رسول الله، ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد، فقال ﷺ: (كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة). فإجابته تدل على التقرير.

- ٢ - من مات يوم الجمعة أو ليلتها وهو من المسلمين، وقد روي أنه لا يفتن في قبره، ولعل ذلك لفضل يوم الجمعة، قال ﷺ: (ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلتها إلا وقاه الله من فتنة القبر).

- ٣ - من قرأ قل هو الله أحد في مرضه الذي مات فيه، فقد ورد أنه يسلم منه.

- ٤ - من داوم على قراءة سورة تبارك كل ليلة.

- ٥ - الأنبياء على رأي بعضهم، وقال آخرون: أنهم يُسئلون، وهما وجهان في

المذهب.

- ٦ - الأطفال على رأي، لأنهم غير مكلفين. وقد قال بعضهم: أنهم يُسئلون.

(١). انظر: مجموع الفتاوى (٤/٢٥٧، ٢٧٧ - ٢٨١)، كتاب الروح (ص ١٤٩ - ١٥١).

## ١٤ عقيدة أهل السنة والجماعة في عذاب القبر ونعيمه:

من أصول أهل السنة والجماعة: وجوب الإيمان والتصديق بهما دون تعرض لكيفية ذلك؛ لأن الكيفية أمر لا يتلقى إلا من كلام الشرع، وليس في كلامه ما يدل على الكيفية.

الأدلة:

وقد دل على ثبوتها عدة أدلة من الكتاب والسنة:

### أ - من الكتاب ما يأتي:

١ - قوله تعالى في آل فرعون: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٦].

فإن عرضهم على النار في هذه الآية: هو في الحياة البرزخية بدليل (يوم تقوم الساعة).

٢ - قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الطور: ٤٧]، يقول الشارح: وهذا يحتمل أن يراد به عذابهم بالقتل وغيره في الدنيا، وأن يراد به عذابهم في البرزخ، وهو أظهر؛ لأن كثيراً منهم مات ولم يعذب في الدنيا، أو المراد أعم من ذلك.

روى البراء في قوله: (إن للذين...) قال: هو عذاب القبر...

٣ - قوله ﷺ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾﴾ [طه: ١٢٤]، روي عن ابن مسعود ﷺ قال: العيشة الضنك: عذاب القبر.

### ب - وأما من السنة فآثار عدة منها:

ما روي عن البراء بن عازب ﷺ قال: «كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا النبي ﷺ... الحديث، وفيه: (إن العبد المؤمن يأتيه من روح الجنة وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره، وأن العبد الكافر يأتيه من حر النار وسمومها ويضيق عليه القبر حتى تختلف أضلعه)، فدل الحديث على عذاب القبر من ناحيتين:

أولاهما: استعاذة النبي ﷺ من عذاب القبر، ولا يستعاذ إلا من شيء موجود وذلك حين قال في قصة بقيع الغرقد: (أعوذ بالله من عذاب القبر) ثلاث مرات.

الثانية: إخباره ﷺ بتنعم المؤمن وتأذي الكافر في القبر.

## ١٥ الملاحظة ينكرون عذاب القبر ونعيمه:

أنكر الملاحدة والزنادقة عذاب القبر، وشبهتهم في ذلك: أن عذاب القبر ونعيمه من الأمور التي لا تحس، وما لا يحس فليس بموجود حيث قالوا: إنا نكشف القبر عن الميت فلا نجد ملائكة تسأل فقالوا: لو وضعنا في يمين الميت الزئبق، وعلى صدره الخردلة، ثم كشفنا عنه، لوجدناها على حالتها تلك. ولو كان الأمر كما ذكرتم لوجدنا أن الزئبق انتثر وأن الخردلة قد سقطت، وقالوا: إنا نحن نحفر القبر، ثم نكشفه بعد وضع الميت فيه فنجده على حالته لم يتغير.

ولو كان الأمر ما ذكرتم من النعيم والعذاب صحيحاً لشاهد...  
وخلاصة دليلهم: إن عذاب القبر لا يحس.

الرد عليهم:

إن هذه الشبهة فاسدة باطلة؛ لما فيها من قياس أحوال الحياة البرزخية على أصول الحياة في الدنيا، وذلك غير صحيح وغير مستقيم، لأن الله ﷻ قد جعل الدور ثلاثاً: دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار.

وجعل الإنسان مكوناً من نفس وبدن، وجعل الأحكام في الدنيا متعلقة بالبدن والروح.

وفي الحياة البرزخية جعل الأحكام متعلقة بالروح والبدن تبع لها.

أما في الحياة الأخرى فإن الأحكام متعلقة بالروح والبدن، ثم إن عدم إحساسنا بالأشياء لا يدل على عدم وجودها، فإننا لا نحس بالروح التي بها حياتنا لا يدل على عدم وجودها، وكذلك الإنسان لا يرى بعينه المجردة ولا يحس بيده الجرائم المسببة للأمراض، وعدم رؤيتنا لها وإحساسنا بها لا يدل على عدم وجودها، وكذلك فإن الله قد ضرب الأمثال، وجعل لنا في هذه الحياة الدنيا مثلاً لمن تدبره وتفكر فيه رأى أن عذاب القبر لا يحيله العقل، فالنائم يكون بين مجموعة من الناس يرى الرؤيا فيسر بها ويتلذذ بها ويرى الأخرى فيحزن لها ويتألم، والناس من حوله لا يحسون شيئاً من تلذذه وتألمه، ومن تأمل هذا المثل المضروب جزم غاية الجزم بوجود عذاب القبر ونعيمه.

## ١٦ العذاب والنعيم للروح والبدن معاً:

اختلف الناس في هذه المسألة على آراء ثلاثة:

أ - قال بعضهم: أن العذاب والسؤال للروح فقط، وبه قال ابن حزم<sup>(١)</sup> وغيره.

ب - قال آخرون: أنهما للبدن فقط، قالوا: فإن الله ﷻ يجعل في البدن من الآلام ما لا يشعر به الموتى، فإذا حشروا أحسوا بتلك الآلام ومثل السكران والمغمى عليه يضرب أشد الضرب فلا يحس بذلك، فإذا عاد إليه عقله وإدراكه أحس تلك الضربات وتآلم منها.

ج - وقال الجمهور: أن العذاب والسؤال للروح والبدن معاً. فالروح تنعم أو تعذب منفردة عن البدن، وتنعم أو تعذب وهي متصلة به.

وهذا هو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم<sup>(٢)</sup> والشارح.

قال الشارح: «فالحاصل أن الدور ثلاث: دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار. وقد جعل الله لكل دار أحكاماً تخصها، وركب هذا الإنسان من بدن ونفس، وجعل أحكام الدنيا على الأبدان... والأرواح تبع لها، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح والأبدان تبع لها، فإذا جاء يوم حشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم - صار والحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد جميعاً».

واستدلوا بحديث البراء: (فتعاد روحه إلى جسده)، وقول ﷺ: (نسمة المؤمن في حاصلة طير في الجنة) وقوله: (... فيضرب بمطرقة من حديد...).

## ١٧ استمرار عذاب القبر إلى يوم القيامة:

عذاب القبر على نوعين:

أولهما: عذاب دائم وهو المشار إليه بقوله تعالى في شأن آل فرعون: ﴿الَّذِينَ يُعْرِضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٦]، فبينت الآية عرضهم على النار دون أن تحدد نهاية هذه المدة مما يدل على أنه مستمر مدة بقائهم في قبورهم، ومن ذلك ما ورد في بعض الروايات عنه ﷺ أنه قال: (فيفتح له باب إلى النار فينظر إلى مقعده منها حتى قيام الساعة).

(٢) انظر: كتاب الروح (ص ٩٥).

(١) انظر: الفصل (٤/١١٩).

ثانيهما: عذاب مستمر فترة ثم ينقطع، وذلك كعذاب بعض العصاة الموحدين فيعذبون بحسب جرمهم، ثم يخفف عنهم العذاب. وقد يخفف عنهم بدعاء واستغفار بعض المسلمين لهم، أو بغير ذلك من الأسباب.

### ١٨) الحكمة من تغييب عذاب القبر عن الثقلين:

عذاب القبر من الأمور الغيبية التي شاءت إرادة الله ﷻ عدم اطلاع كثير من الثقلين عليها. وذلك لحكم منها:

- ١ - إنهم لو اطلعوا عليها لزال حكمة التكليف والإيمان بالأمور الغيبية.
- ٢ - ما أشار إليه ﷺ بقوله: (لولا أن لا تدافنوا للدعوت لله أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمع)، فالإنسان كائن ضعيف لو اطلع على عذاب القبر لأصابه الوجع والخوف، وقد يصعق مما يؤدي به إلى عدم دفنه لأخيه المسلم، ولذلك حجب عنه عقاب القبر. ولما كانت البهائم منتفية في حكمها من عذاب القبر كانت تسمعه كما ورد في بعض الآثار.

### ١٩) أجساد الأنبياء والشهداء لا تفتنى:

صحّ عن النبي ﷺ أنه قال: (إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء). وأما الشهداء فقد شوهد منهم بعد مدد من دفنه كما هو لم يتغير فيحتمل بقاؤه كذلك في تربته إلى يوم محشره، ويحتمل أنه يبلى مع طول المدة والله أعلم، وكأنه والله أعلم كلما كانت الشهادة أكمل والشهيد أفضل كان بقاء جسده أطول.

### ٢٠) الخلاصة:

- ١ - يؤمن أهل السنة والجماعة بأن في القبر عذاباً حقيقياً يقع على الكفار والمنافقين، وعلى من شاء الله من فسقة المسلمين.
- ٢ - ويؤمنون بأن منكرات ونكيرات هما ملكان غليظان يباشران سؤال كل إنسان في قبره عن ربه ودينه ونبيه، وكل هذه الأخبار ثبتت عن رسول الله ﷺ بطريق التواتر فوجب اعتقاد ما دلت عليه.
- ٣ - والقبر إما روضة من رياض الجنة، وذلك على المؤمن الصالح الذي يثبته الله ويحبب على أسئلة الملائكة، وإما حفرة من حفر النار على الكافر والمنافق ومن أراد الله من ظلمة المسلمين وفساقهم.
- ٤ - أورد المؤلف هذا المبحث للرد على المعتزلة الجهمية والفلاسفة وغلاة الرافضة الذين ينكرون عذاب القبر.



- ٥ - عذاب القبر دل عليه الكتاب والسنة والإجماع.
- ٦ - ثبت أن الملكين يسألان الميت عن ربه ودينه ونبيه.
- ٧ - من أصول أهل السنة والجماعة: وجوب الإيمان والتصديق بهما دون تعرض لكيفية ذلك؛ لأن الكيفية أمر لا يتلقى إلا من كلام الشرع، وليس في كلامه ما يدل على الكيفية.
- ٨ - أنكر الملاحدة والزنادقة عذاب القبر، وشبهتهم في ذلك: أن عذاب القبر ونعيمه من الأمور التي لا تحس، وما لا يحس فليس بموجود، وهذه الشبهة فاسدة باطلة، تم تفنيدها.
- ٩ - عذاب القبر على نوعين: عذاب دائم، مستمر فترة ثم ينقطع.
- ١٠ - عذاب القبر من الأمور الغيبية التي شاء الله ﷻ عدم اطلاع كثير من الثقلين عليها، وذلك لحكم بالغة.
- ١١ - صح عن النبي ﷺ أنه قال: (إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء).

### ٢١ المناقشة:

- س١: اشرح قول الطحاوي: «وبعذاب القبر لمن كان له أهلاً وسؤال منكر ونكير في قبره عن ربه ودينه ونبيه، على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ، وعن الصحابة رضوان الله عليهم. والقبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران».
- س٢: لماذا أورد الطحاوي هذا المبحث في عقيدته؟
- س٣: ما الأدلة على عذاب القبر؟
- س٤: من الفرق التي أنكرت اسم الملكين منكر ونكير؟
- س٥: ما حكم التصديق بسؤال منكر ونكير للميت؟
- س٦: ما الأصول الثلاثة التي يسأل عنها الملكان؟
- س٧: هل سؤال الملكين عام لكل من يموت من البشر؟
- س٨: هل يمتحن الأطفال في قبورهم؟
- س٩: عرف نعيم القبر وعذابه.
- س١٠: هل يستثنى أحد من فتنة القبر؟ وضح ذلك.
- س١١: بين عقيدة أهل السنة والجماعة في عذاب القبر ونعيمه.

- س١٢: ما الطوائف التي أنكرت عذاب القبر ونعيمه؟ وما شبهتهم في ذلك؟ وكيف ترد عليها؟
- س١٣: هل العذاب والنعيم للروح والبدن معاً؟ وضح ذلك.
- س١٤: بين أنواع عذاب القبر.
- س١٥: ما الحكمة من تغييب عذاب القبر عن الثقلين؟
- س١٦: هل أجساد الأنبياء والشهداء تفتنى؟ اذكر الدليل لما تقول.
- س١٧: هل يستمر عذاب القبر لمن عذب إلى يوم القيامة؟
- س١٨: أشار القرآن إلى عذاب القبر من غير تصريح، فلماذا؟

## البعث والجزاء والعرض

❖ كلام ابن أبي العز:

- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب.
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق.
- ٣ - معاني الكلمات.
- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة، والعرض والحساب، وقراءة الكتاب، والثواب والعقاب، والصراف والميزان».
- ٥ - تعريف البعث والنشور.
- ٦ - منزلة الإيمان بالبعث من الدين.
- ٧ - الأدلة على ثبوت البعث.
- ٨ - أدلة إمكان البعث.
- ٩ - حكم إنكار البعث.
- ١٠ - الحكمة من اهتمام القرآن بإثبات المعاد.
- ١١ - الحكمة من إخبار النبي ﷺ لأمر الآخرة تفصيلاً.
- ١٢ - دعوى النبي ﷺ في أمور المعاد دون غيره من الأنبياء.
- ١٣ - أساليب القرآن في إثبات المعاد.
- ١٤ - آيات المعاد في سورة يس.
- ١٥ - آيات المعاد في سورة الإسراء.
- ١٦ - ذكر مذاهب في المعاد هل هو جسماني أم روحاني؟ أم بهما معاً؟.
- ١٧ - أقوال الناس في إعادة الأجسام بعد فنائها.
- ١٨ - الجواب عما استشكله بعض الناس من قوله ﷺ: (إن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من تنشق عنه الأرض فأجد موسى باطشاً جنب العرش).
- ١٩ - الخلاصة.
- ٢٠ - المناقشة.

## البعث والجزاء والعرض

قال ابن أبي العز:

قوله: «ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة والعرض والحساب وقراءة الكتاب والثواب والعقاب والصراط والميزان».

الإيمان بالمعاد مما دل عليه الكتاب والسنة والعقل والفطرة السليمة، فأخبر الله سبحانه عنه في كتابه العزيز وأقام الدليل عليه ورد على منكره في غالب سور القرآن.

وذلك أن الأنبياء ﷺ كلهم متفقون على الإيمان بالله، فإن الإقرار بالرب عام في بني آدم وهو فطري، كلهم يقر بالرب إلا من عاند كفرعون بخلاف الإيمان باليوم الآخر فإن منكره كثيرون، ومحمد ﷺ لما كان خاتم الأنبياء وكان قد بعث هو والساعة كهاتين، وكان هو الحاشر المقفي بين تفصيل الآخرة بياناً لا يوجد شيء من كتاب الأنبياء، ولهذا ظن طائفة من المتفلسفة ونحوهم أنه لم يفصح بمعاد الأبدان إلا محمد ﷺ وجعلوا هذه حجة لهم في أنه من باب التخييل والخطاب الجمهوري.

والقرآن بين معاد النفس عند الموت ومعاد البدن عند القيامة الكبرى في غير موضع، وهؤلاء ينكرون القيامة الكبرى وينكرون معاد الأبدان ويقولون من يقول منهم: إنه لم يخبر به إلا محمد ﷺ على طريق التخييل وهذا كذب، فإن القيامة الكبرى هي معروفة عند الأنبياء من آدم إلى نوح إلى إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم ﷺ.

وقد أخبر الله بها من حين أهبط آدم فقال تعالى: ﴿قَالَ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٧٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [الأعراف: ٢٤ - ٢٥]. ولما قال إبليس اللعين: ﴿رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٦﴾﴾ - إلى قوله -: ﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾﴾ [ص: ٧٩ - ٨١].

وأما نوح عليه السلام فقال: ﴿وَاللَّهُ أَبْتَكَّرَ مِنَ الْأَرْضِ بَنَاتًا ﴿٧٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿٧٨﴾﴾ [نوح: ١٧ - ١٨].

وقال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٧﴾﴾ [الشعراء: ٨٢] إلى آخر القصة، وقال: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٩١﴾﴾ [إبراهيم: ٤١]، وقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ﴿٢٦٠﴾﴾ [البقرة: ٢٦٠].

وأما موسى عليه السلام فقال الله تعالى لما ناجاه: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾﴾ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾﴾ [طه: ١٥ - ١٦].

بل مؤمن آل فرعون كان يعلم المعاد وإنما آمن بموسى، قال تعالى حكاية عنه: ﴿وَيَقَوْمِ إِتِيَّ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ تُنَادُونَ مَدِيرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٤﴾﴾ [غافر: ٣٢ - ٣٣] إلى قوله: ﴿يَقْتَوِرُ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْفِرَارِ ﴿٣٦﴾﴾ [غافر: ٣٩] إلى قوله: ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٦]، وقال موسى: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا مُتَعَمِّرُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [الأعراف: ١٥٦].

وقد أخبر الله في قصة البقرة: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِعَظْمِهَا كَذَلِكَ يُعَذِّبُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَيُزَكِّيهِمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [البقرة: ٧٣].

وقد أخبر الله أنه أرسل الرسل مبشرين ومنذرين في آيات من القرآن وأخبر عن أهل النار أنهم إذا قال لهم خزنتها: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بِئَىٰ وَلَكِنَّ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الزمر: ٧١].

وهذا اعتراف من أصناف الكفار الداخلين جهنم أن الرسل أنذرتهم لقاء يومهم هذا، فجميع الرسل أنذروا بما أنذر به خاتمهم من عقوبات المذنبين في الدنيا والآخرة، فعامة سور القرآن التي فيها ذكر الوعد والوعيد يذكر ذلك فيها في الدنيا والآخرة.

وأمر نبيه أن يقسم به على المعاد فقال: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمِ الْغَيْبِ ﴿٣﴾﴾ [سبا: ٣] الآيات، وقال تعالى: ﴿وَسَيَسْأَلُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ

إِى وَرَبِّ إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَشَدُّ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٦﴾ [يونس: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿رَعِمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّنْ يُعْثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ [التغابن: ٧].

وأخبر عن اقترابها فقال: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾﴾ [القمر: ١]، ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾﴾ [الانبیاء: ١]، ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُمْ دَافِعٌ ﴿٢﴾﴾ [المعارج: ١ - ٢] إلى أن قال: ﴿إِنَّمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿١﴾ وَرَبُّهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾﴾ [المعارج: ٦ - ٧]، ودم المكذبين بالمعاد فقال: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِفَلَقِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [يونس: ٤٥] ﴿أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [الشورى: ١٨]، ﴿بَلْ أَدْرَاكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴿١١﴾﴾ [النمل: ٦٦]، ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [النحل: ٣٨] إلى أن قال: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [النحل: ٣٩] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَذُرُوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥١﴾﴾ [النساء: ٥٩] ﴿وَتَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمِيَ وَرُكْبًا وَصُمًّا مَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِعَائِبَاتِنَا وَقَالُوا أَوَآءَا كُنَّا عِظْمًا وَرَفْنَا أَوَآءَا لِمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٧٨﴾﴾ ﴿أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فَادِرٌّ عَلَيَّ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفْرًا ﴿٩٩﴾﴾ [الإسراء: ٩٧ - ٩٩].

﴿وَقَالُوا أَوَآءَا كُنَّا عِظْمًا وَرَفْنَا أَوَآءَا لِمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٥١﴾﴾ ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٢﴾ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥٣﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَقُولُونَ إِنْ لَيْتَنَّا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٤﴾﴾ [الإسراء: ٤٩ - ٥٢].

فتأمل<sup>(١)</sup> ما أجيبوا به عن كل سؤال على التفصيل فإنهم قالوا أولاً: ﴿أَوَآءَا كُنَّا عِظْمًا وَرَفْنَا أَوَآءَا لِمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ فقبل لهم في جواب هذا السؤال: إن كنتم تزعمون أنه لا خالق لكم ولا رب لكم فهلاً كنتم خلقاً لا يفنيه الموت كالحجارة والحديد وما هو أكبر في صدوركم من ذلك، فإن قلتم كنا خلقاً على هذه الصفة

(١) انظر: الصواعق المرسله (٢/٤٧٨ - ٤٨٠).

التي لا تقبل البقاء فما الذي يحول بين خالقكم ومنشئكم وبين إعادتكم جديداً؟.

وللحجة تقدير آخر وهو: لو كتتم من حجارة أو حديد أو خلق أكبر منهما فإنه قادر على أن يفنيكم ويحيل ذواتكم وينقلها من حال إلى حال ومن يقدر على التصرف في هذه الأجسام مع شدتها وصلابتها بالإفناء والإحالة فما الذي يعجزه فيما دونها، ثم أخبر أنهم يسألون آخر بقولهم: ﴿مَنْ يُبِيدُنَا﴾ إذا استحالت جسامنا وفنيت؟ فأجابهم بقوله: ﴿قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ لما أخذتهم الحجة ولزمهم حكمها انتقلوا إلى سؤال آخر يتعللون به بعلى المنقطع وهو قولهم: ﴿مَتَى هُوَ﴾ فأجيبوا بقوله: ﴿عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾.

ومن هذا قوله: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨] إلى آخر السورة، فلو رام أعلم البشر وأفصحهم وأقدرهم على البيان أن يأتي بأحسن من هذه الحجة أو بمثلها بالفاظ تشابه هذه الألفاظ في الإيجاز ووضوح الأدلة وصحة البرهان لما قدر، فإنه سبحانه افتتح هذه الحجة بسؤال أوردته ملحد اقتضى جواباً فكان في قوله: ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ ما وثى بالجواب وأقام الحجة وأزال الشبهة لما أراد سبحانه من تأكيد الحجة وزيادة تقريرها فقال: ﴿قُلِ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٩]، فاحتج بالإبداء على الإعادة وبالنشأة الأولى على النشأة الأخرى إذ كل عاقل يعلم ضرورياً أن من قدر على هذه قدر على هذه، وأنه لو كان عاجزاً عن الثانية لكان عن الأولى أعجز وأعجز، ولما كان الخلق يستلزم قدرة الخالق على المخلوق وعلمه بتفاصيل خلقه اتبع ذلك بقوله: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٩] فهو عليم بتفاصيل الخلق الأول وجزئياته ومواده وصورته، فكذلك الثاني فإذا كان تام العلم كامل القدرة كيف يتعذر عليه أن يحيي العظام وهي رميم.

ثم أكد الأمر بحجة قاهرة وبرهان ظاهر يتضمن جواباً عن سؤال ملحد آخر، يقول: العظام إذا صارت رميماً عادت طبيعتها باردة يابسة، والحياة لا بد أن تكون مادتها وحاملها طبيعة حارة رطبة بما يدل على أمر البعث، ففيه الدليل والجواب معاً فقال: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ﴾ [يس: ٨٠]، فأخبر سبحانه بإخراج هذا العنصر الذي هو في غاية الحرارة واليبوسة

من الشجر الأخضر الممتلئ بالرطوبة والبرودة، فالذي يخرج الشيء من ضده وتنقاد له مواد المخلوقات وعناصرها ولا تستعصي عليه هو الذي يفعل ما أنكره الملحد ودفعه من إحياء العظام وهي رميم.

ثم أكد هذا بأخذ الدلالة من الشيء الأجل الأعظم على الأيسر الأصغر، فإن كل عاقل يعلم أن من قدر على العظيم الجليل فهو على ما دونه بكثير أقدر، وأقدر فمن قدر على حمل قنطار فهو على حمل أوقية أشد اقتداراً فقال: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ [يس: ٨١]. فأخبر أن الذي أبدع السماوات والأرض على جلالتهما وعظم شأنهما وكبر أجسامهما وسعتهما وعجيب خلقهما أقدر على أن يحيي عظاماً قد صارت رميماً فيردها إلى حالتها الأولى كما قال في موضع آخر: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧] وقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ﴾ [الأحقاف: ٣٣]. ثم أكد سبحانه ذلك وبيّنه ببيان آخر وهو أنه ليس فعله بمنزلة غيره الذي يفعل بالآلات والكلفة والنصب والمشقة ولا يمكنه الاستقلال بالفعل، بل لا بد معه من آلة ومعين، بل يكفي في خلقه لما يريد أن يخلقه ويكونه نفس إرادته وقوله للمكون كن فإذا هو كائن كما شاء وأراده.

ثم ختم هذه الحجة بإخباره أن ملكوت كل شيء بيده فيتصرف فيه بفعله وقوله: ﴿وَالِيَهُ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٨٣].

ومن هذا قوله سبحانه: ﴿يَتَحَسَّبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَبْرُكَ سُدًى﴾ [٣٦] أَلَمْ يَكُ نَظْمًا مِّن مَّوَدِّ يُتَّقَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ فُطُوقِ فَسْوَىٰ ﴿٣٨﴾ لِمَعْلَمٍ مِّنَ الرَّوَّاجِينَ الذِّكْرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾ [القيامة: ٣٦ - ٤٠]. فاحتج سبحانه على أنه لا يتركه مهماً عن الأمر والنهي والثواب والعقاب وأن حكمته وقدرته تأبى ذلك أشد الإباء كما قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥] إلى آخر السورة، فإن من نقله من النطفة إلى العلقة ثم إلى المضغة ثم شق سمعه وبصره وركب فيه الحواس والقوى والعظام والمنافع والأعصاب والرباطات التي هي أشده، وأحكم خلقه غاية الأحكام، وأخرجه على هذا الشكل والصورة التي



هي أتم الصور وأحسن الأشكال، كيف يعجز عن إعادته وإنشائه مرة ثانية، أم كيف تقتضي حكمته وعنايته أن يتركه سدى؟ فلا يليق ذلك بحكمته ولا تعجز عنه قدرته.

فانظر إلى هذا الاحتجاج العجيب بالقول الوجيز الذي لا يكون أوجز منه والبيان الجليل الذي لا يتوهم أوضح منه ومأخذه القريب الذي لا تقع الظنون على أقرب منه.

وكم في القرآن من مثل هذا الاحتجاج كما في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَيْتِ فَإِنَّا خَلَقْنَاهُ مِن تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ [الحج: ٥] إلى أن قال: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج: ٧]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢] إلى أن قال: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٦]. وذكر قصة أصحاب الكهف وكيف أبقاهم موتى ثلاثمائة سنة شمسية وهي ثلاثمائة وتسع سنين قمرية وقال فيها: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّهُ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ﴾ [الكهف: ٢١].

والقائلون<sup>(١)</sup> بأن الأجسام مركبة من الجواهر المفردة لهم في المعاد خبط واضطراب وهم فيه على قولين؛ منهم من يقول: تعدم الجواهر ثم تعاد، ومنهم من يقول: تفرق الأجزاء ثم تجمع فأورد عليهم الإنسان الذي يأكله حيوان وذلك الحيوان أكله إنسان، فإن أعيدت تلك الأجزاء من هذا لم تعد من هذا، وأورد عليهم أن الإنسان يتحلل دائماً، فماذا الذي يعاد أهو الذي كان وقت الموت؟ فإن قيل بذلك لزم أن يعاد على صورة ضعيفة وهو خلاف ما جاءت به النصوص، وإن كان غير ذلك فليس بعض الأبدان بأولى من بعض، فادعى بعضهم أن في الإنسان أجزاء أصلية لا تتحلل ولا يكون فيها شيء من ذلك الحيوان الذي أكله الثاني والعقلاء يعلمون أن بدن الإنسان نفسه كله يتحلل ليس فيه شيء باق فصار ما ذكروه في الميعاد مما قوى شبهة المتفلسفة في إنكار معاد الأبدان.

والقول الذي عليه السلف وجمهور العقلاء أن الأجسام تنقلب من حال إلى حال فتستحيل تراباً ثم ينشئها الله نشأة أخرى كما استحال في النشأة الأولى، فإنه

(١) انظر: الفتاوى (١٧/٢٤٦).

كان نطفة ثم صار علقة ثم صار مضغة ثم صار عظماً ولحماً، ثم أنشأه خلقاً سوياً، كذلك الإعادة يعيده الله بعد أن يبلى كله إلا عجب الذنب كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: (كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب منه خلق ابن آدم ومنه يركب)<sup>(١)</sup>.

وفي حديث آخر: (إن السماء تمطر مطراً كمني الرجال ينبتون في القبور كما ينبت النبات)<sup>(٢)</sup>.

فالنشأتان نوعان تحت جنس يتفقان ويتمثلان من وجه ويفترقان ويتنوعان من وجه، والمعاد هو الأول بعينه وإن كان بين لوازم الإعادة ولوازم البداءة فرق، فعجب الذنب هو الذي يبقى وأما سائرته فيستحيل فيعاد من المادة التي استحال إليها، ومعلوم أن من رأى شخصاً وهو صغير ثم رآه وقد صار شيخاً علم أن هذا هو ذلك مع أنه دائماً في تحلل واستحالة، وكذلك سائر الحيوان والنبات فمن رأى شجرة وهي صغيرة ثم رآها كبيرة قال: هذه تلك وليست صفة تلك النشأة الثانية مماثلة لصفة هذه النشأة حتى يقال: إن الصفات هي المغيرة لا سيما أهل الجنة إذا دخلوها فإنهم يدخلونها على صورة آدم طوله ستون ذراعاً كما ثبت في الصحيحين وغيرهما، وروي أن عرضه سبعة أذرع وتلك نشأة باقية غير معرضة للآفات، وهذه النشأة فانية معرضة للآفات.

وقوله: (وجزاء الأعمال). قال تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] ﴿يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٥]. والدين: الجزاء، يقال: كما تدين تدان؛ أي كما تجازي تجازى. وقال تعالى: ﴿حِزَابًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧] ﴿حِزَابًا وَقَافًا﴾ [النبا: ٢٦] ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مِثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠] ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعِ يَوْمِئِذٍ آمِنُونَ﴾ [٨٩] وَمَنْ جَاءَ

(١) أخرجه البخاري (٤٨١٤)، ومسلم (٢٩٥٥).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٩٧٦١)، والحاكم (٥٩٨/٤ - ٦٠٠)، وقال الهيثمي في المجمع (٣٢٩/١٠ - ٣٣٠): رواه الطبراني وهو موقوف مخالف للحديث الصحيح. انظر: مجمع الزوائد.

بِالسَّيِّئَةِ فَكَيْتَ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٩﴾ [النمل: ٨٩ - ٩٠] ﴿١٠٩﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ حَبْرٌ مِثْلُهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ [القصص: ٨٤] وأمثال ذلك.

وقال ﷺ فيما يروي عن ربه ﷻ من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه: (يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه) (١).

وسياتي لذلك زيادة بيان عن قريب إن شاء الله تعالى.

وقوله: والعرض والحساب وقراءة الكتاب والشواب والعقاب، قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فِي يَوْمِئِذٍ وَاهِبَةً ﴿١٦﴾ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ نَعْرُضُونَ لَا تُخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ [الحاقة: ١٥ - ١٨] إلى آخر السورة.

﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدًّا فَلْيَلْقِهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابًا يَمِينًا ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابًا وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصَلِّي سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُمْ ظَنُّوا أَن لَنْ يَحُورَ ﴿١٤﴾ يَلْحَقُ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ [الانشقاق: ٦ - ١٥].

﴿وَعَرَضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الكهف: ٤٨].

﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾ [إبراهيم: ٤٨] إلى آخر السورة.

﴿رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [خافر: ١٥ - ١٧].

﴿وَأَتَقُوا يَوْمَ تُجْمَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

وروى البخاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في «صحيحه» عن عائشة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك)، فقلت: يا رسول الله أليس قد قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كِتَابَهُ بِعَيْنِيهِ، فَسَوْفَ يَحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ (٨)؟ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إنما ذلك العرض، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عذب) (١). يعني: أنه لو ناقش في حسابه لعبيده لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولكنه تعالى يعفو ويصفح وسيأتي لذلك زيادة بيان إن شاء الله تعالى.

وفي الصحيح عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: (إن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق، فإذا موسى أخذ بقائمة العرش فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة يوم الطور؟) (٢).

وهذا صعق في موقف القيامة إذا جاء الله لفصل القضاء وأشرقت الأرض بنوره فحينئذ يصعق الخلائق كلهم.

فإن قيل: كيف تصنعون بقوله في الحديث: (إن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من تنشق عنه الأرض فأجد موسى باطشاً بقائمة العرش) (٣).

قيل: لا ريب أن هذا اللفظ قد ورد هكذا ومنه نشأ الإشكال، ولكنه دخل فيه على الراوي حديث في حديث فركب بين اللفظين، فجاء هذان الحديثان هكذا أحدهما أن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق كما تقدم، والثاني أنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة، فدخل على الراوي هذا الحديث في الآخر، ومن نبه على هذا أبو الحجاج المزني وبعده الشيخ شمس الدين ابن القيم، وشيخنا الشيخ عماد بن كثير رحمهم الله.

وكذلك اشتبه على بعض الرواة فقال: فلا أدري أفاق قبلي أم كان ممن استثنى الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. والمحفوظ الذي تواطأت عليه الروايات الصحيحة هو الأول وعليه المعنى الصحيح، فإن الصعق يوم القيامة لتجلي الله لعباده إذا جاء لفصل القضاء، فموسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إن كان لم يصعق معهم فيكون قد جوزي بصعقة يوم تجلى

(١) أخرجه البخاري (١٠٣)، ومسلم (٢٨٧٦).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري (٢٤١٢)، ومسلم (٢٣٧٤).

ربه للجبل فجعله دكاً، فجعلت صعقة هذا التجلي عوضاً عن صعقة الخلائق لتجلي ربه يوم القيامة، فتأمل هذا المعنى العظيم ولا تهمله.

وروى الإمام أحمد والترمذي وأبو بكر ابن أبي الدنيا عن الحسن قال: سمعت أبا موسى الأشعري يقول: قال رسول الله ﷺ: (يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات، فعرضتان جدال ومعاذير، وعرضة تطاير الصحف، فمن أوتي كتابه بيمينه وحوسب حساباً يسيراً دخل الجنة، ومن أوتي كتابه بشماله دخل النار)<sup>(١)</sup>.

وقد روى ابن أبي الدنيا عن ابن المبارك أنه أنشد في ذلك شعراً:

وطارت الصحف في الأيدي منشرة	فيها السرائر والأخبار تطلع
فكيف سهوك والأنبياء واقعة	عما قليل ولا تدري بما تقع
أفي الجنان وفوز لا انقطاع له	أم الجحيم فلا تبقي ولا تدع
تهوي بساكنها طوراً وترفعهم	إذا رجوا مخرجاً من غمها قُمعوا
طال البكاء فلم يرحم تضرعهم	فيها ولا رُقبة تغني ولا جزع
لينفع العلم قبل الموت عالمه	قد سأل قوم بها الرجعى فما رجعوا

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٢٧)، وابن ماجه (٤٢٧٧)، وقال الترمذي: ولا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي موسى.

## الشرح

### عناصر الموضوع:

#### ١ غرض المصنف من عقد هذا الباب:

أ - بيان معتقد أهل السنة والجماعة في البعث ومعاد الأبدان وجزاء الأعمال والعرض والحساب وقراءة الكتاب والثواب والعقاب والصراف والميزان.  
ب - الرد على المخالفين لأهل السنة في ذلك من أهل الأهواء والبدع.

#### ٢ مناسبة هذا الباب لما سبق:

قرر المصنف فيما سبق أن من أصول أهل السنة والجماعة اتباع السنة والجماعة واجتناب الشذوذ والفرقة والخلاف، هذا ومما جاءت به النصوص الشرعية من الكتاب والسنة الإيمان بالبعث ومعاد الأبدان وجزاء الأعمال والعرض والحساب وقراءة الكتاب والثواب والعقاب والصراف والميزان، وغير ذلك من المغيبات.

#### ٣ معاني الكلمات:

المعنى	الكلمة
الإحياء بعد الممات يوم القيامة.	البعث
التعب.	النصب
الجبلة المتهيئة لقبول الدين.	الظفرة

#### ٤ معنى كلام الطحاوي: «ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة،

والعرض والحساب، وقراءة الكتاب، والثواب والعقاب، والصراف والميزان»:

ويؤمن أهل السنة أيضاً بأن الله تعالى يبعث الموتى يوم القيامة، فيجازيهم بأعمالهم كما قال تعالى: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾

ويؤمنون بالعرض على الله كما قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨]، وبالحساب حيث يحاسب الله كل إنسان بما عمل، وبقراءة الكتاب كما قال تعالى: ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤]، وبالثواب والعقاب لأهل الحسنات والسيئات، الحسنة بعشرة أمثالها أو يزيد، والسيئة بمثلها أو يعفو.

ويؤمنون بالصراف وهو جسر على شفير جهنم أدق من الشعرة وأحد من السيف، يعبره الصالحون إلى الجنة، ويتخطف من فوقه أهل العذاب، ويؤمنون بالميزان الذي توزن به أعمال العباد، وهو ميزان حقيقي توضع الحسنات في إحدى كفتيه والسيئات في الكفة الثانية.

#### ٥ تعريف البعث والنشور:

البعث في اللغة: بسكون العين مصدر بعث بعث يبعث من باب فتح، ويطلق على عدة معان فيطلق ويراد به الإرسال نحو بعثت فلاناً إلى الأمير أي أرسلته، ويطلق ويراد به الإثارة والتهيج نحو بعثت البعير أي أثرته... والنشور في اللغة: مصدر نشر الله الموتى نشوراً، أي: أحياهم... والمراد بهما في كتب العقيدة إحياء الله للموتى وإخراجهم للحساب والجزاء... فعلى هذا هما لفظان مترادفان.

#### ٦ منزلة الإيمان بالبعث من الدين:

الإيمان بالبعث داخل ضمن الإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالغيب عموماً. ولا يخفى أهمية ذلك.

ومما يدل على أهميته أن الله ﷻ أقسم على وقوعه، وأثنى على المؤمنين به، وأخبر أنه وعد صادق وخبر لازم، وذم المكذبين بوقوعه.

#### ٧ الأدلة على ثبوت البعث:

توافرت الأدلة على إثبات البعث فمن ذلك:

١ - قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

[المؤمنون: ١١٥].

٢ - وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمِتُونَ﴾ [المؤمنون: ١٥].

[المؤمنون: ١٥ - ١٦].

٣ - وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِن تَرَابٍ

ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُسِبِنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي

الْأَرْحَامِ مَا نَشَأُ إِلَيْكَ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَيْكَ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِجٍ ﴿٥﴾ [الحج: ٥].

٤ - وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ

﴿٧﴾ [الحج: ٧].

٥ - وقال ﷺ: (يحشر الناس يوم القيامة حفاة غرلاً...).

إلى غير ذلك من الأدلة التي تكاد لا تحصى.

### ٨ أدلة إمكان البعث:

أدلة إمكان البعث ثابتة بالكتاب والسنة والعقل والحس.

١ - دليل السمع:

قال تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ [التغابن: ٧]. حيث أكدت الآية ببلى، وبالقسم، وباللام، وبنون التوكيد.

٢ - دليل الحس:

فقد أرى الله ﷻ عباده قدرته على الإحياء بعد الإماتة، ومن ذلك قوله تعالى في قصة القتيل الذي اختصم فيه بنو إسرائيل: ﴿فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بَعْضُهَا كَذَلِكَ يُخَيِّئُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَيُرِيهِمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ [البقرة: ٧٣]، وغير ذلك من الآيات الدالة على الإحياء بعد الإماتة، وفي سورة البقرة وحدها خمسة أمثلة.

٣ - دليل العقل:

وذلك من وجهين:

١ - من ابتداء الخلق لا يعجز عن إعادته، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ [الروم: ٢٧]. وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٤﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

٢ - من أحيا الأرض بعد موتها قادر على إحياء الموتى، قال تعالى: ﴿وَمَنْ

ءَاتَيْنَاهُ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَشِعةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُمْ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ [فصلت: ٣٩].



## ٩ حكم إنكار البعث:

منكر البعث كافر بالله ﷻ وبرسله وبكتبه واليوم الآخر.  
قال تعالى: ﴿ وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبْ قَوْلَهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَيْنَا لَعْنَى خَلْقِي جَدِيدٌ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَعْلَى فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [الرعد: ٥].

وقال تعالى: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعْتَرُوا قُلُوبُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ لَنْ نُعْطِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ وَلَنْ نُعْطِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ [التغابن: ٧].

## ١٠ الحكمة من اهتمام القرآن بإثبات المعاد:

اهتم القرآن الكريم اهتماماً عظيماً بإثبات المعاد والرد على منكره في معظم سوره، وذلك لأن منكري المعاد كثيرون فاستدعى ذلك كثرة الكلام فيه لإثباته والرد على منكره. بخلاف إثبات الربوبية فإنه عام في بني آدم فطري فيهم - إلا من عاند كفرعون فإنه وإن كان جاحداً للربوبية في الظاهر إلا أنه مؤمن بها في الباطن. قال تعالى: ﴿ وَحَدِّثُوا بِهَا وَأُتِيَقْتِنَهَا أَنْفُسَهُمْ ﴾ [النمل: ١٤].

## ١١ الحكمة من إخبار النبي ﷺ عن أمور الآخرة تفصيلاً:

بين ﷺ أحوال الآخرة بياناً لا يوجد في كثير من الكتب السماوية السابقة، فقد أوضح قضايا البعث والنشور والحساب والجزاء والنار. وذلك لأنه ﷺ خاتم الأنبياء ويقضي أن يبين ويوضح ما بينه وبينه غيره من الأنبياء، وبين ويوضح ما ورد ذكره مجملاً في الكتب السماوية السابقة.

## ١٢ دعوى النبي ﷺ في أمور المعاد دون غيره من الأنبياء:

هناك من الفلاسفة من يقول بأن أمر المعاد إنما جاء به محمد ﷺ عن طريق التخيل لكي يتقبله العامة ويتمثل أوامره ونواهيه بدليل أن غيره من الأنبياء لم يأت به. وهذا القول كذب وبهتان ويمكن الرد عليه بأحد جوابين:

أولاهما: مجمل، وهو أن الأمم السابقة قد أُنذرت يوم البعث وسيعاقب كفار جميع الأمم بهذا الإنذار، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۚ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتُحْتَأَبُوا بِهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ ﴾ [الزمر: ٧١]، فقد دلت هذه الآية على أن كفار جميع الأمم سيعترفون بأن رسلاً أُنذروهم لقاء يوم البعث وبهذا يبطل ما زعموه.

الثاني: مفصل، وهو أن الله ﷻ أخبرنا في كتابه أن أنبياءه كانوا عارفين بيوم البعث، ومن مقتضى معرفتهم بهذا اليوم أنهم أُنذروا قومهم ذلك اليوم، فما ورد في القرآن يدل على ذلك:

أولاً: قوله تعالى في قصة آدم: ﴿قَالَ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٧﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الأعراف: ٢٤ - ٢٥]، فقد دلت الآية على أن الله سبحانه أخبر آدم وهو أول الأنبياء بأمر البعث في قوله: ﴿وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾.

ثانياً: قول الله ﷻ حكاية عن نوح في خطابه لقومه: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾ [نوح: ١٧ - ١٨]، فقد دلت الآية أن نوحاً أُنذر قومه يوم البعث في قوله: ﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: ١٨].

ثالثاً: وقد أخبرنا الله ﷻ أن إبراهيم دعا ربه وكان من دعائه: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُعْتَبُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الشعراء: ٨٧ - ٨٨]، فقد دلت الآية على أنه عارف بيوم البعث. ولا شك أنه أخبر قومه به لأن هذا من لوازم رسالته.

رابعاً: قول الله ﷻ مخاطباً موسى ﷺ: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا سَعَىٰ ﴿١٥﴾﴾ [طه: ١٥]، فقد أخبر سبحانه نبيه موسى بأن الساعة آتية حتماً، وبأن كل نفس ستجزى عما عملت، ولا شك أن موسى أُنذر قومه بها.

خامساً: بل إن مؤمن آل فرعون كان عارفاً بيوم البعث بدليل قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُؤَلَّفُونَ مِدْبَرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ ﴿٣٣﴾﴾ [غافر: ٣٢ - ٣٣]؛ وإذا كان مؤمن آل فرعون عارفاً بذلك فهذا ناتج ولا شك عن التعاليم التي تلقاها موسى من الله سبحانه.

سادساً: بل إن إبليس كان عارفاً بيوم البعث بدليل طلبه من الله أن ينذره إلى يوم يبعثون، ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الحجر: ٣٦]، فإذا كان كذلك فالأنبياء أولى بالعلم منهم، وبهذه الأدلة جميعها يبطل قول من قال بأن أمر البعث إنما جاء به محمد ﷺ دون غيره من الأنبياء.

### ١٣ أساليب القرآن في إثبات المعاد:

اتخذ القرآن عدة أساليب في إثبات المعاد منها:

١ - أمر الله ﷻ نبيه ﷺ أن يقسم على المعاد وأنه حق واقع لا محالة. كما

قال تعالى: ﴿زَمَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعْمُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَنَّ﴾ [التغابن: ٧]، وكما في قوله: ﴿وَيَسْتَأْذِنُكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُمْ لَحَقُّ﴾ [يونس: ٥٣].

٢ - مجرد الإخبار عن اقتراب الساعة كما في قوله تعالى: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١]، وقوله: ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١].

٣ - ذم المكذبين بالمعاد كما في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لُّرُ يَلْبِسُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [٤٥] ﴿[يونس: ٤٥]، وكما في قوله: ﴿أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يَمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَمُيَّسِرِينَ﴾ [الشورى: ١٨].

٤ - الاستدلال بالبدء على الإعادة، وبالنشأة الأولى على النشأة الأخرى كما في قوله: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾، ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٨ - ٧٩]، فمن خلق الإنسان من العدم قادر ولا شك على إعادته بعد فناءه، إذ لو كان عاجزاً عن الإعادة لكان عن النشأة الأولى أعجز من باب أولى.

٥ - الاستدلال بأن الله يخرج الشيء من ضده على إنكار المعاد: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [٧٩ - ٨٠] ﴿[يس: ٧٩ - ٨٠]، فمن انقادت له عناصر الكون لا يعجزه شيء فهو قادر على إعادة الإنسان بعد مماته وبعد تفتت أجزائه.

٦ - الاستدلال بخلق ما هو أكبر من الإنسان على إعادة الإنسان: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ﴾ [يس: ٨١]، فمن يستطيع خلق الأكبر فهو قادر على خلق الأصغر.

٧ - الإخبار بأن حكمة الله تأبى أشد الإباء أن يترك الإنسان مهملًا من الأوامر والنواهي ومعفى من الثواب والعقاب، كما في قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [٣٦ - ٣٧] ﴿[القيامة: ٣٦ - ٣٧]، هذه هي أهم الأساليب، وهناك أساليب قرآنية كثيرة غير ما قدمناه.

#### ١٤ آيات المعاد في سورة يس:

ورد في آخر السورة سبع آيات تتعلق بالمعاد، وهي قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْتَهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٧٧] الخ... السورة. وقد ورد في سبب نزولها: أن العاص بن وائل أخذ عظماً منتناً حائلاً

فجاء به إلى النبي ﷺ ففتنه أمامه وقال: يا محمد أحيي الله هذا بعد ما بلي وأرم؟ قال: (نعم يبعث الله هذا ثم يميتك ثم يحييك ثم يدخلك جهنم)، ثم نزلت الآيات السبع وفيها من الأدلة القاطعة على إثبات المعاد ما تعجز الألسن عن الإتيان بمثله لبلاغته، وتدعن العقول لإقناعه، فلا تلبث أن ترضى وتسلم:

١ - فأول ما استهل به الجواب: الإشارة إلى بدء خلق الإنسان وأنه خلق من نطفة ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ [يس: ٧٧].

٢ - ثم ذكر شبهة الملحذ وعقب عليها بجملة هي غاية في الروعة والإيجاز وهي قوله: ﴿وَسَيَخْلُقُهُ﴾، إذ لو تفكر العاص بن وائل في خلقه لما أورد سؤاله هذا.

٣ - وزيادة في تأكيد الحجة وتقريرها قال: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي﴾ فاحتج بالإبداء على الإعادة وبالنشأة الأولى على الأخرى إذ كل عاقل يعلم بالضرورة أن من قدر على هذه قدر على تلك. ومن عجز عن الثانية فهو عن الأولى أشد عجزاً.

٤ - لما كان الخلق يستلزم قدرة الخالق على المخلوق وعلمه بتفاصيل خلقه اتبع ذلك بقوله: .. ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾، فهو عليم بتفاصيل الخلق الأول فكذلك الثاني، فإذا كان تام العلم كامل الإرادة فكيف يتعذر عليه أن يحيي العظام وهي رميم؟.

٥ - ثم أكد الأمر بحجة قاهرة وبرهان ظاهر يتضمن جواباً عن سؤال ملحذ آخر بقوله: العظام إذا بليت وصارت رميماً عادت طبيعتها باردة يابسة والحياة لا بد أن تكون مادتها وحاملها طبيعة حارة رطبة، فكيف يكون البعث؟ فأجاب بما يحمل الدليل والجواب معاً فقال: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنشَأْتُم مِّنْهُ تُوقَدُونَ﴾ [يس: ٨٠]، فأخبر سبحانه بإخراج هذا العنصر الذي هو في غاية الحرارة واليبوسة وهو النار من الشجر الأخضر الممتلئ بالرطوبة والبرودة. وهو المرخ والعفار فالذي يخرج الشيء من ضده وتنقاد له مواد المخلوقات وعناصرها ولا تستعصي عليه هو الذي يفعل ما أنكر الملحذ من إحياء العظام وهي رميم.

٦ - ثم أكد هذا بأخذ الدلالة من الشيء الأجل الأعظم على الأيسر الأصغر فإن كل عاقل يعلم أن من قدر على العظيم الجليل فهو على ما دونه بكثير أقدر وأقدر، فمن قدر على حمل قنطار من الحديد فهو على حمل أوقية أشد اقتداراً

فقال: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ﴾ [يس: ٨١]، كما قال في موضع آخر: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَئِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧]، فإن الذي أبدع السماوات والأرض مع عظم شأنهما لقادر على إحياء العظام وهي رميم.

٧ - ثم أكد سبحانه ذلك بأمر آخر وهو أن فعله ليس بمنزلة غيره الذي يفعل بواسطة الآلات ويعاني الكلفة والنصب والمشقة ولا يمكنه الاستقلال بالفعل بل لا بد معه من آلة تعينه، بل يكفي في خلقه سبحانه لما يريد مجرد إرادته وقوله للشيء كن فيكون: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

٨ - وأخيراً ختم بالتسبيح لتنزيه ذاته عن كل ما يراد لتنقيصه سبحانه والإخبار بأن بيده ملكوت كل شيء فلا يعجزه شيء: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ وَيُلِيهِ تَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٨٣].

### ١٥ آيات المعاد في سورة الإسراء:

مما ورد عن المعاد فيها قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَوَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَّرَفْنَا أَوَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [٩١] ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ [٩٥] ﴿أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الإسراء: ٤٩ - ٥١]، وفي هذه الآيات ذكر بعض ما يرد على السنة الملحدين وأجاب عنه:

١ - فأخبر أولاً أنهم يقولون المستبعد للمعاد: ﴿وَقَالُوا أَوَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَّرَفْنَا﴾، وأجاب عن ذلك بقوله: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ [٩٥] وهذا الجواب يحتمل معنيين:

الأول: إن زعمتم أنه لا خالق لكم ولا رب لكم فهلاً كنتم خلقاً لا يفنيه الموت كالحجارة والحديد وما هو أكبر في صدوركم منهما؟ فإن قلتم: إننا كنا خلقاً على هذه الصفة التي تفعل الفناء، قلنا: فما الذي يحول بين خالقكم ومنشئكم وبين إعادتكم من جديد مرة أخرى.

الثاني: أن المراد لو كنتم حجارة أو حديداً أو خلقاً أكبر من ذلك لكان الله ﷻ قادراً على إفنائكم وإحالة أجسادكم ونقلها من حال إلى حال، والذي يقدر على التصرف في هذه الأشياء قارد على التصرف فيما دونها بطريق الأولى.

٢ - ثم أخبر ﷻ أنهم يسألون قائلين من يعيدنا؟ فكأنهم بهذا يستنكرون

القدرة، قال سبحانه رداً عليهم: قل الذي فطركم أول مرة، فالذي أوجده من عدم قادر على إعادته بعد إفناؤه.

٣ - ثم أخبر الله ثالثاً بأنه حينما لزمتهم الحجة أخذوا يتعللون ويسألون سؤال المنقطع: «متى هو؟» فأجيبوا بقوله: عسى أن يكون قريباً، ولما كان أمر الساعة من الأمور التي استأثر الله ﷻ بها رأفة بالعباد لكي لا يصيبهم الجزع والخوف إن علموا بقربها، أو يتكاسلوا عن فعل الخيرات إن علموا بتأخرها أجيبوا بذلك، والله اعلم.

### ١٦ ذكر مذاهب في المعاد هل هو جسماني أم روحاني؟ أم بهما معاً؟

اختلف الناس في المعاد هل هو جسماني أم روحاني على أقوال خمسة:

أ - فقالت طائفة من المتكلمين: إن المعاد جسماني...

ب - وقال الفلاسفة: إن المعاد روحاني.

ج - وقال الغزالي وجمهور العلماء أنه جسماني روحاني معاً.

د - وقال قوم بالتوقف، وهو رأي «جالينوس» حيث قال: «لم يتبين لي أن النفس هي المزاج فتتعدم بالموت وتستحيل إعادتها أو أنها جوهر باق، فيمكن بذلك إعادتها». فهو توقف لتوقفه في حقيقة الروح.

هـ - وقال قدماء الفلاسفة الطبيعيين بإنكار المعاد الجسماني والروحاني معاً. والقولان الآخريان خارجان عن أقوال أهل الإسلام - أما الأقوال الثلاثة الأولى منها فهي أقوال أهل الإسلام. ومن العلماء من كفر الرأي الثاني وهو أن المعاد روحاني فقط لأنه أنكر ما ورد في القرآن من أنه معاد جسماني كقوله تعالى: ﴿قَالَ مَنْ يُعِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴿٧٨﴾ [يس: ٧٨ - ٧٩]، فهذا دليل على أن البعث جسماني.

الرأي المختار:

إن المعاد جسماني وروحاني معاً، أما أنه جسماني فذلك بإعادة الله لهذا الجسم بعد أن يتفتت ويبلى وتتفرق أجزاؤه، وأما أنه روحاني فبإعادة الروح إلى البدن بعد أن فارقت.

### ١٧ أقوال الناس في إعادة الأجسام بعد فنائها:

اختلف الناس في ذلك على قولين:

أولهما: إن إعادة الأجسام بعد فنائها. إعادة عن عدم فبعد أن يعدمها ويفنيها يعيدها خلقاً آخر.

الثاني: إن الإعادة عن تفريق، فبعد أن يفرق الله أجزاء البدن يجمعها سبحانه ثم يعيد خلقه.

أدلة كل طائفة:

أ - استدل أصحاب الرأي الأول بما يأتي:

١ - قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] قالوا: والهلاك عبارة عن الفناء والعدم.

٢ - قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، وقد أخبر سبحانه أن الإعادة كالخلق، فكما أن الخلق من العدم فكذلك الإعادة.

ب - واستدل أصحاب الرأي الثاني بقوله تعالى حكاية عن إبراهيم: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٠] الآية. فقد أخبر الله نبيه إبراهيم بصفة الإعادة وقال له قولاً يفهم منه أن الإعادة تكون عن طريق الأجزاء وليس عن إعدامها، بدليل أمره بتفريق الأجزاء على الجبال. وقد ذكر صاحب «لوامع الأنوار البهية» أن القول الأول هو الصحيح.. أما الثاني فقال إنه هو المشهور وينسب إلى ابن القيم أنه اختار الثاني.

١٨) الجواب عما استشكله بعض الناس من قوله ﷺ: (إن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من تنشق عنه الأرض فأجد موسى باطشاً جنب العرش):

روي عن النبي ﷺ أنه قال: (إن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من تنشق عنه الأرض فأجد موسى باطشاً جنب العرش).

قبل الجواب على هذا الإشكال أود أن أبين أن الصعق يقع مرتين الأولى: عند النفخة قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ...﴾ وهذا الصعق: موت من كان حياً إلا من شاء الله: والصعق الثاني: هي عند أن يجمعهم الله لفصل القضاء<sup>(١)</sup>.

والصعق هو أن يغشى على الإنسان صوت شديد يسمعه وربما مات<sup>(٢)</sup> منه أما وجه الإشكال:

استشكل منه ما يفهم من أن انشقاق الأرض عن الخلائق يكون بعد تجلي الله

(١) انظر: التذكرة (١/٢١١) للطريبي، والروح (ص ٧١).

(٢) انظر: النهاية (٣/٣١).

لفصل القضاء. وهذا المفهوم معارض لقول الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعَقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ (١٨) وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴿[الزمر: ٦٨ - ٦٩] فواضح من الآية أن مجيء الرب ﷻ يكون بعد النفخة الثانية.

وسبب هذا الإشكال:

هو خلط الراوي بين<sup>(١)</sup> التجلي وحديث نفخة البعث.. فقد أدخل حديثاً في حديث فركب بين اللفظ وجاء الحديث هكذا.

والإجابة عن هذا الإشكال... تكون برد كل حديث إلى أصله.

فحديث صعق التجلي كما هو في الصحيحين: (إن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق، فإذا موسى أخذ بقائمة العرش فلا أدري أجوزي بصعقة الطور أم أفاق قبلي). وهذه إجابة بعض العلماء على هذا الإشكال، ومنهم المزي وابن كثير، فهذا صعق في يوم القيامة إذا جاء الله لفصل القضاء وأشرفت الأرض بنوره.

وأما الحديث الثاني فهو: (أنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة). قال الشارح: «وكذلك اشتبه على بعض الرواة فقال: فلا أدري أفاق قبلي أم كان ممن استثنى الله ﷻ... والمحفوظ الذي توأمت عليه الروايات الصحيحة هو الأول» وعليه المعنى الصحيح، وقد ذكر الألباني أن الصعقة المرادة في الحديث إنما هي صعقة البعث المذكورة في الآية: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾، وليست صعقة تقع لفصل القضاء... كما قال الأولون، وقد ساق لذلك عدة روايات في الحديث جمعت بين انشقاق الأرض عنه ﷻ. ووجود موسى آخذاً بقائمة العرش، ويرد على قوله أمران:

أولهما: أن المراد بالنفخ في الآية نفخة البعث. ولا تسمى صعقة...

الثاني: على فرض أنها تسمى صعقة فإن الصعق هو فقدان الوعي والإدراك والميت فاقد الوعي أصلاً.. فكيف يفقد وعيه وإدراكه؟.

١٩ الخلاصة:

١ - يؤمن أهل السنة أيضاً بأن الله تعالى يبعث الموتى يوم القيامة، فيجازيهم

(١) انظر: كتاب الروح (ص ٧٤)، والنهاية لابن كثير (ص ١٥٧).



بأعمالهم كما قال تعالى: ﴿قُلْ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسْتَعِينُونَ وَذَلِكُمْ عَلَى اللَّهِ حَافِئَةٌ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧].

- ٢ - يؤمنون بالعرض على الله كما قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ حَافِئَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨]، وبالحساب حيث يحاسب الله كل إنسان بما عمل، وبقراءة الكتاب كما قال تعالى: ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤]، وبالثواب والعقاب لأهل الحسنات والسيئات، الحسنة بعشرة أمثالها أو يزيد، والسيئة بمثلها أو يعفو.
- ٣ - ويؤمنون بالصراط وهو جسر على شفير جهنم أدق من الشعرة وأحد من السيف، يعبره الصالحون إلى الجنة، ويتخطف من فوقه أهل العذاب، ويؤمنون بالميزان الذي توزن به أعمال العباد، وهو ميزان حقيقي توضع الحسنات في إحدى كفتيه والسيئات في الكفة الثانية.
- ٤ - الإيمان بالبعث داخل ضمن الإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالغيب عموماً. ولا يخفى أهمية ذلك. توافرت الأدلة على إثبات البعث.
- ٥ - وأدلة البعث ثابتة بالكتاب والسنة والعقل والحس.
- ٦ - منكر البعث كافر بالله ﷻ وبرسوله وكتبه واليوم الآخر.
- ٧ - اهتم القرآن الكريم اهتماماً عظيماً بإثبات المعاد والرد على منكره في معظم سوره، وذلك لأن منكري المعاد كثيرون.
- ٨ - اتخذ القرآن عدة أساليب في إثبات المعاد، كالقسم على المعاد، والإخبار، ودم المكذبين... الخ.
- ٩ - إن المعاد جسماني وروحاني معاً، أما أنه جسماني فذلك بإعادة الله لهذا الجسم بعد أن يتفتت ويبلى وتتفرق أجزاؤه، وأما أنه روحاني فبإعادة الروح إلى البدن بعد أن فارقت.

### ٢٠ المناقشة:

- س١: بيّن المقصود بكلام الطحاوي: «ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة، والعرض والحساب، وقراءة الكتاب، والثواب والعقاب، والصراط والميزان».
- س٢: عرّف البعث والنشور.
- س٣: بيّن منزلة الإيمان بالبعث من الدين.

- س٤: اذكر الأدلة على ثبوت البعث.
- س٥: اذكر أدلة إمكان البعث.
- س٦: ما حكم إنكار البعث؟.
- س٧: ما الحكمة من اهتمام القرآن بإثبات المعاد أكثر من الكلام عن إثبات ذات الرب؟.
- س٨: ما الحكمة من إخبار النبي ﷺ عن أمور الآخرة تفصيلاً؟.
- س٩: دعوى أن النبي ﷺ قد تكلم في أمور المعاد دون غيره من الأنبياء، وضح ذلك.
- س١٠: عدد أساليب القرآن في إثبات المعاد، مع الأدلة.
- س١١: اذكر آيات المعاد في سورة يس، وبيّن المراد منها.
- س١٢: اذكر آيات المعاد في سورة الإسراء، وبيّن المراد منها.
- س١٣: اذكر المذاهب في أمر المعاد هل هو جسماني أم روحاني؟ أم بهما معاً؟.
- س١٤: بين أقوال الناس في إعادة الأجسام بعد فنائها.
- س١٥: كيف تجيب عما استشكله بعض الناس من قوله ﷺ: (إن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من تنشق عنه الأرض فأجد موسى باطشاً جنب العرش)؟.
- س١٦: لقد قام النبي ﷺ ببيان أمور الآخرة تفصيلاً أكثر من غيره من الأنبياء، فلماذا؟

## الحساب والصراف والميزان

✽ كلام ابن أبي العز:

- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب.
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق.
- ٣ - معاني الكلمات.
- ٤ - تعريف الحساب.
- ٥ - الأدلة على ثبوت الحساب.
- ٦ - كيفية وصفة الحساب.
- ٧ - أنواع الحساب.
- ٨ - كيفية محاسبة الكفار.
- ٩ - أول من يحاسب من الأمم.
- ١٠ - أول ما يحاسب عليه العبد.
- ١١ - أول ما يقضى به بين الناس.
- ١٢ - حكم الإيمان بنشر الصحف وقراءة الكتاب.
- ١٣ - الجمع بين قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشاق: ٨] وبين قوله ﷺ: (ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك).
- ١٤ - الجزاء مظهر من مظاهر عدل الله ﷻ.
- ١٥ - أنواع الجزاء الرباني.
- ١٦ - جزاء الحسنه والسيئة كما وردت في القرآن والسنة.
- ١٧ - المقصود بالعرض وأنواعه وأدلته.

- ١٨ - تعريف الصراط وصفته.
- ١٩ - الحكمة من الصراط وحكم الإيمان به.
- ٢٠ - أول من يعبر الصراط.
- ٢١ - هل يمر الكفار بالصراط؟.
- ٢٢ - الصراط الثاني.
- ٢٣ - تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ ﴿٧١﴾ [مريم: ٧١].
- ٢٤ - تعريف الميزان وصفته وحكم الإيمان به.
- ٢٥ - الأشياء التي توزن في الميزان.
- ٢٦ - الحكمة من تقديم الحساب على الميزان.
- ٢٧ - هل الميزان واحد؟.
- ٢٨ - الجواب على دعوى أن أعمال العباد أعراض لا يمكن وزنها.
- ٢٩ - الخلاصة.
- ٣٠ - المناقشة.

## الحساب والصراط والميزان

قال ابن أبي العز:

قوله: «والصراط» أي: ونؤمن بالصراط وهو جسر على جهنم إذا انتهى الناس بعد مفارقتهم مكان الموقف إلى الظلمة التي دون الصراط كما قالت عائشة رضي الله عنها: «إن رسول الله ﷺ سئل أين الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات، فقال: هم في الظلمة دون الجسر»<sup>(١)</sup>. وفي هذا الموضع يفترق المنافقون عن المؤمنين ويتخلفون عنهم، ويسبقهم المؤمنون ويحال بينهم بسور يمنعهم من الوصول إليهم.

وروى البيهقي بسنده عن مسروق عن عبد الله قال: «يجمع الله الناس يوم القيامة إلى أن قال: فيعطون نورهم على قدر أعمالهم، وقال: فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل بين يديه، ومنهم من يعطى نوره فوق ذلك، ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة بيمينه، ومنهم من يعطى دون ذلك بيمينه حتى يكون آخر من يعطى نوره على إبهام قدمه يضيء مرة ويطفأ مرة، إذا أضاء قدّم قدمه، وإذا طفئ قام قال: فيمر ويمرون على الصراط والصراط كحد السيف دحض مزلة، فيقال لهم: امضوا على قدر نوركم، فمنهم: من يمر كأنقضاض الكوكب، ومنهم: من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالطرف، ومنهم من يمر كشد الرجل يرمل رملاً فيمرون على قدر أعمالهم حتى يمر الذي نوره على إبهام قدمه تخرد وتعلق يد، وتخرد رجل وتعلق رجل، وتصيب جوانبه النار فيخلصون، فإذا خلصوا قالوا: الحمد لله الذي نجاننا منك بعد أرانك، لقد أعطانا الله ما لم يعط أحد»<sup>(٢)</sup>.

واختلف المفسرون في المراد بالورود المذكور في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَنْجِي الَّذِينَ

(١) أخرجه مسلم (٣١٥).

(٢) أخرجه الحاكم (٣٧٦/٢ - ٣٧٧)، والطبراني في الكبير (٩٧٦٣)، وقال الهيثمي في المجمع (٣٤٠/١٠ - ٣٤٣): رواه الطبراني من طرق ورجال أحدهما رجال الصحيح غير أبي خالد الدلاني وهو ثقة.

أَتَقَوُّوا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا ﴿٧٢﴾ [مريم: ٧٢] ما هو؟ والأظهر والأقوى أنه المرور على الصراط، قال تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [مريم: ٢٧]. وفي الصحيح أنه ﷺ قال: (والذي نفسي بيده لا يلج النار أحد بايع تحت الشجرة)، قالت حفصة: فقلت يا رسول الله، أليس الله يقول: ﴿وَإِنْ يَنْكُرُ إِلَّا وَارِدُهَا؟﴾ فقال: «ألم تسمعيه قال: ﴿ثُمَّ نَجَّيَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا ﴿٧٢﴾﴾»<sup>(١)</sup>، أشار ﷺ إلى أن ورود النار لا يستلزم دخولها وأن النجاة من الشر لا تستلزم حصوله، بل تستلزم انعقاد سببه، فمن طلبه عدوه ليهلكوه ولم يتمكنوا منه، يقال: نجاه الله منهم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا ﴿٥٨﴾﴾ [هود: ٥٨] ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا ﴿٦٦﴾﴾ [هود: ٦٦] ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا ﴿٩٤﴾﴾ [هود: ٩٤]، ولم يكن العذاب أصابهم، ولكن أصاب غيرهم ولولا ما خصهم الله به من أسباب النجاة لأصابهم ما أصاب أولئك.

وكذلك حال الوارد في النار يمرون فوقها على الصراط ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثياً، فقد بين ﷺ في حديث جابر المذكور أن الورود هو الورود على الصراط.

وروى الحافظ أبو نصر الوائلي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: (علم الناس سنتي وإن كرهوا ذلك وإن أحببت أن لا توقف على الصراط طرفة عين حتى تدخل الجنة فلا تحدثن في دين الله حدثاً برأيك)<sup>(٢)</sup>، أورده القرطبي.

وروى أبو بكر ابن أحمد بن سليمان النجار عن يعلى بن منية عن رسول الله قال: (تقول النار للمؤمن يوم القيامة جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي)<sup>(٣)</sup>.

وقوله: «والميزان» أي: ونؤمن بالميزان. قال تعالى: ﴿وَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ آتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَسِيبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: ٤٧]. وقال تعالى: ﴿فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [٥١] وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [٥٢] [المؤمنون: ١٠٢ - ١٠٣]..

(١) أخرجه مسلم (٢٤٩٦).

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه (٣٨٠/٤).

(٣) أورده الهيثمي في المجمع (٣٦٠/١٠) عن الطبراني، وضعفه بسليم بن منصور بن عمار.

قال القرطبي: قال العلماء: إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال لأن الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقرير الأعمال والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها، قال: وقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ يحتمل أن يكون ثم موازين متعددة توزن فيها الأعمال، ويحتمل أن يكون المراد الموزونات، فجمع باعتبار تنوع الأعمال الموزونة، والله اعلم.

والذي دلّت عليه السنة أن ميزان الأعمال له كفتان حسيتان مشاهدتان، روى الإمام أحمد من حديث أبي عبد الرحمن الحبلي قال: سمعت عبد الله بن عمرو يقول: قال رسول الله ﷺ: (إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مد البصر ثم يقول له: أتتكر من هذا شيئاً، أظلمت كفتي الحافظون؟ قال: لا يا رب، فيقول: ألك عذر أو حسنة، فيبهت الرجل فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة واحدة لا ظلم اليوم عليك، فتخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فيقول: أحضروه، فيقول: يا رب وما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، قال: فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم<sup>(١)</sup> وهكذا روى الترمذي وابن ماجه وابن أبي الدنيا من حديث الليث، زاد الترمذي: «ولا يثقل مع اسم الله شيء»، وفي سياق آخر: توضع الموازين يوم القيامة فيؤتى بالرجل فيوضع في كفة» الحديث.

وفي هذا السياق فائدة جليلة وهي أن العامل يوزن مع عمله، ويشهد له ما روى البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقال: اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]).

وروى الإمام أحمد عن ابن مسعود: أنه كان يجني سواكاً من الأراك وكان دقيق الساقين، فجعلت الريح تكفه، فضحك القوم منه، فقال رسول الله ﷺ: (مم

(١) أخرجه أحمد (٢/٢١٣)، والترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، والحاكم (٦/١)،

تضحكون؟)، قالوا: يا نبي الله من دقة ساقيه، فقال: (والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أخذ)<sup>(١)</sup>.

وقد وردت الأحاديث أيضاً بوزن الأعمال أنفسها كما في صحيح مسلم عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: (الظهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان)<sup>(٢)</sup>.

وفي الصحيح وهو خاتمة كتاب البخاري قوله ﷺ: (كلمتان خفيفتان على اللسان، حبيبتان إلى الرحمن، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم)<sup>(٣)</sup>.

وروى الحافظ أبو بكر البيهقي عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (يؤتى بابن آدم يوم القيامة فيوقف بين كفتي الميزان ويوكل به ملك، فإن ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبداً، وإن خف ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبداً)<sup>(٤)</sup>.

فلا يلتفت إلى ملحد معاند، يقول: الأعمال أعراض لا تقبل الوزن، وإنما يقبل الوزن الأجسام، فإن الله يقبل الأعراض أجساماً كما تقدم، وكما روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (يؤتى بالموت كبشاً أغر فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون، ويقال: يا أهل النار فيشرئبون وينظرون ويرون أن قد جاء الفرج، فيذبح ويقال: خلود لا موت)<sup>(٥)</sup>. ورواه البخاري بمعناه، فثبت وزن الأعمال، والعامل وصحائف الأعمال، وثبت أن الميزان له كفتان، والله تعالى أعلم بما وراء ذلك من الكيفيات.

فعلينا الإيمان بالغيب كما أخبرنا الصادق من غير زيادة ولا نقصان.

ويا خيبة من ينفي وضع الموازين القسط ليوم القيامة كما أخبر الشارع لخفاء

(١) أخرجه أحمد (١/٤٢٠ - ٤٢١)، والحاكم (٣/٣١٧)، وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٣).

(٣) أخرجه البخاري (٧٥٦٣)، ومسلم (٢٦٩٤).

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٦/١٧٤)، وفي إسناده داود بن المحبر وهو متروك.

(٥) أخرجه أحمد (٢/٤٢٣)، وانظر: صحيح البخاري (٤٧٣٠).



الحكمة عليه ويقدم في النصوص بقوله لا يحتاج إلى الميزان إلا البقال والفوال، وما أحره بأن يكون من الذين لا يقيم الله لهم يوم القيامة وزناً، ولو لم يكن من الحكمة في وزن الأعمال إلا ظهور عدله سبحانه لجميع عباده فإنه لا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين، فكيف ووراء ذلك من الحكم ما لا اطلاع لنا عليه، فتأمل قول الملائكة لما قال الله لهم: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [البقرة: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَوْثَقْتُهُ مِنَ الْقَدْرِ إِلَّا قَيْلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

وقد تقدم عند ذكر الحوض كلام القرطبي رحمته الله أن الحوض قبل الميزان والصراف بعد الميزان.

ففي «الصحيحين»: «أن المؤمنين إذا عبروا الصراف وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض، فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة»<sup>(١)</sup>، وجعل القرطبي في التذكرة<sup>(٢)</sup> هذه القنطرة صراطاً ثانياً للمؤمنين خاصة، وليس يسقط منه أحد في النار، والله تعالى أعلم.

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٠).

(٢) (٢/٤١٠).

## الشرح

### عناصر الموضوع:

#### ١ غرض المصنف من عقد هذا الباب:

- أ - بيان معتقد أهل السنة والجماعة في الحساب وقراءة الكتاب والثواب والعقاب والصراط والميزان.  
ب - الرد على المخالفين لأهل السنة في ذلك من أهل الأهواء والبدع.

#### ٢ مناسبة هذا الباب لما سبق:

قرر المصنف فيما سبق أن من أصول أهل السنة والجماعة اتباع السنة والجماعة واجتناب الشذوذ والفرقة والخلاف، هذا ومما جاءت به النصوص الشرعية من الكتاب والسنة الإيمان بالحساب وقراءة الكتاب والثواب والعقاب والصراط والميزان وغير ذلك من المغيبات.

#### ٣ معاني الكلمات:

المعنى	الكلمة
التعب.	النصب
الجبلة المتهية لقبول الدين.	الفطرة

#### ٤ تعريف الحساب:

الحساب لغة: مأخوذ من حسب، فالحاء والسين والباء أصل صحيح يدل على عدة معان؛ منها العد والإحصاء<sup>(١)</sup>.  
والحساب شرعاً: هو إطلاع الله ﷻ عباده على أعمالهم يوم القيامة، وإخبارهم بما قدموه من خير وشر<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة (٥٩/٢)، ولسان العرب (٣١١/١).

(٢) انظر: لمعة الاعتقاد (ص١١٧)، وشرح الواسطية للهراس (ص٢٠٩).

## ٥ الأدلة على ثبوت الحساب:

أ - من الكتاب:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿١٦﴾﴾ [الغاشية: ٢٥ - ٢٦]،  
وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [غافر: ١٧].

ب - ومن السنة:

قوله ﷺ في بعض صلواته: (اللهم حاسبني حساباً يسيراً)، فقالت عائشة رضي الله عنها:  
ما الحساب اليسير؟ قال: (أن ينظر في كتابه فيتجاوز عنه)<sup>(١)</sup>.

## ٦ كيفية وصفة الحساب:

يوقف الله ﷻ العباد بين يديه فيقررهم بذنوبهم، وبأعمالهم وأقوالهم وكل ما فعلوه في الحياة الدنيا من كفر وإيمان، ومعصية وطاعة، وخير وشر... الخ. فيثيب على الإحسان، وإن شاء عاقب أو عفا من الإساءة. والحساب شامل لكل ما سبق بالإضافة لوزن الأعمال وما جرى مجرى ذلك.

## ٧ أنواع الحساب:

الحساب منه اليسير، ومنه العسير، ومنه حساب التقرير والتكريم، ومنه حساب التوبيخ والتقريع، ومنه الفضل والصفح، ومنه المؤاخظة والمجازاة، وكل ذلك بيد أرحم الراحمين وأعدل الحاكمين.

## ٨ كيفية محاسبة الكفار:

قال شيخ الإسلام: «وتنشر الدواوين وهي صحائف الأعمال، فأخذ كتابه بيمينه وأخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره كما قال ﷺ: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَلْعَهُ فِي عُرْفِهِ وَنُحِجُّ لَوْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ﴿١٤﴾﴾ أقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء: ١٣ - ١٤]. ويحاسب الله الخلائق ويخلو بعبده المؤمن فيقررهم بذنوبه كما وصف ذلك في الكتاب والسنة.

وأما الكفار فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته فإنه لا حسنة لهم، ولكن تعد أعمالهم وتحصى فيوقفون عليها ويقررون بها ويجزون بها<sup>(٢)</sup>.

(١) أحمد (٤٨/٦)، وابن أبي عاصم في السنة (٨٨٥)، وقال الألباني: إسناده صحيح.

(٢) مجموع الفتاوى (١٤٦/٣).

٩ أول من يحاسب من الأمم:

قال ﷺ: (نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، المقضي بينهم قبل الخلاق) (١).

١٠ أول ما يحاسب عليه العبد:

ورد أن أول ما يحاسب عليه العبد هو الصلاة؛ وذلك لأنها عماد الدين.. فمن حافظ عليها كان حرياً له بأن يأتي ببقية الشعائر، ومن تركها كان لما سواها أضيع، وقد دل على ذلك ما روي عنه ﷺ أنه قال: (أول ما يحاسب عليه العبد: الصلاة).

١١ أول ما يقضى بين الناس في الدماء:

قال ﷺ: (أول ما يقضى بين الناس في الدماء) (٢).

١٢ حكم الإيمان بنشر الصحف وقراءة الكتاب:

نشر الصحف وقراءة الكتاب وأخذه باليمين والشمال من الأمور التي يجب الإيمان والتصديق بها، وذلك لورودها في الكتاب الكريم وإجماع أهل الحق عليها:

أ - فأما ورودها في الكتاب فقوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَلِبَتَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَشُورًا﴾ (١٤) ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ (١٥) [الإسراء: ١٣ - ١٤]، وقوله: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِنِّمْ فَمَنْ أَوْقَىٰ كِتَابَهُ يَمِينُهُ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ (١٦) ﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (١٧) [الإسراء: ٧١ - ٧٢].

ب - وأما الإجماع فقد أجمع أهل الحق على ذلك كما نقله السفاريني في «لوامع الأنوار البهية»، فيجب الإيمان بكل ذلك لوروده في الكتاب والإجماع.

١٣ الجمع بين قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا سَيِّئًا﴾ (١٨) [الانشقاق: ٨]،

وبين قوله ﷺ: (ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك):

لا تعارض بين ما ورد في الآية وما ورد في الحديث، لأن الحساب المراد في الآية هو العرض؛ أي: عرض الأعمال.

(١) البخاري (٨٧٦)، ومسلم (٨٥٥).

(٢) البخاري (٦٨٦٤)، ومسلم (١٦٧٨).

أما الحساب المراد في الحديث فهو المناقشة. فقد جاء عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك، قلت: يا رسول الله أليس الله يقول: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾»، قال: إن ذلك العرض وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عُذِّبَ».

#### ١٤) الجزء مظهر من مظاهر عدل الله ﷻ:

خلق الله الإنسان وميزه بالعقل الذي يدرك به الخير من الشر والحق من الباطل، وقد كلفه في الحياة الدنيا بتكاليف إن امتثلها استحق الثواب وإن خالفها استحق العقاب، وهذا كله أثر لصفة من صفات الله ﷻ وهي صفة العدل التي تأبي المساواة بين المسلم والكافر وبين المحسن والمسيء، قال تعالى مقررًا لهذه الحقيقة: ﴿فَتَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ وَبَنَاتِهِمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [القلم: ٣٥ - ٣٦]، وقال: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١]، وقد دلت الآية على أن عدل الله يأبى أن يسوّى بين المحسن والمسيء وبين المسلم والكافر، فالتسوية بينهما إجحاف وظلم ياباه العقل والفضيلة السليمة.

#### ١٥) أنواع الجزاء الرباني:

الجزاء الرباني على نوعين:

**أولهما:** جزاء معجل وهو الذي يكون في هذه الحياة، فقد يعجل الله الثواب أو جزاءً منه فيتحقق في الحياة الدنيا وكذلك العقاب، ويشهد لتعجيل الثواب أو جزء منه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]. وقوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: ٣٠]... فلقد دلت الآية الأولى على أن أهل القرى لو آمنوا واتقوا لكان لهم الجزاء المعجل... بركات كثيرة... وكذلك الآية الثانية ويشهد لتعجيل العقاب أو جزء منه قوله تعالى: ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانْتَهُمُ الْعَذَابُ مِن حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [٢٥] فَاذَاقَهُمُ اللَّهُ لَظْمًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَعَلَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ [الزمر: ٢٥ - ٢٦]، وكذلك قوله تعالى في الآية السابقة: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]، إلى قوله تعالى: ﴿وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦]، فقد دلت الآية على الجزاء المعجل سواء كان ثواباً أو عقاباً.

ثانيهما: الجزاء المؤجل وهو الذي يكون في الحياة البرزخية أو الآخرة وهي بهذا على صنفين:

أ - ما يكون في الحياة البرزخية: ونعني به عذاب القبر ونعيمه ويشهد له قوله تعالى في شأن آل فرعون: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٦]، وكذلك ما ورد في حديث البراء: (إن العبد المؤمن يأتيه من روح الجنة وطيبها، ويتسع له قبره مد بصره، وأن العبد الكافر يأتيه من حر النار وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه).

ب - ما يكون في الآخرة، ويدل له قوله ﷺ: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٣١﴾ لِلطَّغْيِينِ مَتَابًا ﴿٣٢﴾ لَيْثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٣٣﴾ لَا يَدْخُلُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٣٤﴾ إِلَّا جِيءًا وَغَسَاقًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً وَفِاقًا ﴿٣٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٣٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴿٣٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٣٩﴾ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٤٠﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٤١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٤٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٤٣﴾ وَكُنَاسًا دِهَاقًا ﴿٤٤﴾﴾ [النبا: ٢١ - ٣٤]، فقد دلت الآيات على الجزاء المؤجل للطاغين وللمتقين أيضاً.

### ١٦ جزاء الحسنه والسيئه كما وردت في القرآن والسنة:

تدل النصوص الشرعية على أن أوفى جزاء للحسنة هو عشر أمثالها، كما تدل النصوص على أن أعلى جزاء للسيئة هو مثلها، قال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مِمَّا تَلَسَّتْ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأنعام: ١٦٠]، وروي عنه ﷺ أنه قال حكاية عن الله ﷻ: (إذا هم عبدي بحسنة ولم يعملها فلا تكتبوها عليه، فإن عملها فاكتبوها عليه سيئة، وإذا هم عبدي بحسنة ولم يعملها فاكتبوها حسنة، فإن عملها فاكتبوها عشرًا).

أما أعلى جزاء للحسنة فلا يعلم مقدارها إلا الله سبحانه، فإنه سبحانه قد يضاعف أجور الحسنات أضعافاً كثيرة، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبًّا وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة: ٢٦١].

ولم نتعرض لأوفى جزاء للسيئة - لأن السيئة قد لا يعاقب عليها امتناناً منه - قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الشورى: ٢٥].

## ١٧ المقصود بالعرض وأنواعه وأدلته:

هو عرض الناس على الله ﷻ يوم القيامة للحساب، وهو أمر ثابت في الكتاب والسنة، فيجب الإيمان به والتصديق به لوروده فيهما.

أ - فمن الكتاب:

دلّ عليه قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ ﴿٨﴾ [الحاقة: ١٨]، وقوله: ﴿وَعَرَضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْتُمُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾ ﴿٨٨﴾ [الكهف: ٤٨].

ب - ومن السنة:

ما روي عنه ﷺ أنه قال: (يعرض الناس على ربهم ثلاث عرضات.. فعرضتنا جدال ومعاذير، وعرضة تطاير الصحف، فمن أوتي كتابه بيمينه وحوسب حساباً يسيراً دخل الجنة، ومن أوتي كتابه بشماله دخل النار).

للعرض أنواع كثيرة:

١ - فهناك عرض الصحف: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوَفِّيٰ كِتَابًا بِمِيسِينَةٍ﴾ ﴿٧﴾ [الانشقاق: ٧].  
٢ - وهناك عرض على الله: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدًّا فَلْيَلْقِيهِ﴾ ﴿١﴾ [الانشقاق: ٦].

٣ - وعرض أعمال.. ودليله ما تقدم من عرض الصحف.

٤ - وعرض الناس على جهنم، وعرض جهنم على الناس يدل لذلك: ﴿الْتَأَرُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ [غافر: ٤٦]، ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَىٰ النَّارِ﴾ [الأحقاف: ٢٠].

## ١٨ تعريف الصراط وصفته:

الصراط لغة: الطريق الواضح المستقيم ومنه قول جرير:

أمير المؤمنين على صراط إذا اعوج الموارد فتستقيم

وقد يقال له: سراط بالسين، وزراط على خلاف في حرف الزاي.

أما في الاصطلاح: فهو جسر منصوب على متن جهنم... يمر عليه الأولون

والآخرون...

صفته:

وقد ورد في صفته أنه أدق من الشعر... وأحد من السيف، وأن عليه كلاب

وحسكاً تأخذ من شاء الله إيقاعه في جهنم.

روي عنه ﷺ أنه قال: (إن لجهنم جسراً أدق من الشعر وأحد من السيف عليه كلاليب وحسك تأخذ من شاء الله... والناس يمرون عليه كالطرف وكالبرق وكأجاويد الخيل والركاب... والملائكة تقول: رب سلّم، فناج مسلّم، ومخدوش مرسل، ومكردس على وجهه في نار جهنم..). وروي عن أبي سعيد الخدري أنه قال: بلغني أنه أدق من الشعر وأحد من السيف.

١٩) الحكمة من الصراط وحكم الإيمان به:

حكم الإيمان به:

- ١ - الإيمان به واجب وأهل الحق يؤمنون بما جاء في صفته.
- ٢ - وبعض المعتزلة يقرون بوجوده وينكرون صفته... بل يقولون أنه طريق الجنة والنار... وممن يقول به عبد الجبار، وأما القرافي والعز بن عبد السلام، وغيرهما فقد أقرروا بوجوده... وأنكروا صفته وأولوا ذلك بتأويلات فاسدة... ودليل ذلك الآثار التي تقدمت.

الحكمة من الصراط:

هي زيادة تنعيم المؤمن حيث يرى الشر الذي نجاه الله منه، وزيادة تأنيب الكافر حيث يرى الناجون يمرون بينما يسقط هو في النار، وكذلك إظهار عدل الله بين عباده في صورة محسوسة.

٢٠) أول من يعبر الصراط:

قال ﷺ: (فأكون أنا وأمتي أول من يجيز يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلّم سلّم)<sup>(١)</sup>.

إذا فأول من يعبر الصراط من الأنبياء محمد ﷺ، ومن الأمم أمته ﷺ.

٢١) هل يمر الكفار بالصراط؟:

قال ابن رجب: «واعلم أن الناس منقسمون إلى مؤمن يعبد الله لا يشرك به شيئاً، ومشرك يعبد مع الله غيره، فأما المشركون فإنهم لا يمرون على الصراط، وإنما يقعون في النار قبل وضع الصراط»<sup>(٢)</sup>.

٢٢) الصراط الثاني:

لقد ذكر القرطبي أن هناك صراطين:

(١) البخاري (٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢). (٢) التخويف من النار (ص ٢٣٢).



أ - صراط عام: وهو الذي منصوب على متن جهنم... والساقط فيه هالك في النار.

ب - صراط خاص: وهو قنطرة بين الجنة والنار بعد خروجهم من النار فيسيرون على هذه القنطرة الفاصلة.

٢٣ تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١]:

هذا خطاب لسائر الخلائق، برهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم، أنه ما منهم من أحد إلا سيرد النار، حكماً حتمه الله على نفسه، وأوعد به عباده، فلا بد من نفوذه ولا محيد عن وقوعه.

واختلف في معنى الورد، ف قيل: ورودها للخلائق كلهم، حتى يحصل الانزعاج من كل أحد، ثم بعدُ ينجي الله المتقين.

وقيل: ورودها دخولها، فتكون على المؤمنين برداً وسلاماً.

وقيل: الورد هو المرور على الصراط الذي هو على متن جهنم، فيمر الناس على قدر أعمالهم، فمنهم من يمر كلمح البصر وكالريح وكأجاويد الخيل وكأجاويد الركاب، ومنهم من يسعى، ومنهم من يمشي مشياً، ومنهم من يزحف زحفاً، ومنهم من يخطف فيلقى في النار، كل بحسب تقواه<sup>(١)</sup>.

٢٤ تعريف الميزان وصفته وحكم الإيمان به:

الميزان في اللغة: اسم للآلة التي يوزن بها الأشياء، أو ما تقدر به الأشياء خفة وثقلاً<sup>(٢)</sup>.

والميزان شرعاً: هو ما يضعه الله ﷻ يوم القيامة لوزن أعمال العباد<sup>(٣)</sup>.

وحكم الإيمان به: يجب الإيمان به والتصديق بما ورد من صفاته لما ورد في الكتاب الكريم والسنة المطهرة لإجماع أهل الحق عليه.

فأما الكتاب:

فقول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ [٦] فهو في عيشته راضية ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ [٨] فَأَمَّهُ هَاوِيَةٌ ﴿[القارعة: ٦-٩]، فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ

(١) انظر: تفسير السعدي عند تفسير سورة مريم، الآية ٧١، وأضواء البيان (٤/٣٤٨)

(٢) انظر: لسان العرب. (٣) انظر: لمعة الاعتقاد (ص ١٢٠).

﴿ هُمْ الْمَفْلُحُونَ ﴾ ﴿١٧٦﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٧٧﴾ [المؤمنون: ١٠٢-١٠٣]، وقوله: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وأما من السنّة:

فأحاديث كثيرة منها:

١ - ما روى عنه ﷺ أنه قال: (كلمتان خفيفتان على اللسان حبيبتان إلى الرحمن ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم).

٢ - روي عنه ﷺ أنه قال: (الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان).

٣ - وروي عنه ﷺ أنه قال في ابن مسعود حينما ضحك القوم من دقة ساقيه: (والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد).

وكذلك ما روي عنه في حديث البطاقة أنه قال: (فتوضع السجلات في كفة وتوضع البطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، ولا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم).

وأما الإجماع: فقد نقل السفاريني إجماع أهل الحق على الميزان.

صفته:

وقد دلّت الآثار على أنه ميزان حقيقي<sup>(١)</sup> له كفتان ولسان أيضاً... روي عن ابن عباس أنه قال: «للميزان كفتان ولسان».

والحكمة من نصب الميزان: إظهار عدل الله لجميع عباده، فإنه لا أحد أحب إليه العذر من الله.

٢٥ الأشياء التي توزن في الميزان:

يفهم من النصوص الواردة في الميزان أن الأشياء التي توزن هي: العامل وعمله، والسجلات التي كتبت فيها أعماله.

ومن هذه النصوص:

- ما روي عنه ﷺ أنه قال: (كلمتان خفيفتان على اللسان حبيبتان إلى الرحمن ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم).

(١) هذا ما عليه الجمهور والسواد الأعظم وهو الحق، وقال الحافظ ابن حجر: «وقد ذهب بعض السلف إلى أن الميزان بمعنى العدل والقضاء»... إلى أن قال: «والراجح ما ذهب إليه الجمهور»، انظر: فتح الباري (١٣/٦٧١)، والتذكرة (١/٣٨١).

٢ - روي عنه عليه السلام أنه قال: (الطهور شرط الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان).

٣ - وروي عنه عليه السلام أنه قال في ابن مسعود حينما ضحك القوم من دقة ساقيه: (والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد).

وكذلك ما روي عنه في حديث البطاقة أنه قال: (فتوضع السجلات في كفة وتوضع البطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، ولا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم).

### ٢٦ الحكمة من تقديم الحساب على الميزان:

الحساب يكون قبل الوزن، وذلك لأن الحساب هو كما ذكرنا تقرير الأعمال والتعريف بها، أم الوزن فهو وزن الأعمال وبيان مقاديرها ليكون الجزاء في حسنها، ولا يكون بيان مقدار الشيء إلا بعد التعريف به وتقريره.

### ٢٧ هل الميزان واحد؟:

اختلف في هذا على قولين:

أ - قال بعضهم: إن هناك أكثر من ميزان.

دليلهم: ورودها مجموعة في عدة آيات كما في قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ ﴿١﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ [القارة: ٦ - ٧].

ب - وقال بعضهم: هو ميزان واحد لا أكثر وإنما جمعت الآيات باعتبار الأشياء التي توزن فيه.

والراجع أنه ميزان واحد، وأما قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾ فإنه جمع باعتبار الموزونات أي: الأعمال والأشخاص، وقيل: جمع للتفخيم والتعظيم كما قال تعالى: ﴿كَلَبَتْ قَوْمٌ نُوجَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿١٥٥﴾ مع أنه لم يرسل إلا واحد فقط وقال ابن الجوزي: «لما كانت أعمال الخلائق توزن وزنة بعد وزنة سميت موازين»<sup>(١)</sup>.

### ٢٨ الجواب على دعوى أن أعمال العباد أعراض لا يمكن وزنها:

المعتزلة أنكرت الميزان بحجة أن الأعمال أعراض لا يمكن وزنها وفسرت الميزان بالعدل.

(١) انظر: التذكرة (١/٢٩٠)، وزاد المسير (٥/٣٥٤)، وفتح الباري (١٣/٦٧٠).

ويرد عليهم: بأن النصوص الشرعية جاءت بذكر الموازين، فيجب الإيمان كما جاءت به النصوص من غير تأويل له ولا صرف له عن ظاهره.

إذ لا يقال بالمجاز إلا مع وجود قرينة اللفظ عن ظاهره ولا قرينة هنا..

ويجاب عن شبهتهم بأن الله ﷻ يقلب الأعراض أجساماً، فقد ورد في الآثار ما يدل على قلب الأعراض أجساماً، فقد ورد في أحاديث عذاب القبر ونعيمه: (إن العمل الصالح يأتي على صورة رجل حسن الوجه حسن المنظر يسر به صاحبه). وقد ورد في النصوص: (أنه يؤتى بالموت على شكل كبش فينادى: يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون ويرون أنه قد جاء الفرج فيذبح ويقال: خلود بلا موت).

قال الشارح: «ولو لم يكن من الحكمة من وزن الأعمال إلا ظهور عدله سبحانه لجميع عباده فلا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين فكيف ووراء ذلك من الحكم ما لا اطلاع لنا عليه».

#### ٢٩ الخلاصة:

- ١ - يؤمن أهل السنة بالصراط وهو جسر على شفير جهنم أدق من الشعرة وأحد من السيف، يعبره الصالحون إلى الجنة، ويتخطف من فوقه أهل العذاب، ويؤمنون بالميزان الذي توزن به أعمال العباد، وهو ميزان حقيقي توضع الحسنات في إحدى كفتيه والسيئات في الكفة الثانية.
- ٢ - الحساب هو إطلاع الله عز وجل عباده على أعمالهم يوم القيامة، وإخبارهم بما قدموه من خير وشر. والأدلة على الحساب متوافرة من الكتاب والسنة.
- ٣ - يوقف الله ﷻ العباد بين يديه فيقررهم بذنوبهم، وبأعمالهم وأقوالهم وكل ما فعلوه في الحياة الدنيا من كفر وإيمان، ومعصية وطاعة، وخير وشر... إلخ. فيثيب على الإحسان، وإن شاء عاقب أو عفا عن الإساءة.
- ٤ - أول ما يحاسب من الأمم أمة محمد ﷺ.
- ٥ - أول ما يحاسب عليه العبد هو الصلاة.
- ٦ - أول ما يقضى بين الناس في الدماء.
- ٧ - نشر الصحف وقراءة الكتاب وأخذه باليمين والشمال من الأمور التي يجب الإيمان والتصديق بها وذلك لورودها في الكتاب الكريم وإجماع أهل الحق عليها.

- ٨ - الجزاء مظهر من مظاهر عدل الله ﷻ .
- ٩ - الجزاء الرباني على نوعين: جزاء معجل، وجزاء مؤجل .
- ١٠ - تدل النصوص الشرعية على أن أوفى جزاء للحسنة هو عشر أمثالها كما تدل النصوص على أن أعلى جزاء للسيئة هو مثلها .
- ١١ - الصراط هو جسر منصوب على متن جهنم... يمر عليه الأولون والآخرون... والإيمان به واجب وأهل الحق يؤمنون بما جاء في صفته .
- ١٢ - أول من يعبر الصراط من الأنبياء محمد ﷺ، ومن الأمم أمته ﷺ .
- ١٣ - الكفار والمشركون لا يمرون على الصراط، وإنما يقعون في النار قبل وضع الصراط .
- ١٤ - الميزان هو ما يضعه الله ﷻ يوم القيامة لوزن أعمال العباد. ويجب الإيمان به والتصديق بما ورد من صفاته لما ورد في الكتاب الكريم والسنة المطهرة لإجماع أهل الحق عليه .
- ١٥ - الحكمة من نصب الميزان: إظهار عدل الله لجميع عباده، فإنه لا أحد أحب إليه العذر من الله .
- ١٦ - يفهم من النصوص الواردة في الميزان أن الأشياء التي توزن هي: العامل وعمله، والسجلات التي كتبت فيها أعماله .

### ٣٠ المناقشة:

- س١: بيّن المقصود بكلام الطحاوي: «ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة، والعرض والحساب، وقراءة الكتاب، والثواب والعقاب، والصراط والميزان» .
- س٢: عرّف الحساب .
- س٣: اذكر الأدلة على ثبوت الحساب والإيمان به .
- س٤: بيّن كيفية وصفة الحساب .
- س٥: ما أنواع الحساب؟ .
- س٦: كيف يحاسب الكفار؟ .
- س٧: من أول من يحاسب من الأمم؟ .
- س٨: ما أول ما يحاسب عليه العبد؟ .
- س٩: ما أول ما يقضى به بين الناس؟ .

- س١٠: بيّن حكم الإيمان بنشر الصحف وقراءة الكتاب.
- س١١: كيف تجمع بين قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٨]، وبيّن قوله ﷺ: (ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك)؟.
- س١٢: بيّن أن الجزاء مظهر من مظاهر عدل الله ﷻ.
- س١٣: ما أنواع الجزاء الرباني؟.
- س١٤: بيّن جزاء الحسنه والسيئة كما وردت في القرآن والسنة.
- س١٥: ما المقصود بالعرض؟ وما أنواعه؟ مع ذكر أدلته.
- س١٦: عرف الصراط، وبيّن صفته.
- س١٧: ما الحكمة من الصراط؟ وما حكم الإيمان به؟.
- س١٨: من أول من يعبر الصراط؟.
- س١٩: هل يمر الكفار بالصراط؟.
- س٢٠: هل يوجد صراط ثانٍ؟.
- س٢١: بيّن معنى قوله تعالى: ﴿وَلِإِنْ مَنَّكَ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١].
- س٢٢: عرف الميزان.
- س٢٣: ما صفة الميزان؟ وما حكم الإيمان به؟.
- س٢٤: ما الحكمة من نصب الميزان؟.
- س٢٥: اذكر الأشياء التي توزن في الميزان يوم القيامة.
- س٢٦: ما الحكمة من تقديم الحساب على الميزان؟.
- س٢٧: هل الميزان واحد؟.
- س٢٨: كيف ترد على دعوى أن أعمال العباد أعراض لا يمكن وزنها؟.

## الجنة والنار مخلوقتان موجودتان لا تفنيان أبداً

✽ كلام ابن أبي العز:

- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب.
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق.
- ٣ - معاني الكلمات.
- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبداً ولا تبيدان، وأن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق، وخلق لهما أهلاً، فمن شاء منهم إلى الجنة فضلاً منه، ومن شاء منهم إلى النار عدلاً منه، وكل يعمل لما قد فرغ له، وصائر إلى ما خلق له. والخير والشر مقدران على العباد».
- ٥ - لماذا عقد المصنف هذا المبحث؟
- ٦ - تعريف الجنة ولماذا سميت بذلك ومكانها.
- ٧ - تعريف النار في اللغة والشرع ومكانها.
- ٨ - الجنة والنار مخلوقتان موجودتان.
- ٩ - الجنة والنار لا تفنيان.
- ١٠ - المخالفون لأهل السنة في خلق الجنة والنار ووجودهما.
- ١١ - المخالفون لأهل السنة في شأن فناء الجنة والنار ودوامهما.
- ١٢ - أقوال الناس في أبدية النار ودوامها.

١٣ - اختلاف أهل العلم في توجيه الاستثناء في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَمِنَ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْذُورٍ﴾ ﴿١٧٨﴾ [هود: ١٠٨].

١٤ - حكم أطفال المسلمين في الآخرة.

١٥ - أنواع المخلوقات من حيث الإرادة.

١٦ - منع الثواب عن العبد.

١٧ - الخلاصة.

١٨ - المناقشة.



## الجنة والنار مخلوقتان موجودتان لا تفنيان أبداً

قال ابن أبي العز:

وقوله: «والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبداً ولا تبيدان، فإن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق وخلق لهما أهلاً فمن شاء منهم إلى الجنة فضلاً منه ومن شاء منهم إلى النار عدلاً منه، وكل يعمل لما قد فرغ له وصائر إلى ما خلق له والخير والشر مقدران على العباد».

أما قوله: «إن الجنة والنار مخلوقتان» فاتفق<sup>(١)</sup> أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن ولم يزل أهل السنة على ذلك حتى نبغت نابغة من المعتزلة والقدرية فأنكرت ذلك وقالت بل ينشئهما الله يوم القيامة، وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة لما يفعله الله وأنه ينبغي أن يفعل كذا ولا ينبغي له أن يفعل كذا وقاسوه على خلقه في أفعالهم فهم مشبهة في الأفعال، ودخل التجهم فيهم فصاروا مع ذلك معطلة، وقالوا خلق الجنة قبل الجزاء عبث لأنها تصير معطلة مدداً متطاوله، فردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للرب تعالى، وحرفوا النصوص عن مواضعها وضللوا وبدعوا من خالف شريعتهم.

فمن نصوص الكتاب قوله تعالى عن الجنة: ﴿أَعَدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣] ﴿أَعَدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [الحديد: ٢١]، وعن النار: ﴿أَعَدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]، ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿١١﴾ لِلطَّغْيِينَ مَتَابًا ﴿١٢﴾﴾ [النبا: ٢١ - ٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴿١٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴿١٥﴾﴾ [النجم: ١٣ - ١٥]، وقد رأى النبي ﷺ سدرة المنتهى ورأى عندها جنة المأوى كما في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه في قصة الإسراء وفي آخره: «ثم انطلق بي جبرائيل حتى أتى سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدري ما هي؟ قال: ثم دخلت الجنة فإذا هي جنازة اللؤلؤ وإذا ترابها المسك»<sup>(٢)</sup>.

(٢) سبق تخريجه.

(١) انظر: حادي الأرواح (ص ١٨).

وفي «الصحيحين» من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة)<sup>(١)</sup>.

وتقدم حديث البراء بن عازب وفيه: «ينادي منادي من السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها»<sup>(٢)</sup>.

وتقدم حديث أنس بمعنى حديث البراء، وفي «صحيح مسلم» عن عائشة رضي الله عنها قالت: «خسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ...» فذكرت الحديث، وفيه: قال رسول الله ﷺ: (رأيت في مقامي هذا كل شيء وعدتم به حتى لقد رأيتني آخذ قطعاً من الجنة حين رأيتموني تقدمت، ولقد رأيت النار يحطم بعضها بعضاً حين رأيتموني تأخرت)<sup>(٣)</sup>.

وفي الصحيحين واللفظ للبخاري عن عبد الله بن عباس قال: «انخسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ...» فذكر الحديث، وفيه: فقالوا: يا رسول الله رأيناك تناولت شيئاً في مقامك ثم رأيناك تكعكت فقال: (إن رأيت الجنة وتناولت عنقوداً ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا ورأيت النار فلم أر منظراً كالיום قط أظفر ورأيت أكثر أهلها النساء)، قالوا: بم يا رسول الله؟ قال: (بكفرهن) قيل: أيكفرن بالله؟ قال: (يكفرن العشير ويكفرن الإحسان لو أحسن إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئاً قالت: ما رأيت خيراً قط)<sup>(٤)</sup>.

وفي «صحيح مسلم» من حديث أنس: (وأيم الذي نفسي بيده لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلاً وبكيتم كثيراً)، قالوا: وما رأيت يا رسول الله؟ قال: (رأيت الجنة والنار)<sup>(٥)</sup>.

وفي «الموطأ» و«السنن» من حديث كعب بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ:

(١) أخرجه البخاري (١٣٧٩)، ومسلم (٢٨٦٦).

(٢) سبق تخريجه. (٣) أخرجه مسلم (٩٠١).

(٤) أخرجه البخاري (١٠٥٢)، ومسلم (٩٠٧).

(٥) أخرجه مسلم (٤٢٦).

(إنما نسمة المؤمن طير تعلق في شجر الجنة حتى يرجعها الله إلى جسده يوم القيامة، وهذا صريح دخول الروح في الجنة قبل يوم القيامة)<sup>(١)</sup>.

وفي «صحيح مسلم» و«السنن» و«المسند» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبرائيل إلى الجنة فقال: اذهب فانظر إليها وإلى ما أعدت لأهلها فيها، فذهب فنظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها، فرجع فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها، فأمر بالجنة فحفت بالمكاره، فقال: ارجع فانظر إليها وإلى ما أعدت لأهلها فيها، قال: فنظر إليها ثم رجع، فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد، قال: ثم أرسله إلى النار، قال: اذهب فانظر إليها وإلى ما أعدت لأهلها فيها، قال: فنظر إليها فإذا هي يركب بعضها بعضاً، ثم رجع فقال: وعزتك لا يدخلها أحد سمع بها، فأمر بها فحفت بالشهوات ثم قال: اذهب فانظر إلى ما أعدت لأهلها فيها، فذهب فنظر إليها فرجع فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها)<sup>(٢)</sup>، ونظائر ذلك في السنة كثيرة.

وأما على قول من قال: إن الجنة الموعود بها هي الجنة التي كان فيها آدم ثم أخرج منها، فالقول بوجودها الآن ظاهر والخلاف في ذلك معروف.

وأما شبهة من قال إنها لم تخلق بعد وهي أنها لو كانت مخلوقة الآن لوجب اضطراراً أن تفتن يوم القيامة وأن يهلك كل من فيها ويموت لقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] و﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وقد روى الترمذي في جامعه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لقيت إبراهيم ليلة أسري بي فقال: يا محمد أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر)<sup>(٣)</sup>. قال: هذا حديث حسن غريب.

وفيه أيضاً من حديث أبي الزبير عن جابر عن النبي ﷺ أنه قال: (من قال:

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٤٤)، والترمذي (٢٥٦٣)، والنسائي (٣/٧ - ٤).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٤٥٨)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٠٥).

سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة<sup>(١)</sup>. قال: هذا حديث حسن صحيح. قالوا: فلو كانت مخلوقة مفروغاً منها لم تكن قيعاناً ولم يكن لهذا الغراس معنى. قالوا: وكذا قوله تعالى عن امرأة فرعون أنها قالت: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ [التحریم: ١١].

فالجواب: إنكم إن أردتم بقولكم إنها الآن معدومة بمنزلة النفخ في الصور وقيام الناس من القبور، فهذا باطل يرده ما تقدم من الأدلة وأمثالها مما لم يذكر، وإن أردتم أنها لم يكمل خلق جميع ما أعد الله فيها لأهلها، وأنها لا يزال الله يحدث فيها شيئاً بعد شيء وإذا دخلها المؤمنون أحدث الله فيها عند دخولهم أموراً آخر فهذا حق لا يمكن رده، وأدلتكم هذه إنما تدل على هذا القدر.

وأما احتجاجكم بقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، فأنتم من سوء فهمكم معنى الآية، واحتجاجكم بها على عدم وجود الجنة والنار الآن نظير احتجاج إخوانكم على فنائهما وخرابهما وموت أهلها، فلم توفقوا أنتم ولا إخوانكم لفهم معنى الآية، وإنما وفق لذلك أئمة الإسلام، فمن كلامهم أن المراد كل شيء مما كتب الله عليه الفناء والهلاك هالك والجنة والنار خلقنا للبقاء لا للفناء، وكذلك العرش فإنه سقف الجنة، وقيل: المراد إلا ملكه، وقيل: إلا ما أريد به وجهه، وقيل: إن الله تعالى أنزل: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦].

فقال الملائكة هلك أهل الأرض وطمعوا في البقاء، فأخبر تعالى عن أهل السماء والأرض أنهم يموتون فقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] لأنه حي لا يموت، فأيقنت الملائكة عند ذلك بالموت، وإنما قالوا ذلك توفيقاً بينها وبين النصوص المحكمة الدالة على بقاء الجنة وعلى بقاء النار أيضاً على ما يذكر عن قريب إن شاء الله تعالى.

وقوله: «لا تفنيان أبداً ولا تسيدان». هذا قول جمهور الأئمة من السلف والخلف.

وقال ببقاء الجنة وبفناء النار: جماعة من السلف والخلف، والقولان المذكوران في كثير من كتب التفسير وغيرها. وقال بفناء الجنة والنار: الجهم بن صفوان إمام

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٦٠).

المعطلة، وليس له سلف قط لا من الصحابة ولا من التابعين لهم بإحسان ولا من أئمة المسلمين ولا من أهل السنة، وأنكره عليه عامة أهل السنة وكفروه به وصاحوا به وبأتباعه من أقطار الأرض، وهذا قاله لأصله الفاسد الذي اعتقده وهو امتناع وجود ما لا يتناهى من الحوادث وهو عمدة أهل الكلام المذموم التي استدلوا بها على حدوث الأجسام وحدث ما لم يَخُلْ من الحوادث، وجعلوا ذلك عمدتهم في حدوث العالم، فرأى جهم أن ما يمنع من حوادث لا أول لها في الماضي يمنعه في المستقبل، فدوام الفعل عنده على الرب في المستقبل ممتنع كما هو ممتنع عنده عليه في الماضي، وأبو الهذيل العلاف شيخ المعتزلة وافقه على هذا الأصل لكن قال: إن هذا يقتضي فناء الحركات، فقال بفناء حركات أهل الجنة حتى يصيروا في سكون دائم لا يقدر أحد منهم على حركة، وقد تقدم الإشارة إلى اختلاف الناس في تسلسل الحوادث في الماضي والمستقبل، وهي مسألة دوام فاعلية الرب تعالى وهو لم يزل رباً قادراً فعلاً لما يريد، فإنه لم يزل حياً عليمًا قديراً، ومن المحال أن يكون الفعل ممتنعاً عليه لذاته ثم ينقلب فيصير ممكناً لذاته من غير تجلد شيء، وليس للأول حد محدود حتى يصير الفعل ممكناً له عند ذلك الحد ويكون قبله ممتنعاً عليه، فهذا القول تصوره كاف في الجزم بفساده.

فأما أبدية الجنة وأنها لا تفنى ولا تبيد، فهذا مما يعلم بالضرورة أن الرسول أخبر به. قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُئِلُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْدُورٌ﴾ [هود: ١٠٨]، أي: غير مقطوع ولا ينافي ذلك قوله: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾.

واختلف السلف في هذا الاستثناء، فقليل معناه: إلا مدة مكثهم في النار، وهذا يكون لمن دخل منهم إلى النار ثم أخرج منها لا لكلهم.

وقيل: إلا مدة مقامهم في الموقف، وقيل: إلا مدة مقامهم في القبور والموقف. وقيل: هو استثناء الرب ولا يفعله، كما تقول: والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك، وأنت لا تراه بل تجزم بضره.

وقيل: إلا بمعنى الواو، وهذا على قول بعض النحاة وهو ضعيف، وسيبويه يجعل إلا بمعنى لكن، فيكون الاستثناء مقطوعاً، ورجحه ابن جرير وقال: إن الله تعالى لا

خُلف لوعده، وقد وصل الاستثناء بقوله: ﴿عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْدُوزٌ﴾ قالوا: ونظيره أن تقول: أسكتك داري حولاً إلا ما شئت؛ أي: سوى ما شئت، ولكن ما شئت من الزيادة عليه. وقيل: الاستثناء لإعلامهم بأنهم مع خلودهم في مشيئة الله لأنهم لا يخرجون عن مشيئته، ولا ينافي ذلك عزيمته وجزمه لهم بالخلود كما في قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ شِئْنَا لَنُدْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا يَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ (٨٦) [الإسراء: ٨٦]، وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ يُخَيِّرْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشورى: ٢٤]، وقوله: ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُمْ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَأْتُكُمْ فِيهِ﴾ [يونس: ١٦]، ونظائره كثيرة يخبر عباده سبحانه أن الأمور كلها يمشيئته، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

وقيل: إن «ما» بمعنى «من» أي: إلا من شاء الله دخوله النار بذنوبه من السعداء وقيل غير ذلك، وعلى كل تقدير فهذا الاستثناء من المتشابه، وقوله: ﴿عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْدُوزٌ﴾ محكم، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقًا مَّا لَكُمْ مِنْ تَفَادٍ﴾ (٥٤) [ص: ٥٤]، وقوله: ﴿أَكَلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥]، وقوله: ﴿وَمَا هُمْ بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨]، وقد أكد الله خلود أهل الجنة بالتأبيد في عدة مواضع من القرآن وأخبر أنهم: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ﴾ [الدخان: ٥٦]، وهذا الاستثناء منقطع، وإذا ضممته إلى الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ تبيين أن المراد من الآيتين استثناء الوقت الذي لم يكونوا فيه في الجنة من مدة الخلود كاستثناء الموتة الأولى من جملة الموت، فهذه موتة تقدمت على حياتهم الأبدية، وذلك مفارقة للجنة تقدمت على خلودهم فيها.

والأدلة من السنة على أبدية الجنة ودوامها كثيرة كقوله ﷺ: (من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس ويخلد ولا يموت). وقوله ﷺ: (ينادي مناد يا أهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وأن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وأن تحيوا فلا تموتوا أبداً)<sup>(١)</sup>. وتقدم ذكر ذبح الموت بين الجنة والنار، ويقال: «يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت»<sup>(٢)</sup>.

وأما أبدية النار<sup>(٣)</sup> ودوامها فللناس في ذلك ثمانية أقوال:

(٢) سبق تخريجه.

(١) أخرجه مسلم (٢٨٣٧).

(٣) انظر: حادي الأرواح (ص ٢٥٢).

أحدهما: أن من دخلها لا يخرج منها أبد الأباد، وهذا قول الخوارج والمعتزلة.  
والثاني: أن أهلها يعذبون فيها ثم تنقلب طبيعتهم وتبقى طبيعة نارية يتلذذون بها لموافقها لطبعهم، وهذا قول إمام الاتحادية ابن عربي الطائي.

الثالث: أن أهلها يعذبون فيها إلى وقت محدود ثم يخرجون منها ويخلفهم فيها قوم آخرون، وهذا القول حكاه اليهود للنبي وأكذبهم فيه، وقد أكذبهم الله تعالى فقال عز من قائل: ﴿وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا الْكَارِ إِلَّا أُنْيَامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أُنْخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۗ أَمْ فُلُؤُنَ عَلَىٰ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾﴾ [البقرة: ٨٠ - ٨١].

الرابع: يخرجون منها وتبقى على حالها ليس فيها أحد.  
الخامس: أنها تفتى بنفسها لأنها حادثة وما ثبت حدوثه استحالة بقاءه، وهذا قول الجهم وشيعته ولا فرق عنده في ذلك بين الجنة والنار كما تقدم.

السادس: تفتى حركات أهلها ويصيرون جماداً لا يحسون بالم، وهذا قول أبي الهذيل العلاف كما تقدم.

السابع: أن الله يخرج منها من يشاء كما ورد في الحديث ثم يبقيها شيئاً ثم يفتيها، فإنه جعل لها أمداً تنتهي إليه.

الثامن: أن الله تعالى يخرج منها من شاء كما ورد في السنة ويبقى فيها الكفار بقاء لا انقضاء له كما قال الشيخ رحمته الله.

وما عدا هذين القولين الأخيرين ظاهر البطلان.

وهذان القولان أهل السنة ينظر في أدلتهم.

فمن أدلة القول الأول منهما: قوله تعالى: ﴿قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٢٨]، وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٦٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٧٧﴾﴾ [هود: ١٠٦ - ١٠٧]، ولم يأت بعد هذين الاستثناءين ما أتى بعد الاستثناء المذكور لأهل الجنة وهو قوله: ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُورٍ﴾، وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾﴾ [النبا: ٢٣].

وهذا القول أعني القول بفناء النار دون الجنة منقول عن عمر وابن مسعود وأبي هريرة وأبي سعيد وغيرهم.

وقد روى عبد بن حميد في تفسيره المشهور بسنده إلى عمر رضي الله عنه أنه قال: لو لبث أهل النار في النار كقدر رمل عالج لكان لهم على ذلك وقت يخرجون فيه ذكر ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿لَيْثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ [٣٣] قالوا: والنار موجب غضبه والجنة موجب رحمته، وقد قال صلى الله عليه وسلم: (لما قضى الله الخلق كتب كتاباً فهو عنده فوق العرش إن رحمتي سبقت غضبي)<sup>(١)</sup>، وفي رواية: «تغلب غضبي»، رواه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قالوا: والله سبحانه يخبر عن العذاب أنه: ﴿عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأنعام: ١٥] و﴿الْيَوْمِ﴾ و﴿عَقِيرٍ﴾، ولم يخبر ولا في موضع واحد عن النعيم أنه نعيم يوم وقد قال تعالى: ﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وقال تعالى حكاية عن الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧]، فلا بد أن تسع رحمته هؤلاء المعذبين، فلو بقوا في العذاب لا إلى غاية لم تسعهم رحمته، وقد ثبت في الصحيح تقدير يوم القيامة بخمسين ألف سنة والمعذبون فيها متفاوتون في مدة لبثهم في العذاب بحسب جرائمهم، وليس في حكمة أحكم الحاكمين ورحمة أرحم الراحمين أن يخلق خلقاً يعذبهم أبد الآباد عذاباً سرمداً لا نهاية له، وأما أنه يخلق خلقاً ينعم عليهم ويحسن إليهم نعيماً سرمداً فمن مقتضى الحكمة والإحسان مراد لذاته والانتقام مراد بالعرض.

قالوا: وما ورد من الخلود فيها والتأبيد وعدم الخروج وأن عذابها مقيم وأنه غرام كله حق مُسَلَّم لا نزاع فيه، وذلك يقتضي الخلود في دار العذاب ما دامت باقية، وإنما يخرج منها في حال بقائها أهل التوحيد، ففرق بين من يخرج من الحبس وهو حبس على حاله، وبين من يبطل حبسه بخراب الحبس وانتقاضه.

ومن أدلة القائلين ببقائها وعدم فنائها قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٧] ﴿لَا يَفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْسُوتُونَ﴾ [الزخرف: ٧٥] ﴿فَلَنْ نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبا: ٣٠]، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [البينة: ٨]، ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨]، ﴿وَمَا هُمْ



يَخْرِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿البقرة: ١٦٧﴾، ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾  
[الأعراف: ٤٠]، ﴿لَا يُفَضِّلُ عَلَيْهِمْ فِيمَوْتُورًا وَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦]  
﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥] أي: مقيماً لازماً.

وقد دلت السنة المستفيضة أنه يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وأحاديث الشفاعة صريحة في خروج عصاة الموحدين من النار، وأن هذا حكم مختص بهم، فلو خرج الكفار منها لكانوا بمنزلتهم ولم يختص الخروج بأهل الإيمان وبقاء الجنة والنار ليس لذاتها بل بإبقاء الله لهما.

وقوله: «وخلق لهما أهلاً». قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّةِ وَالْإِنْسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩] الآية. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنازة صبي من الأنصار فقلت: يا رسول الله، طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة لم يعمل سوءاً ولم يدركه، فقال: (أو غير ذلك يا عائشة إن الله خلق للجنة أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم وخلق للنار أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم)<sup>(١)</sup>. رواه مسلم وأبو داود والنسائي.

وقال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان: ٢ - ٣]. والمراد الهداية العامة وأعم منها الهداية المذكورة في قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠]، فالموجودات نوعان أحدهما مسخر بطبعه والثاني متحرك بإرادته، فهدي الأول لما سخره له طبيعة، وهدي الثاني هداية إرادية تابعة لشعوره وعلمه بما ينفعه ويضره.

ثم قسم هذا النوع إلى ثلاثة أنواع:

نوع لا يريد إلا الخير ولا يتأتى منه إرادة سواء كالملائكة.

ونوع لا يريد إلا الشر ولا يتأتى منه إرادة سواء كالشياطين.

ونوع يتأتى منه إرادة القسمين كالإنسان ثم جعله ثلاثة أصناف: صنفاً يغلب إيمانه ومعرفته وعقله هواه وشهوته فيلتحق بالملائكة وصنفاً عكسه فيلتحق

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٢).

بالشياطين، وصنفاً تغلب شهوته البهيمية عقله فيلتحق بالبهائم.  
والمقصود أنه سبحانه أعطى الوجودين العيني والعلمي فكما أنه لا موجود إلا بإيجاده فلا هداية إلا بتعليمه وذلك كله من الأدلة على كمال قدرته وثبوت وحدانيته وتحقيق ربوبيته ﷻ.

وقوله: «فمن شاء منهم إلى الجنة فضلاً منه ومن شاء منهم إلى النار عدلاً منه..» إلخ. مما يجب أن يعلم الله تعالى لا يمنع الثواب إلا إذا منع سببه وهو العمل الصالح فإنه: ﴿وَمَنْ يَمَلْ مِنْ الصَّالِحِينَ وَهُوَ مُؤْتٍ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢]. وكذلك لا يعاقب أحداً إلا بعد حصول سبب العقاب فإن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا أَصْبَحُكُمْ مِنْ مَّصِيكَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

وهو سبحانه المعطي المانع لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، لكن إذا من على الإنسان بالإيمان والعمل الصالح فلا يمنعه موجب ذلك أصلاً بل يعطيه من الثواب والقرب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وحيث منعه ذلك فلا تنفاه سببه وهو العمل الصالح.

ولا ريب أنه يهدي من يشاء ويضل من يشاء، لكن ذلك كله حكمة منه وعدل، فمنعه للأسباب التي هي الأعمال الصالحة من حكمته وعدله، وأما المسببات بعد وجود أسبابها فلا يمنعها بحال إذا لم تكن أسباباً غير صالحة إما لفساد في العمل وإما لسبب يعارض موجهه ومقتضاه فيكون ذلك لعدم المقتضى أو لوجود المانع، وإذا كان منعه وعقوبته من عدم الإيمان والعمل الصالح وهو لم يعط ذلك ابتلاء وابتداء إلا حكمة منه وعدلاً فله الحمد في الحالين، وهو المحمود على كل حال كل عطاء منه فضل وكل عقوبة منه عدل، فإن الله تعالى حكيم يضع الأشياء في مواضعها التي تصلح لها كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، وكما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مِثْلُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣]. ونحو ذلك وسيأتي لذلك زيادة إن شاء الله تعالى.

## الشرح

### عناصر الموضوع:

#### ١ غرض المصنف من عقد هذا الباب:

أ - بيان معتقد أهل السنة والجماعة بأن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان دائماً لا تفنيان أبداً، وأن الله تعالى خلقهما وخلق لكل منهما أهلاً وكتب ذلك في اللوح المحفوظ قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة. وهذا مذهب الصحابة والتابعين من سلف الأمة.

ب - الرد على أهل البدع من المعتزلة والقدرية وغيرهم الذين قالوا أن الجنة والنار معدومتان وإنما تخلقان يوم القيامة، والصواب ما عليه أهل السنة والجماعة وهو ما قاله الصحابة والتابعون لهم بإحسان أنهما مخلوقتان الآن موجودتان دائماً لا تفنيان.

#### ٢ مناسبة هذا الباب لما سبق:

قرر المصنف فيما سبق أن من أصول أهل السنة والجماعة اتباع السنة والجماعة واجتناب الشذوذ والفرقة والخلاف، هذا ومما جاءت به النصوص الشرعية الإيمان بالمغيبات مثل الجنة والنار، وأنهما مخلوقتان موجودتان الآن دائماً لا تفنيان أبداً، وأن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق وخلق لهما أهلاً.

#### ٣ معاني الكلمات:

المعنى	الكلمة
لا تنقضيان ولا ينتهي وجودهما.	لا تفنيان أبداً ولا تبيدان
ترتيب أمور غير متناهية.	التسلسل
ما يمنع من حصول الشيء.	المانع
مكتوبان مرادان.	مقدران

معنى كلام الطحاوي: «والجنة والنار مخلوقتان لا تفتيان أبداً ولا تبيدان، وأن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق، وخلق لهما أهلاً، فمن شاء منهم إلى الجنة فضلاً منه، ومن شاء منهم إلى النار عدلاً منه، وكل يعمل لما قد فرغ له، وصائر إلى ما خلق له. والخير والشر مقدران على العباد»:

يؤمن أهل السنة بالجنة والنار وأنها مخلوقتان وموجودتان الآن، فالجنة دار المتقين، والنار دار الكافرين والمذنبين، فأما نار المذنبين فتفنى، وأما نار الكافرين فلا تفنى، وأما الجنة فإنها لا تفنى أبداً، وقد خلقها الله قبل الخلق، وقد خلق الله لكل منهما أهلاً، أما أهل الجنة فييسرون لعمل أهل الجنة، وأما أهل النار فييسرون لعمل أهل النار، فأهل الجنة يدخلونها بفضل الله ورحمته، وأهل النار يدخلونها بعدل الله، وكل واحد يعمل على حسب ما قدره الله له وكل واحد يصير إلى ما قدره الله له، فالخير والشر كلاهما كائن بقضاء الله وقدره، كما قال تعالى: ﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تُصِيبَهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨]؛ فكل شيء يجري في هذا الكون من خير وشر إنما بتقدير الله وإرادته، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

#### لماذا عقد المصنف هذا المبحث؟

لرد على الجهمية والمعتزلة القائلين بأن الجنة والنار لم تخلقا بعد، وأنهما تفتيان يوم القيامة.

#### تعريف الجنة ولما سُميت بذلك ومكانها:

الجنة لغة: هي البستان الكثير الأشجار. وشرعاً: هي دار النعيم التي أعدها الله في الآخرة للمؤمنين المتقين المخلصين لله المتبعين لرسوله. وسميت بذلك إما تشبيهاً بالجنة في الأرض وإن كان بينهما بون شاسع، وإما لستره نعيمها عنا المشار إليها بقوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]<sup>(١)</sup>.

وهي في أعلى عليين لقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين: ١٨].

(١) انظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن (ص ٩٦)، ولمعة الاعتقاد (ص ١٣١).

تعريف النار في اللغة والشرع ومكانها:

٧ النار في اللغة تقال للهب الذي يبدو للحاسة، وللحرارة المجردة، ولنار جهنم، ولنار الحرب. وفي الشرع: هي دار العذاب التي أعدها الله في الآخرة للكافرين الذين كفروا بالله وعصوا رسله<sup>(١)</sup>.

وهي في أسفل السافلين لقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾﴾ [المطففين: ٧].

٨ الجنة والنار مخلوقتان موجودتان:

اتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن ولم يزل أهل السنة على ذلك حتى نبغت نابغة من المعتزلة<sup>(٢)</sup> والقدرية فأنكرت ذلك وقالت بل ينشئها الله يوم القيامة، وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة لما يفعله الله، وأنه ينبغي أن يفعل كذا ولا ينبغي له أن يفعل كذا، وقاسوه على خلقه في أفعالهم، فهم مشبهة في الأفعال ودخل التجهم فيهم فصاروا مع ذلك معطلة، وقالوا: خلق الجنة قبل الجزاء عبث لأنها تصير معطلة مدداً متطاوله فردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للرب تعالى، وحرفوا النصوص عن مواضعها وضللوا وبدعوا من خالف شريعتهم.

فمن نصوص الكتاب قوله تعالى عن الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣] ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [الحديد: ٢١]، وعن النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]، ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿١١﴾ لِلطَّغْيِينِ مَتَابًا ﴿١٢﴾﴾ [النبا: ٢١، ٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾﴾ [النجم: ١٣ - ١٥]، وقد رأى النبي ﷺ سدرة المنتهى ورأى عندها جنة المأوى كما في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه في قصة الإسراء وفي آخره: «ثم انطلق بي جبرائيل حتى أتى سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدري ما هي قال: ثم دخلت الجنة فإذا هي جنابذة اللؤلؤ وإذا ترابها المسك».

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن

(١) انظر: لمعة الاعتقاد (ص ١٣١ - ١٣٣).

(٢) انظر: الفصل (٤/١٤١).

كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة». وتقدم حديث البراء بن عازب وفيه: (ينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها). وتقدم حديث أنس بمعنى حديث البراء، وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: خسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ فذكرت الحديث وفيه قال رسول الله ﷺ: (رأيت في مقامي هذا كل شيء وعدتم به، حتى لقد رأيتني آخذ قطعاً من الجنة حين رأيتموني تقدمت، ولقد رأيت النار يحطم بعضها بعضاً حين رأيتموني تأخرت). وفي الصحيحين واللفظ للبخاري عن عبد الله بن عباس قال: انخسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ فذكر الحديث وفيه: (فقالوا يا رسول الله رأيناك تناولت شيئاً في مقامك ثم رأيناك تكعكعت فقال: إني رأيت الجنة وتناولت عنقوداً ولو أصبته لأكلت من ما بقيت الدنيا، ورأيت النار فلم أر منظراً كالיום قط أظع، ورأيت أكثر أهلها النساء، قالوا: بم يا رسول الله؟ قال: بكفرهن، قيل: أيكفرن بالله؟ قال: يكفرن العشير ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئاً قالت: ما رأيت خيراً قط).

وفي صحيح مسلم من حديث أنس: (وايم الذي نفسي بيده لو رأيت ما رأيت لضحكتم قليلاً وبكيتم كثيراً، قالوا: وما رأيت يا رسول الله؟ قال: رأيت الجنة والنار).

وفي الموطأ والسنن من حديث كعب بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: (إنما نسمة المؤمن طير تعلق في شجر الجنة حتى يرجعها الله إلى جسده يوم القيامة وهذا صريح دخول الروح في الجنة قبل يوم القيامة).

وفي صحيح مسلم والسنن والمسند من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبرائيل إلى الجنة فقال: اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فذهب فنظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها فرجع فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها، فأمر بالجنة فحُصَّت بالمكاره فقال: ارجع فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها قال: فنظر إليها ثم رجع فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد، قال: ثم أرسله إلى النار قال: اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال: فنظر إليها فإذا هي يركب بعضها بعضاً ثم رجع فقال: وعزتك لا يدخلها أحد سمع بها، فأمر بها فحفت بالشهوات ثم قال:

انهب فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها، فذهب فنظر إليها فرجع فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها). ونظائر ذلك في السنة كثيرة.

٩ الجنة والنار لا تفتيان:

الجنة والنار لا تفتيان، هذا قول جمهور الأئمة من السلف والخلف.

١٠ المخالفون لأهل السنة في خلق الجنة والنار ووجودهما:

اختلف في وجودهما الآن على قولين:

أ - مذهب الجمهور أنهما مخلوقتان موجودتان... الآن.

ب - وذهب بعض المعتزلة<sup>(١)</sup> إلى إنكار وجودهما الآن وقالوا ينشئهما الله يوم القيامة.

أدلة كل قول:

أ - استدل الجمهور على قولهم بعدة أدلة من الكتاب والسنة والإجماع.

أولاً: من الكتاب:

١ - قوله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

٢ - قوله في شأن النار: ﴿ وَأَنْفِقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣١].

٣ - قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴾ [النجم: ١٣ - ١٥].

فأخبر سبحانه أن جنة المأوى عند سدرة المنتهى ولو كانت غير موجودة لما شاع هذا التعبير.

٤ - قوله تعالى: ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٦﴾ لِلطَّغْيِينِ مَتَابًا ﴿٧﴾ ﴾ [النبأ: ٢١، ٢٢].

ثانياً: من السنة:

١ - ما روي عن أنس رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده: لو رأيتم ما رأيتم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً. قالوا: وما رأيتم؟ قال: رأيت الجنة والنار).

٢ - ما روي عن عبد الله بن عباس أنه قال: انخسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث وفيه، قالوا: «رأيناك يا رسول الله تناولت شيئاً في مقامك ثم تكعكت فقال: رأيت الجنة وتناولت عنقوداً لو أصبته لأكلتم منه ما

(١) انظر: الفصل (٤/١٤١)، وحادي الأرواح (ص ٤٥).

بقيت الدنيا، ورأيت النار فلم أر منظراً كالיום قط أفضح ورأيت أكثر أهلها من النساء قالوا: بم يا رسول الله؟ قال: بكفرهن، قيل: أيكفرن بالله قال: يكفرن العشير ويكفرن الإحسان» الحديث.

٣ - ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبريل إلى الجنة فقال: انظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها. فذهب ينظر إليها فرجع فقال: والذي نفسي بيده لا يسمع بها أحد إلا دخلها، ثم أمر بها فحفت بالمكاره فقال: ارجع فانظر ما أعددت لأهلها فيها فرجع فنظر إليها فقال: والذي نفسي بيده لخشيت ألا يدخلها أحد أبداً، ثم أرسله إلى النار فقال: انظر إليها وما أعددت لأهلها فيها، وذهب ونظر إليها، فرأها يركب بعضها بعضاً فقال: وعزتك لا يدخلها أحد سمع بها ثم أمر بها فحفت بالشهوات» الحديث.

ثالثاً: الإجماع:

فقد اتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، ولم يزل أهل السنة على ذلك حتى نبتت نابتة من المعتزلة فأنكرت ذلك. شبهات المعتزلة القائلين بأنهما غير مخلوقتين الآن. قالوا:

١ - لو كانتا موجودتين الآن للزم عليه ما اضطراراً أن تفنيا يوم القيامة، وأن يهلك كل ما فيهما ويموت لقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨].  
٢ - لو كانتا موجودتين الآن لزم عليه العبث لبقائهما زمناً متطاولاً معطلتين وأفعاله ﷺ منزهة عن العبث.

٣ - قالوا: «وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: (لقيت إبراهيم ليلة أسرى بي فقال: يا محمد أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة عذبة الماء وأنها قيعان، غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر). وقال تعالى حكاية عن امرأة فرعون: ﴿رَبِّ أَبْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ [التحریم: ١١]، قالوا: فلو كانت الجنة مفروغاً منها لما كانت قيعاناً، ولما كان لهذا الغراس معنى، ولما ساغ دعاء امرأة فرعون.

الرد على شبهتهم:

أولاً: أما استدلالهم بقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] فيجيب عنه بأن المراد كل شيء مما كتب الله عليه الهلاك والفناء، والجنة والنار



خلقتا للبقاء... وقيل: كل عمل هالك باطل إلا ما أريد به وجهه... وقيل: إنه لما أنزل الله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦] قال الملائكة: هلك أهل الأرض وطمعوا في البقاء، فأنزل الله ﷻ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصر: ٨٨] فأيقنت الملائكة عند ذلك بالموت.

ثانياً: أما الشبهة الثانية فهي شبهة باطلة نشأت من قياس أفعال الله على أفعال خلقه، وهو قياس مع الفارق، لأنه سبحانه لا يُسأل عما يفعل، ثم إننا لا نسلم أنه يلزم على خلقهما الآن العبث لبقائهما معطلتين بل نقول: إن الجنة والنار يحصل لهما آثار قبل يوم القيامة، فقد ورد أن العبد المؤمن يأتيه من روح الجنة وطيبها ويفتح له باب إلى الجنة، وأن العبد الكافر يأتيه من حر النار وسمومها، كما ورد أن بعض أرواح المؤمنين في الجنة وأرواح الكافرين في النار، وهذا ينفي ما زعموه.

ثالثاً: أما الشبهة الثالثة: فيجاء عنها بأن ما ذكره «لا يدل على عدم خلق الجنة والنار ووجودهما الآن، غاية ما فيه: الإخبار بأن الله ﷻ لم يكمل خلق الجنة أنه لا يزال يحدث فيها شيئاً بعد شيء حتى إذا دخلها المؤمنون أحدث فيها أشياء لم تكن فيها قبل هذا، وهذا أمر خارج عن محل النزاع».

### ١١) المخالفون لأهل السنة في شأن فناء الجنة والنار ودوامهما:

اختلف في ذلك على أقوال عدة أهمها:

- أ - قال الجمهور ببقائهما وعدم فنائهما. وبه قال جمهور الأمة من السلف.
- ب - ونقل عن بعض السلف أنه قال ببقاء الجنة وفناء النار ولو بعد حين.
- ج - ويرى الجهم بن صفوان أن الجنة والنار غير باقيتين.
- د - ونسب إلى ابن القيم القول ببقاء الجنة والتوقف في النار. كما في حادي الأرواح فعله رجع عنه فله عبارات أخرى تبين تراجعاً عن هذا القول كما في الوابل الصيب (ص ٦٤) ط. دار البيان وزاد المعاد (٣/٣٢٧).

### الأدلة:

أ - استدلل الجمهور على بقاء الجنة: بقول الله تعالى: ﴿أَكَلُوا دَائِمًا وَظَلُّوا﴾

[الرعد: ٣٥].

فقد أخبر ﷻ أن أكلها وظلها دائمان...

وهذا يقتضي بقاءهما وعدم فنائهما، وكذلك قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨]، فقد أخبر سبحانه عن أصحاب

الجنة بأنهم لا يخرجون من الجنة ولم يحدد ذلك بزمن، فدل ذلك على عدم فنائها، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعُدُوا فِي الْجَنَّةِ خَلِيدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُورٍ﴾ [هود: ١٠٨]، فقد دلت الآيات على بقاء الجنة. ولا ينافي هذا الاستثناء ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ لأن الله ﷻ عقب عليه بقوله: ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُورٍ﴾، أي: غير مقطوع، أما الاستثناء فقد قيل:

- ١ - المراد: مدة مكثهم في النار، وهذا خاص لمن دخل منهم لا عام.
- ٢ - وقيل المراد: مدة مقامهم في الموقف وفي قبورهم.
- ٣ - وقيل المراد: إعلامهم بأنهم مع خلودهم في الجنة فمنهم داخلون تحت مشيئة الله.

أما أدلتهم من السنة:

فقد استدلوا بما ورد عنه ﷺ أنه قال: (من يدخل الجنة ينعم فلا يبؤس، ويخلد فلا يموت)، وكذلك ما روي عنه ﷺ أنه قال: (فينادي مناد يا أهل الجنة أن لكم أن تصحوا فلا تسقموا، وأن تشبوا فلا تهرموا أبداً... وأن تحيوا فلا تموتوا أبداً).  
أما أدلتهم على بقاء النار فما يأتي:

- ١ - قوله تعالى في أصحاب النار: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧].
  - ٢ - قوله سبحانه: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُحْيَفَ عَنْهُمْ مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦].
  - ٣ - قوله ﷻ: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠].
- أما من السنة:

ما روي عنه: (أنه يؤتى بالموت على صورة كبش أقرن، فيذبح بين الجنة والنار فيقال: يا أهل الجنة، خلود بلا موت، ويا أهل النار خلود بلا موت).  
ب - أدلة القائلين بقاء النار فقط:

- ١ - قوله تعالى: ﴿لَيْثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ [النبا: ٢٣]، والأحقاب جمع حقب وهو مدة محدودة من الزمن.

٢ - قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ [الجن: ١٦] خَلِيدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٦، ١٠٧]، ولم يأت بعد هذا الاستثناء ما يدل على استمرار بقائهم في النار كما في الآيات التي وردت في أهل الجنة، فورود ما يدل على استمرار العطاء لأهل الجنة دون أهل النار يدل على أن الجنة باقية وأن النار فانية.

٣ - ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «لو لبث أهل النار في النار كقدر رمل عالج، لكان لهم على ذلك وقت يخرجون فيه».

شبهة القائلين بقاء الجنة والنار - وهم جهنم وأتباعه - هي:

أن الجنة والنار حادثتان وكل حادث يفنى فالجنة والنار تفنيان، كما استدل بقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [الفصص: ٨٨].

يجاب عن الشبهة الأولى: إن بقاء الجنة والنار ليس بذاتهما ولكن بإبقاء الله تعالى لهما.

أما عن الاستدلال بالآية: فيجاب عن الآية بما سبق وإن ما ذكرناه من أن المراد كل شيء مما كتب الله عليه الفناء فهو هالك، والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء. بهذا يبطل ما ذهب إليه الجهنم وأتباعه.

المختار من الرايين السابقين:

من السلف من اختار القول بقاء النار... والجمهور على أن الجنة والنار باقيتان، وابن القيم رحمته الله يفهم مما ذكره في شفاء العليل أنه يختار القول بقاء النار ويفهم مما ذكره في اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية أنه يرى القول ببقاء الجنة والنار، أما في كتابه (حادي الأرواح) فقد ذهب إلى التوقف في هذه المسألة حيث قال كلاماً مفاده: «فإن قيل إلى أين إقدامكم في هذه المسألة العظيمة الشأن قلنا: عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧] قال: وإلى هنا انتهى قدم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب حيث ذكر دخول أهل الجنة وأهل النار وما يلاقيه كل منهما، ثم قال بعد ذلك ثم يفعل الله ما يشاء، ولعل ابن القيم رحمته الله قال بهذه الآراء الثلاثة جميعاً من باب تغيير الاجتهاد...

والراجع والله أعلم: القول ببقاء النار كما هو مذهب جمهور أهل السنة، أما الاستدلالات على صحة القول الثاني فليس فيها من الدلالة بما يقوى على معارضة أدلة القول الأول، أما قول عمر فيجاب عنه بما يأتي:

١ - أنه ضعيف لا يثبت.

٢ - على فرض صحته فقد روي بطريق مطول غير هذا، وهو أنه مر على كتيب من الرمل فبكى، قالوا: وما يبكيك؟ قال: ذكرت النار وأهلها، ثم قال: (لو لبث أهل النار في النار كقدر رمل عالج لكان لهم وقت يخرجون منها ولكنه الخلود أبداً)، فهذا يعطي خلاف ما استدل به عليه، لأن المعنى: «لو قدر الله مكث أهل

النار كقدر رمل عالج فكأنهم سيخرجون لكنه الخلود أبداً. إذ إنه لا يقدر عدد معين، والله أعلم».

### ١٢ أقوال الناس في أبدية النار ودوامها:

للناس في ذلك ثمانية أقوال:

- ١ - أنه من دخلها لا يخرج منها أبد الآباد، وهذا قول للخوارج والمعتزلة.
- ٢ - أن أهلها يعذبون فيها... ثم تنقلب طبيعتهم وتبقى طبيعة نارية يتلذذ بها لموافقته لطبعهم، وهذا قول ابن عربي إمام الصوفية الاتحادية.
- ٣ - أن أهلها يعذبون فيها إلى وقت محدود، ثم يخرجون منها ويخلفهم فيها قوم آخرون... وهذا القول حكاه اليهود للنبي ﷺ وكذبهم الله تعالى، وقال سبحانه: ﴿وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا الْكَارُ إِلَّا أُنْيَامًا مَعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠].
- ٤ - قال قوم: يخرجون منها وتبقى على حالها. ليس فيها أحد.
- ٥ - إنها تفتنى بنفسها لأنها حادثة وما ثبت حدوثه استحالة بقاءه، وهذا قول الجهم وشيعته، ولا فرق عنده في ذلك بين الجنة والنار كما تقدم.
- ٦ - تفتنى حركات أهلها ويصيرون جماداً لا يحسون بألم، وهذا قول القلائل.
- ٧ - إن الله يخرج منها من يشاء ثم يبقئها زمناً، ثم يعفو ثم يفنيها، فإنه جعل لها أمداً تنتهي إليه.
- ٨ - إن الله يخرج منها من يشاء ويبقى فيها الكفار بقاء لا انقضاء له. والقولان الأخيران لأهل السنة وما عداهما باطل لا محالة. وهذان القولان قد تقدم تقرير أدلة كل منهما في الخلاف حول ثبوت أبدية الجنة والنار.

فأما القول الأول: وبه قال بعض الصحابة كعمر وابن مسعود فيما روي عنهم واستدلوا على ذلك علاوة على تقدم بالنصوص الدالة على سعة عفو الله وإن رحمته سبقت غضبه... قالوا: ولا بد أن تسع رحمته هؤلاء المعذبين، فلو بقوا في العذاب لا إلى غاية لم تسعهم رحمته، وقد قال: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] قالوا: وما ورد من النصوص بالخلود فيها والتأييد وعدم الخروج كله حق مسلم... لكنه يقتضي الخلود ما دامت باقية... وإنما يخرج منها في حال بقائها أهل التوحيد.

وأما القول الثاني: وبه قال جمهور الصحابة والتابعين أن النار باقية لا تفتنى

واستدلوا على ذلك علاوة على ما تقدم بقوله تعالى لأهل النار: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبا: ٣٠]، كما استدلوا بالآية المتقدمة التي أنزلها الله رداً على اليهود، فقد دلت السنة المستفيضة أنه يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وأحاديث الشفاعة صريحة في خروج عصاة الموحدين من النار وإن هذا حكم مختص بهم، فلو خرج الكفار منها لكانوا بمنزلتهم، ولم يختص الخروج بأهل الإيمان وبقاء الجنة والنار ليس بذاتهما ولكن بإبقاء الله لهما.

### الترجيح:

والقول الأخير: وهو بقاء النار ودوامها هو الذي تسكن إليه النفس ويطمئن إليه القلب لصراحة أدلته المتقدمة. والله أعلم.

١٣ اختلاف أهل العلم في توجيه الاستثناء في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا ففِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُورٍ﴾ [هود: ١٠٨]:

اختلف السلف في توجيه هذا الاستثناء على أقوال منها:

- ١ - ف قيل معناه: «إلا مدة مكثهم في النار»، وهذا يكون لمن أدخل منهم إلى النار ثم أخرج منها، لا لكلهم، فهو خاص لا عام.
- ٢ - وقيل: إلا مدة مقامهم في الموقف.
- ٣ - وقيل: إلا مدة مقامهم في القبور والموقف.
- ٤ - وقيل: استثناء لإعلامهم بأنهم مع خلودهم داخلون تحت مشيئته لا يخرجون عنها، ولا ينافي ذلك عزمته وجزمه لهم بالخلود كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَأَلْنَا لَنذَهِبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: ٨٦]، وقوله: ﴿فَإِنْ يَشَاءَ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾ [الشورى: ٢٤] ونظائره كثيرة.
- ٥ - وقيل: أن (ما) بمعنى (من) أي إلا من شاء الله دخوله النار بذنوبه.
- ٦ - وقيل: (إلا) بمعنى (الواو)، وهذا على قول بعض النحاة وهو ضعيف، وسيبويه يجعل (إلا) بمعنى (لكن) فيكون الاستثناء منقطعاً، ورجحه ابن جرير وقال: إن الله لا يخلف وعده وقد وصل الاستثناء بقوله (عطاء غير) قالوا ونظيره أن تقول: أسكتك داري حولاً إلا ما شئت أي ما شئت (ولكن ما شئت من الزيادة عليه).
- ٧ - وقيل: هو استثناء الرب ولا يفعله كما تقول: والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك، وأنت لا تراه بل تجزم بضره.

## ١٤ حكم أطفال المسلمين في الآخرة:

روت عائشة رضي الله عنها قالت: «دعي رسول الله ﷺ إلى جنازة صبي من الأنصار فقلت: يا رسول الله طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة لم يعمل سوءاً ولم يدركه فقال: (أو غير ذلك يا عائشة إن الله خلق للجنة أهلاً لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلاً لها وهم في أصلاب آبائهم...) رواه مسلم.

## ١٥ أنواع المخلوقات من حيث الإرادة:

- الموجودات نوعان:

أحدهما: مسخر بطبعه هداة الله لما سخره له طبعه كالشمس والقمر.

ثانيهما: متحرك بإرادته، وقد ركب الله فيه هداية إرادية شعورية تابعة لشعوره

وعلمه بما ينفعه ويضره. ثم قسم هذا النوع إلى ثلاثة أنواع:

١ - نوع لا يريد إلا الخير ولا يتأتى منه إرادة سواه كالملائكة.

٢ - نوع لا يريد إلا الشر ولا يتأتى منه إرادة سواه كالشياطين.

٣ - نوع يتأتى منه إرادة القسمين كالإنسان ثم جعله ثلاثة أصناف:

أ - صنف يغلب إيمانه ومعرفته وعقله هواه وشهوته، وهذا يلتحق بالملائكة.

ب - وصنف عكسه تماماً فيلتحق بالشياطين.

ج - وصنف تغلب شهوته البهيمية عقله فيلتحق بالبهائم.

## ١٦ منع الثواب عن العبد:

مما تجب معرفته أن الله لا يمنع الثواب إلا إذا منع سببه وهو العمل الصالح،

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه:

١١٢]، وكذلك لا يعاقب أحداً إلا بعد حصول سبب العقاب، فإن الله تعالى يقول:

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]

فلا ريب أنه يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ولكن ذلك كله حكمة منه وعدل،

فمنعه للأسباب التي هي الأعمال الصالحة من كمال حكمته وعدله سبحانه.

## ١٧ الخلاصة:

١ - يؤمن أهل السنة بالجنة والنار وأنهما مخلوقتان وموجودتان الآن، ولا تفنيان أبداً.

٢ - عقد المصنف هذا المبحث للرد على المعتزلة القائلين بأن الجنة والنار لم تخلقا بعد، وأنهما تفنيان يوم القيامة.

٣ - الجنة هي دار النعيم التي أعدها الله في الآخرة للمؤمنين المتقين المخلصين لله المتبعين لرسوله.

٤ - النار هي دار العذاب التي أعدها الله في الآخرة للكافرين الذين كفروا بالله وعصوا رسوله.

٥ - الموجودات نوعان: مسخر بطبعه، ومتحرك بإرادته.

٦ - مما تجب معرفته أن الله لا يمنع الثواب إلا إذا منع سببه وهو العمل الصالح، وكذلك لا يعاقب أحداً إلا بعد حصول سبب العقاب.

### ١٨ المناقشة:

• س١: اشرح قول الطحاوي: «والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبداً ولا تبيدان، وأن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق، وخلق لهما أهلاً، فمن شاء منهم إلى الجنة فضلاً منه، ومن شاء منهم إلى النار عدلاً منه، وكل يعمل لما قد فرغ له، وصائر إلى ما خلق له. والخير والشر مقدران على العباد».

• س٢: لماذا عقد المصنف هذا المبحث؟

• س٣: عرف الجنة، ولما سميت بذلك؟ وأين مكانها؟

• س٤: عرف النار في اللغة والشرع، وأين مكانها؟

• س٥: هل الجنة والنار مخلوقتان موجودتان؟

• س٦: هل الجنة والنار تفنيان؟ بين المذاهب في ذلك.

• س٧: اذكر مذهب المخالفين لأهل السنة في خلق الجنة والنار ووجودهما.

• س٨: اذكر المخالفين لأهل السنة في شأن فناء الجنة والنار ودوامهما.

• س٩: اذكر أقوال الناس في أبدية النار ودوامها.

• س١٠: بين اختلاف أهل العلم في توجيه الاستثناء في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُودُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوزٍ﴾ [هود: ١٠٨].

• س١١: ما حكم أطفال المسلمين في الآخرة؟ مع ذكر الدليل.

• س١٢: ما أنواع المخلوقات من حيث الهداية والإرادة؟ فصل القول في ذلك.

• س١٣: بين كيف يمنع الثواب عن العبد؟





## الاستطاعة

❖ كلام ابن أبي العز:

- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب.
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق.
- ٣ - معاني الكلمات.
- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «والاستطاعة التي يجب بها الفعل من نحو التوفيق الذي لا يجوز أن يوصف المخلوق به تكون مع الفعل، وأما الاستطاعة من جهة الصحة والوسع والتمكن وسلامة الآلات فهي قبل الفعل وبها يتعلق الخطاب وهو كما قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].
- ٥ - تعريف الاستطاعة.
- ٦ - أنواع الاستطاعة.
- ٧ - المقارنة بين الاستطاعة التي تكون قبل الفعل والاستطاعة التي تكون مع الفعل.
- ٨ - مذهب أهل السنة في مسألة الاستطاعة.
- ٩ - الأدلة على الاستطاعة.
- ١٠ - المخالفون لأهل السنة في مسألة الاستطاعة.
- ١١ - الخلاصة.
- ١٢ - المناقشة.

## الاستطاعة

قال ابن أبي العز:

قوله: «والاستطاعة التي يجب بها الفعل من نحو التوفيق الذي لا يجوز أن يوصف المخلوق به تكون مع الفعل، وأما الاستطاعة من جهة الصحة والوسع والتمكن وسلامة الآلات فهي قبل الفعل وبها يتعلق الخطاب وهو كما قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].»

الاستطاعة<sup>(١)</sup> والطاقة والقدرة والوسع ألفاظ متقاربة، وتنقسم الاستطاعة إلى قسمين كما ذكره الشيخ رحمته الله وهو قول عامة أهل السنة وهو الوسط، وقالت القدرية والمعتزلة لا تكون القدرة إلا قبل الفعل، وقابلهم طائفة من أهل السنة فقالوا لا تكون إلا مع الفعل.

والذي قاله عامة أهل السنة أن للعبد قدرة هي مناط الأمر والنهي، وهذه قد تكون قبله لا يجب أن تكون معه، والقدرة التي بها الفعل لا بد أن تكون مع الفعل لا يجوز أن يوجد الفعل بقدرة معدومة.

وأما القدرة التي<sup>(٢)</sup> من جهة الصحة والوسع والتمكن وسلامة الآلات فقد تقدم الأفعال، وهذه القدرة المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، فأوجب الحج على المستطيع، فلو لم يستطع إلا من حج لم يكن الحج قد وجب إلا على من حج ولم يعاقب أحداً على ترك الحج، وهذا خلاف المعلوم بالضرورة من دين الإسلام.

وكذلك قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، فأوجب التقوى بحسب الاستطاعة، فلو كان من لم يتق الله لم يستطع التقوى لم يكن قد أوجب التقوى إلا على من اتقى ولم يعاقب من لم يتق وهذا معلوم الفساد.

(١) انظر: منهاج السنة (٣/٤١ - ٥٣). (٢) انظر: الفتاوى (٨/٣٧٢).

وكذا قوله تعالى: ﴿فَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِيْنًا﴾ [المجادلة: ٤] المراد منه استطاعة الأسباب والآلات، وكذا ما حكاه سبحانه من قول المنافقين: ﴿لَوْ اَسْتَطَعْنَا لَمَرْجَحًا مَعَكُمْ﴾ [التوبة: ٤٢] وكذبهم في ذلك القول، ولو كانوا أرادوا الاستطاعة التي هي حقيقة قدرة الفعل ما كانوا بنفيهم عن أنفسهم كاذبين وحيث كذبهم دل على أنهم أرادوا بذلك المرض أو فقد المال على ما بيّن تعالى بقوله: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى﴾ [التوبة: ٩١]، إلى أن قال: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ﴾ [التوبة: ٩٣]، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٢٥]، والمراد استطاعة الآلات والأسباب، ومن ذلك قوله ﷺ لعمران بن حصين: «صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب»<sup>(١)</sup>، إنما نفى استطاعة الفعل معها<sup>(٢)</sup>.

وأما ثبوت الاستطاعة التي هي حقيقة القدرة فقد ذكروا فيها قوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ [هود: ٢٠]، والمراد نفى حقيقة القدرة لا نفى الأسباب والآلات لأنها كانت ثابتة، وسيأتي لذلك زيادة بيان عند قوله: ولا يطبقون إلا ما كلفهم إن شاء الله تعالى، وكذا قول صاحب موسى: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٦٧] وقوله: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٢]، والمراد منه حقيقة قدرة الصبر لا أسباب الصبر وآلاته، فإن تلك كانت ثابتة له، ألا ترى أنه عاتبه على ذلك، ولا يلام من عدم آلات الفعل وأسبابه على عدم الفعل وإنما يلام من امتنع من الفعل لتضييع قدرة الفعل لاشتغاله بغير ما أمر به أو لعدم شغله إياها بفعل ما أمر به، ومن قال إن<sup>(٣)</sup> القدرة لا تكون إلا حين الفعل يقولون إن القدرة لا تصلح للضدين<sup>(٤)</sup>، فإن القدرة المقارنة للفعل لا تصلح إلا لذلك الفعل وهي مستلزمة له لا توجد بدونه.

وما قالته القدرية بناء على أصلهم الفاسد وهو إقدار الله للمؤمن والكافر والبر والفاجر سواء، فلا يقولون إن الله خص المؤمن المطيع بإعانة حصل بها الإيمان

(١) أخرجه البخاري (١١١٧).

(٢) في منهاج السنّة (فإنما نفى استطاعه لا فعل معها).

(٣) يعني: الأشاعرة. (٤) أي: الفعل والترك.

بل هذا بنفسه رجح الطاعة، وهذا بنفسه رجح المعصية، كالوالد الذي أعطى كل واحد من بنيه سيفاً فهذا جاهد به في سبيل الله وهذا قطع به الطريق.

وهذا القول فاسد باتفاق أهل السنة والجماعة المثبتين للقدر، فإنهم متفقون على أن الله على عبده المطيع نعمة دينية خصه بها دون الكافر، وأنه أعانه على الطاعة إعانة لم يعن بها الكافر كما قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧]، فالقدرية يقولون إن هذا التحبيب والتزيين عام في كل الخلق وهو بمعنى البيان وإظهار دلائل الحق، والآية تقتضي أن هذا خاص بالمؤمن ولهذا قال: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الرَّشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧] والكفار ليسوا راشدين، وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعْدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وأمثال هذه الآية في القرآن كثير يبين أن الله سبحانه هدى هذا وأضل هذا، قال تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّمْ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧]، وسيأتي لهذه المسألة زيادة بيان إن شاء الله تعالى.

وأيضاً فقول القائل يرجح بلا مرجح إن كان لقوله يرجح معنى زائد على الفعل فذاك هو السبب المرجح، وإن لم يكن له معنى زائد كان حال الفاعل قبل وجود الفعل كحاله عند الفعل، ثم الفعل حصل في إحدى الحالتين دون الأخرى بلا مرجح وهذا مكابرة للعقل، فلما كان أصل قول القدرية أن فاعل الطاعات وتاركها كلاهما في الإعانة والإقذار سواء امتنع على أصلهم أن يكون مع الفعل قدرة تخصه لأن القدرة التي تخص الفعل لا تكون للترك وإنما تكون للفاعل ولا تكون القدرة إلا من الله تعالى، وهم لما رأوا أن القدرة لا بد أن تكون قبل الفعل قالوا لا تكون مع الفعل لأن القدرة هي التي يكون بها الفعل والترك، وحال وجود الفعل يمتنع الترك، فلماذا قالوا: القدرة لا تكون إلا قبل الفعل، وهذا باطل مطلقاً، فإن وجود الأمر مع عدم بعض شروطه الوجودية ممتنع بل لا بد أن يكون جميع ما يتوقف عليه الفعل من الأمور الوجودية موجوداً عند الفعل فنيقض قولهم حق وهو أن الفعل لا بد أن يكون معه قدرة.

لكن صار أهل الإثبات هنا حزبين: حزب قالوا: لا تكون القدرة إلا معه، ظناً منهم أن القدرة نوع واحد لا يصلح للضدين، وظناً من بعضهم أن القدرة عرض<sup>(١)</sup>، فلا تبقى زمانين<sup>(٢)</sup>، فيمتنع وجودها قبل الفعل.

والصواب أن القدرة نوعان كما تقدم نوع مصحح للفعل يمكن معه الفعل والترك وهذه هي التي يتعلق بها الأمر والنهي وهذه تحصل للمطيع والعاصي وتكون قبل الفعل وهذه تبقى إلى حين الفعل إما بنفسها عند من يقول ببقاء الإعراض، وإما بتجدد أمثالها عند من يقول إن الأعراض لا تبقى زمانين، وهذه قد تصلح للضدين، وأمر الله مشروط بهذه الطاقة فلا يكلف الله من ليس معه هذه الطاقة وضد هذا العجز كما تقدم.

وأيضاً فالاستطاعة المشروطة في الشرع أخص من الاستطاعة التي يمتنع الفعل مع عدمها، فإن الاستطاعة الشرعية قد تكون ما يتصور الفعل مع عدمها وإن لم يعجز عنه فالشارع يبسر على عباده ويريد بهم اليسر ولا يريد بهم العسر، وما جعل عليكم في الدين من حرج، والمريض قد يستطيع القيام مع زيادة المرض وتأخر برئه، فهذا في الشرع غير مستطيع لأجل حصول الضرر عليه وإن كان قد يسمى مستطيعاً، فالشارع لا ينظر في الاستطاعة الشرعية إلى مجرد إمكان الفعل بل ينظر إلى لوازم ذلك، فإن كان الفعل ممكناً مع المفسدة الراجعة لم تكن هذه استطاعة شرعية، كالذي يقدر على الحج مع ضرر يلحقه في بدنه أو ماله أو يصلي قائماً مع زيادة مرضه أو يصوم الشهرين مع انقطاعه عن معيشته ونحو ذلك، فإذا كان الشارع قد اعتبر في المكنة عدم المفسدة الراجعة فكيف يكلف مع العجز.

ولكن هذه الاستطاعة مع بقائها إلى حين الفعل لا تكفي في وجود الفعل، ولو كانت كافية لكان التارك كالفاعل، بل لا بد من إحداث إعانة أخرى تقارن، مثل جعل الفاعل مريداً، فإن الفعل لا يتم إلا بقدرة وإرادة، والاستطاعة المقارنة تدخل

(١) العرض: هو الموجود الذي يحتاج في وجوده إلى موضع أي: محل يقوم به، انظر: التعريفات (ص ١٤٨).

(٢) قول الأشاعرة العرض لا يبقى زمانين قول محدث في الإسلام. انظر: الرد عليهم في الفتاوى (٤١/٩) و(٢٧٥/١٦).

فيها الإرادة الجازمة بخلاف المشروطة في التكليف فإنه لا يشترط فيها الإرادة، فالله تعالى يأمر بالفعل من لا يريد له لكن لا يأمر به من لو أراد له لعجز عنه، وهكذا أمر الناس بعضهم لبعض، فالإنسان يأمر عبده بما لا يريد العبد لكن لا يأمره بما يعجز عنه العبد، وإذا اجتمعت الإرادة الجازمة والقوة التامة لزم وجود الفعل، وعلى هذا ينبنى تكليف ما لا يطاق، فإن من قال: القدرة لا تكون إلا مع الفعل يقول كل كافر وفاسق قد كلف ما لا يطيق وما لا يطاق يفسر بشيئين بما يطاق للعجز عنه، فهذا لم يكلفه الله أحداً ويفسر بما لا يطاق للاشتغال بضده، فهذا هو الذي وقع فيه التكليف كما في أمر العباد بعضهم بعضاً فإنهم يفرقون بين هذا وهذا، فلا يأمر السيد عبده الأعمى بنقط المصاحف ويأمره إذا كان قاعداً أن يقوم ويعلم الفرق بين الأمرين بالضرورة.

## الشرح

## عناصر الموضوع:

## ١ غرض المصنف من عقد هذا الباب:

أ - تقرير مذهب أهل السنة والجماعة في الاستطاعة وهي عندهم نوعان: نوع مقارن للفعل وهي بمعنى التوفيق والتسديد.

ونوع يكون قبل الفعل ومعناه توفر الأسباب والآلات وبها يتعلق الخطاب.

ب - الرد على المخالفين لأهل السنة والجماعة الذين جعلوا الاستطاعة نوعاً واحداً وهما طائفتان:

١ - الجبرية والجهمية والأشاعرة: فأثبتوا الاستطاعة التي تكون مقارنة للفعل فقط، ونفوا الاستطاعة التي تكون قبل الفعل وهي بمعنى التوفيق للفعل.

٢ - القدرية والمعتزلة أثبتوا الاستطاعة التي تكون قبل الفعل وهي التي بمعنى توفر الأسباب والآلات<sup>(١)</sup>.

## ٢ مناسبة هذا الباب لما سبق:

قرر المصنف فيما سبق أن من أصول أهل السنة والجماعة اتباع السنة واجتناب الشذوذ والفرقة والخلاف، هذا ومما جاءت به النصوص من الكتاب والسنة أن الاستطاعة نوعان: نوع مقارن للفعل وهي بمعنى التوفيق والتسديد.

ونوع يكون قبل الفعل، ومعناه توفر الأسباب والآلات وبها يتعلق الخطاب.

## ٣ معاني الكلمات:

الكلمة	المعنى
الاستطاعة	القدرة والطاقة والوسع.

(١) انظر: الهداية الربانية (ص ٢٠٣).

٤ معنى كلام الطحاوي: «والاستطاعة التي يجب بها الفعل من نحو التوفيق الذي لا يجوز أن يوصف المخلوق به تكون مع الفعل، وأما الاستطاعة من جهة الصحة والوسع والتمكن وسلامة الآلات فهي قبل الفعل، وبها يتعلق الخطاب وهو كما قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]:

الاستطاعة نوعان: استطاعة بمعنى وجود آلات الفعل والطاقة والقدرة اللازمة لفعله، والوسع المطلوب للفعل، فهذه تكون قبل الفعل، وعلى أساسها يكون الأمر والنهي، فالخطاب متعلق التي بها والتكليف منوط بها. والاستطاعة الثانية: هي القدرة والإرادة التي بها الفعل، وهذه تكون مع الفعل، وهي بمثابة التوفيق والهداية الذي لا يوصف به إلا الله تعالى.

٥ تعريف الاستطاعة:

الاستطاعة لغة: استفعال من الطوع وهو نقيض الكرهه<sup>(١)</sup> وهي القدرة. واصطلاحاً: هي القدرة من الإنسان. هذا عند أهل السنة، أما أهل الكلام فيرى البعض أنها مرادفة للقدرة، قال نور الدين الصابوني: «الاستطاعة والقوة والقدرة والطاقة والوسع متقاربة عند أهل اللغة ومترادفة عند المتكلمين»<sup>(٢)</sup>.

## ٦ - أنواع الاستطاعة:

الاستطاعة نوعان: استطاعة بمعنى وجود آلات الفعل والطاقة والقدرة، اللازمة لفعله، والوسع المطلوب للفعل<sup>(٣)</sup>، فهذه تكون قبل الفعل، وعلى أساسها يكون الأمر والنهي، فالخطاب متعلق بها والتكليف منوط بها. والاستطاعة الثانية: هي القدرة والإرادة التي بها الفعل، وهذه تكون مع الفعل، وهي بمثابة التوفيق والهداية الذي لا يوصف به إلا الله تعالى.

(١) انظر: تهذيب اللغة (٣/١٠٣)، والكليات (ص١٠٧)، ومقاييس اللغة: مادة طوع.

(٢) البداية من الكفاية للصابوني (ص١٠٧).

(٣) وهي صحة الجوارح وارتفاع الموانع كالمرض ونحوه ويقال لها: الاستطاعة الصحيحة وضدها العجز، ولا يلزم من وجودها وجود الفعل، فليس كل من كان سليماً صحيحاً قادراً يُوجد الفعل المأمور به وبها يتعلق خطاب الشارع بمعنى أن صاحبها أهل للتكليف، وهي صفة تعود إلى العبد.



ويلزم من وجودها وجود الفعل فمن وفقه الله لشيء فلا بد من ظهوره ووجوده وهي مناط القضاء والقدر وهي صفة تعود إلى الله فهو الموفق الخالق للأفعال.



## ٧ المقارنة بين الاستطاعة التي تكون قبل الفعل والاستطاعة التي تكون مع الفعل:

الاستطاعة التي تكون قبل الفعل	الاستطاعة المقارنة للفعل
مناط للتكليف	ليست مناط التكليف ولا يتعلق بها خطاب الشارع
قد تتقدم الفعل وقد تصحبه، تكون قبل الفعل وتكون مع الفعل	تكون مع الفعل فلا تتقدمه
عامة للمؤمن والكافر	خاصة بالمؤمن
صفة للمخلوق وهي توفر الآلات والأسباب	صفة لله تعالى فهو الموفق للفعل
قد يحصل الفعل وقد لا يحصل	لا يتخلف عنها الفعل، فلا بد أن يحصل الفعل
هذه الاستطاعة ضدها المعجز.	هذه الاستطاعة ضدها الخذلان

## ٨ مذهب أهل السنة في مسألة الاستطاعة:

والذي قاله عامة أهل السنة أن للعبد قدرة هي مناط الأمر والنهي، وهذه قد تكون قبله لا يجب أن تكون معه، والقدرة التي بها الفعل لا بد أن تكون مع الفعل لا يجوز أن يوجد الفعل بقدرة معدومة.

وأما القدرة التي من جهة الصحة والوسع والتمكن وسلامة الآلات فقد تتقدم الأفعال، وهذه القدرة المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: 9٧]، فأوجب الحج على المستطيع، فلو لم يستطع إلا من حج لم يكن الحج قد وجب إلا على من حج ولم يعاقب أحداً على ترك الحج، وهذا خلاف المعلوم بالضرورة من دين الإسلام.

وكذلك قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، فأوجب التقوى بحسب الاستطاعة، فلو كان من لم يتق الله لم يستطع التقوى لم يكن قد أوجب التقوى إلا على من اتقى ولم يعاقب من لم يتق، وهذا معلوم الفساد.

وكذا قوله تعالى: ﴿فَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ [المجادلة: ٤]، والمراد منه استطاعة الأسباب والآلات، وكذا ما حكاه سبحانه من قول المنافقين: ﴿لَوْ اَسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾ [التوبة: ٤٢] وكذبهم في ذلك القول ولو كانوا أرادوا الاستطاعة التي هي حقيقة قدرة الفعل ما كانوا بنفيهم عن أنفسهم كاذبين، وحيث كذبهم دل على أنهم أرادوا بذلك المرض أو فقد المال على ما بين تعالى بقوله: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى﴾ [التوبة: ٩١]، إلى أن قال: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَقْبِلُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ﴾ [التوبة: ٩٣]، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكَحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٢٥]، والمراد استطاعة الآلات والأسباب، ومن ذلك قوله ﷺ لعمران بن حصين: «صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب»، إنما نفى استطاعة الفعل معها.

وأما ثبوت الاستطاعة التي هي حقيقة القدرة فقد ذكروا فيها قوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ [هود: ٢٠]، والمراد نفى حقيقة القدرة لا نفى الأسباب والآلات لأنها كانت ثابتة، وسيأتي لذلك زيادة بيان عند قوله: ولا يطيقون إلا ما كلفهم إن شاء الله تعالى، وكذا قول صاحب موسى: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٦٧] وقوله: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٢]، والمراد منه حقيقة قدرة الصبر لا أسباب الصبر وآلاته، فإن تلك كانت ثابتة له ألا ترى أنه عاتبه على ذلك ولا يلام من عدم آلات الفعل وأسبابه على عدم الفعل، وإنما يلام من امتنع من الفعل لتضييع قدرة الفعل لاشتغاله بغير ما أمر به أو لعدم شغله إياها بفعل ما أمر به، ومن قال إن القدرة لا تكون إلا حين الفعل يقولون إن القدرة لا تصلح للضدين فإن القدرة المقارنة للفعل لا تصلح إلا لذلك الفعل وهي مستلزمة له لا توجد بدونه.

#### ٩ الأدلة على الاستطاعة:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧].  
وقال تعالى: ﴿فَأَنْقُوا لِلَّهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].  
وقال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].  
وقال تعالى: ﴿فَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ [المجادلة: ٤].  
وقال ﷺ لعمران بن حصين: «صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب».

## ١٠ المخالفون لأهل السنة في مسألة الاستطاعة:

وخالف أهل السنة الجهمية والمعتزلة<sup>(١)</sup> والأشعرية، أما الجهمية فقالوا: إنه ليس للعبد أي استطاعة لا قبل الفعل ولا معه<sup>(٢)</sup>.

وأما المعتزلة فقالوا: إن الله تعالى قد مكن الإنسان من الاستطاعة، وهذه الاستطاعة قبل الفعل وهي قدرته عليه وعلى ضده، وهي غير موجبة للفعل<sup>(٣)</sup>.

وأما الأشعرية<sup>(٤)</sup> فقالوا: إن الاستطاعة مع الفعل، لا يجوز أن تتقدمه ولا أن تتأخر عنه وما يفعله الإنسان فهو كسب له<sup>(٥)</sup>.

## ١١ الخلاصة:

١ - الاستطاعة نوعان: استطاعة بمعنى وجود آلات الفعل والطاقة والقدرة اللازمة لفعله، والوسع المطلوب للفعل، فهذه تكون قبل الفعل، وعلى أساسها يكون الأمر والنهي، فالخطاب متعلق بها والتكليف منوط بها.

والاستطاعة الثانية: هي القدرة والإرادة التي بها الفعل، وهذه تكون مع الفعل، وهي بمثابة التوفيق والهداية الذي لا يوصف به إلا الله تعالى.

٢ - الاستطاعة هي القدرة من الإنسان.

٣ - الذي قاله عامة أهل السنة أن للعبد قدرة هي مناط الأمر والنهي، وهذه قد تكون قبله لا يجب أن تكون معه، والقدرة التي بها الفعل لا بد أن تكون مع الفعل لا يجوز أن يوجد الفعل بقدرة معدومة.

(١) حيث لم يشترطوا إلا الاستطاعة التي هي سلامة الآلات والجوارح وارتفاع الموانع، ومعلوم أن مذهب المعتزلة في باب أفعال العباد هو أن العباد يخلقون أفعالهم وليس الله هو الخالق لها فلهم إذن لا يشترطون الاستطاعة التي هي بمعنى التوفيق، انظر: الفتاوى (١٧٣/١٨).

(٢) انظر: الملل والنحل (٨٥/١)، والفرق بين الفرق (ص ٢١١).

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين (٣٠٠/١)، والفرق بين الفرق (ص ١١٦)، وشرح الأصول الخمسة (ص ٣٨٩).

(٤) لما كانت الأشعرية تميل إلى الجبر، والقول بأن القدرة المؤثرة هي قدرة الرب لا العبد، تناسب هذا القول مع إثباتهم للاستطاعة التي هي مع الفعل فالعبد مجبور على أفعاله ولا قدرة له وليس له إرادة تؤثر والفاعل حقيقة إنما هو الله، فإذا كان الأمر كذلك فلا فائدة في إثبات الاستطاعة التي تكون قبل الفعل فالعبد مجبور على أفعاله.

(٥) انظر: الإرشاد (ص ٢١٩)، والإنصاف (ص ٤٦).

وأما القدرة التي من جهة الصحة والوسع والتمكن وسلامة الآلات فقد تتقدم الأفعال وهذه القدرة المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

- ٤ - الأدلة على الاستطاعة متوافرة من الكتاب والسنة.  
٥ - وخالف أهل السنة الجهمية والمعتزلة والأشعرية.

### ١٢ المناقشة:

- س١: بيّن معنى كلام الطحاوي: «والاستطاعة التي يجب بها الفعل من نحو التوفيق الذي لا يجوز أن يوصف المخلوق به تكون مع الفعل، وأما الاستطاعة من جهة الصحة والوسع والتمكن وسلامة الآلات فهي قبل الفعل وبها يتعلق الخطاب وهو كما قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]».
- س٢: عرّف الاستطاعة، واذكر أنواعها.
- س٣: وضع مذهب أهل السنة في مسألة الاستطاعة.
- س٤: اذكر أدلة على الاستطاعة.
- س٥: بين مذاهب المخالفين لأهل السنة في مسألة الاستطاعة.

## أفعال العباد خلق الله وكسب من العباد

❖ كلام ابن أبي العز:

- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب.
- ٢ - مناسبة الباب لما سبق.
- ٣ - معاني الكلمات.
- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «وأفعال العباد هي خلق الله وكسب من العباد».
- ٥ - مذهب أهل السنة والجماعة في أفعال العباد.
- ٦ - أقوال السلف في إثبات خلق الله لأفعال العباد.
- ٧ - أدلة أهل السنة والجماعة في مسألة خلق أفعال العباد.
- ٨ - المخالفون لأهل السنة في خلق أفعال العباد.
- ٩ - شبهات القدرية «المعتزلة» حول أفعال العباد والجواب عليها.
- ١٠ - شبهات الجبرية حول أفعال العباد والجواب عليها.
- ١١ - عدم التعارض بين فعل العبد والمشية.
- ١٢ - أنواع العقوبة.
- ١٣ - أفعال العباد نوعان.
- ١٤ - استخدام الجبل بدل الجبر.
- ١٥ - شبهة خلق الفعل مع العقوبة ظلم.
- ١٦ - الخلاصة.
- ١٧ - المناقشة.

## أفعال العباد خلق الله وكسب من العباد

قال ابن أبي العز:

قوله: «وأفعال العباد هي خلق الله وكسب من العباد».

اختلف الناس في أفعال العباد الاختيارية.

فزعمت الجبرية ورئيسهم الجهم بن صفوان السمرقندي أن التدبير في أفعال الخلق كلها لله تعالى، وهي كلها اضطرارية كحركات المرتعش والعروق النابضة وحركات الأشجار، وإضافتها إلى الخلق مجاز وهي على حسب ما يضاف الشيء إلى محله دون ما يضاف إلى محصله.

وقابلتهم المعتزلة فقالوا: إن جميع الأفعال الاختيارية من جميع الحيوانات بخلقها لا تعلق لها بخلق الله تعالى، واختلفوا فيما بينهم أن الله تعالى يقدر على أفعال العباد أم لا؟

وقال أهل الحق: «أفعال العباد بها صاروا مطيعين وعصاة وهي مخلوقة لله تعالى، والحق ﷻ منفرد بخلق المخلوقات لا خالق لها سواه، فالجبرية غلوا في إثبات القدر فنفوا صنع العبد أصلاً كما عملت المشبهة في إثبات الصفات فشبها، والقدرية نفاة القدر جعلوا العباد خالقين مع الله تعالى، ولهذا كانوا مجوس هذه الأمة، بل أردأ من المجوس من حيث إن المجوس أثبتوا خالقين، وهم أثبتوا خالقين».

وهدى الله المؤمنين أهل السنة لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، فكل دليل صحيح يقيمه الجبري وإنما يدل على أن الله خالق كل شيء وأنه على كل شيء قدير، وأن أفعال العباد من جملة مخلوقاته وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولا يدل على أن العبد ليس بفاعل في الحقيقة ولا مرید ولا مختار وأن حركاته الاختيارية بمنزلة حركة المرتعش وهبوب الرياح وحركات الأشجار.

وكل دليل صحيح يقيمه القدري فإنما يدل على أن العبد فاعل لفعله حقيقة وأنه يريد له مختار له حقيقة، وأن إضافته ونسبته إليه إضافة حق، ولا يدل على أنه غير مقدور لله تعالى وأنه واقع بغير مشيئته وقدرته.

فإذا ضمنت ما مع كل طائفة منهما من الحق إلى حق الأخرى فإنما يدل ذلك على ما دل عليه القرآن وسائر كتب الله المنزلة من عموم قدرة الله ومشيئته لجميع ما في الكون من الأعيان والأفعال، وأن العباد فاعلون لأفعالهم حقيقة وأنهم يستوجبون عليها المدح والذم.

وهذا هو الواقع في نفس الأمر، فإن أدلة الحق لا تتعارض والحق يصدق بعضه بعضاً، ويضيق هذا المختصر عن ذكر أدلة الفريقين ولكنها تكافؤ وتتساقط ويستفاد من دليل كل فريق بطلان قول الآخر، ولكن أذكر شيئاً مما استدل به كل من الفريقين ثم أبين أنه لا يدل على ما استدل عليه من الباطل.

فما استدلت به الجبرية قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَنْ يَكُ اللَّهُ رَمِيًّا﴾ [الأنفال: ١٧]، فنفى الله عن نبيه الرمي وأثبتته لنفسه سبحانه، فدل على أنه لا صنع للعبد قالوا: والجزاء غير مرتب على الأعمال بدليل قوله ﷺ: «لن يدخل أحد الجنة بعمله قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل»<sup>(١)</sup>.

ومما استدلت به القدرية قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤] قالوا: والجزاء مرتب على الأعمال ترتب العوض كما قال تعالى: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]، ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢] ونحو ذلك.

فأما ما استدلت به الجبرية من قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَنْ يَكُ اللَّهُ رَمِيًّا﴾ [الأنفال: ١٧] فهو دليل عليهم، لأنه تعالى أثبت لرسوله رمياً بقوله إذ رميت فعلم أن المثبت غير المنفي، وذلك أن الرمي له ابتداء وانتهاء، فابتداؤه الحذف وانتهائه الإصابة، وكل منهما يسمى رمياً، فالمعنى حينئذ والله تعالى أعلم: وما أصبت إذ حذفت، ولكن الله أصاب، وإلا فطرد قولهم: وما صليت إذ صليت ولكن الله صلى، وما صمت إذ صمت، وما زنت إذ زنت، وما سرقت إذ سرقت، وفساد هذا ظاهر.

(١) أخرجه البخاري (٦٤٦٤)، ومسلم (٢٨١٨).

وأما ترتب الجزاء على الأعمال فقد ضلت فيه الجبرية والقدرية وهدى الله أهل السنة وله الحمد والمنة، فإن الباء التي في النفي غير الباء التي في الإثبات، فالمنفي في قوله لن يدخل الجنة أحد بعمله باء العوض وهو أن يكون العمل كالثمن لدخول الرجل إلى الجنة كما زعمت المعتزلة أن العامل مستحق دخول الجنة على ربه بعمله بل ذلك برحمة الله وفضله، والباء التي في قوله تعالى: ﴿جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧] ونحوها باء السبب<sup>(١)</sup> أي بسبب عملكم والله تعالى هو خالق الأسباب والمسببات فرجع الكل إلى محض فضل الله ورحمته.

وأما الاستدلال المعتزلة بقوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤] فمعنى الآية أحسن المصورين المقدرين، والخلق يذكر ويراد به التقدير وهو المراد هنا بدليل قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦] أي الله خالق كل شيء مخلوق، فدخلت أفعال العباد في عموم كل، وما أفسد قولهم في إدخال كلام الله تعالى في عموم كل الذي هو صفة من صفاته يستحيل عليه أن يكون مخلوقاً وأخرجوا أفعالهم التي هي مخلوقة من عموم كل، وهل يدخل في عموم كل إلا ما هو مخلوق، فذاته المقدسة وصفاته غير داخله في هذا العموم ودخل سائر المخلوقات في عمومها، وكذا قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصفات: ٩٦] ولا نقول إن ما مصدرية، أي خلقكم وعملكم، إذ سياق الآية ياباه لأن إبراهيم عليه السلام إنما أنكر عليهم عبادة المنحوت لا النحت، والآية تدل على أن المنحوت مخلوق لله تعالى وهو ما صار منحوتاً إلا بفعلهم فيكون ما هو من آثار فعلهم مخلوقاً لله تعالى، ولو لم يكن النحت مخلوقاً لله تعالى لم يكن المنحوت مخلوقاً له، بل الخشب أو الحجر لا غير. وذكر أبو الحسين البصري<sup>(٢)</sup> إمام المتأخرين من المعتزلة أن العلم بأن العبد يحدث فعله ضروري، وذكر الرازي أن افتقار الفعل المحدث الممكن إلى مرجح يجب وجوده عنده ويمتنع عند عدمه

(١) قال ابن الوزير في العواصم والقواصم (٧/٢٩٩): واعلم أن أهل السنة لا ينكرون أن الجنة تدخل بعمل كما ورد في القرآن وإنما ينكرون ما ليس في القرآن من كونها تستحق على الله بالعمل استحقاق المبيعات بأثمانها بحيث أنه لا فضل للبائع على المشتري... والقرآن إنما نص على العمل لا على أن الباء فيه للثمن المساوي.

(٢) انظر: الفتاوى (١٦/٢٣٥) (٨/٣٧٥).



ضروري، وكلاهما صادق فيما ذكره من العلم الضروري ثم ادعاء كل منهما أن هذا العلم الضروري يبطل ما ادعاه الآخر من الضرورة غير مسلم بل كلاهما صادق فيما ادعاه من العلم الضروري، وإنما وقع غلظه في إنكاره ما مع الآخر من الحق فإنه لا منافاة بين كون العبد محدثاً لفعله وكون هذا الإحداث واجب وجوده بمشيئة الله تعالى كما قال تعالى: ﴿وَنَقَّسِ وَمَا سَوَّيْنَا ۖ فَأَلْهَمْنَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۗ﴾ [الشمس: ٧، ٨] فقولته: ﴿فَأَلْهَمْنَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۗ﴾ [الشمس: ٨] إثبات للقدر بقوله فألهمها وإثبات، لفعل العبد بإضافة الفجور والتقوى إلى نفسه ليعلم أنها هي الفاجرة والمتقية، وقوله بعد ذلك: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَقْنَاهَا ۖ﴾ [الشمس: ٩، ١٠] إثبات أيضاً لفعل العبد ونظائر ذلك كثيرة.

وهذه شبهة أخرى<sup>(١)</sup> من شبه القوم التي فرقتهم بل مزقتهم كل ممزق وهي أنهم قالوا: كيف يستقيم الحكم على قولكم بأن الله يعذب المكلفين على ذنوبهم وهو خلقها فيهم، فأين العدل في تعذيبهم على ما هو خالقه وفاعله فيهم، وهذا السؤال لم يزل مطروقاً في العالم على السنة الناس وكل منهم يتكلم في جوابه بحسب علمه ومعرفته وعنه تفرقت بهم الطرق، فطائفة أخرجت أفعالهم عن قدرة<sup>(٢)</sup> الله تعالى وطائفة أنكرت الحكم والتعليل وسدت باب السؤال<sup>(٣)</sup>، وطائفة أثبتت كسباً لا يعقل جعلت الثواب والعقاب عليه، وطائفة التزمت لأجله وقوع مقدر بين قادرين ومفعول بين فاعلين، وطائفة التزمت الجبر وأن الله يعذبهم على ما لا يقدرون عليه، وهذا السؤال هو الذي أوجب التفرق والاختلاف.

والجواب الصحيح عنه أن يقال: إن ما يبتلى به العبد من الذنوب الوجودية وإن كانت خلقاً لله تعالى فهي عقوبة له على ذنوب قبلها، فالذنب يكسب الذنب، ومن عقاب السيئة سيئة بعدها، فالذنوب كالأمراض التي يورث بعضها بعضاً.

يبقى أن يقال: فالكلام في الذنب الأول الجالب لما بعده من الذنوب يقال هو عقوبة أيضاً على عدم فعل ما خلق له وفطر عليه، فإن الله سبحانه خلقه لعبادته وحده لا شريك له وفطره على محبته وتأليهه والإنابة إليه كما قال تعالى: ﴿فَأَوَدَّ

(١) مختصر الصواعق (١/٣٢٥).

(٢) وهؤلاء هم المعتزلة.

(٣) وهؤلاء هم الجهمية.

وَجَهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴿الرُّومُ: ٣٠﴾، فلما لم يفعل ما خلق له واطر عليه من محبة الله وعبوديته والإناية إليه عوقب على ذلك بأن زين له الشيطان ما يفعله من الشرك والمعاصي فإنه صادف قلباً خالياً قابلاً للخير والشر ولو كان فيه الخير الذي يمنع ضده لم يتمكن منه الشر كما قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخَلَّصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤]، وقال إبليس: ﴿قَالَ فِعْرِيكَ أَذْعَبِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخَلَّصِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [ص: ٨٢، ٨٣]، وقال الله ﷻ: ﴿هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَكَّ عَلَيْكُمْ سُلْطٰنٌ ﴿٤٢﴾﴾ [الحجر: ٤١، ٤٢]، والإخلاص خلوص القلب من تأليه ما سوى الله تعالى وإرادته ومحبته، فخلص لله فلم يتمكن منه الشيطان، وأما إذا صادفه فارغاً من ذلك تمكن منه بحسب فراغه فيكون جعله مذنباً مسيئاً في هذه الحال عقوبة له على عدم هذا الإخلاص وهي محض العدل.

فإن قلت: فذلك العدم من خلقه فيه؟ قيل: هذا سؤال فاسد، فإن العدم كاسمه لا يفتقر إلى تعلق التكوين والإحداث به، فإن عدم الفعل ليس أمراً وجودياً حتى يضاف إلى الفاعل بل هو شر محض، والشر ليس إلى الله سبحانه كما قال ﷻ في حديث الاستفتاح: «لبيك وسعديك، والخير كله في يديك، والشر ليس إليك». وكذا في حديث الشفاعة يوم القيامة حين يقول الله له: «يا محمد، فيقل: لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس إليك».

وقد أخبر الله تعالى أن تسليط الشيطان إنما هو على الذين يتولونه والذين هم به مشركون، فلما تولوه دون الله وأشركوا به معه عوقبوا على ذلك بتسليطه عليهم، وكانت هذه الولاية والإشراك عقوبة خلو القلب وفراغه من الإخلاص، فالهيام البر والتقوى ثمرة هذا الإخلاص ونتيجته، والهيام الفجور عقوبة على خلوه من الإخلاص. فإن قلت: إن كان هذا الترك أمراً وجودياً عاد السؤال جذعاً، وإن كان أمراً عديمياً فكيف يعاقب على العدم المحض؟.

قيل: ليس هنا ترك هو كف النفس ومنعها عما تريده وتحبه، فهذا قد يقال إنه أمر وجودي، وإنما هنا عدم وخلو من أسباب الخير وهذا العدم هو محض خلوها مما هو أنفع شيء لها، والعقوبة على الأمر العدمي هي بفعل السيئات لا بالعقوبات التي تناله بعد إقامة الحجة عليه بالرسول فله فيه عقوبتان:

إحداهما: جعله مذنباً خاطئاً، وهذه عقوبة عدم إخلاصه وإنابته وإقباله على الله وهذه العقوبة قد لا يحس بألمها ومضرتها لموافقته شهوته، وهي في الحقيقة من أعظم العقوبات.

والثانية: العقوبات المؤلمة بعد فعله للسيئات، وقد قرن الله تعالى بين هاتين العقوبتين في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا سَأَوْا مَا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٤٤]، فهذه العقوبة الأولى ثم قال: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْتَهُمْ بَغْتَةً﴾ [الأنعام: ٤٤] فهذه العقوبة الثانية.

فإن قيل: فهل كان يمكنهم أن يأتوا بالإخلاص والإنابة والمحبة له وحده من غير أن يخلق ذلك في قلوبهم ويجعلهم مخلصين له منيبين له محبين له، أم ذلك محض جعله في قلوبهم وإلقائه فيها؟ قيل: لا بل هو محض منته وفضله وهو من أعظم الخير الذي هو بيده، والخير كله في يديه، ولا يقدر أحد أن يأخذ من الخير إلا ما أعطاه ولا يتقي من الشر إلا ما وقاه.

فإن قيل: فإذا لم يخلق ذلك في قلوبهم ولم يوفقوا له ولا سبيل لهم إليه بأنفسهم عاد السؤال وكان منعهم منه ظلماً ولزمكم القول بأن العدل هو تصرف المالك في ملكه بما يشاء لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

قيل: لا يكون سبحانه بمنعهم من ذلك ظالماً وإنما يكون المانع ظالماً إذا منع غيره حقاً لذلك الغير عليه، وهذا هو الذي حرمه الرب على نفسه وأوجب على نفسه خلافه، وأما إذا منع غيره ما ليس بحق له بل هو محض فضله ومنته عليه لم يكن ظالماً بمنعه، فمنع الحق ظلم ومنع الفضل والإحسان عدل، وهو سبحانه العدل في منعه كما هو المحسن المنان بعبأته.

فإن قيل: فإذا كان العطاء والتوفيق إحساناً ورحمة فهلاً كان العمل له والغلبة كما أن رحمته تغلب غضبه.

قيل: المقصود في هذا المقام بيان أن هذه العقوبة المترتبة على هذا المنع والمنع المستلزم للعقوبة ليس بظلم بل هو محض العدل.

وهذا سؤال عن الحكمة التي أوجبت تقديم العدل على الفضل في بعض المحال، وهلاً سؤى بين العباد في الفضل، وهذا السؤال حاصله: لِمَ تفضل على

هذا ولم يتفضل على الآخر، وقد تولى الله سبحانه الجواب عنه بقوله: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٤] وقوله: ﴿لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلَ الْكِتَابِ أَلَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢٩]، ولما سأله اليهود والنصارى عن تخصيص هذه الأمة بأجرين وإعطائهم هم أجراً قال: هل ظلمتكم من حقكم شيئاً؟ قالوا: لا، قال: فذلك فضلي أوتيته من أشياء. وليس في الحكمة إطلاع كل فرد من أفراد الناس على كمال حكمته في عطائه ومنعه، بل إذا كشف الله عن بصيرة العبد حتى أبصر طرفاً يسيراً من حكمته في خلقه وأمره وثوابه وعقابه وتخصيصه وحرمانه وتأمل أحوال محال ذلك استدل بما علمه على ما لم يعلمه.

ولمّا استشكل أعداؤه المشركون هذا التخصيص قالوا: ﴿أَهْتَوَلَاءَ مَنِ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنْ بَيْنِنًا﴾ [الأنعام: ٥٣] قال تعالى مجيباً لهم: ﴿الَّذِينَ يَأْتُونَ اللَّهَ بِالشُّكْرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣]، فتأمل هذا الجواب تر في ضمنه أنه سبحانه أعلم بالمحل الذي يصلح لغرس شجرة النعمة فتثمر بالشكر من المحل الذي لا يصلح لغرسها، فلو غرست فيه لم تثمر، فكان غرسها هناك ضائعاً لا يليق بالحكمة كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

فإن قيل: إذا حكمتكم باستحالة الإيجاد من العبد فإذا لا فعل للعبد أصلاً، قيل: العبد فاعل لفعله حقيقة وله قدرة حقيقة، قال تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ﴾ [البقرة: ١٩٧]، ﴿فَلَا يَتَّبِعُ يَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [هود: ٣٦] وأمثال ذلك.

وإذا ثبت كون العبد فاعلاً فأفعاله نوعان:

نوع يكون منه من غير اقتران قدرته وإرادته، فيكون صفة له ولا يكون فعلاً كحركات المرتعش.

ونوع يكون منه مقارناً لإيجاد قدرته واختياره فيوصف بكونه صفة وفعلاً وكسباً للعبد كالحركات الاختيارية، والله تعالى هو الذي جعل العبد فاعلاً مختاراً وهو الذي يقر على ذلك وحده لا شريك له، ولهذا أنكر السلف الجبر فإن الجبر لا يكون إلا من عاجز فلا يكون إلا مع الإكراه، يقال: للأب ولاية إجبار البكر الصغيرة على النكاح وليس له إجبار الثيب البالغ، أي: ليس له أن يزوجها مكرهة.

والله تعالى لا يوصف بالإجبار بهذا الاعتبار لأنه سبحانه خالق الإرادة، والمراد قادر على أن يجعله مختاراً بخلاف غيره، ولهذا جاء في ألفاظ الشارع الجبل دون الجبر كما قال ﷺ لأشج عبد القيس: «إن فيك لخلتين يحبهما الله: الحلم والأناة، فقال: أخلقين تخلّقت بهما أم خلقين جُبلت عليهما؟ فقال: بل خلقان جُبلت عليهما، فقال: الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله ورسوله»<sup>(١)</sup>.

والله تعالى إنما يعذب عبده على فعله الاختياري، والفرق بين العقاب على الفعل الاختياري وغير الاختياري مستقر في الفطر والعقول.

وإذا قيل: خلق الفعل مع العقوبة عليه ظلم كان بمنزلة أن يقال خلق أكل السم ثم حصول الموت به ظلم، فكما أن هذا سبب للموت فهذا سبب للعقوبة ولا ظلم فيهما.

فالحاصل: أن فعل العبد فعل له حقيقة ولكنه مخلوق لله تعالى ومفعول لله تعالى ليس هو نفس فعل الله، ففرق بين الفعل والمفعول والخلق والمخلوق، وإلى هذا المعنى أشار الشيخ رحمه الله بقوله: وأفعال العباد خلق الله وكسب من العباد، أثبت للعباد فعلاً وكسباً وأضاف الخلق لله تعالى. والكسب هو الفعل الذي يعود على فاعله منه نفع أو ضرر كما قال تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

## الشرح

### عناصر الموضوع:

١) غرض المصنف من عقد هذا الباب:

أ - تقرير معتقد أهل السنة والجماعة أن أفعال العباد قَدَّرها الله تعالى وخلقها، والعباد باسروها مختارين فصاروا بها عصاة ومطيعين.

ب - الرد على المخالفين لأهل السنة والجماعة، وهم طائفتان:

١ - مذهب الجبرية: قالوا إن الأفعال هي أفعال الله والعباد مجبورون على أفعالهم، وهم وعاء للأفعال، فالعباد ليس لهم أفعال ولا اختيار ولا تنسب الأفعال إليهم، بل الأفعال أفعال الله لأن الله أجبرهم على ذلك، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

٢ - مذهب القدرية: قالوا أفعال العباد اختيارية وهم الذين خلقوا أفعالهم والله لا يقدر على أفعالهم، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

٢) مناسبة هذا الباب لما سبق:

قرر المصنف فيما سبق أن من أصول أهل السنة والجماعة أن الاستطاعة نوعان: قبل الفعل ومقارنة للفعل، فناسب أن يبين أن أفعال العباد من الله خلقاً وتقديراً ومن العبد فعلاً وتسبباً وكسباً ومباشرة.

٣) معاني الكلمات:

المعنى	الكلمة
هو ما يكون الشيء محتاجاً إليه إما في ماهيته أو في وجوده.	السبب

٤) معنى كلام الطحاوي: «وأفعال العباد هي خلق الله وكسب من العباد»:

وأفعال العباد كلها خلق الله تعالى كما قال ﷺ: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾

﴿[الصفات: ٩٦]﴾ لكنها كسب من العباد، وهذا هو قول أهل الحق، خلافاً للجبرية الذين نفوا أي إرادة للعبد، وخلافاً للمعتزلة الذين جعلوا العبد خالق

أفعال الشر دون إرادة الله، فهما في طرفي النقيض: الإفراط والتفريط، والوسط قول أهل السنة والجماعة هذا وأفعال العباد قسمان:

- أ - قسم اختياري: وهو الذي يجد الإنسان من نفسه القدرة في التحكم فيه فقد يريده وتتعلق قدرته به فيفعله، وقد لا يريده فلا تتعلق به قدرته فلا يفعله.
- ب - قسم اضطراري: وهو بعكس الأول حيث لا يجد العبد من نفسه القدرة على منعه أو التحكم فيه كحرمة المرتعش ونبضات القلب.

### ٥ مذهب أهل السنة والجماعة في أفعال العباد:

مذهب أهل السنة والجماعة في أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى ومقدورة له والله ﷻ هو الخالق لكل شيء من الأعيان والأوصاف والأفعال وغيرها، وأن مشيئة الله عامة شاملة لجميع الكائنات فلا يقع منها شيء إلا بتلك المشيئة، وأن خلقه سبحانه الأشياء بمشيئة إنما يكون وفقاً لما علمه منها بعلمه القديم ولما كتبه وقدره في اللوح المحفوظ، وأن للعباد قدرة وإرادة تقع بها أفعالهم، وأنهم الفاعلون حقيقة لهذه الأفعال باختيارهم، وأنهم لهذا يستحقون عليها الجزاء إما بالمدح والمثوبة وإما بالذم والعقوبة، وأن نسبة هذه الأفعال إلى العباد فعلاً لا ينافي نسبتها إلى الله إيجاباً وخلقاً لأنه هو الخالق لجميع الأسباب التي وقعت بها.

### ٦ أقوال السلف في إثبات خلق الله لأفعال العباد:

يقول الإسماعيلي: «ويقولون إنه لا خالق على الحقيقة إلا الله ﷻ وأن أكساب العباد كلها مخلوقة لله، وأن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء لا حجة لمن أضله الله ﷻ ولا عذر كما قاله الله ﷻ: ﴿قُلْ فَإِنَّ الْحُجَّةَ الْبَلِيغَةَ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩]، وقال: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [٢٦] ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ [الأعراف: ٢٩، ٣٠]، وقال: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْإِنسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، وقال: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ [الحديد: ٢٢] ومعنى نبرأها أي خلقها وبلا خلاف في اللغة وقال مخبراً عن أهل الجنة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]، وقال: ﴿أَنْ لَّوِ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٣١]، وقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [١٨] ﴿إِلَّا مَن رَّجِمَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩].

ويقول الصابوني: «ومن قول أهل السنة والجماعة في أكساب العباد أنها مخلوقة لله تعالى، لا يمترون فيه، ولا يعدون من أهل الهدى ودين الحق من

ينكر هذا القول وينفيه، ويشهدون أن الله يهدي من يشاء إلى دينه ويضل من يشاء عنه، لا حجة لمن أضله الله عليه ولا عذر له لديه...»<sup>(١)</sup>.

ويقول: التيمي: «أفعال العباد وليست بفعل الله وإنما هي مخلوقة له»<sup>(٢)</sup>.

### ٧ أدلة أهل السنة والجماعة في مسألة خلق أفعال العباد:

قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢].

فيخبر الله تعالى أنه خالق الأشياء كلها وربها ومليكيها وربها المتصرف فيها فالكلُّ تحت تدبيره وقهره وكلاءته، فأفعال العباد من جملة المخلوقات.

وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿قَالَ اتَّعْبُدُونَ مَا تَنْجُونَ ۗ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٥، ٩٦].

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الله يصنع كل صانع وصنعه»<sup>(٣)</sup>.

وصح عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «كل شيء بقدر حتى العجز والكيس»<sup>(٤)</sup>.

### ٨ المخالفون لأهل السنة في خلق أفعال العباد:

من المخالفين لأهل السنة في مسألة خلق أفعال العباد:

الجهمية الجبرية<sup>(٥)</sup>: فقد سلبوا عن العبد قدرته وإرادته، فالعبد عندهم كالريشة المعلقة في الهواء.

وإضافة الأفعال إلى الخلق مجاز عندهم وهي على حسب ما يضاف الشيء إلى محله دون ما يضاف إلى مخلصه وهذا الكلام باطل فإن الصفة إذا قامت بمحل

(١) اعتقاد أئمة أهل الحديث (ص ٦٠ - ٦١).

(٢) عقيدة السلف أصحاب الحديث (ص ٧٥ - ٨٩).

(٣) الحجة (٤٢١/١).

(٤) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (ص ٣٩ - ٤٠)، والحاكم (١/٣١ - ٣٢)، وقال الهيثمي في المجمع (١/١٥٨): رجاله رجال الصحيح غير أحمد وهو ثقة. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤/١٨١).

(٥) تأثر بهم الأشاعرة فقالوا بالكسب وهو اقتران الفعل بالقدرة الحادثة من غير أن يكون لها فيه أمر وحقيقة هذا أن الإنسان ليس بفاعل حقيقة والفاعل هو الله، انظر: شفاء العليل (١/٣٢٩)، ومنهاج السنة (١/٤٥٩).



عاد حكمها على ذلك المحل لا على غيره، فإذا خلق حركة في محل كان ذلك المحل هو المتحرك بها، لم يكن المتحرك بها هو الخالق لها<sup>(١)</sup>.

ومن المخالفين: القدرية المعتزلة: وهؤلاء يقولون إن للعبد قدرة وإرادة مطلقتين مستقلتين عن الله تعالى.  
وسياتي الرد على هذه الشبه.

### ٩ شبهات القدرية «المعتزلة» حول أفعال العباد والجواب عليها:

ومما استدل به القدرية قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤] قالوا: والجزاء مرتب على الأعمال ترتب العوض كما قال تعالى: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧] ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢] ونحو ذلك.

وأما استدلال المعتزلة بقوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤] فمعنى الآية أحسن المصورين المقدرين، والخلق يذكر ويراد به التقدير وهو المراد هنا بدليل قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦] أي الله خالق كل شيء مخلوق فدخلت أفعال العباد في عموم كل، وما أفسد قولهم في إدخال كلام الله تعالى في عموم كل الذي هو صفة من صفاته يستحيل عليه أن يكون مخلوقاً وأخرجوا أفعالهم التي هي مخلوقة من عموم كل، وهل يدخل في عموم كل إلا ما هو مخلوق، فذاته المقدسة وصفاته غير داخلة في هذا العموم ودخل سائر المخلوقات في عمومها، وكذا قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصفات: ٩٦] ولا نقول إن ما<sup>(٢)</sup> مصدرية<sup>(٣)</sup> أي خلقكم وعملكم، إذ سياق الآية ياباه لأن إبراهيم عليه السلام إنما أنكر عليهم عبادة المنحوت لا النحت، والآية تدل على أن المنحوت مخلوق لله تعالى وهو ما صار منحوتاً إلا بفعلهم، فيكون ما

(١) انظر: منهاج السنة (٤٥٦/١).

(٢) يحتمل أن تكون بمعنى (الذي) تقدير الكلام: والله خلقكم والذي تعملونه ويحتمل أن يكون (ما) مصدرية فيكون تقدير الكلام: والله خلقكم وعملكم، انظر: بدائع الفوائد (١/١٤٦)، والمسائل الاعتزالية في تفسير الكشاف (٩٣٠/٢).

(٣) الجبرية قالوا: (ما) هنا مصدرية لكون ذلك يوافق معتقدهم في أن الله هو الخالق والفاعل لأفعال العباد أما المعتزلة فقالوا: (ما) في الآية موصولة فتأويل الآية والله خلقكم وخلق الذي تعملونه لاعتقادهم أن أعمال العباد ليست مخلوقة لله بل العبد يخلق فعله.

هو من آثار فعلهم مخلوقاً لله تعالى، ولو لم يكن النحت مخلوقاً لله تعالى لم يكن المنحوت مخلوقاً له بل الخشب أو الحجر لا غير، وذكر أبو الحسين البصري إمام المتأخرين من المعتزلة أن العلم بأن العبد يحدث فعله ضروري، وذكر الرازي أن افتقار الفعل المحدث الممكن إلى مرجح يجب وجوده عنده ويمتنع عند عدمه ضروري، وكلاهما صادق فيما ذكره من العلم الضروري، ثم ادعاء كل منهما أن هذا العلم الضروري يبطل ما ادعاه الآخر من الضرورة غير مسلم بل كلاهما صادق فيما ادعاه من العلم الضروري، وإنما وقع غلطه في إنكاره ما مع الآخر من الحق.

وهذه شبهة أخرى من شبه القوم التي فرقته بل مزقتهم<sup>(١)</sup> كل ممزق وهي أنهم قالوا: كيف يستقيم الحكم على قولكم بأن الله يعذب المكلفين على ذنوبهم وهو خلقها فيهم، فأين العدل في تعذيبهم على ما هو خالقه وفاعله فيهم؟ وهذا السؤال لم يزل مطروحاً في العالم على السنة الناس وكل منهم يتكلم في جوابه بحسب علمه ومعرفته وعنه تفرقت بهم الطرق، فطائفة أخرجت<sup>(٢)</sup> أفعالهم عن قدرة الله تعالى، وطائفة أنكرت الحكم والتعليل وسدت<sup>(٣)</sup> باب السؤال، وطائفة أثبتت كسباً لا يعقل جعلت الثواب والعقاب عليه، وطائفة التزمت لأجله وقوع مقدور بين قادرين ومفعول بين<sup>(٤)</sup> فاعلين، وطائفة التزمت الجبر وأن الله يعذبهم على ما لا يقدرون عليه، وهذا السؤال هو الذي أوجب التفرق والاختلاف.

والجواب الصحيح عنه أن يقال: إن ما يبتلى به العبد من الذنوب الوجودية وإن كانت خلقاً لله تعالى فهي عقوبة له على ذنوب قبلها، فالذنب يكسب الذنب، ومن عقاب السيئة سيئة بعدها، فالذنوب كالأمرض التي يورث بعضها بعضاً.

### ١٠ شبهات الجبرية حول أفعال العباد والجواب عليها:

فما استدلت به الجبرية قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]، فنفى الله عن نبيه الرمي وأثبتته لنفسه سبحانه، فدل على أنه لا صنع للعبد، قالوا: والجزاء غير مرتب على الأعمال بدليل قوله ﷺ: «لن يدخل أحد

(١) انظر: مختصر الصواعق (١/ ٣٢٥ - ٣٣٠).

(٢) هم المعتزلة. (٣) هم الجهمية والأشاعرة.

(٤) هو قول الغزالي في الإحياء، انظر: العواصم والقواصم (٧/ ١٢).

الجنة بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل».

فأما ما استدلت به الجبرية من قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] فهو دليل عليهم، لأنه تعالى أثبت لرسوله رمياً بقوله إذ رميت فعلم أن المثبت غير المنفي، وذلك أن الرمي له ابتداء وانتهاء، فابتدأوه الحذف وانتهأوه الإصابة، وكل منهما يسمى رمياً، فالمعنى حينئذ والله تعالى أعلم: وما أصبت إذ حذفك ولكن الله أصابك، وإلا فطرد قولهم: وما صليت إذ صليت ولكن الله صلى، وما صمت إذ صمت، وما زنت إذ زنت، وما سرقت إذ سرقت، وفساد هذا ظاهر.

وأما ترتب الجزاء على الأعمال فقد ضلت فيه الجبرية والقدرية وهدى الله أهل السنة وله الحمد والمنة، فإن الباء التي في النفي غير الباء التي في الإثبات. فالمنفي في قوله لن يدخل الجنة أحد بعمله باء العوض وهو أن يكون العمل كالثمن لدخول الرجل إلى الجنة كما زعمت المعتزلة أن العامل مستحق دخول الجنة على ربه بعمله بل ذلك برحمة الله وفضله، والباء التي في قوله تعالى: ﴿جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧] ونحوها باء السبب، أي: بسبب عملكم، والله تعالى هو خالق الأسباب والمسببات، فرجع الكل إلى محض فضل الله ورحمته.

### ١١) عدم التعارض بين فعل العبد والمشية:

إنه لا منافاة بين كون العبد محدثاً لفعله وكون هذا الإحداث واجب وجوده بمشيئة الله تعالى كما قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۗ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۗ﴾ [الشمس: ٧، ٨]، فقوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۗ﴾ [الشمس: ٨] إثبات للقدر بقوله فألهمها وإثبات لفعل العبد بإضافة الفجور والتقوى إلى نفسه ليعلم أنها هي الفاجرة والتمتية، وقوله بعد ذلك: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۗ﴾ [الشمس: ٩، ١٠] إثبات أيضاً لفعل العبد ونظائر ذلك كثيرة.

### ١٢) أنواع العقوبة:

نوعان:

إحدهما: جعله مذنباً خاطئاً وهذه عقوبة عدم إخلاصه وإنابته وإقباله على الله، وهذه العقوبة قد لا يحس بألمها ومضرتها لموافقته شهوته وإرادته وهي في الحقيقة من أعظم العقوبات.

والثانية: العقوبات المؤلمة بعد فعله للسيئات، وقد قرن الله تعالى بين هاتين العقوبتين في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمَ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٤٤]، فهذه العقوبة الأولى ثم قال: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَاقِتَةٍ﴾ [الأنعام: ٤٤] فهذه العقوبة الثانية.

### ١٣ أفعال العباد نوعان:

وإذا ثبت كون العبد فاعلاً فأفعاله نوعان:  
نوع يكون منه من غير اقتران قدرته وإرادته فيكون صفة له ولا يكون فعلاً كحركات المرتعش.

ونوع يكون منه مقارناً لإيجاد قدرته واختياره فيوصف بكونه صفة وفعالاً وكسباً للعبد كالحركات الاختيارية، والله تعالى هو الذي جعل العبد فاعلاً مختاراً وهو الذي يقر على ذلك وحده لا شريك له.

### ١٤ استخدام الجبل بدل الجبر:

ولهذا أنكر السلف الجبر<sup>(١)</sup>، فإن الجبر لا يكون إلا من عاجز فلا يكون إلا مع الإكراه يقال: للأب ولاية إجبار البكر الصغيرة على النكاح وليس له إجبار الشيب البالغ أي ليس له أن يزوجها مكرهة.

والله تعالى لا يوصف بالإجبار بهذا الاعتبار لأنه سبحانه خالق الإرادة، والمراد قادر على أن يجعله بخلاف غيره، ولهذا جاء في ألفاظ الشارع الجبل دون الجبر كما قال ﷺ لأشج عبد القيس: «إن فيك لخلتين يحبهما الله الحلم والأناة، فقال: أخلقين تخلقتُ بهما أم خلقين جُبلتُ عليهما؟ فقال: بل خلقان جُبلتَ عليهما، فقال: الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله ورسوله».

### ١٥ شبهة خلق الفعل مع العقوبة ظلم:

وإذا قيل: خلق الفعل مع العقوبة عليه ظلم كان بمنزلة أن يقال خلق أكل السم ثم حصول الموت به ظلم، فكما أن هذا سبب للموت فهذا سبب للعقوبة ولا ظلم فيهما.

فإن قيل: فإذا لم يخلق ذلك في قلوبهم ولم يوفَّقوا له ولا سبيل لهم إليه

(١) انظر: منهاج السنة (٣/٢٤٦)، ودرء التعارض (١/٦٦).

بأنفسهم عاد السؤال وكان منعهم منه ظلاماً ولزمكم القول بأن العدل هو تصرف المالك في ملكه بما يشاء لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

قيل: لا يكون سبحانه بمنعهم من ذلك ظالماً وإنما يكون المانع ظالماً إذا منع غيره حقاً لذلك الغير عليه، وهذا هو الذي حرمه الرب على نفسه وأوجب على نفسه خلافه، وأما إذا منع غيره ما ليس بحق له بل هو محض فضله ومته عليه لم يكن ظالماً بمنعه، فمنع الحق ظلم ومنع الفضل والإحسان عدل، وهو سبحانه العدل في منعه كما هو المحسن المنان بعطائه.

### ١٦ الخلاصة:

١ - أفعال العباد كلها خلق الله تعالى كما قال ﷺ: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصفات: ٩٦] لكنها كسب من العباد، وهذا هو قول أهل الحق، خلافاً للجبرية الذين نفوا أي إرادة للعبد، وخلافاً للمعتزلة الذين جعلوا العبد خالق أفعال الشر دون إرادة الله، فهما في طرفي النقيض: الإفراط والتفريط، والوسط قول أهل السنة والجماعة.

٢ - من المخالفين لأهل السنة في مسألة خلق أفعال العباد: الجهمية الجبرية، والقدرية المعتزلة، ولكل شبهاً.

٣ - لا منافاة بين كون العبد محدثاً لفعله وكون هذا الإحداث واجب وجوده بمشيئة الله تعالى كما قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ [٧] فَأَلَمَهَا جُورَهَا وَتَقْوَاهَا [٨] ﴿ [الشمس: ٨].

٤ - العقوبة نوعان: الأولى جعله مذنباً خاطئاً، والثانية: العقوبات المؤلمة بعد فعله للسيئات.

٥ - إذا ثبت كون العبد فاعلاً فأفعاله نوعان:

نوع يكون منه من غير اقتران قدرته وإرادته فيكون صفة له ولا يكون فعلاً كحركات المرتعش.

ونوع يكون منه مقارناً لإيجاد قدرته واختياره.

٦ - أنكر السلف الجبر، فإن الجبر لا يكون إلا من عاجز، والله تعالى لا يوصف بالإجبار بهذا الاعتبار.

٧ - إذا قيل: خلق الفعل مع العقوبة عليه ظلم كان بمنزلة أن يقال خلق أكل

السم ثم حصول الموت به ظلم، فكما أن هذا سبب للموت فهذا سبب للعقوبة ولا ظلم فيهما.

### ١٧ المناقشة:

- س١: بيّن معنى كلام الطحاوي: «وأفعال العباد هي خلق الله وكسب من العباد».
- س٢: وضح مذهب أهل السنة والجماعة في أفعال العباد.
- س٣: اذكر بعضاً من أقوال السلف في إثبات خلق الله لأفعال العباد.
- س٤: ما أدلة أهل السنة والجماعة في مسألة خلق أفعال العباد؟
- س٥: من خالف أهل السنة في خلق أفعال العباد؟
- س٦: اذكر شبهات القدرية «المعتزلة» حول أفعال العباد مع الجواب عليها.
- س٧: اذكر شبهات الجبرية حول أفعال العباد مع الجواب عليها.
- س٨: هل يوجد تعارض بين فعل العبد والمشئته؟ وضح ذلك.
- س٩: ما أنواع العقوبة؟
- س١٠: ما أنواع أفعال العباد؟
- س١١: ما الفرق بين الجبل والجبر؟ وأيهما استخدم السلف؟
- س١٢: كيف ترد على من يقول: إن خلق الفعل مع العقوبة ظلم؟

## التكليف بحسب الطاقة

❖ كلام ابن أبي العز:

- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب.
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق
- ٣ - معاني الكلمات.
- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «ولم يكلفهم الله تعالى إلا ما يطيقون ولا يطيقون إلا ما كلفهم، وهو تفسير لا حول ولا قوة إلا بالله، نقول: لا حيلة لأحد ولا تحول لأحد ولا حركة لأحد عن معصية الله، إلا بمعونة الله، ولا قوة لأحد على إقامة طاعة الله والثبات عليها إلا بتوفيق الله، وكل شيء يجري بمشيئة الله تعالى وعلمه وقضائه وقدره، غلبت مشيئته المشيئات كلها وعكست إرادته الإرادات كلها، وغلب قضاؤه الحيل كلها، يفعل ما يشاء وهو غير ظالم أبداً: ﴿لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].
- ٥ - المراد بالطاقة.
- ٦ - تفسير قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦].
- ٧ - إطلاق القول بالتكليف بما لا يطاق من البدع.

- ٨ - أقوال الناس في تكليف ما لا يطاق.
- ٩ - منشأ النزاع بين الفرق في التكليف بما لا يطاق.
- ١٠ - توضيح المصطلحات العلمية كوناً وشرعاً.
- ١١ - الفوائد المستنبطة من حديث: «يا عبادي إني حرّمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا».
- ١٢ - توجيه حديث: «لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم».
- ١٣ - الخلاصة.
- ١٤ - المناقشة.



## التكليف بحسب الطاقة

قال ابن أبي العز:

قوله: «ولم يكلفهم الله تعالى إلا ما يطيقون ولا يطيقون إلا ما كلفهم، وهو تفسير لا حول ولا قوة إلا بالله، نقول: لا حيلة لأحد ولا تحول لأحد ولا حركة لأحد عن معصية الله إلا بمعونة الله، ولا قوة لأحد على إقامة طاعة الله والثبات عليها إلا بتوفيق الله، وكل شيء يجري بمشيئة الله تعالى وعلمه وقضائه وقدره، غلبت مشيئته المشيئات كلها، وعكست إرادته الإرادات كلها، وغلب قضاؤه الحيل كلها يفعل ما يشاء وهو غير ظالم أبداً: ﴿لَا يُسْتَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

فقوله: «لم يكلفهم الله تعالى إلا ما يطيقون»، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الأنعام: ١٥٢].

وعند أبي الحسن الأشعري أن تكليف ما لا يطاق جائز عقلاً، ثم تردد أصحابه أنه هل ورد به الشرع أم لا؟ واحتج من قال بوروده بأمر أبي لهب بالإيمان فإنه تعالى أخبر بأنه لا يؤمن وأنه سيصلى ناراً ذات لهب، فكان مأموراً بأن يؤمن بأنه لا يؤمن، وهذا تكليف بالجمع بين الضدين وهو محال.

والجواب عن هذا بالمنع فلا نسلم بأنه مأمور بأن يؤمن بأنه لا يؤمن والاستطاعة التي بها يقدر على الإيمان كانت حاصلة فهو غير عاجز عن تحصيل الإيمان، فما كلف إلا يطيقه كما تقدم في تفسير الاستطاعة، ولا يلزم قوله تعالى للملائكة: ﴿أَتِيْتُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١] مع عدم علمهم بذلك ولا للمصورين يوم القيامة أحيوا ما خلقتم، وأمثال ذلك لأنه ليس بتكليف طلب فعل يثاب فاعله ويعاقب تاركه بل هو خطاب تعجيز.

وكذا لا يلزم دعاء المؤمنين في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحِثْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٦] لأن تحميل ما لا يطاق ليس تكليفاً بل يجوز أن يحمله جبلاً لا يطيقه فيموت، وقال ابن الأنباري أي لا تحملنا ما يثقل علينا أداؤه وإن كنا مطبقين

له على تجشم وتحمل مكروهه، قال: فخاطب العرب على حسب ما تعقل، فإن الرجل منهم يقول للرجل يبغضه ما أطيق النظر إليك وهو مطيق لذلك، لكنه يثقل عليه، ولا يجوز في الحكمة أن يكلفه بحمل جبل بحيث لو فعل يثاب ولو امتنع يعاقب كما أخبر سبحانه عن نفسه أنه لا يكلف نفساً إلا وسعها.

ومنهم من يقول: يجوز تكليف الممتنع عادة دون الممتنع لذاته، لأن ذلك لا يتصور وجوده فلا يعقل الأمر به بخلاف هذا.

ومنهم من يقول: ما لا يطاق للعجز عنه لا يجوز تكليفه بخلاف ما لا يطاق للاشتغال بضده فإنه يجوز تكليفه، وهؤلاء موافقون للسلف والأئمة في المعنى، لكن كونهم جعلوا ما بتركه العبد لا يطاق لكونه تاركاً له مشتغلاً بضده بدعة في الشرع واللغة، فإن مضمونه أن فعل ما لا يفعله العبد لا يطيقه.

وهم التزموا هذا لقولهم إن الطاقة التي هي الاستطاعة وهي القدرة لا تكون إلا مع الفعل، فقالوا كل من لم يفعل فعلاً فإنه لا يطيقه، وهذا خلاف الكتاب والسنة وإجماع السلف، وخلاف ما عليه عامة العقلاء كما تقدمت الإشارة إليه عند ذكر الاستطاعة.

وأما ما لا يكون إلا مقارناً للفعل فذلك ليس شرطاً في التكليف مع أنه في الحقيقة إنما هناك إرادة الفعل، وقد يحتجون بقوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾ [هود: ٢٠]، ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٦٧] وليس في ذلك إرادة ما سموه استطاعة وهو ما لا يكون إلا مع الفعل، فإن الله ذم هؤلاء على كونهم لا يستطيعون السمع ولو أراد بذلك المقارن لكان جميع الخلق لا يستطيعون السمع قبل السمع فلم يكن لتخصيص هؤلاء بذلك معنى، ولكن هؤلاء لبغضهم الحق وثقله عليهم إما حسداً لصاحبه وإما اتباعاً للهوى لا يستطيعون السمع وموسى ﷺ لا يستطيع الصبر لمخالفة ما يراه لظاهر الشرع، وليس عنده منه علم وهذه لغة العرب وسائر الأمم، فمن يبغض غيره يقال: إنه لا يستطيع الإحسان إليه، ومن يحبه يقال: إنه لا يستطيع عقوبته لشدة محبته له لا لعجزه عن عقوبته، فيقال ذلك للمبالغة كما تقول لأضربنه حتى يموت، والمراد الضرب الشديد وليس هذا عذراً، فلو لم يأمر العباد إلا بما يهوونه لفسدت السماوات والأرض، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَتَعَاقَبَ أَحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون: ٧١].

وقوله: «ولا يطيقون إلا ما كلفهم به» إلى آخر كلامه أي ولا يطيقون إلا ما أقدرهم عليه، وهذه الطاقة هي التي من نحو التوفيق لا التي من جهة الصحة والوسع والتمكن وسلامة الآلات، ولا حول ولا قوة إلا بالله دليل على إثبات القدر، وقد فسرها الشيخ بعدها، ولكن في كلام الشيخ إشكال، فإن التكليف لا يستعمل بمعنى الإقدار وإنما يستعمل بمعنى الأمر والنهي، وهو قد قال: لا يكلفهم إلا ما يطيقون ولا يطيقون إلا ما كلفهم، وظاهره أنه يرجع إلى معنى واحد، ولا يصح ذلك لأنهم يطيقون فوق ما كلفهم به، لكنه سبحانه يريد بعباده اليسر والتخفيف كما قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ [النساء: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨] فلو زاد فيما كلفنا به لأطقناه ولكنه تفضل علينا ورحمنا وخفف عنا ولم يجعل علينا في الدين من حرج، ويجاب عن هذا الإشكال بما تقدم أن المراد الطاقة التي من نحو التوفيق لا من جهة التمكن وسلامة الآلات، ففي العبارة قلق فتأمل.

وقوله: «وكل شيء يجري بمشيئة الله وعلمه وقضائه وقدره» يريد بقضائه القضاء الكوني لا الشرعي، فإن القضاء يكون كونياً وشرعياً وكذلك الإرادة والأمر والإذن والكتاب والحكم والتحريم والكلمات ونحو ذلك.

أما القضاء الكوني ففي قوله تعالى: ﴿فَقَضَيْنَهُنَّ مِمَّا سَنَّ سَكَاةٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ١٢]. والقضاء الديني الشرعي في قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

وأما الإرادة الكونية والدينية فقد تقدم ذكرها عند قول الشيخ: ولا يكون إلا ما يريد. وأما الأمر الكوني، ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، وكذا قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَوْمًا أَمْرًا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦] في أحد الأقوال وهو أقواها.

والأمر الشرعي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠] وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨].

وأما الإذن الكوني، ففي قوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِضَاكِرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢].

والإذن الشرعي في قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّسَنَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٥].

وأما الكتاب الكوني، ففي قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْزَرُ مِنْ مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِضُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر: ١١]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

والكتاب الشرعي الديني في قوله تعالى: ﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ [المائدة: ٤٥]، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كِتَابٌ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣].

وأما الحكم الكوني، ففي قوله تعالى عن ابن يعقوب عليه السلام: ﴿فَلَن أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [يوسف: ٨٠] وقوله تعالى: ﴿قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١١٢].

والحكم الشرعي في قوله تعالى: ﴿أَحَلَّتْ لَكُمْ بَيْمَتُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١].

وأما التحريم الكوني ففي قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٢٦]، ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَىٰ قَرِيْبَةٍ أَهْلَ كَنْهَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٥].

والتحريم الشرعي في قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيْتَةُ وَالذَّمُّ وَحُمُّ الْخَنزِيْرِ﴾ [المائدة: ٣] و﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ [النساء: ٢٣].

وأما الكلمات الكونية، ففي قوله تعالى: ﴿وَوَدَّعْتُمْ كَلِمَاتٍ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الأعراف: ١٣٧]، وفي قوله عليه السلام: «أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر»<sup>(١)</sup>.

والكلمات الشرعية الدينية في قوله تعالى: ﴿وَلَا إِتْرَافَ وَلَا يَرْهَقَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٢٤].

وقوله: «يفعل ما يشاء وهو غير ظالم أبداً» الذي دل عليه القرآن من تنزيه الله نفسه عن ظلم العباد يقتضي قولاً وسطاً بين قولي القدرية والجبرية، فليس ما كان من بني آدم ظلماً وقبيحاً يكون منه ظلماً وقبيحاً كما تقوله القدرية والمعتزلة

(١) خلق أفعال العباد (ص ٤١).

ونحوهم فإن ذلك تمثيل لله بخلقه وقياس له عليهم، هو الرب الغني القادر وهم العباد الفقراء المقهورون، وليس الظلم عبارة عن الممتنع الذي لا يدخل تحت القدرة كما يقوله من يقوله من المتكلمين<sup>(١)</sup> وغيرهم، يقولون إنه يمتنع أن يكون في الممكن المقدور ظلم بل كان ما كان ممكناً فهو منه لو فعله عدل إذ الظلم لا يكون إلا من مأمور من غيره منهي والله ليس كذلك، فإن قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢]، وقوله تعالى: ﴿مَا يَبْدُلُ الْقَوْلَ لَدَىٰ وَمَا أَنَا بِظَالِمٍ لِّلْمَعِيدِ﴾ [ق: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمْ الظَّالِمِينَ﴾ [الزخرف: ٧٦]، وقوله تعالى: ﴿وَوَجِدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، وقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ لِكُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّكَ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [غافر: ١٧] وذلك يدل على نقيض هذا القول.

ومنه قوله الذي رواه عنه رسوله ﷺ: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا»<sup>(٢)</sup>، فهذا دل على شيئين:

أحدهما: أنه حرم على نفسه الظلم والممتنع لا يوصف بذلك.

الثاني: أنه أخبر أنه حرمه على نفسه كما أخبر أنه كتب على نفسه الرحمة وهذا يبطل احتجاجهم بأن الظلم لا يكون إلا من مأمور منهي، والله ليس كذلك فيقال لهم هو سبحانه كتب على نفسه الرحمة وحرم على نفسه الظلم، وإنما كتب على نفسه وحرم على نفسه ما هو قادر عليه لا ما هو ممتنع عليه.

وأيضاً فإن قوله: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢] قد فسره السلف بأن الظلم أن توضع عليه سيئات غيره والهضم أن ينقص من حسناته كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

وأيضاً فإن الإنسان لا يخاف الممتنع الذي لا يدخل تحت القدرة حتى يأمن من ذلك، وإنما يأمن مما يمكن فلما آمنه من الظلم بقوله: ﴿فَلَا يَخَافُ﴾ [طه: ١١٢] علم

(١) هذا قول الجهمية والجبورية حيث زعموا أن الله تعالى لما تنزه عن فعله للظلم إنما كان لا تمتناعه عليه وهذا باطل مردود، انظر: الرد عليهم مختصر الصواعق (١/٣١٤، ٣١٥)، وشرح النونية للهراس (ص ٢٤).

(٢) سبق تخريجه.

أنه ممكن مقدور عليه، وكذا قوله: ﴿لَا تَخْصُوا لَدَيْ﴾ [ق: ٢٨] إلى قوله: ﴿وَمَا أَنَا بِظَلْمٍ لِلصِّدِّقِ﴾ [ق: ٢٩] لم يعن بها نفي ما لا يقدر عليه ولا يمكن منه وإنما نفي ما هو مقدور عليه ممكن وهو أن يجزوا بغير أعمالهم، فعلى قول هؤلاء ليس الله منزهاً عن شيء من الأفعال أصلاً ولا مقدساً عن أن يفعله بل كل ممكن فإنه لا ينزه عن فعله بل فعله حسن ولا حقيقة للفعل السوء بل ذلك ممتنع والممتنع لا حقيقة له.

والقرآن يدل على نقيض هذا القول في مواضع نزه الله نفسه فيها عن فعل ما لا يصلح له ولا ينبغي له، فعلم أنه منزه مقدس عن فعل السوء والفعل المعيب المذموم كما أنه منزه مقدس عن وصف السوء والوصف المعيب المذموم، وذلك كقوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥] فإنه نزه نفسه عن خلق الخلق عبثاً وأنكر على من حسب ذلك وهذا فعل، وقوله تعالى: ﴿أَفَتَجْعَلُ الْكُفْرَيْنَ كَالْإِيمَانِ﴾ [القلم: ٣٥]، وقوله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨] إنكار منه على من جوز أن يسوي الله بين هذا وهذا، وكذا قوله: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [البجائية: ٢١] إنكار على من حسب أنه يفعل هذا، وإخبار أن هذا حكم سيء قبيح وهو مما ينزه الرب عنه.

وروى أبو داود والحاكم في المستدرک من حديث ابن عباس وعبادة بن الصامت وزيد بن ثابت عن النبي ﷺ: «لو أن الله عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم»<sup>(١)</sup>. وهذا الحديث مما يحتج به الجبرية وأما القدرية فلا يتأتى على أصولهم الفاسدة ولهذا قابلوه إما بالتكذيب أو بالتأويل.

وأسعد الناس به أهل السنة الذين قابلوه بالتصديق وعلموا من عظمة الله وجلاله قدر نعم الله على خلقه وعدم قيام الخلق بحقوق نعمه عليهم إما عجزاً وإما جهلاً وإما تفریطاً وإضاعة وإما تقصيراً في المقدور من الشكر ولو من بعض الوجوه، فإن حقه على أهل السماوات والأرض أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا

يكفر وتكون قوة الحب والإنابة والتوكل والخشية والمراقبة والخوف والرجاء جميعها متوجهة إليه ومتعلقة به بحيث يكون القلب عاكفاً على محبته وتأليهه بل على إفراده بذلك واللسان محبوباً على ذكره والجوارح وقفاً على طاعته.

ولا ريب أن هذا مقدور في الجملة ولكن النفوس تشح به وهي في الشح على مراتب لا يحصيتها إلا الله تعالى، وأكثر المطيعين تشح به نفسه من وجه وإن أتى به من وجه آخر فأين الذي لا تقع منه إرادة تزامم مراد الله وما يحبه منه، ومن ذا الذي لم يصدر منه خلاف ما خلق له ولو في وقت من الأوقات فلو وضع الرب سبحانه عدله على أهل سمواته وأرضه لعذبهم بعدله ولم يكن ظالماً لهم.

وغاية ما يقدر توبة العبد من ذلك واعترافه وقبول التوبة محض فضله وإحسانه وإلا فلو عذب عبده على جنايته لم يكن ظالماً ولو قدر أنه تاب منها، لكن أوجب على نفسه بمقتضى فضله ورحمته أنه لا يعذب من تاب، وقد كتب على نفسه الرحمة فلا يسع الخلائق إلا رحمته وعفوه، ولا يبلغ عمل أحد منهم أن ينجو به من النار أو يدخل الجنة كما قال أطوع الناس لربه وأفضلهم عملاً وأشدهم تعظيماً لربه وإجلالاً: «لن ينجي أحداً منكم عمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل»<sup>(١)</sup>.

وسأله الصديق دعاء يدعو به في صلاته فقال: «قل اللهم إنني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم»<sup>(٢)</sup>.

فإذا كان هذا حال الصديق الذي هو أفضل الناس بعد الأنبياء والمرسلين فما الظن بسواه، بل إنما صار صديقاً بتوفيته هذا المقام حقه الذي يتضمن معرفة ربه وحقه وعظمته وما ينبغي له وما يستحقه على عبده ومعرفة تقصيره، فسحقاً وبعداً لمن زعم أن المخلوق يستغني عن مغفرة ربه ولا يكون به حاجة إليها وليس وراء هذا الجهل بالله وحقه غاية، فإن لم يتسع فهمك لهذا فأنزل إلى وطأة النعم وما عليها من الحقوق ووازن من شكرها وكفرها فحيث تعلم أنه سبحانه لو عذب أهل سمواته وأرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم.

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٩٩)، وابن ماجه (٧٧).

(٢) سبق تخريجه.

## الشرح

### عناصر الموضوع:

- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب :  
أ - تقرير معتقد أهل السنة والجماعة أن الله تعالى لا يكلف العبد إلا ما يستطيع، دل على ذلك الأدلة من الكتاب والسنة.  
ب - الرد على المخالفين لأهل السنة من الأشاعرة وغيرهم الذين قالوا أن تكليف ما لا يطاق جائز عقلاً، واختلفوا هل ورد به الشرع على قولين.
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق :  
قرر المصنف فيما سبق أن الاستطاعة نوعان، وأن أفعال العباد خلق الله وكسب العباد، فناسب أن يبين أن معتقد أهل السنة أن الله تعالى لا يكلف العبد إلا ما يستطيع.
- ٣ - معاني الكلمات :

الكلمة	المعنى
الضدين	صفتان مختلفتان تتعاقبان على موضوع واحد ولا تجتمعان كالسواد والبياض.

- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «ولم يكلفهم الله تعالى إلا ما يطيقون ولا يطيقون إلا ما كلفهم<sup>(١)</sup>»، وهو تفسير لا حول ولا قوة إلا بالله نقول: لا حيلة لأحد ولا تحول لأحد ولا حركة لأحد عن معصية الله إلا بمعونة الله، ولا قوة لأحد على إقامة طاعة الله والثبات عليها إلا بتوفيق الله، وكل شيء يجري بمشيئة الله تعالى وعلمه وقضائه وقدره، غلبت مشيئته المشيئات كلها وعكست إرادته الإرادات كلها، وغلب قضاؤه الحيل كلها، يفعل ما يشاء وهو غير ظالم أبداً: ﴿لَا يَسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ [الأنبياء: ٢٣]:  
الله تعالى لم يكلف الناس إلا بما يطيقون كما قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ

(١) قال الإمام ابن باز رَضِيَ اللهُ عَنْهُ معلقاً على هذه العبارة: «هذا غير صحيح بل المكلفون يطيقون أكثر مما كلفهم به سبحانه ولكنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ وَسَرٌّ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يَجْعَلْ عَلَيْهِمْ فِي دِينِهِمْ حَرْجاً فَضْلاً مِنْهُ وَإِحْسَاناً».



نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴿البقرة: ٢٨٦﴾؛ فالتكليف بالشيء دليل على استطاعته، والعباد لا يطبقون إلا بما كلفهم الله به، فلو أنهم أطاقوا غيره لكلفهم الله به، فلما لم يكلفهم بأكثر مما كلفهم به، دل على أنهم لا يطبقون غيره، ومعنى لا حول ولا قوة إلا بالله: أي لا تحول عن المعصية ولا قدرة على الطاعة إلا بمعونة الله تعالى وتوفيقه.

وكل شيء يجري في هذا الكون بمشيئة الله تعالى وعلمه، وبقضائه وقدره، فمشيئة الله غلبت كل مشيئة، ومشيئته تنفذ، ومهما احتال الناس للإفلات مما قضاه الله تعالى لم يستطيعوا؛ فقضاؤه غلب الحيل كلها، يفعل الله تعالى ما يشاء، وهو متنزّه عن الظلم، وكل شيء قضاه فهو عين العدل، وقد تنزه الله ﷻ وتقديس عن كل سوء وظلم وهلاك وعيب وشين ونقص.

#### ٥ المراد بالطاقة:

الطاقة هي الاستطاعة، والخلاف بين المذاهب حول تحديد المقصود بما لا يطاق، هل هو الممتنع عادة أو المستحيل كالجمع بين الضدين، أو هو تكليف الكافر وهو لا يؤمن.

٦ تفسير قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتُمْ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة: ٢٨٦]:

قال ابن الجوزي في زاد المسير: «الوسع الطاقة، قاله ابن عباس وقتادة. ومعناه: لا يكلفها ما لا قدرة لها عليه لاستحالته، كتكليف الزمن السعي والأعمى النظر، فأما تكليف ما يستحيل من المكلف لا لفقد الآلات فيجوز، كتكليف الكافر الذي سبق في العلم القديم أنه لا يؤمن بالإيمان». اهـ.

#### ٧ إطلاق القول بالتكليف بما لا يطاق من البدع:

إطلاق القول بالتكليف بما لا يطاق من البدع الحادثة في الإسلام، فقد أحدثها المتكلمون<sup>(١)</sup>.

قال شيخ الإسلام: «ومثل هذا التكليف لم يكن واقعاً في الشريعة باتفاق

(١) انظر: الدرء (١/٦٥).

طوائف المسلمين إلا شذمة قليلة من المتأخرين ادعوا وقوع مثل هذا التكليف في الشريعة ونقلوا ذلك عن الأشعري وأكثر أصحابه وهو خطأ عليهم<sup>(١)</sup>.

### ٨ أقوال الناس في تكليف ما لا يطاق :

وقد وقع مع الخلاف في تكليف ما لا يطاق على أقوال:

١ - جواز تكليف ما لا يطاق مطلقاً، ومنه تكليف أعمى البصر، والزَّمن أن يسير إلى مكة. وهذا قول جهنم بن صفوان<sup>(٢)</sup>.

٢ - عدم جواز تكليف ما لا يطاق، وقد منعه لقبحه عقلاً، وهذا مبني على مذهبهم في أن القدرة تكون قبل الفعل فقط، حتى يتحقق التكليف، ومن ثم يترتب عليه الثواب والعقاب، ولذلك منعوا أن تكون القدرة مقارنة لمقدورها، لأن معنى ذلك أن يكون تكليف الكافر بالإيمان تكليفاً بما لا يطاق؛ إذ لو أطاقه لوقع منه، فلما لم يقع منه دل على أنه غير قادر عليه، وتكليف ما لا يطاق قبيح، والله لا يفعل القبيح، وهذا قول المعتزلة ومن وافقهم<sup>(٣)</sup>.

٣ - أن تكليف ما لا يطاق جائز، وهذا مذهب الأشاعرة، وبنوا ذلك على ما في مذهبهم من أنه لا يجب على الله شيء ولا يقبح منه شيء، لكن الأشاعرة يقولون: إن ما لا يطاق أقسام:

أ - أن يمتنع الفعل لعلم الله بعدم وقوعه، كتكليف الكافر الإيمان في حالة كفره، وهذا جائز عند جميع الأشاعرة، وهذا النوع هو ما لا يستطيعه المكلف لا اشتغاله بضده فقط، وهو الذي منعه المعتزلة<sup>(٤)</sup>.

ب - أن يمتنع الفعل لنفسه، بكونه محالاً كالجمع بين الضدين. وهذا اختلف فيه الأشاعرة، منهم من أجازته كالرازي ومنهم من منعه<sup>(٥)</sup>.

ج - ألا تتعلق به القدرة الحادثة عادة، كحمل الجبل، والطيران، فهذا يجوز

(١) انظر: الفتاوى (٤٣٨/٨).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٢٩٧/٨).

(٣) انظر: شرح الأصول الخمسة (ص ٣٩٦)، والمختصر في أصول الدين لعبد الجبار الهمداني (ص ٢١٨)، ونظرية التكليف لعبد الكريم عثمان (ص ٣٠١)، وشرح المواقف (ص ٣٣١)، الجزء المحقق.

(٤) انظر: شرح المواقف (ص ٣٣١ - ٣٣٢)، الجزء المحقق.

(٥) انظر: الإرشاد (ص ٢٢٦) وما بعدها، ومعالم أصول الدين للرازي (ص ٨٥ - ٨٦)، ط. مكتبة الكليات الأزهرية، وشرح المواقف (ص ٣٣٢)، الجزء المحقق.

بعض الأشاعرة وإن لم يقع من خلال الاستقراء، وبعض المجوزين يحتج لذلك بتكليف أبي لهب الإيمان مع ورود الخبر أنه لا يؤمن<sup>(١)</sup>.

٤ - مذهب السلف: التفصيل، وذلك أن يقال: تكليف ما لا يطاق على

وجهين:

أحدها: ما لا يقدر على فعله لاستحالته، وهو نوعان:

أ - ما هو ممتنع عادة كالمشي على الوجه والطيران، وكالمُقعد الذي لا يقدر على القيام، والأخرس الذي لا يقدر على الكلام.

ب - وما هو ممتنع في نفسه كالجمع بين الضدين، وجعل المحدث قديماً، والقديم محدثاً، ونحو ذلك.

فهذان النوعان قد اتفق حملة الشريعة على أن مثل هذا ليس بواقع، وأنه لا يجوز تكليفه<sup>(٢)</sup>.

والثاني: ما لا يقدر عليه، لا لاستحالته، ولا للعجز عنه، لكن لتركه والاشتغال بضده، مثل تكليف الكافر الإيمان في حال كفره، فهذا جائز خلافاً للمعتزلة، لأنه من التكليف الذي اتفق المسلمون على وقوعه في الشريعة. ولكن إطلاق تكليف ما لا يطاق على هذا مما منعه جمهور أهل العلم، وإن كان بعض المتسبين إلى السنة قد أطلقه في ردهم على القدرية<sup>(٣)</sup>.

بقي الكلام في ما احتج به بعض الأشاعرة من جواز تكليف الممتنع عادة، بقصة أبي لهب<sup>(٤)</sup>، فشيخ الإسلام يرى أن هذا خطأ، لأن من أخبر الله أنه لا يؤمن وأنه يصلئ النار، بعد دعاء النبي ﷺ له إلى الإيمان، فهذا قد حقت عليه كلمة العذاب، فهو كالذي يعاين الملائكة وقت الموت، فلم يبق هذا مخاطباً من

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢٩٥/٨)، وشرح المواقيف (ص٣٣٣)، الجزء المحقق.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٣٠١/٨).

(٣) انظر: المعتمد في أصول الدين للقاضي أبي يعلى (ص١٤٦ - ١٤٧)، ومجموع الفتاوى (٢٩٨ - ٣٠٢)، ودرء التعارض (٦٠/١).

(٤) كالرازي في معالم أصول الدين (ص٨٥)، ط. مكتبة الكليات الأزهرية، وانظر: مجموع الفتاوى (٣٠٣/٨ - ٤٣٨) ثم إن الله أمر أبا لهب قبل أن تنزل السورة فلما أصر وعاند استحق الوعيد كما استحق قوم نوح حين قيل له: ﴿أَنْتُمْ لَنْ يُؤْمِنُوا مِنْ قَوْلِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ﴾ وحين استحق الوعيد أخبر الله بالوعيد الذي لم يلحقه ولم يكن حينئذ مأموراً بطلب به من ذلك، انظر: الفتاوى (٤٣٨/٨).

جهة الرسول بالأميرين المتناقضين. هو أيضاً كقوم نوح حين أخبر الله نوحاً ﷺ أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن، فلم يكن بعد هذا يأمرهم بالإيمان بهذا الخطاب<sup>(١)</sup>.

بل إذا قدر أنه أخبر بصليبه النار المستلزم لموته على الكفر وأنه سمع هذا الخطاب، ففي هذا الحال انقطع تكليفه، ولم ينفعه إيمانه حينئذ، كإيمان من يؤمن بعد معاينة العذاب، قال تعالى: ﴿فَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَاسًا﴾ [غافر: ٨٥]<sup>(٢)</sup>. فأبو لهب قد حقت عليه كلمة العذاب، فلا ينفعه الإيمان<sup>(٣)</sup>.

وهكذا فالقول الراجح هو التفصيل فيها. ومن ذلك يتبين خطأ المعتزلة والجهمية وبعض الأشاعرة. علماً أن من الأشاعرة من ذكر القول الحق بتفصيله في هذه المسألة<sup>(٤)</sup>.

#### ٩ منشأ النزاع بين الفرق في التكليف بما لا يطاق:

يرى شيخ الإسلام أن هذا الخلاف ناتج عن عدم التفريق بين أمرين متعلقين بالنزاع في هذه المسألة:

- ١ - ما يرجع إلى الفعل المأمور به، وهذا فيما يتعلق بالقضاء والقدر.
  - ٢ - وما يرجع إلى جواز الأمر بالشيء، وهذا فيما يتعلق بمسائل الأمر والنهي.
- والذين خلطوا بين هذين القسمين وقعوا في المحذور، مثل قياس بعضهم أمر الله الكافر بالإيمان مع علمه تعالى أنه لا يفعل، بمسألة العاجز الذي لو أراد الفعل لم يقدر عليه، وجعلهم القسمين قسماً واحداً وأنه تكليف بما لا يطاق. فهذا جمع مخالف لما يعلم بالاضطرار من الفرق بينهما، وهو من مشاركات الأهواء بين القدرية والجبرية<sup>(٥)</sup>.

ولذا يرى شيخ الإسلام أن إطلاق القول تكليف ما لا يطاق من البدع الحادثة في الإسلام<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣٠٨/٢)، ودرء التعارض (٦٣/١).

(٢) انظر: درء التعارض (٦٣/١ - ٦٤).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٤٣٩/٨، ٤٧٣ - ٤٧٤).

(٤) انظر: المعتمد في أصول الدين (ص١٤٦)، والاقتصاد للغزالي (ص١١٢ - ١١٤)، ط. دار الكتب العلمية، ومجموع الفتاوى (٢٩٦/٨، ٤٦٩ - ٤٧٠).

(٥) انظر: درء التعارض (٦٤/١ - ٦٥). (٦) انظر: المصدر السابق (٦٥/١).

## ١٠ توضيح المصطلحات العلمية كوناً وشرعاً:

١ - أما القضاء الكوني: ففي قوله تعالى: ﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَنَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ١٢]. وهو ما تعلق بكل ما شاء الله كونه ووقوعه مما سبق به قدره سبحانه وأنه سيقع لا محالة.

والقضاء الديني الشرعي: في قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]. فيتناول كل ما كلف الله به عباده في كتابه أو السنة رسله ﷺ من أفعال وترك وهذا القسم قد يقع وقد لا يقع<sup>(١)</sup>.

القضاء هو الحكم والأمر، فالقضاء الكوني هو ما لا يختص بالمحجوبات فقط بل يشمل كل قضاء يقضي به الله تعالى ويقدره فيكون بمشيئته وإرادته، وأما القضاء الشرعي فهو مما يحبه الله تعالى، فهذا قد يقع ويحصل المقضي به وقد لا يحصل.

٢ - وأما الأمر الكوني: ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، وكذا قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَوْمًا أَمْرًا مُتَرَفِّعًا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦] في أحد الأقوال وهو أقواها.

والأمر الشرعي: في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠] وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]. فالأمر الكوني يأمر الله به كوناً وقدرأ فيكون بمشيئته وإرادته، ويقع حين يشاء ويريد، ولا يشترط فيه أن يكون الأمر مما يحبه الله ويرضاه.

أما الأمر الشرعي فهو ما أمر الله به عباده وشرعه لهم ديناً وأمرهم بالالتزام به، وهو مما يحبه الله ويرضاه، إلا أنه قد يتخلف بعض الناس عن فعله وامتناله.

٣ - وأما الإذن الكوني: ففي قوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢].

والإذن الشرعي: في قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِيَنَةٍ أَوْ نَضَعْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُسُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الحشر: ٥].

فالإذن الكوني هو كل مأذون أذن به الله تعالى وقدره وشاء أن يقع وهو حاصل

(١) شرح (التوبة) للهراس (٤٦٥).

لا محالة، فهو عام شامل لكل مخلوق مما يحبه أو يبغضه ويكرهه، وأما الإذن الشرعي فهو كل ما أذن الله به للعبد فعله وتناوله شرعاً، وقد يفعل العبد ما أذن الله به وقد لا يفعل.

٤ - وأما الكتاب الكوني: ففي قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْمُرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِضُ مِنْ عُمْرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر: ١١]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

والكتاب الشرعي الديني: في قوله تعالى: ﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالْنَفْسِ﴾ [المائدة: ٤٥]، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كِتَابٌ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣]. فالكتاب الكوني هو ما يكتبه الله تعالى على عباده قدراً وكوناً ويقع لا محالة ولا يلزم أن يكون المكتوب مما يحبه الله ويرضاه.

أما الكتاب الشرعي فهو ما كتبه الله على عباده شرعاً وأمرهم بامتثاله ونهاهم عن مخالفته، فالله ﷻ لا يكتب إلا ما يحبه ويرضاه، إلا أنه لا يلزم من الكتابة الشرعية أن يحصل المكتوب، فقد يتخلف ذلك عن بعض المخلوقات.

٥ - وأما الحكم الكوني: ففي قوله تعالى عن ابن يعقوب رضي الله عنه: ﴿فَلَنْ أَتْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [يوسف: ٨٠]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١١٢].

والحكم الشرعي: في قوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَيْعَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١]، وقال تعالى: ﴿ذَلِكَمُ حُكْمُ اللَّهِ يُحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ [المتحنة: ١٠].

فالحكم الكوني هو الذي حكم الله به بين العباد وقدره عليهم فهو سبحانه يفعل ما يشاء وما يريد، وهذا الحكم لا يمكن لأحد رده ولا مخالفته ولا إبطاله، ولا يلزم منه أيضاً المحبة والرضا.

أما الحكم الشرعي فهو الأحكام الشرعية التي أنزل الله بها كتبه وأرسل بها رسله من الأوامر والنواهي. وهي مما يحبه الله ويرضاه وفيها مصالح للعباد آجلاً أو عاجلاً.

٦ - وأما التحريم الكوني: ففي قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٢٦]، ﴿وَحَرَّمَ عَلَى قَرِيَّةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٥].

والتحريم الشرعي: في قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيتَةُ وَالْدَّمُ وَحُمُ الْجَنْزِيرِ﴾ [المائدة: ٣] و﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ [النساء: ٢٣].

وهذا التقسيم كسابقه، فالتحريم الكوني ما حرمه الله ومنعه قدراً وكوناً، وهو كائن لا محالة ولا يلزم منه المحبة والرضا.

وأما التحريم الشرعي فهو ما حرمه الله ونهى عنه على السنة رسله ﷺ من الذنوب والمعاصي فهو تحريم شرعي، ولا يلزم منه أن لا يحصل الشيء المحرم البتة بل قد يعصى في ذلك.

٧ - وأما الكلمات الكونية: ففي قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الأعراف: ١٣٧]، وفي قوله ﷺ: «أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر».

والكلمات الشرعية الدينية: في قوله تعالى: ﴿وَلِذِئْتِنَا إِبرَهيمَ إِذِ ابْتَلَىٰ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٢٤].

فالكلمات الكونية هي التي تكلم الله بها لخلق شيء ووجوده وبها يخلق الكائنات وما فيها مما يحبه الله ومما يكرهه، ولا يمكن لأحد مخالفتها.

أما الكلمات الشرعية فهي الأوامر والنواهي والأخبار والقصص والوعد والوعيد ونحوها، وهذه الكلمات صادرة من ألوهيته ﷻ ومتعلقة بما يحبه ويرضاه، وهي التي يجاوزهن الكفار والفجار الذين يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما تهوى أنفسهم.

١١ الفوائد المستنبطة من حديث: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا»<sup>(١)</sup>:

دل الحديث على شيئين:

أحدهما: أنه حرم على نفسه الظلم، والممتنع لا يوصف بذلك.

الثاني: أنه أخبر أنه حرمه على نفسه كما أخبر أنه كتب على نفسه الرحمة، وهذا يبطل احتجاجهم بأن الظلم لا يكون إلا من أمور منهي، والله ليس كذلك، فيقال لهم، هو سبحانه كتب على نفسه الرحمة وحرم على نفسه الظلم، وإنما كتب على نفسه وحرم على نفسه ما هو قادر عليه، لا ما هو ممتنع عليه.

(١) هذا الحديث شرحه شيخ الإسلام في الفتاوى (١٣٧/١٨).

١٢ توجيه حديث: «لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو

غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم»:

وروى أبو داود والحاكم في المستدرک من حديث ابن عباس وعبادة بن الصامت وزيد بن ثابت عن النبي ﷺ: «لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم».

وهذا الحديث مما يحتاج به الجبرية، وأما القدرية فلا يتأتى على أصولهم الفاسدة ولهذا قابلوه إما بالتكذيب أو بالتأويل.

وأسعد الناس به أهل السنة الذين قابلوه بالتصديق وعلموا من عظمة الله وجلاله قدر نعم الله على خلقه وعدم قيام الخلق بحقوق نعمه عليهم إما عجزاً وإما جهلاً، وإما تفريطاً وإضاعة، وإما تقصيراً في المقدور من الشكر ولو من بعض الوجوه، فإن حقه على أهل السماوات والأرض أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر، وتكون قوة الحب والإنابة والتوكل والخشية والمراقبة والخوف والرجاء جميعها متوجهة إليه ومتعلقة به بحيث يكون القلب عاكفاً على محبته وتأليه، بل على إفراده بذلك، واللسان محبوساً على ذكره والجوارح وقفاً على طاعته.

ولا ريب أن هذا مقدور في الجملة، ولكن النفوس تشح به وهي في الشح على مراتب لا يحصيها إلا الله تعالى، وأكثر المطيعين تشح به نفسه من وجه وإن أتى به من وجه آخر، فأين الذي لا تقع منه إرادة تراحم مراد الله وما يحبه منه، ومن ذا الذي لم يصدر منه خلاف ما خلق له ولو في وقت من الأوقات، فلو وضع الرب سبحانه عدله على أهل سماواته وأرضه لعذبهم بعدله ولم يكن ظالماً لهم.

وغاية ما يقدر توبة العبد من ذلك واعترافه وقبول التوبة محض فضله وإحسانه، وإلا فلو عذب عبده على جنايته لم يكن ظالماً، ولو قدر أنه تاب منها، لكن أوجب على نفسه بمقتضى فضله ورحمته أنه لا يعذب من تاب، وقد كتب على نفسه الرحمة فلا يسع الخلائق إلا رحمته وعفوه، ولا يبلغ عمل أحد منهم أن ينجو به من النار أو يدخل الجنة كما قال أطوع الناس لربه وأفضلهم عملاً وأشدهم تعظيماً لربه وإجلالاً: «لن ينجي أحداً منكم عمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل».



وسأله الصديق دعاء يدعو به في صلاته فقال: «قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظملاً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم».

فإذا كان هذا حال الصديق الذي هو أفضل الناس بعد الأنبياء والمرسلين، فما الظن بسواه، بل إنما صار صديقاً بتوفيقه هذا المقام حقه الذي يتضمن معرفة ربه وحقه وعظمته، وما ينبغي له وما يستحقه على عبده، ومعرفة تقصيره، فسحقاً وبعداً لمن زعم أن المخلوق يستغني عن مغفرة ربه ولا يكون به حاجة إليها، وليس وراء هذا الجهل بالله وحقه غاية، فإن لم يتسع فهمك لهذا فانزل إلى وطأة النعم وما عليها من الحقوق ووازن من شكرها وكفرها، فحينئذ تعلم أنه سبحانه لو عذب أهل سماواته وأرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم.

### ١٣ الخلاصة:

١ - مسألة ما لا يطاق، من المسائل الفرعية، إلا أنها ذات صلة بمسائل متعلقة بالقدر، وللرد على المنحرفين المخالفين لأهل السنة والجماعة في هذه المسألة من الجهمية والأشاعرة وغيرهم.

٢ - والله تعالى لم يكلف الناس إلا بما يطيقون كما قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]؛ فالتكليف بالشيء دليل على استطاعته، والعباد لا يطيقون إلا بما كلفهم الله به.

٣ - كل شيء يجري في هذا الكون بمشيئة الله تعالى وعلمه، ويقضائه وقدره، فمشيئة الله غلبت كل مشيئة، ومشيئته تنفذ، ومهما احتال الناس للإفلات مما قضاه الله تعالى لم يستطيعوا.

٤ - الطاقة هي الاستطاعة، والخلاف بين المذاهب حول تحديد المقصود بما لا يطاق هل هو الممتنع أو المستحيل كالجمع بين الضدين أو هو تكليف الكافر وهو لا يؤمن.

٥ - إطلاق القول بالتكليف بما لا يطاق من البدع الحادثة في الإسلام، فقد أحدثها المتكلمون.

٦ - الخلاف في مسألة التكليف بما لا يطاق ناتج عن عدم التفريق بين أمرين متعلقين بالنزاع في هذه المسألة:

أ - ما يرجع إلى الفعل المأمور به، وهذا فيما يتعلق بالقضاء والقدر.

ب - وما يرجع إلى جواز الأمر بالشيء، وهذا فيما يتعلق بمسائل الأمر والنهي.

٦ - هناك فرق بين المصطلح الكوني والشرعي.

٧ - لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم.

#### ١٤ المناقشة:

- س١: لماذا عقد المصنف هذا المبحث؟
- س٢: بين معنى كلام الطحاوي: «ولم يكلفهم الله تعالى إلا ما يطيقون، ولا يطيقون إلا ما كلفهم، وهو تفسير لا حول ولا قوة إلا بالله، نقول: لا حيلة لأحد ولا تحول لأحد ولا حركة لأحد عن معصية الله إلا بمعونة الله، ولا قوة لأحد على إقامة طاعة الله والثبات عليها إلا بتوفيق الله، وكل شيء يجري بمشيئة الله تعالى وعلمه وقضائه وقدره، غلبت مشيئته المشيئات كلها وعكست إرادته الإرادات كلها، وغلب قضاؤه الحيل كلها، يفعل ما يشاء وهو غير ظالم أبداً: ﴿لَا يَسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].
- س٣: ما المراد بالطاقة؟
- س٤: بين معنى قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِمْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦].
- س٥: اذكر أقوال الناس في تكليف ما لا يطاق.
- س٦: ما منشأ النزاع بين الفرق في التكليف بما لا يطاق؟
- س٧: أوضح الفرق بين المصطلح الكوني والشرعي، مع التمثيل.
- س٨: اذكر بعضاً من الفوائد المستنبطة من حديث: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا».
- س٩: كيف توجه حديث: «لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم»؟

## انتفاع الأموات بسعي الأحياء

❖ كلام ابن أبي العز:

- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب.
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق.
- ٣ - معاني الكلمات.
- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «وفي دعاء الأحياء وصدقاتهم منفعة الأموات».
- ٥ - وجه إدخال الطحاوي مسألة فقهية في الاعتقاد.
- ٦ - اتفاق أهل السنة على انتفاع الميت بسعي الأحياء.
- ٧ - ما يصل إلى الميت من ثواب الحج.
- ٨ - أقوال الناس في مسألة انتفاع الأموات بسعي الأحياء.
- ٩ - الأدلة على انتفاع الميت.
- ١٠ - حكم التطوع بقراءة القرآن وإهداء ثوابها للميت.
- ١١ - حكم استئجار من يقرأ القرآن ويهدي ثوابه للميت.
- ١٢ - حكم من يوصي بجزء من ماله لمن يقرأ القرآن على قبره.
- ١٣ - حكم إهداء ثواب القراءة أو أي عمل صالح للنبي ﷺ.
- ١٤ - حكم قراءة القرآن على القبور.
- ١٥ - حكم أخذ الأجرة على تعليم القرآن.
- ١٦ - الخلاصة.
- ١٧ - المناقشة.

## انتفاع الأموات بسعي الأحياء

قال ابن أبي العز:

قوله: «وفي دعاء الأحياء وصدقاتهم للأموات».

اتفق أهل السنة<sup>(١)</sup> أن الأموات ينتفعون من سعي الأحياء بأمرين:

أحدهما: ما تسبب إليه الميت في حياته.

والثاني: دعاء المسلمين واستغفارهم له والصدقة والحج على نزاع فيما يصل إليه من ثواب الحج، فعن محمد بن الحسن أنه إنما يصل إلى الميت ثواب النفقة والحج للحاج، وعند عامة العلماء ثواب الحج للمحجوج عنه وهو الصحيح.

واختلف في العبادات البدنية كالصوم والصلاة وقراءة القرآن والذكر، فذهب أبو حنيفة وأحمد وجمهور السلف إلى وصوله، والمشهور من مذهب الشافعي ومالك عدم وصولها.

وذهب بعض أهل البدع من أهل الكلام إلى عدم وصول شيء البتة لا الدعاء ولا غيره، وقولهم مردود بالكتاب والسنة، لكنهم استدلوا بالمشابهة من قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم: ٣٩]، وقوله: ﴿وَلَا يُحْزِنُكَ إِلَّا مَا كُنْتَ تَعْمَلُونَ﴾ [يس: ٥٤]، وقوله: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦] وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو ولد صالح يدعو له أو علم ينتفع به من بعده)<sup>(٢)</sup>. فأخبر أنه ينتفع بما كان تسبب فيه في الحياة، وما لم يكن تسبب فيه في الحياة فهو منقطع عنه.

واستدل المقتضرون على وصول العبادات التي تدخلها النيابة كالصدقة والحج بأن النوع الذي<sup>(٣)</sup> لا تدخلها النيابة بحال كالإسلام والصلاة والصوم وقراءة القرآن وأنه

(١) انظر: كتاب الروح (ص ١٩٠)، وجامع المسائل (٣/١٣٣)، وشرح صحيح مسلم (١١/٩٤)، والاستذكار (١٥/١٢).

(٢) أخرجه مسلم (١٦٣١).

(٣) المثبت من كتاب الروح لابن القيم (ص ١٦٦).

يختص ثوابها بفاعله لا يتعداه كما أنه في الحياة لا يفعله أحد عن أحد ولا ينوب فيه عن فاعله غيره بما روى النسائي بسنده عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: (لا يصلي أحد عن أحد، ولا يصوم أحد عن أحد، ولكن يطعم عنه مكان كل يوم مداً من حنطة)<sup>(١)</sup>.  
والدليل على انتفاع الميت بغير ما تسبب فيه: الكتاب والسنة والإجماع والقياس الصحيح.

أما الكتاب فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠]، فأثنى عليهم باستغفارهم للمؤمنين قبلهم، فدل على انتفاعهم باستغفار الأحياء، وقد دل على انتفاع الميت بالدعاء إجماع الأمة على الدعاء له في صلاة الجنازة، والأدعية التي وردت بها السنة في صلاة الجنازة مستفيضة، وكذا الدعاء له بعد الدفن، ففي سنن أبي داود من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: (كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: استغفروا لأخيكم وأسألوا له التثبيت فإنه الآن يُسئل)<sup>(٢)</sup>.

وكذلك الدعاء لهم عند زيارة قبورهم كما في صحيح مسلم من حديث بريدة بن الحصيب قال: (كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية)<sup>(٣)</sup>.

وفي صحيح مسلم أيضاً عن عائشة رضي الله عنها سألت النبي ﷺ: كيف تقول إذا استغفرت لأهل القبور؟ قال: (قولي السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون)<sup>(٤)</sup>.

وأما وصول ثواب الصدقة، ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها: (أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن أمتي افلنت نفسها ولم توص، وأظنها لو تكلمت تصدقت، أفلها أجر إن تصدقت عنها؟ قال: نعم)<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه النسائي في الكبرى رقم (٢٩١٨).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٢٢١). (٣) أخرجه مسلم (٩٧٥).

(٤) أخرجه مسلم (٩٧٤).

(٥) أخرجه البخاري (١٣٨٨)، ومسلم (١٠٠٤).

وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه: «أن سعد بن عبادة توفيت أمه وهو غائب عنها نأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن أمي توفيت وأنا غائب عنها، فهل ينفعها إن تصدقت عنها؟ قال: نعم، قال: فإني أشهدك أن حائطي المخراف صدقة عنها»<sup>(١)</sup>، وأمثال ذلك كثيرة في السنة.

وأما وصول ثواب الصوم، ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (من مات وعليه صيام صام عنه وليه)<sup>(٢)</sup>. وله نظائر في الصحيح.

ولكن أبو حنيفة رحمته الله قال بالإطعام عن الميت دون الصيام عنه لحديث ابن عباس المتقدم، والكلام على ذلك معروف في كتب الفروع.

وأما وصول ثواب الحج، ففي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: إن أمي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت أفأحج عنها؟ قال: (حجني عنها، أ رأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته؟ اقضوا الله، فالله أحق بالوفاء)<sup>(٣)</sup>. ونظائره أيضاً كثيرة.

وأجمع المسلمون على أن قضاء الدين يسقطه من ذمة الميت ولو كان من أجنبي ومن غير تركته، وقد دل على ذلك حديث أبي قتادة حيث ضمن الدينارين عن الميت، فلما قضاها قال النبي ﷺ: (الآن بردت عليه جلده)<sup>(٤)</sup>.

وكل ذلك جار على قواعد الشرع وهو محض القياس، فإن الثواب حق العامل فإذا وهبه لأخيه المسلم لم يمنع من ذلك كما لم يمنع من هبة ماله في حياته وإبرائه له منه بعد وفاته.

وقد نبه الشارع بوصول ثواب الصوم على وصول ثواب القراءة ونحوها من العبادات البدنية، يوضحه أن الصوم كف النفس عن المفطرات بالنية وقد نص الشارع على وصول ثوابه إلى الميت، فكيف بالقراءة التي هي عمل ونية؟

والجواب عما استدلوا به من قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ ﴿التبسم: ٣٩﴾ قد أجاب العلماء بأجوبة أصحها جوابان:

(١) أخرجه البخاري (٢٧٥٦).

(٢) أخرجه البخاري (١٩٥٢)، ومسلم (١١٤٧).

(٣) أخرجه البخاري (١٨٢٥).

(٤) أخرجه البخاري (٢٢٨٩).

أحدهما: أن الإنسان بسعيه وحسن عشرته اكتسب الأصدقاء وأولد الأولاد ونكح الأزواج وأسدى الخير وتودد إلى الناس، فترحموا عليه ودعوا له وأهدوا له ثواب الطاعات، فكان ذلك أثر سعيه، بل دخول المسلم مع جملة المسلمين في عقد الإسلام من أعظم الأسباب في وصول نفع كل من المسلمين إلى صاحبه في حياته وبعد مماته، ودعوة المسلمين تحيط من ورائهم.

بوضحه أن الله تعالى جعل الإيمان سبباً لانتفاع صاحبه بدعاء إخوانه من المؤمنين وسعيهم، فإذا أتى به فقد سعى في السبب الذي يوصل إليه ذلك.

الثاني وهو أقوى منه: أن القرآن لم ينف انتفاع الرجل بسعي غيره وإنما نفى ملكه لغير سعيه، وبين الأمرين فرق ما لا يخفى، فأخبر تعالى أنه لا يملك إلا سعيه، وأما سعي غيره فهو ملك لساعيه فإن شاء أن يبذله لغيره وإن شاء أن يبقيه لنفسه.

وقوله سبحانه: ﴿أَلَا نَزُرُ ذُرَّرَهُ وَزَرَّ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النجم: ٣٨، ٣٩] آيتان محكمتان مقتضيتان عدل الرب تعالى.

فالأولى: تقتضي أنه لا يعاقب أحداً بجرم غيره، ولا يؤاخذ بجريرة غيره كما يفعله ملوك الدنيا.

والثانية: تقتضي أنه لا يفلح إلا بعمله لينقطع طمعه من نجاته بعمل آبائه وسلفه ومشايخه كما عليه أصحاب الطمع الكاذب، وهو سبحانه لم يقل لا ينتفع إلا بما سعى.

وكذلك قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ [البقرة: ١٣٤] وقوله: ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يس: ٥٤]، على أن سياق هذه الآية يدل على أن المنفي عقوبة العبد بعمل غيره، فإنه تعالى قال: ﴿فَأَلْوَمَ لَا تَظْلُمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يس: ٥٤].

وأما استدلالهم بقوله ﷺ: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله) فاستدلال ساقط، فإنه لم يقل انقطاع انتفاعه وإنما أخبر عن انقطاع عمله، وأما عمل غيره فهو لعامله فإن وهبه له وصل إليه ثواب عمل العامل لا ثواب عمله هو، وهذا كالدين يوفيه الإنسان عن غيره فتراً ذمته ولكن ليس له ما وفي به الدين.

وأما تفريق من فرق بين العبادات المالية والبدنية، فقد شرع النبي ﷺ الصوم

عن الميت كما تقدم مع أن الصوم لا تجزئ فيه النيابة، وكذلك حديث جابر رضي الله عنه قال: صليت مع رسول الله ﷺ عيد الأضحى فلما انصرف أتني بكبش فذبحه فقال: «بسم الله والله أكبر، اللهم هذا عني وعمن لم يضح من أمتي»<sup>(١)</sup>، رواه أحمد وأبو داود والترمذي، وحديث الكبشين اللذين قال في أحدهما: (اللهم هذا عن أمتي جميعاً، وفي الآخر: اللهم هذا عن محمد وآل محمد)<sup>(٢)</sup> رواه أحمد، والقربة في الأضحية إراقة الدم وقد جعلها لغيره.

وكذلك عبادة الحج بدينية وليس المال ركناً فيه وإنما هو وسيلة، ألا ترى أن المكي يجب عليه الحج إذا قدر على المشي إلى عرفات من غير شرط المال، وهذا هو الأظهر، أعني أن الحج غير مركب من مال وبدن، بل بدني محض كما قد نص عليه جماعة من أصحاب أبي حنيفة المتأخرين.

وانظر إلى فروض الكفايات كيف قام فيها البعض عن الباقيين.

ولأن هذا إهداء ثواب وليس من باب النيابة كما أن الأجير الخاص ليس له أن يستنيب عنه وله أن يعطي أجرته لمن شاء.

وأما استئجار قوم يقرؤون القرآن ويهدونه للميت فهذا لم يفعله أحد من السلف ولا أمر به أحد من أئمة الدين ولا رخص فيه، والاستئجار على نفس التلاوة غير جائز بلا خلاف وإنما اختلفوا في جواز الاستئجار على التعليم ونحوه مما فيه منفعة تصل إلى الغير، والثواب لا يصل إلى الميت إلا إذا كان العمل لله وهذا لم يقع عبادة خالصة فلا يكون له من ثوابه ما يهدي إلى الموتى، ولهذا لم يقل أحد أنه يكتري من يصوم ويصلي ويهدي ثواب ذلك إلى الميت، لكن إذا أعطى لمن يقرأ القرآن ويعلمه ويتعلمه معونة لأهل القرآن على ذلك كان هذا من جنس الصدقة عنه فيجوز.

وفي الاختيار لو أوصى بأن يعطى شيء من ماله لمن يقرأ القرآن على قبره فالوصية باطلة لأنه في معنى الأجرة انتهى.

وذكر الزاهدي في الغنية أنه لو وقف على من يقرأ عند قبره فالتعيين باطل.

وأما قراءة القرآن وإهداؤها له تطوعاً بغير أجرة، فهذا يصل إليه كما يصل

ثواب الصوم والحج.

(١) أخرجه أحمد (٣/٣٥٦)، وأبو داود (٢٨١٠).

(٢) أخرجه أحمد (٦/٣٩١).



فإن قيل: هذا لم يكن معروفاً في السلف ولا أرشدهم إليه النبي ﷺ. فالجواب: إن كان مورد هذا السؤال معترفاً بوصول ثواب الحج والصيام والدعاء قيل له ما الفرق بين ذلك وبين وصول ثواب قراءة القرآن وليس كون السلف لم يفعلوه حجة في عدم الوصول ومن أين لنا هذا النفي العام. فإن قيل: فرسول الله ﷺ أرشدهم إلى الصوم والحج والصدقة دون القراءة قيل: هو ﷺ لم يبتدئهم بذلك بل خرج ذلك منه مخرج الجواب لهم، فهذا سأل عن الحج عن ميتة فأذن له فيه وهذا سأل عن الصوم عنه فأذن له فيه ولم يمنعهم مما سوى ذلك وأي فرق بين وصول ثواب الصوم الذي هو مجرد نية وإمساك وبين وصول ثواب القراءة والذكر؟

فإن قيل: ما تقولون في الإهداء إلى رسول الله ﷺ؟

قيل: من المتأخرين من استحبه ومنهم من رآه بدعة لأن الصحابة لم يكونوا يفعلونه ولأن النبي ﷺ له مثل أجر كل من عمل خيراً من أمته من غير أن ينقص من أجر العامل شيء لأنه هو الذي دل أمته على كل خير وأرشدهم إليه. ومن قال: إن الميت ينتفع بقراءة القرآن عنده باعتبار سماعه كلام الله فهذا لم يصح عن أحد من الأئمة المشهورين ولا شك في سماعه، ولكن انتفاعه بالسماع لا يصح فإن ثواب الاستماع مشروط بالحياة فإنه عمل اختياري وقد انقطع بموته بل ربما يتضرر ويتألم لكونه لم يمثل أوامر الله ونواهيه أو لكونه لم يزد من الخير. واختلف العلماء في قراءة القرآن عند القبور على ثلاثة أقوال، هل تكره أم لا بأس بها وقت الدفن وتكره بعده؟

فمن قال بكراهتها كأبي حنيفة ومالك وأحمد في رواية، قالوا لأنه محدث لم ترد به السنة، والقراءة تشبه الصلاة والصلاة عند القبور منهي عنها فكذلك القراءة. ومن قال لا بأس بها كمحمد بن الحسن وأحمد في رواية استدلوا بما نقل عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه أوصى أن يقرأ على قبره وقت الدفن بفواتح سورة البقرة وخواتمها، ونقل أيضاً عن بعض المهاجرين قراءة سورة البقرة.

ومن قال لا بأس بها وقت الدفن فقط، وهو رواية عن أحمد، أخذ بما نقل عن ابن عمر وبعض المهاجرين.

وأما بعد ذلك كالذين يتناوبون القبر للقراءة عنده فهذا مكروه، فإنه لم تأت به السنة ولم ينقل عن أحد من السلف مثل ذلك أصلاً، وهذا القول لعله أقوى من غيره لما فيه من التوفيق بين الدليلين.

## الشرح

### عناصر الموضوع:

١ غرض المصنف من عقد هذا الباب:

تقرير أن معتقد أهل السنة والجماعة أن الميت ينتفع بصدقات الأحياء وكذلك دعائهم، فالعبد ينقطع عمله بموته إلا ما تسبب في بقاءه بعد موته كما جاء في الحديث: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له)<sup>(١)</sup>.

٢ مناسبة هذا الباب لما سبق:

قرر المصنف فيما سبق أن أفعال العباد خلق الله وكسب العباد، فناسب بعد ذلك أن يبين الأعمال التي لمن يكسبها العبد وإنما تسبب فيها وعملها غيره، ويبين الأعمال التي يعملها الأحياء ويهدون ثوابها للأموات.

٣ معاني الكلمات:

المعنى	الكلمة
وهو مساواة فرع بأصل في حكم لعللة جامعة بينهما	القياس
إذا فعله البعض سقط الفرض عن الباقيين	فرض الكفاية

٤ معنى كلام الطحاوي: «وفي دعاء الأحياء وصدقاتهم منفعة الأموات:

والميت ينتفع بدعاء الحي له، كما في الحديث: (... أو ولد صالح يدعو له)، وكذلك ينتفع الميت بصدقة الحي عنه، سواء من ولده أو غيره.

٥ وجه إدخال الطحاوي مسألة فقهية في الاعتقاد:

بعد أن انتهى من ذكر مسائل الاعتقاد انتقل إلى مسألة أخرى تتعلق

(١) أخرجه مسلم (١٦٣١).

بالحسنة وبالأعمال الصالحة التي يعملها الأحياء ويهدون ثوابها للأموات، فذكر ﷺ أن الميت يتفجع بصدقات الأحياء وكذلك دعائهم.

### ٦ اتفاق أهل السنة على انتفاع الميت بسعي الأحياء:

اتفق<sup>(١)</sup> أهل السنة أن الأموات يتفجعون من سعي الأحياء بأمرين: أحدهما: ما تسبب إليه الميت في حياته.

والثاني: دعاء المسلمين واستغفارهم له والصدقة والحج على نزاع فيما يصل إليه من ثواب الحج.

قال العلامة الشيخ الألباني في تعليقه على متن الطحاوية (ص ٥٦)، «قلت: نقل الشارح [يعني: ابن أبي العز] اتفاق أهل السنة على ذلك ثم ساق الأدلة من الكتاب والسنة عليه ولكنه فيما يتعلق بالصدقة لم يذكر إلا ما يدل على انتفاع الوالد بصدقه ولده وهذا أخص من الدعوى. وقال الشوكاني في نيل الأوطار: وأحاديث الباب تدل على أن الصدقة من الولد تلحق الوالدين بعد موتها بدون وصيه منهما ويصل إليهما ثوابها فيخصص بهذه الأحاديث عموم قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾<sup>(٢)</sup> ولكن ليس في أحاديث الباب إلا لحوق الصدقة من الولد...»<sup>(٢)</sup>.

### ٧ ما يصل إلى الميت من ثواب الحج:

والحج على نزاع فيما يصل إليه من ثواب الحج؛ فعن محمد بن الحسن أنه إنما يصل إلى الميت ثواب النفقة والحج للحاج، وعند عامة العلماء ثواب الحج للمحجوج عنه وهو الصحيح.

### ٨ أقوال الناس في مسألة انتفاع الأموات بسعي الأحياء:

واختلف أهل العلم في العبادات البدنية كالصوم والصلاة وقراءة القرآن والذكر، فذهب أبو حنيفة وأحمد وجمهور السلف إلى وصولها، والمشهور من مذهب الشافعي ومالك عدم وصولها.

وذهب بعض أهل البدع من أهل الكلام إلى عدم وصول شيء البتة لا الدعاء ولا غيره، وقولهم مردود بالكتاب والسنة، لكنهم استدلوا بالمتشابه من قوله

(١) انظر: كتاب الروح (ص ١٩٠)، وجامع المسائل (٣/١٣٣).

(٢) نيل الأوطار (٢/٧٨٤).

تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم: ٣٩]، وقوله: ﴿وَلَا تُحْزِنُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يس: ٥٤]، وقوله: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو ولد صالح يدعو له، أو علم ينتفع به من بعده). فأخبر أنه إنما ينتفع بما كان تسبب فيه في الحياة، وما لم يكن تسبب فيه في الحياة فهو منقطع عنه.

واستدل المقتصرون على وصول العبادات التي لا تدخلها النيابة بحال كالإسلام والصلاة والصوم وقراءة القرآن وأنه يختص ثوابها بفاعله لا يتعداه كما أنه في الحياة لا يفعله أحد عن أحد ولا ينوب فيه عن فاعله غيره بما روى النسائي بسنده عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: (لا يصلي أحد عن أحد، ولا يصوم أحد عن أحد، ولكن يطعم عنه مكان كل يوم مداً من حنطة).

#### ٩ الأدلة على انتفاع الميت:

والدليل على انتفاع الميت بغير ما تسبب فيه الكتاب والسنة والإجماع والقياس الصحيح.

أما الكتاب: فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠]، فأثنى عليهم باستغفارهم للمؤمنين قبلهم فدل على انتفاعهم باستغفار الأحياء، وقد دل على انتفاع الميت بالدعاء إجماع الأمة على الدعاء له في صلاة الجنازة والأدعية التي وردت بها السنة في صلاة الجنازة مستفيضة، وكذا الدعاء له بعد الدفن، ففي سنن أبي داود من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: (كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: (استغفروا لأخيكم وأسألوا له التثبيت فإنه الآن يُسئل).

وكذلك الدعاء لهم عند زيارة قبورهم كما في «صحيح مسلم» من حديث بريدة بن الحصيب قال: كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا: (السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون نسأل الله لنا ولكم العافية).

وفي «صحيح مسلم» أيضاً عن عائشة رضي الله عنها سألت النبي ﷺ كيف أقول إذا استغفرت لأهل القبور قال: (قولي السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون).

وأما وصول ثواب الصدقة ففي «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها: (أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن أمتي افتلتت نفسها ولم توصل وأظنها لو تكلمت تصدقت أفلها أجر إن تصدقت عنها؟ قال: نعم).

وفي «صحيح البخاري» عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه: (أن سعد بن عبادة توفيت أمه وهو غائب عنها فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن أمتي توفيت وأنا غائب عنها فهل ينفعها إن تصدقت عنها؟ قال: نعم، قال: فإني أشهدك أن حائطي المخراف صدقة عنها)، وأمثال ذلك كثيرة في السنة.

وأما وصول ثواب الصوم ففي «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (من مات وعليه صيام صام عنه وليه). وله نظائر في «الصحيح».

ولكن أبو حنيفة رضي الله عنه قال بالإطعام عن الميت دون الصيام عنه لحديث ابن عباس المتقدم، والكلام على ذلك معروف في كتب الفروع.

وأما وصول ثواب الحج ففي «صحيح البخاري» عن ابن عباس رضي الله عنه أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: إن أمتي نذرت أن تحج، فلم تحج حتى ماتت، أفأحج عنها؟ قال: (حجتي عنها، أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته، اقضوا الله فإله أحق بالوفاء). ونظائره أيضاً كثيرة.

وأجمع المسلمون على أن قضاء الدين يسقطه من ذمة الميت ولو كان من أجنبي ومن غير تركته، وقد دل على ذلك حديث أبي قتادة حيث ضمن الدينارين عن الميت، فلما قضاهما قال النبي ﷺ: (الآن بردت عليه جلدته).

وكل ذلك جار على قواعد الشرع وهو محض القياس، فإن الثواب حق العامل فإذا وهبه لأخيه المسلم لم يمنع من ذلك كما لم يمنع من هبة ماله في حياته وإبرائه له منه بعد وفاته.

وقد نبّه الشارع بوصول ثواب الصوم على وصول ثواب القراءة ونحوها من العبادات البدنية، يوضحه أن الصوم كف النفس عن المفطرات بالنية، وقد نص الشارع على وصول ثوابه إلى الميت، فكيف بالقراءة التي هي عمل ونية؟

١٠ حكم التطوع بقراءة القرآن وإهداء ثوابها للميت:

قراءة القرآن عبادة بدنية. وفيها يجري الخلاف السابق في وصول العبادات البدنية إلى الميت.

أ - فجمهور السلف قالوا: تصل العبادات إلى الميت. ومنها القراءة، وقاسوا القراءة على الصوم والحج لأن كلاً منها عبادة بدنية.

ب - وذهب بعض السلف إلى عدم وصول القراءة إلى الميت؛ لأن السلف لم يفعلوا ذلك ولم يرشد إليه النبي ﷺ، قال شيخ الإسلام: «ولم تكن من عادة السلف إذا صلوا تطوعاً أو صاموا تطوعاً أو حجوا تطوعاً أو قرؤوا القرآن أن يهدوا ثواب ذلك إلى أموات المسلمين فلا ينبغي العدول عن طريق السلف فإنه أفضل وأكمل»<sup>(١)</sup> ثم نقل عنه البعلي قولاً<sup>(٢)</sup> آخر نقيض هذا. وأجيب عن هذا: بأن هذا النفي العام لا دليل عليه.. ثم ما الفرق بين وصول ثواب الصوم والحج والدعاء وبين وصول ثواب القراءة، فإن قيل أن النبي ﷺ أرشدهم إلى ثواب الصوم والحج دون قراءة القرآن.

فإن جوابي عن ذلك: أن النبي ﷺ لم يبتدئهم بهذا، ولكنه خرج منه مخرج الجواب، فهذا سأله عن الحج فأذن له، وذلك سأله عن الصدقة فأذن له، ولم يمنعهم عما سوى ذلك.

### ١١) حكم استئجار من يقرأ القرآن ويهدي ثوابه للميت:

حكم هذا أنه عمل غير جائز لم يفعله الصحابة، ولم يرشد إليه أحد من أئمة الدين ولم يرخص فيه، لهذا فلا يجوز استئجارهم مطلقاً، ولو حصل شيء من ذلك فإن الميت لا ينتفع بشيء من تلك القراءة لأن القارئ قد أخذ أجره فلا ثواب له، فكيف يهدي ما لم يكن له ثواب فيه وفاقد الشيء لا يعطيه.

### ١٢) حكم من يوصي بجزء من ماله لمن يقرأ القرآن على قبره:

هذا العمل بدعة ومحرم والوصية باطلة لا تنفذ... والحجة في هذا أن سلف الأمة لم يكونوا يعملون هذه الأعمال.

### ١٣) حكم إهداء ثواب القراءة أو أي عمل صالح للنبي ﷺ:

اختلف العلماء في ذلك:

أ - فمنهم من استحبه لأن النبي ﷺ قد أنقذ الله به الناس من الظلمات إلى النور، فكان في إهداء الثواب إليه اعتراف بالجميل.

(١) الاختيارات للبعلي (ص ٩٢).

(٢) الاختيارات للبعلي (ص ٩٢ - ٩٤).

ب - ومن العلماء من قال: إنه بدعة، قال شيخ الإسلام: «ولا يستحب إهداء القرب للنبي ﷺ بل هو بدعة وهذا هو الصواب المقطوع به»<sup>(١)</sup>. وذلك لأمرين:

- ١ - إن الصحابة رضوا عنهم لم يفعلوه، ولو كان مشروعاً لفعلوه.
- ٢ - إن للنبي ﷺ مثل أجر كل من عمل خيراً من أمته لأنه هو الذي دل على ذلك الخير، والدال على الخير كفاعله، فكان في إهداء ثواب الأعمال إليه تحصيل للحاصل وحرمان النفس من ثوابه مع عدم إفادة الرسول ﷺ منه، ولعل هذا هو الراجح.

#### ١٤) حكم قراءة القرآن على القبور:

اختلف العلماء في هذه المسألة على آراء ثلاثة:

- أ - فمن العلماء من قال: هي جائزة مطلقاً عند الدفن وبعده.
- ب - ومنهم من قال: هي مكروهة مطلقاً عند الدفن وبعده.
- ج - ومنهم من قال: جائزة وقت الدفن ومكروهة بعده.

الأدلة:

أ - استدل الأولون بما روي أن ابن عمر رضيا أوصى بأن يقرأ على قبره عند الدفن فواتح سورة البقرة وخواتمها... ولما روي عن بعض المهاجرين أنه أوصى بقراءة سورة البقرة على قبره.

ب - استدل القائلون بالكراهية مطلقاً: أنه أمر محدث ولم ينقل عن النبي ﷺ الإرشاد إليه، ولأن القراءة كالصلاة، والصلاة منهي عنها على القبر.

ج - واستدل القائلون بالجواز عند الدفن والمنع بعده بأن الأثر المنقول عن ابن عمر أنه أوصى بالقراءة عند الدفن لا بعده. والشارح رحمه الله رجح هذا لما فيه من التوفيق بين الأدلة.

#### ١٥) حكم أخذ الأجرة على تعليم القرآن:

اختلف في هذه المسألة:

أ - فقيل: يجوز أخذ الأجرة على تعليم القرآن.. والدليل ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: (إن أحق ما أخذتم عليه أجرأ كتاب الله)، ولما روي أنه ﷺ

(١) الاختيارات للبعلي (ص ٩٢).

(زوج رجلاً بامرأة بما معه من القرآن).

ب - وقيل: لا يجوز مطلقاً، والدليل ما روي عن عبادة أنه علم رجلاً شيئاً من كتاب الله فأهدى إليه سوطاً فأخبر النبي ﷺ بذلك قال: (إن أحببت أن تطوقه سوطاً من النار فخذ)، فقد ذكر ﷺ ما ذكره عقاباً لذلك الفعل ولا يعاقب إلا عن أمر محرّم. أما حديث عبادة فهو ضعيف الإسناد عند بعض أهل العلم. وعلى فرض صحته يكون النبي ﷺ إنما أشار إلى أنه لا ينبغي لعبادة أن يأخذ ذلك السوط لكون من علمه فقيراً، أو لكون عبادة علمه القرآن متبرعاً. فكان في أخذه لذلك السوط إحباط لثواب عمله.

والرأي المختار: جواز أخذ الأجرة على تعليم القرآن للأدلة التي ساقوها. لأن القول بجواز أخذ الأجرة فيه تشجيع على تعليم القرآن ومساعدة على انتشاره وحفظه وقراءته بين الناس.. أما أخذ الأجرة على تعليم القرآن من بيت المال: فهو جائز؛ لأنه يجب على الإمام أن يصرف رواتب للقضاة والأئمة ونحوهم إبقاء على شعائر الدين، وتشجيعاً لمن يعتنون بها. أما أخذ الأجرة من الأفراد ففيه الخلاف المتقدم.

#### ١٦ الخلاصة:

- ١ - الميت ينتفع بدعاء الحي له، كما في الحديث: (... أو ولد صالح يدعو له)، وكذلك ينتفع الميت بصدقة الحي عنه، سواء من ولده أو غيره.
- ٢ - اتفق أهل السنة أن الأموات ينتفعون من سعي الأحياء بأمرين: أحدهما ما تسبب إليه الميت في حياته. والثاني دعاء المسلمين واستغفارهم له والصدقة والحج على نزع فيما يصل إليه من ثواب الحج.
- ٣ - واختلف في العبادات البدنية كالصوم والصلاة وقراءة القرآن والذكر، فذهب أبو حنيفة وأحمد وجمهور السلف إلى وصولها، والمشهور من مذهب الشافعي ومالك عدم وصولها.
- ٤ - والدليل على انتفاع الميت بغير ما تسبب فيه الكتاب والسنة والإجماع والقياس الصحيح.
- ٥ - إن استئجار من يقرأ القرآن ويهدي ثوابه للميت عمل غير جائز لم يفعله الصحابة ولم يرشد إليه أحد من أئمة الدين ولم يرخص فيه، ولهذا فلا يجوز استئجارهم مطلقاً.



٦ - الوصية بجزء من المال لمن يقرأ القرآن على القبر بدعة ومحرم والوصية باطلة لا تنفذ.

٧ - جواز أخذ الأجرة على تعليم القرآن للأدلة.

### ١٧ المناقشة:

• س١: بيّن معنى كلام الطحاوي: «وفي دعاء الأحياء وصدقاتهم منفعة الأموات».

• س٢: ما وجه إدخال الطحاوي مسألة فقهية في الاعتقاد؟

• س٣: بماذا ينتفع الميت من سعي الأحياء؟

• س٤: ما الذي يصل إلى الميت من ثواب الحج؟

• س٥: ما الذي يصل من العبادات البدنية إلى الميت؟

• س٦: اذكر الأدلة على انتفاع الميت.

• س٧: ما حكم التطوع بقراءة القرآن وإهداء ثوابها للميت؟

• س٨: ما حكم استئجار من يقرأ القرآن ويهدي ثوابه للميت؟

• س٩: ما حكم من يوصي بجزء من ماله لمن يقرأ القرآن على قبره؟

• س١٠: ما حكم إهداء ثواب القراءة أو أي عمل صالح للنبي ﷺ؟

• س١١: ما حكم قراءة القرآن على القبور؟

• س١٢: ما حكم أخذ الأجرة على تعليم القرآن؟



## استجابة الله تعالى دعاء عباده

\* كلام ابن أبي العز:

- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب.
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق.
- ٣ - معاني الكلمات.
- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «والله تعالى يستجيب الدعوات ويقضي الحاجات».
- ٥ - معنى الدعاء.
- ٦ - تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦].
- ٧ - أنواع الدعاء.
- ٨ - شروط إجابة الدعاء.
- ٩ - أنواع القرب.
- ١٠ - مذهب أهل السنة والجماعة أن الدعاء أقوى الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار.
- ١١ - أدلة أهل السنة والجماعة في مسألة الانتفاع بالدعاء.
- ١٢ - المخالفون لأهل السنة في مسألة الانتفاع بالدعاء.
- ١٣ - الرد على شبه المخالفين لأهل السنة في مسألة الانتفاع بالدعاء.

١٤ - الجواب على دعوى البعض: دعونا فلم يستجب لنا، والله يقول:

﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

١٥ - المعاني المستلزمة للدعاء.

١٦ - معنى كلام الطحاوي: «ويملك كل شيء ولا يملكه شيء، ولا

غنى عن الله تعالى طرفة عين، ومن استغنى عن الله طرفة

عين فقد كفر وصار من أهل الحين».

١٧ - معنى قول طائفة من العلماء: «أن الالتفات إلى الأسباب شرك

في التوحيد».

١٨ - الخلاصة.

١٩ - المناقشة.

## استجابة الله تعالى دعاء عباده

قال ابن أبي العز:

قوله: «والله تعالى يستجيب الدعوات ويقضي الحاجات».

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، والذي عليه أكثر الخلق من المسلمين وسائر أهل الملل وغيرهم أن الدعاء من أقوى الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار، وقد أخبر تعالى عن الكفار أنهم إذا مسهم الضر في البحر دعوا الله مخلصين له الدين، وأن الإنسان إذا مسه الضر دعاه لجنبه أو قاعداً أو قائماً، وإجابة الله للدعاء العبد مسلماً كان أو كافراً وإعطاؤه سؤاله من جنس رزقه لهم ونصره لهم، وهو مما توجهه الربوبية للعبد مطلقاً؛ ثم قد يكون ذلك فتنة في حقه ومضرة عليه إذ كان كفره وفسوقه يقتضي ذلك، وفي سنن ابن ماجه من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (من لم يسأل الله يغضب عليه)<sup>(١)</sup>، وقد نظم بعضهم هذا المعنى فقال:

الرب يغضب إن تركت سؤاله      وبُنِي آدم حين يُسئَل يغضب

قال ابن عقيل: قد ندب الله تعالى إلى الدعاء وفي ذلك معان:

أحدها: الوجود، فإن من ليس بوجود لا يدعى.

الثاني: الغنى، فإن الفقير لا يدعى.

الثالث: السمع، فإن الأصم لا يدعى.

الرابع: الكرم، فإن البخيل لا يدعى.

الخامس: الرحمة، فإن القاسي لا يدعى.

السادس: القدرة، فإن العاجز لا يدعى.

(١) أخرجه أحمد (٤٤٣/٢)، وابن ماجه (٣٨٢٧).

ومن يقول بالطباع يعلم أن النار لا يقال لها: كُفِّي، ولا النجم يقال له: أصلح مزاجي، لأن هذه عندهم مؤثرة طبعاً لا اختياراً، فشرح الدعاء وصلاة الاستسقاء ليبين كذب أهل الطباع.

وذهب قوم من المتفلسفة وغالية المتصوفة إلى أن الدعاء لا فائدة فيه، قالوا: لأن المشيئة الإلهية إن اقتضت وجود المطلوب فلا حاجة إلى الدعاء، وإن لم تقتضه فلا فائدة في الدعاء، وقد يخص بعضهم بذلك خواص العارفين ويجعل الدعاء علة في مقام الخواص، وهذا من غلطات بعض الشيوخ، فكما أنه معلوم الفساد بالاضطرار من دين الإسلام فهو معلوم الفساد بالضرورة العقلية، فإن منفعة الدعاء أمر أنشئت عليه تجارب الأمم حتى إن الفلاسفة تقول: ضجيج الأصوات في هياكل العبادات بفنون اللغات يحلل ما عقدته الأفلاك المؤثرات، هذا وهم مشركون<sup>(١)</sup>.

وجواب الشبهة بمنع [حصر] المقدمتين، فإن قولهم عن المشيئة الإلهية إما أن تقتضيه أو لا فثم قسم ثالث وهو أن تقتضيه بشرط لا تقتضيه مع عدمه، وقد يكون الدعاء من شرطه كما توجب الثواب مع العمل الصالح ولا توجبه مع عدمه، وكما توجب الشيع والري عند الأكل والشرب ولا توجبه مع عدمهما، وحصول الولد بالوطء والزرع والبذر، فإذا قدر وقوع المدعو به بالدعاء لم يصح أن يقال لا فائدة في الدعاء، كما لا يقال لا فائدة في الأكل والشرب والبذر وسائر الأسباب، فقول هؤلاء كما أنه مخالف للشرع فهو مخالف للحس والفترة.

ومما ينبغي أن يعلم<sup>(٢)</sup> ما قاله طائفة من العلماء وهو أن الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسباباً نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب الكلية قدح في الشرع، ومعنى التوكل والرجاء يتألف من وجوب التوحيد والعقل والشرع.

وبيان ذلك أن الالتفات إلى السبب هو اعتماد القلب عليه ورجاؤه والاستناد إليه، وليس في المخلوقات ما يستحق هذا، لأنه ليس بمستقل ولا بد له من شركاء وأضداد مع هذا كله فإن لم يسخره مسبب الأسباب لم يسخر.

(١) انظر: درة التعارض (١/٣٨٣).

(٢) انظر: منهاج السنة (٥/٣٦٦).

وقولهم: إن اقتضت المشيئة المطلوب فلا حاجة إلى الدعاء، قلنا: بل قد تكون إليه حاجة من تحصيل مصلحة أخرى عاجلة وأجلة ودفع مضرة أخرى عاجلة وأجلة.

وكذلك قولهم: وإن لم تقتضه فلا فائدة فيه، قلنا: بل فيه فوائد عظيمة من جلب منافع ودفع مضار كما نبه عليه النبي، بل ما يعجل للعبد من معرفته بربه وإقراره به وبأنه سميع قريب قدير عليم رحيم، وإقراره بفقره إليه، واضطراره إليه، وما يتبع ذلك من العلوم العلية والأحوال الزكية التي هي أعظم المطالب.

فإن قيل: إذا كان إعطاء الله معللاً بفعل العبد كما يعقل من إعطاء المسؤول للسائل كان السائل قد أثر في المسؤول حتى أعطاه.

قلنا: الرب سبحانه هو الذي حرك العبد إلى دعائه، فهذا الخير منه وتمامه عليه كما قال عمر رضي الله عنه: إني لا أحمل همَّ الإجابة وإنما أحمل همَّ الدعاء، ولكن إذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿يَذُرُّ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥]، فأخبر سبحانه أنه يبتدئ بتدبير الأمر ثم يصعد إليه الأمر الذي دبره، فالله سبحانه هو الذي يقذف في قلب العبد حركة الدعاء ويجعلها سبباً للخير الذي يعطيه إياه كما في العمل والثواب، فهو الذي وفق العبد للتوبة ثم قبلها وهو الذي وفقه للعمل ثم أثابه، وهو الذي وفقه للدعاء ثم أجابه، فما أثر فيه شيء من المخلوقات بل هو جعل ما يفعله سبباً لما يفعله، قال مطرف بن عبد الله بن الشخير أحد أئمة التابعين: نظرت في هذا الأمر فوجدت مبدأه من الله، وتمامه على الله، ووجدت ملاك ذلك الدعاء.

وهنا سؤال معروف وهو أن من الناس من قد يسأل الله فلا يعطى شيئاً أو يعطى غير ما سأل، وقد أجيب عنه بأجوبة فيها ثلاثة أجوبة محققة:

أحدها: أن الآية لم تتضمن عطية السؤال مطلقاً وإنما تضمنت إجابة الداعي والداعي أعم من السائل، وإجابة الداعي أعم من إعطاء السائل، ولهذا قال النبي ﷺ: (ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول: من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له)<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨).

ففرق بين الداعي والسائل وبين الإجابة والإعطاء وهو فرق بين العموم والخصوص كما أتبع ذلك بالمستغفر وهو نوع من السائل، فذكر العام ثم الخاص ثم الأخص، وإذا علم العباد أنه قريب يجيب دعوة الداعي علموا قربه منهم وتمكنهم من سؤاله وعلموا علمه ورحمته وقدرته فدعوه دعاء العبادة في حال ودعاء المسألة في حال وجمعوا بينهما في حال إذ الدعاء اسم يجمع العبادة والاستعانة وقد فسر قوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] بالدعاء الذي هو العبادة والدعاء الذي هو الطلب وقوله بعد ذلك: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ [غافر: ٦٠] يؤيد المعنى الأول.

الجواب الثاني: إن إجابة دعاء السؤال أعم من إعطاء عين السؤال كما فسره النبي ﷺ فيما رواه مسلم في «صحيحه» أن النبي ﷺ قال: (ما من رجل يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه بها إحدى ثلاث خصال: إما أن يعجل له دعوته، أو يدخر له من الخير مثلها، أو يصرف عنه من الشر مثلها، قالوا: يا رسول الله، إذا نكث؟ قال: الله أكثر<sup>(١)</sup>). فقد أخبر الصادق المصدوق أنه لا بد في الدعوة الخالية عن العدوان من إعطاء السؤال معجلاً، أو مثله من الخير مؤجلاً، أو يصرف عنه من السوء مثله.

الجواب الثالث: أن الدعاء سبب مقتض لنيل المطلوب والسبب له شروط وموانع فإذا حصلت شروطه وانتفت موانعه حصل المطلوب وإلا فلا يحصل ذلك المطلوب بل قد يحصل غيره، وهكذا سائر الكلمات الطيبات من الأذكار المأثورة المعلق عليها جلب منافع أو دفع مضار، فإن الكلمات بمنزلة الآلة في يد الفاعل تختلف باختلاف قوته وما يعينها، وقد يعارضها مانع من الموانع، ونصوص الوعد والوعيد المتعارضة في الظاهر من هذا الباب وكثيراً ما تجد أدعية دعا بها قوم فاستجيب لهم ويكون قد اقترن بالدعاء ضرورة صاحبه وإقباله على الله أو حسنة تقدمت منه على الله سبحانه إجابة دعوته شكر الحسنة، أو صادف وقت إجابة ونحو ذلك فأجيب دعوته، فيظن أن السر في ذلك الدعاء فيأخذه مجرداً عن تلك الأمور التي قارنته من ذلك الداعي.

(١) أخرجه أحمد في المسند (١٨/٣).



وهذا كما إذا استعمل رجل دواء نافعاً في الوقت الذي ينبغي فانتفع به فظن آخر أن استعمال هذا الدواء بمجرد كافي في حصول المطلوب وكان غالطاً. وكذا قد يدعو باضطرار عند قبر فيجاب فيظن أن السر للقبر، ولم يدر أن السر للاضطرار وصدق اللجوء إلى الله تعالى، فإذا حصل ذلك في بيت من بيوت الله تعالى كان أفضل وأحب إلى الله تعالى.

فالأدعية والتعوذات والرقى بمنزلة السلاح، والسلاح بضاربه لا بحده فقط، فمتى كان السلاح سلاحاً تاماً والساعد ساعداً قوياً، والمحل قابلاً والمانع مفقوداً، حصلت به النكابة في العدو ومتى تخلف واحد من هذه الثلاث تخلف التأثير.

فإذا كان الدعاء في نفسه غير صالح، أو الداعي لم يجمع بين قلبه ولسانه في الدعاء، أو كان ثَمَّ مانع من الإجابة لم يحصل الأثر.

قوله: ويملك كل شيء ولا يملكه شيء، ولا غنى عن الله تعالى طرفة عين، ومن استغنى عن الله طرفة عين فقد كفر وصار من أهل الحين، كلام حق ظاهر لا خفاء فيه. والحين بالفتح: الهلاك.

## الشرح

### عناصر الموضوع:

#### ١ غرض المصنف من عقد هذا الباب:

تقرير مذهب أهل السنة والجماعة في أن الدعاء نافع ومفيد وهو من أقوى الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار، فالله يحب من دعاه كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَيُؤْمِنُوا بِئِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

#### ٢ مناسبة هذا الباب لما سبق:

قرر المصنف فيما سبق أن الميت ينتفع بصدقات الأحياء وكذلك دعائهم، فناسب أن يبين في هذا الباب أن الدعاء من أقوى الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار.

#### ٣ معاني الكلمات:

الكلمة	المعنى
الفطرة	الجبلة المتهيئة لقبول الدين.
الحين	الهلاك.

#### ٤ معنى كلام الطحاوي: «والله تعالى يستجيب الدعوات ويقضي

الحاجات»:

والله تعالى يستجيب الدعوات كما قال ﷻ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، وهو الذي يقضي الحوائج لخلقه، من جلب النفع ودفع الضر، إذ لا يملك الأمر سواه.

#### ٥ معنى الدعاء:

يطلق الدعاء ويراد به عدة معان:

١ - النداء: نقول: دعوت فلانا، أي: ناديته.

٢ - الحث على الشيء، تقول: دعوت القوم إلى الفضيلة، أي: حثتهم على فعلها.

٣ - الابتغال إلى الله بالسؤال والرغبة فيما عنده من الخير. وهذا هو المراد بالدعاء هنا.

قال الخطابي في تعريفه للدعاء: «استدعاء العبد ربه ﷻ العناية واستمداده المعونة»<sup>(١)</sup>.

٦ تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]:

هذا جواب لسؤال سأله الصحابة رضوان الله عليهم النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله، أقرب ربنا فنناديه؟ فنزل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦]، لأنه تعالى الرقيب الشهيد يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فهو قريب ممن يدعو، مستجيب له. انظر: السعدي.

#### ٧ أنواع الدعاء:

الدعاء على قسمين:

١ - دعاء عبادة: وهو الثناء على الله ﷻ في أسمائه وصفاته وأفعاله.

٢ - دعاء مسألة: وهو طلب الحوائج من الله ﷻ.

ويقول أهل العلم: دعاء العبادة مستلزم لدعاء المسألة، ودعاء المسألة متضمن لدعاء العبادة.

قال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [٥٥] وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ [الأعراف: ٥٥، ٥٦].

قال ابن القيم: «هاتان الآيتان مشتملتان على آداب نوعي الدعاء: دعاء العبادة، ودعاء المسألة، فإن الدعاء في القرآن يراد به هذا تارة، وهذا تارة، ويراد به مجموعهما وهما متلازمان»<sup>(٢)</sup>.

#### ٨ شروط إجابة الدعاء:

من شروط إجابة الدعاء:

(٢) بدائع الفوائد (٢/٣).

(١) شأن الدعاء (ص ٤).

١ - الإخلاص لله ﷻ .

٢ - اتباع طريقة النبي ﷺ في الدعاء: الدليل قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَذِكْرٍ كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

٣ - التخلص من موانع الإجابة كأكل الحرام والاعتداء في الدعاء، والدعاء بإثم.

٤ - اليقين بالإجابة، وأنه لا يقدر على قضاء حاجته إلا الله ﷻ .

٥ - أن لا يطلب أمراً مستحيلاً مخالفاً لسنن الله في الكون، بأن يطلب إحياء الميت، أو أن يتحول النحاس إلى ذهب ونحوه.

### ٩ أنواع القرب:

القرب نوعان:

- قرب بعلم الله من كل خلقه.

- قرب من عابديه وداعيه بالإجابة والمعونة والتوفيق.

### ١٠ مذهب أهل السنة والجماعة أن الدعاء أقوى الأسباب في جلب المنافع

ودفع المضار:

والذي عليه أكثر الخلق من المسلمين وسائر أهل الملل وغيرهم أن الدعاء من أقوى الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار، وقد أخبر تعالى عن الكفار أنهم إذا مسَّهم الضر في البحر دعوا الله مخلصين له الدين، وأن الإنسان إذا مسه الضر دعاه لجنبه أو قاعداً أو قائماً، وإجابة الله لدعاء العبد مسلماً كان أو كافراً وإعطاؤه سؤاله من جنس رزقه لهم ونصره لهم، وهو ما توجهه الربوبية للعبد مطلقاً، ثم قد يكون ذلك فتنة في حقه ومضرة عليه إذ كان كفره وفسوقه يقتضي ذلك. وفي سنن ابن ماجه من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (من لم يسأل الله يغضب عليه)، وقد نظم بعضهم هذا المعنى فقال:

الرب يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يُسئَل يغضب

قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الْاَيْنَ فَلَمَّا بَجَدْتُمْ إِلَى الْاَبْرِ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

### ١١ أدلة أهل السنة والجماعة في مسألة الانتفاع بالدعاء:

وقد دل على الانتفاع بالدعاء الكتاب والسنة:

١ - أما أدلة الكتاب فمنها:

أ - قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]. فقد أمر الله عباده بالدعاء. ووعدهم بالإجابة فدل ذلك على شأن الدعاء.

ب - قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، فقد أخبر سبحانه بذلك فدل على مشروعية الدعاء.

٢ - أما من السنة فعدة أدلة منها:

أ - ما روي أنه ﷺ قال: (من لم يسأل الله يغضب عليه)، فقد دل الأثر على مشروعية الدعاء والاتجاه إليه، وإن ذلك سبب من أسباب مرضاة الله سبحانه عن عبده... قال الشاعر:

الرب يغضب إن تركت سؤاله      وبني آدم حين يُسئَل يغضب

ب - ما روي أنه ﷺ قال: (ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول: من يدعني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له)، وكل من هذه الثلاث متضمنة لأنواع الأدعية من إجابة الداعي وإعطاء السائل والمغفرة للمستغفر. فدل ذلك على مشروعية الدعاء وعظيم فائدته.

ج - قوله ﷺ: (لا يرد القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر، وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه).

د - ما روي عنه ﷺ أنه قال: (ما من رجل يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بدعوته تلك إحدى ثلاث خصال: إما أن يعجل له دعوته، أو يدخر له من الخير مثلها، أو يصرف عنه من الشر مثلها، قالوا: يا رسول الله إذن نكثر، قال: الله أكثر)، فقد دل الحديث على مشروعية الدعاء وأن الداعي إذا لم يتعد أجيب دعوته بإحدى تلك الخصال الثلاث.

١٢ المخالفون لأهل السنة في مسألة الانتفاع بالدعاء:

للناس آراء في الانتفاع بالدعاء:

أ - ذهب الجمهور إلى أن الدعاء من أعظم الأسباب التي تجلب المصالح وتدفع المضار، وهم أكثر خلق الله من سائر الملل.

ب - وذهب بعض المتفلسفة وغلاة الصوفية إلى أن الدعاء لا فائدة فيه.

ج - وخص بعضهم الدعاء بخواص العارفين وقال: إن مقام الخواص علة في إجابة الدعاء.

١٣ الرد على شبه المخالفين لأهل السنة في مسألة الانتفاع بالدعاء:

من شبههم:

إن المشيئة الإلهية إن اقتضت حصول المطلوب فلا حاجة إلى الدعاء، وإن لم تقتضه فلا فائدة فيه.

الجواب:

أجيب عن هذه الشبهة بأحد جوابين:

أولهما: منع الحصر الذي ذكره وهو: إما أن تقتضي حصول المطلوب، وإما أن لا تقتضيه، فنقول: إن هناك قسماً ثالثاً وهو أن تكون المشيئة الإلهية قد اقتضت حصول المطلوب بشروط قد يكون منها دعاء الشخص وطلبه، كما تقتضي حصول الثواب بوجود العمل الصالح.

وحينئذٍ فالدعاء مفيد لأنه كان شرطاً من شروط حصول المطلوب كما كان العمل الصالح شرطاً لحصول الثواب.

ثانيهما: لا نسلم أن المشيئة الإلهية إن اقتضت فلا حاجة إلى الدعاء، بل قد تكون إليه حاجة من تحصيل مصلحة أخرى عاجلة أو آجلة، وكذلك: لا نسلم لهم بالمشيئة الإلهية إن لم تقتض المطلوب فلا فائدة فيه، بل فيه فوائد أيضاً من جلب مصالح أو دفع مضار آخر. يدل على ذلك الحديث الذي قدمناه: (ما من رجل يدعو بدعوة لا إثم فيها ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بدعوته إحدى ثلاث خصال).

الشبهة الثانية: قالوا: إذا كان إعطاء الله ﷻ معللاً بفعل العبد كما يعقل من إعطاء المسؤول للسائل. كان السائل قد أثر بدعائه في الرب... كما أثر السائل في المسؤول وتأثير العبد في الرب ممنوع.

الجواب: إن الله ﷻ هو الذي حرك العبد لدعائه وجعل دعاءه سبباً في حصول المطلوب، فمنه بدأ الأمر وإليه منتهاه، ولذلك قال عمر: «إني لا أحمل همَّ الإجابة ولكنني أحمل همَّ الدعاء، فإذا ألهمت الدعاء حصلت منه الإجابة»، والله سبحانه هو الذي يحرك العبد بدعائه، وهو سبحانه جعل الدعاء سبباً للإجابة كما جعل العمل الصالح سبباً للثواب، ووقفه للتوبة وأثابه عليها.

١٤) الجواب على دعوى بعض: دعونا فلم يستجب لنا، والله يقول: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

أجيب عن هذا بعدة أجوبة منها:

١ - الأول: إن الدعاء في الآية المراد به العبادة، فيكون المعنى: «اعبدوني أثبكم وأجازيكم جزاء حسناً»، ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، وعلى هذا فالآية لم تتعرض لإجابة الداعي على دعائه.

٢ - الثاني: إن إجابة الداعي أعم من إعطاء السائل لسؤاله، فإجابته إما أن تكون بإعطائه عين سؤاله أو ادخار مثل سؤاله من الخير له أو يصرف عنه مثل سؤاله من الشر كما ورد في الحديث.

٣ - الثالث: إن الدعاء سبب لحصول المطلوب ولا بد لترتيب المسببات على أسبابها من وجود الشرط.. وانتفاء الموانع فإذا فقدت الشروط أو بعضها أو وجد المانع لم يحصل المطلوب.. قالوا فالأدعية والأذكار بمنزلة السلاح وتأثير السلاح ليس وحده فقط، بل بضاربه أيضاً، فإذا كان السلاح تاماً، والساعد ساعداً قوياً، والمحل قابلاً، والمانع مفقوداً يحصل بالسلاح النكاية في العدو ومتى تخلف التأثير وكذلك الأدعية والأذكار إذا كان الدعاء صادقاً وانضم إليه أن توجه الشخص بقلبه مع لسانه وانتفت الموانع حصل المطلوب، وإن لم يكن كذلك لم يحصل المطلوب.

١٥) المعاني المستلزمة للدعاء:

ذكر ابن عقيل أن الدعاء يستلزم معاني ثمانية:

١ - الوجود، فإن المعدوم لا يدعى.

٢ - الحياة، فإن الميت لا يدعى.

٣ - السمع، فالأصم لا يدعى.

٤ - العلم، فالجاهل لا يدعى.

٥ - القدرة، فالعاجز لا يدعى.

٦ - الرحمة، فالقاسي لا يدعى.

٧ - الكرم، فالبخيل لا يدعى.

٨ - الغنى، فالفقير لا يدعى.

١٦ معنى كلام الطحاوي: «ويملك كل شيء ولا يملكه شيء، ولا غنى عن الله تعالى طرفة عين، ومن استغنى عن الله طرفة عين فقد كفر وصار من أهل الحين»:

والله تعالى مالك الملك، ومالك كل شيء ولا تصرف في خلقه إلا بإذنه، ولا يمكن الاستغناء عن الله تعالى طرفة عين، فكل مخلوق محتاج إلى الله تعالى في خلقه وإيجاده ورزقه وتدبير أموره، وهدايته وإرشاده، كما قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنتَهُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، وأيما مخلوق ظن أنه يستطيع الاستغناء عن الله تعالى فقد كفر بذلك، وأصبح من أهل الردى والهلاك.

١٧ معنى قول طائفة من العلماء: «أن الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد»:

الالتفات إلى الأسباب ضربان:

- ١ - أن يعتمد عليها ويطمئن إليها، ويعتقد أنها بذاتها محصلة للمقصود وذلك كشرب الدواء فيظنه المريض أنه بمفرده كافٍ في حصول الشفاء فهذا شرك.
- ٢ - أن يلتفت إليها التفتات امتثال وقيام بها وأداء لحق العبودية فيها وإنزالها منازلها فهذا حق<sup>(١)</sup>.

١٨ الخلاصة:

- ١ - الله تعالى يستجيب الدعوات كما قال ﷻ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، وهو الذي يقضي الحوائج لخلقه، من جلب النفع ودفع الضر، إذ لا يملك الأمر سواه.
- ٢ - الدعاء: هو الابتهاج إلى الله بالسؤال والرغبة فيما عنده من الخير.
- ٣ - الدعاء على قسمين: دعاء عبادة، ودعاء مسألة.
- ٤ - لإجابة الدعاء لا بد من توفر شروط وانتفاء موانع.
- ٥ - القرب نوعان: قرب بعلم الله من كل خلقه، وقرب من عابديه وداعيه بالإجابة والمعونة والتوفيق.
- ٦ - مذهب أهل السنة والجماعة أن الدعاء أقوى الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار.



- ٧ - لقد دل على الانتفاع بالدعاء الكتاب والسنة.
- ٨ - المعاني المستلزمة للدعاء: الوجود، والحياة، والسمع، والعلم، والقدرة، والرحمة، والكرم، والغنى.
- ٩ - الله تعالى مالك الملك، ومالك كل شيء ولا تصرف في خلقه إلا بإذنه، ولا يمكن الاستغناء عن الله تعالى طرفة عين.

## ١٩ المناقشة:

- س١: بين معنى كلام الطحاوي: «والله تعالى يستجيب الدعوات ويقضي الحاجات».
- س٢: ما معنى الدعاء؟
- س٣: بين معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦].
- س٤: ما أنواع الدعاء؟
- س٥: عدد شروط إجابة الدعاء.
- س٦: ما أنواع القرب؟
- س٧: وضح مذهب أهل السنة والجماعة في أن الدعاء أقوى الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار.
- س٨: اذكر أدلة أهل السنة والجماعة في مسألة الانتفاع بالدعاء.
- س٩: بين مذهب المخالفين لأهل السنة في مسألة الانتفاع بالدعاء.
- س١٠: كيف ترد على شبه المخالفين لأهل السنة في مسألة الانتفاع بالدعاء؟
- س١١: كيف تجيب على دعوى من يقول: دعونا فلم يستجب لنا، والله يقول: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]؟
- س١٢: اذكر المعاني المستلزمة للدعاء.
- س١٣: بين معنى كلام الطحاوي: «ويملك كل شيء ولا يملكه شيء، ولا غنى عن الله تعالى طرفة عين، ومن استغنى عن الله طرفة عين فقد كفر وصار من أهل الحين».



## صفتا الغضب والرضا

❖ كلام ابن أبي العز:

- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب.
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق.
- ٣ - معاني الكلمات.
- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «والله يفضب ويرضى، لا كأحدٍ من الورى».
- ٥ - تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨] وسبب تسمية البيعة ببيعة الرضوان.
- ٦ - مذهب أهل السنة والجماعة في صفتي الرضا والغضب.
- ٧ - الأدلة من الكتاب والسنة على إثبات صفتي الرضا والغضب.
- ٨ - المخالفون لأهل السنة في إثبات صفتي الرضا والغضب.
- ٩ - الخلاصة.
- ١٠ - المناقشة.

## صفتا الغضب والرضا

قال ابن أبي العز:

قوله: «والله يغضب ويرضى لا كأحد من الورى».

قال تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [المائدة: ١١٩]، ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، وقال تعالى: ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٦٠]، ﴿وَعَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾ [النساء: ٩٣]، ﴿وَبَاءُوا بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٦١]، ونظائر ذلك كثيرة.

ومذهب السلف وسائر الأئمة إثبات صفة الغضب والرضى والعداوة والولاية والحب والبغض ونحو ذلك من الصفات التي ورد بها الكتاب والسنة ومنع التأويل الذي يصرفها عن حقائقها اللاتقة بالله تعالى كما يقولون مثل ذلك في السمع والبصر والكلام وسائر الصفات كما أشار إليه الشيخ فيما تقدم بقوله إذا كان تأويل الرؤية وتأويل كل معنى يضاف إلى الربوبية ترك التأويل ولزوم التسليم وعليه دين المسلمين. وانظر إلى جواب الإمام مالك رحمته الله في صفة الاستواء كيف قال: «الاستواء معلوم والكيف مجهول»، وروي أيضاً عن أم سلمة رضي الله عنها موقوفاً عليها ومرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم. وكذلك قال الشيخ رحمته الله فيما تقدم: من لم يتوقّف النفي والتشبيه زل ولم يصب التنزيه، ويأتي في كلامه إن الإسلام بين الغلو والتقصير وبين التشبيه والتعطيل. فقول الشيخ رحمته الله: لا كأحد من الورى، نفي التشبيه، ولا يقال: إن الرضى إرادة الإحسان والغضب إرادة الانتقام، فإن هذا نفي للصفة، وقد اتفق أهل السنة على أن الله يأمر بما يحبه ويرضاه وإن كان لا يريد ولا يشاؤه، وينهى عما يسخطه ويكرهه ويبغضه، ويغضب على فاعله وإن كان قد شاء وأراد، فقد يحب عندهم ويرضى ما لا يريد ويكره ويسخط لما أراده.

ويقال لمن تأول<sup>(١)</sup> الغضب والرضى بإرادة الإحسان: لم تأولت ذلك، فلا بد أن

(١) انظر: الفتاوى (٤٥/٦).

يقول إن الغضب غليان دم القلب والرضى الميل والشهوة، وذلك لا يليق بالله تعالى، فيقال له: غليان دم القلب في الآدمي أمر ينشأ عن صفة الغضب لا أنه الغضب، ويقال له أيضاً: كذلك الإرادة والمشيشة فينا فهي ميل الحي إلى الشيء أو إلى ما يلائمه ويناسبه، فإن الحي منا لا يريد إلا ما يجلب له منفعة أو يدفع عنه مضرة وهو محتاج إلى ما يريده ومفتقر إليه، ويزداد بوجوده وينتقص بعدمه، فالمعنى الذي صرفت إليه اللفظ كالمعنى الذي صرفته عنه سواء، فإن جاز هذا جاز ذلك وإن امتنع هذا امتنع ذلك.

فإن قال: الإرادة التي يوصف الله بها مخالفة للإرادة التي يوصف بها العبد وإن كان كل منهما حقيقة، قيل له: فقل إن الغضب والرضى الذي يوصف الله به مخالف لما يوصف به العبد. وإن كان كل منهما حقيقة، فإذا كان ما يقوله في الإرادة يمكن أن يقال في هذه الصفات لم يتعين التأويل بل يجب تركه لأنك تسلم من التناقض وتسلم أيضاً من تعطيل معنى أسماء الله تعالى وصفاته بلا موجب، فإن صرف القرآن عن ظاهره وحقيقته بغير موجب، حرام ولا يكون الموجب للصرف ما دله عليه عقله إذ العقول مختلفة، فكلُّ يقول إن عقله دله على خلاف ما يقوله الآخر.

وهذا الكلام يقال لكل من نفى صفة من صفات الله تعالى لامتناع مسمى ذلك في المخلوق، فإنه لا بد أن يثبت شيئاً لله تعالى على خلاف ما يعهده حتى في صفة الوجود، فإن وجود العبد كما يليق به ووجود الباري تعالى كما يليق به، فوجوده تعالى يستحيل عليه العدم ووجود المخلوق لا يستحيل عليه العدم وما سمي به الرب نفسه وسمى به مخلوقاته مثل الحي والعليم والقدير، أو سمي به بعض صفاته كالغضب والرضى، وسمى به بعض صفات عباده، فنحن نعقل بقلوبنا معاني هذه الأسماء في حق الله تعالى وأنه حق ثابت موجود، ونعقل أيضاً معاني هذه الأسماء في حق المخلوق، ونعقل أن بين المعنيين قدراً مشتركاً، لكن هذا المعنى لا يوجد في الخارج مشتركاً، إذ المعنى المشترك الكلّي لا يوجد مشتركاً إلا في الأذهان ولا يوجد في الخارج إلا معيناً مختصاً، فيثبت في كل منهما كما يليق به، بل لو قيل غضب مالك خازن النار وغضب غيره من الملائكة لم يجب أن يكون مماثلاً لكيفية غضب الآدميين، لأن الملائكة ليسوا من الأخلاط الأربعة حتى تغلي دماء قلوبهم كما يغلي دم قلب الإنسان عند غضبه، فغضب الله أولى.

وقد نفى الجهم ومن وافقه كل ما وصف الله به نفسه من كلامه ورضاه وغضبه

وحبه وبغضه وأسفه ونحو ذلك وقالوا إنما هي أمور مخلوقة منفصلة عنه ليس هو في نفسه متصفاً بشيء من ذلك.

وعارض هؤلاء من الصفاتية ابن كلاب ومن وافقه فقالوا: لا يوصف الله بشيء يتعلق بمشيئته وقدرته أصلاً بل جميع هذه الأمور صفات لازمة لذاته قديمة أزلية فلا يرضى في وقت دون وقت ولا يغضب في وقت دون وقت كما قال في حديث الشفاعة: (إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله).

وفي «الصحيحين» عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ: (إن الله تعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، والخير في يدك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحد من خلقك، فيقول: ألا أعطيتكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبداً<sup>(١)</sup>).

فيستدل به على أنه يحل رضوانه في وقت دون وقت وأنه قد يحل رضوانه ثم يسخط كما يحل السخط ثم يرضى، لكن هؤلاء أحل عليهم رضواناً لا يتعقبه سخط.

وهم قالوا: لا يتكلم إذا شاء، ولا يضحك إذا شاء، ولا يغضب إذا شاء، ولا يرضى إذا شاء، بل إما أن يجعلوا الرضى والغضب والحب والبغض هو الإرادة أو يجعلوها صفات أخرى، وعلى التقديرين فلا يتعلق شيء من ذلك لا بمشيئته ولا بقدرته، إذ لو تعلق بذلك لكان محلاً للحوادث، فنفى هؤلاء الصفات الفعلية الذاتية بهذا الأصل كما نفى أولئك الصفات مطلقاً بقولهم ليس محلاً للأعراض، وقد يقال: بل هي أفعال ولا تسمى حوادث كما سميت تلك صفات ولم تسم أعراضاً، وقد تقدمت الإشارة إلى هذا المعنى، ولكن الشيخ رحمته الله لم يجمع الكلام في الصفات في المختصر في مكان واحد، وكذلك الكلام في القدر ونحو ذلك ولم يعتن فيه بترتيب.

وأحسن ما يرتب عليه كتاب أصول الدين ترتيب جواب النبي ﷺ لجبريل عليه السلام حين يسأله عن الإيمان فقال: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره) الحديث، فيبدأ بالكلام على التوحيد والصفات وما يتعلق بذلك، ثم بالكلام على الملائكة، ثم وثم إلى آخره.

(١) أخرجه البخاري (٦٥٤٩)، ومسلم (٢٨٢٩).

## الشرح

### عناصر الموضوع:

#### ١) غرض المصنف من عقد هذا الباب:

تقرير معتقد أهل السنة والجماعة في إثبات صفة الغضب والرضا، وهما من الصفات الفعلية التي تتعلق بالمشيئة والاختيار، فأهل السنة يثبتون الصفات الواردة في الكتاب والسنة إثباتاً بلا تكييف، وتنزيهاً بلا تعطيل.

#### ٢) مناسبة هذا الباب لما سبق:

قرر المصنف فيما سبق أن معتقد أهل السنة والجماعة أن الدعاء نافع ومفيد وهو من أقوى الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار، فناسب أن يبين أن الله يغضب على من ترك دعاءه ولم يسأله، فناسب أن يقرر المؤلف أن من صفات الله الفعلية التي وردت في الكتاب والسنة صفتي الغضب والرضا على ما يليق بجلال الله وعظمته.

#### ٣) معاني الكلمات:

المعنى	الكلمة
	الغلو
	مجازة الحد.

#### ٤) معنى كلام الطحاوي: «والله يغضب ويرضى، لا كأحد من الورى»:

والله تعالى يغضب إذا انتهكت محارمه، ويرضى إذا أتيت مرضيه وأوامره، وغضبه ورضاه صفتان ثابتان بالكتاب والسنة كما سيأتي بيانه، وهما على المعنى اللائق به تعالى دون تكييف ولا تشبيه، فغضبه ورضاه صفتان ليستا كصفات الخلق بحال من الأحوال.

#### ٥) تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾

[الفتح: ١٨]، وسبب تسمية البيعة ببيعة الرضوان:

يخبر تعالى بفضله ورحمته برضاه عن المؤمنين إذ يبايعون الرسول ﷺ تلك

المبايعة التي بيّضت وجوههم واكتسبوا بها سعادة الدنيا والآخرة، وكان سبب تسمية هذه البيعة بيعة الرضوان، لرضا الله عن المؤمنين فيها، فأخبر الله تعالى أنه رضي عن المؤمنين في تلك الحال التي هي من أكبر الطاعات وأجل القربات<sup>(١)</sup>.

#### ٦ مذهب أهل السنة والجماعة في صفتي الرضا والغضب:

يثبت أهل السنة والجماعة صفتي الغضب والرضا من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل ولا تكيف، فيرضى عن المحسنين، ويسخط على الفسقة والكافرين، دل على ذلك الأدلة المتوافرة كما سيأتي بيانه في الفقرة التالية.

#### ٧ الأدلة من الكتاب والسنة على إثبات صفتي الرضا والغضب:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْوَجَلَ سَيْنًا لَهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٢].

وقال تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِرِضْوَانِ عَنَّهُمْ فَإِنْ تَرَضُوا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٦].

وقال تعالى: ﴿جَزَاءُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّتْ عَدْنٌ يَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ حَشِيَ رَبَّهُ﴾ [البينة: ٨].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

وقال ﷺ في حديث الشفاعة: (إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله).

وفي «الصحيحين» عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ: (إن الله تعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحد من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً).

#### ٨ المخالفون لأهل السنة في إثبات صفتي الرضا والغضب:

وهم فئتان:

١ - المعتزلة كالأشعرية والمعتزلة الماتريدية.

٢ - المشبهة الذين يثبتون صفات الخالق من جنس صفات المخلوقين، وطريقة

(١) انظر: تفسير السعدي عند الآية: ١٨ من سورة الفتح.



الأشاعرة أنهم يؤولون صفتي الغضب والرضا ويفسرونها بالصفات التي أثبتوها فيقولون في الرضا: إنه إرادة الثواب، ويفسرون صفة الغضب بإرادة الانتقام.

### الرد على الأشاعرة في نفهم صفتي الغضب والرضا:

إن الأشاعرة يثبتون سبعاً من الصفات وينفون ما عداها من الصفات، فينفون صفة المحبة والرحمة والغضب وغيرها، وفرقوا بين الصفات من حيث الإثبات والنفي والرد عليهم<sup>(١)</sup> من وجوه:

١ - أنه لا فرق بين ما نفيتموه من الصفات كالرحمة والغضب والمحبة وبين ما أثبتتموه، فإن القول فيهما واحد لأن القول في إحداهما كالقول في الأخرى.

٢ - يلزم الأشعري في طريقته هذه بالتفريق بين الصفات ثلاثة لوازم:

أ - إثبات جميع الصفات على وجه التمثيل، تمثيل الخالق بالمخلوق، وهذا باطل وهو مذهب المشبهة.

ب - نفي جميع الصفات الواردة في الكتاب والسنة، وهذا باطل، فيلحق بغلاة المعطلة، فإذا بطل الوجهان السابقان فيبقى اللازم الآخر وهو الصحيح.

ج - إثبات جميع الصفات الواردة في الكتاب والسنة على ما يليق بالله تعالى مع نفي مشابهة الخالق للمخلوق، وهذا هو الحق وهو مذهب الرسل عليهم الصلاة والسلام.

وفي ما يلي مثال تطبيقي لمحاورة السني مع الأشعري:

الأشعري يثبت الصفات السبع وينازع فيما عداها من صفة الرضا والغضب وغير ذلك، بدعوى أن إثبات هذه الصفات تشبيه، فلا يثبت صفة الغضب بزعمه أن الغضب هو غليان دم القلب بطلب الانتقام وهذا لا يليق بالله.

رد عليه السني فقال: أنت تثبت الإرادة، والإرادة التي تثبتها هي ميل النفس إلى جلب منفعة أو دفع مضرة، وهذا لا يليق بالله.

فأجاب الأشعري: أن هذه الإرادة التي ذكرتها أيها السني هي إرادة المخلوق، أما إرادة الله فكما تليق به.

فرد عليه السني فقال: وهذا الغضب الذي ذكرته أيها الأشعري إنما هو غضب المخلوق لا غضب الله اللائق به، فهذا المفرق بين الصفات. يقال فيما نفاه من

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٦/٤٥)، والصواعق (١/٢٢٤).

الصفات الفعلية كما يقول هو لمنازعه في الصفات السبع؛ أي يرد عليه بنفس الردود التي يرد بها هو على المعتزلي، ألا وهي أن الله يتصف بالصفات اللائقة به، والمخلوق يتصف بالصفات التي تناسبه وتليق به، ولا يلزم من ذلك التشبيه.

### ٩ الخلاصة:

- ١ - والله تعالى يغضب إذا انتهكت محارمه، ويرضى إذا أتيت مراضيه وأوامره، وغضبه ورضاه صفتان ثابتتان بالكتاب والسنة، وهما على المعنى اللائق به تعالى دون تكيف ولا تشبيه، فغضبه ورضاه صفتان ليستا كصفات الخلق بحال من الأحوال.
- ٢ - يثبت أهل السنة والجماعة صفتي الغضب والرضا من غير تشبيه ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكيف، فيرضى عن المحسنين، ويسخط على الفسقة والكافرين، دل على ذلك الأدلة المتوافرة.
- ٣ - المخالفون لأهل السنة في إثبات صفتي الرضا والغضب فتان: المعطلة كالأشعرية والمعتزلة الماتريدية، والمشبهة الذين يثبتون صفات الخالق من جنس صفات المخلوقين.
- ٤ - طريقة الأشاعرة أنهم يؤولون صفتي الغضب والرضا ويفسرونها بالصفات التي أثبتوها فيقولون في الرضا: إنه إرادة الثواب ويفسرون صفة الغضب بإرادة الانتقام.

### ١٠ المناقشة:

- س١: بين معنى كلام الطحاوي: «والله يغضب ويرضى، لا كأحد من الوري».
- س٢: بين معنى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨]، وما سبب تسمية البيعة ببيعة الرضوان؟
- س٣: وضح مذهب أهل السنة والجماعة في صفتي الرضا والغضب.
- س٤: اذكر الأدلة من الكتاب والسنة على إثبات صفتي الرضا والغضب.
- س٥: بين مذهب المخالفين لأهل السنة في إثبات صفتي الرضا والغضب، مع الرد عليهم.

## محبة أصحاب رسول الله ﷺ

❖ كلام ابن أبي العز:

- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب.
  - ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق.
  - ٣ - معاني الكلمات.
  - ٤ - معنى كلام الطحاوي: «ونحب أصحاب رسول الله ولا نفرط في حب أحد منهم ولا نتبرأ من أحد منهم ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان».
  - ٥ - تعريف الصحابي.
  - ٦ - فضل الصحابة وحقوقهم.
  - ٧ - الأدلة على فضل الصحابة.
  - ٨ - حكم سب الصحابة.
  - ٩ - مذهب أهل السنة في الصحابة.
  - ١٠ - المخالفون لأهل السنة والجماعة في محبة الصحابة.
  - ١١ - المراد بالسابقين في قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ الْمُتَحَرِّينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٠﴾
- [التوبة: ١٠٠].
- ١٢ - حكم الغلو في محبة الصحابة.

- ١٣ - وجه كون حب الصحابة ديناً وإيماناً وإحساناً.
- ١٤ - وجه كون بغض الصحابة كفراً ونفاقاً وطغياناً.
- ١٥ - معنى قول الرافضة: «لا ولاء إلا ببراءة».
- ١٦ - الخصلة التي قُضِلَ بها اليهود والنصارى على الرافضة.
- ١٧ - معنى قول السلف: الشهادة بدعة والبراءة بدعة.
- ١٨ - الخلاصة.
- ١٩ - المناقشة.

## محبة أصحاب رسول الله ﷺ

قال ابن أبي العز:

وقوله: «ونحب أصحاب رسول الله ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان».

يشير الشيخ رحمه الله إلى الرد على الروافض والنواصب، وقد أثنى<sup>(١)</sup> الله تعالى على الصحابة هو ورسوله ورضي عنهم ووعدهم الحسنی.

كما قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ السَّابِقِينَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ سَبَّوهُم بِأَحْسَنِ رِضَى اللَّهِ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٥٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّاعًا سَاجِدًا﴾ [الفتح: ٢٩] إلى آخر السورة.

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٢].

وقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلِ أَوْلِيكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلَوْا وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَى وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ﴾ [الحديد: ١٠].

وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَصْرُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ وَالَّذِينَ

(١) انظر: منهاج السنة (١٧/٢).

جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ [الحشر: ٨ - ١٠].

وهذه الآيات تتضمن الثناء على المهاجرين والأنصار وعلى الذين جاؤوا من بعدهم يستغفرون لهم ويسألون الله أن لا يجعل في قلوبهم غلاً لهم، وتتضمن أن هؤلاء هم المستحقون للفيء، فمن كان في قلبه غل للذين آمنوا ولم يستغفر لهم لا يستحق في الفيء نصيباً بنص القرآن.

وفي «الصحيحين» عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شيء، فسبه خالد فقال رسول الله ﷺ: (لا تسبوا أحداً من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مدّاً أحدهم ولا نصيفه)<sup>(١)</sup> انفرد مسلم بذكر سب خالد لعبد الرحمن دون البخاري.

فالنبي ﷺ يقول لخالد ونحوه: (لا تسبوا أصحابي) يعني عبد الرحمن وأمثاله، لأن عبد الرحمن ونحوه هم السابقون الأولون وهم الذين أسلموا من قبل الفتح وقاتلوا، وهم أهل بيعة الرضوان، فهم أفضل وأخص بصحبته ممن أسلم بعد بيعة الرضوان، وهم الذين أسلموا بعد الحديبية وبعد مصالحة النبي أهل مكة ومنهم خالد بن الوليد، وهؤلاء أسبق ممن تأخر إسلامهم إلى فتح مكة وسموا الطلقاء منهم أبو سفيان وابناه يزيد ومعاوية.

والمقصود أنه نهى من له صحبة آخرأ أن يسب من له صحبة أولاً لامتيازهم عنهم من الصحبة بما لا يمكن أن يشركوهم فيه، حتى لو أنفق أحدهم مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّاً أحدهم ولا نصيفه.

فإذا كان هذا حال الذين أسلموا بعد الحديبية وإن كان قبل فتح مكة، فكيف حال من ليس من الصحابة بحال مع الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار هم الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا، وأهل بيعة الرضوان كلهم منهم وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة.

وقيل إن السابقين الأولين من صلى إلى القبلتين وهذا ضعيف، فإن الصلاة إلى

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١).

القبلة المنسوخة ليس بمجرد فضيلة لأن النسخ ليس من فعلهم، ولم يدل على التفضيل به دليل شرعي كما دل على التفضيل بالسبق إلى الإنفاق والجهاد والمبايعة التي كانت تحت الشجرة.

وأما ما يروى عن النبي ﷺ أنه قال: (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم)<sup>(١)</sup> فهو حديث ضعيف، قال البزار: هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ، وليس هو في كتب الحديث المعتمدة.

وفي «صحيح مسلم» عن جابر قال: (قيل لعائشة رضي الله عنها: إن ناساً يتناولون أصحاب رسول الله ﷺ حتى أبا بكر وعمر، فقالت: وما تعجبون من هذا انقطع عنهم العمل فأحب الله أن لا يقطع عنهم الأجر)<sup>(٢)</sup>.

وروى ابن بطة بإسناد صحيح عن ابن عباس أنه قال: «لا تسبوا أصحاب محمد، فلمقام أحدهم ساعة يعني مع النبي ﷺ خير من عمل أحدكم أربعين سنة، وفي رواية وكيع: خير من عبادة أحدكم عمره»<sup>(٣)</sup>.

«وفي الصحيحين» من حديث عمران بن حصين وغيره أن رسول الله ﷺ قال: (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)<sup>(٤)</sup>، قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة) الحديث.

وقد ثبت في «صحيح مسلم» عن جابر أن النبي ﷺ قال: (لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة)<sup>(٥)</sup>.

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ...﴾ الآيات [التوبة: ١١٧].

ولقد صدق عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في وصفهم حيث قال: «إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه وابتعثه برسالته، ثم

(١) أخرجه الدارقطني كما في تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي (٢/٢٣٠).

(٢) أخرجه البغدادي في تاريخ بغداد (١١/٢٧٦) قال محقق شرح الطحاوية العدني (ص ٧٣٠): ولم يخرج مسلم كما ظنه الشارح.

(٣) أخرجه ابن ماجه (١٦٢)، وأحمد في فضائل الصحابة (١٧٢٩).

(٤) أخرجه البخاري (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٢٥).

(٥) أخرجه مسلم (٢٤٩٦).

نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه، فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رأوه سيئاً فهو عند الله سيء».

وفي رواية: «وقد رأى أصحاب محمد جميعاً أن يستخلفوا أبا بكر».

وتقدم قول ابن مسعود: من كان منكم مستنأً فليستن بمن قد مات، عند قول الشيخ: وتبع السنة والجماعة.

فمن أضل ممن يكون في قلبه غل على خيار المؤمنين وسادات أولياء الله تعالى بعد النبيين، بل قد فضلهم اليهود والنصارى بخصلة، قيل لليهود: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى، وقيل للنصارى: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب عيسى، وقيل للرافضة: من شر أهل ملتكم؟ قالوا<sup>(١)</sup>: أصحاب محمد، لم يستثنوا منهم إلا القليل، وفيمن سبهم من هو خير ممن استثنوهم بأضعاف مضاعفة.

وقوله: ولا نفرط في حب أحد منهم، أي: لا نتجاوز الحد في حب أحد منهم كما تفعل الشيعة فنكون من المعتدين، قال تعالى: ﴿يَتَأَهَّلَ الْكُتُبِ لَا تَقْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ [النساء: ١٧١].

وقوله: ولا نتبرأ من أحد منهم كما فعلت الرافضة، فعندهم لا ولاء إلا ببراء، أي: لا يتولى أهل البيت حتى يتبرأ من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وأهل السنة يوالونهم كلهم وينزلونهم منازلهم التي يستحقونها بالعدل والإنصاف لا بالهوى والتعصب، فإن ذلك كله من البغي الذي هو مجاوزة الحد كما قال تعالى: ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَيِّنَاتٍ﴾ [البجائية: ١٧]، وهذا معنى قول من قال من السلف الشهادة بدعة والبراء بدعة، يروي ذلك عن جماعة من السلف من الصحابة والتابعين منهم أبو سعيد الخدري والحسن البصري وإبراهيم النخعي والضحاك وغيرهم.

ومعنى الشهادة: أن يشهد على معين من المسلمين أنه من أهل النار أو أنه كافر بدون العلم بما ختم الله له به.

(١) انظر: منهاج السنة (٢٧/١).



وقوله: وحبهم دين وإيمان وإحسان، لأنه امتثال لأمر الله فيما تقدم من النصوص. وروى الترمذي عن عبد الله بن مغفل قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله تعالى، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه)<sup>(١)</sup>.

وتسمية حب الصحابة إيماناً مشكل على الشيخ رحمه الله، لأن الحب عمل القلب وليس هو التصديق، فيكون العمل داخلياً في مسمى الإيمان، وقد تقدم في كلامه أن الإيمان هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان لم يجعل العمل داخلياً في مسمى الإيمان، وهذا هو المعروف من مذهب أهل السنة إلا أن تكون هذه التسمية مجازاً. وقوله: وبغضهم كفر ونفاق وطغيان تقدم الكلام في تكفير أهل البدع، وهذا الكفر نظير الكفر المذكور في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقد تقدم الكلام في ذلك.

(١) أخرجه أحمد (٨٧/٤)، والترمذي (٣٨٦٢).

## الشرح

### عناصر الموضوع:

#### ١ غرض المصنف من عقد هذا الباب:

عقد المصنف هذا الباب لبيان معتقد أهل السنة والجماعة في أصحاب رسول الله ﷺ، فهم يحبون الصحابة ويوالونهم كلهم بالعدل والإنصاف ويترضون عنهم، ولا يغفلون في حبهم أو حب أحد منهم حتى لا يرفعوهم من مقام الصحبة إلى مقام النبوة.

وصحابة رسول الله ﷺ هم أفضل القرون والأمم بعد الأنبياء والرسل؛ وذلك لأنهم أدركوا النبي ﷺ وآمنوا به وجاهدوا معه وتلقوا عنه العلم وأحبهم النبي ﷺ، واختارهم الله لصحبة نبيه.

#### ٢ مناسبة هذا الباب لما سبق:

قرر المصنف فيما سبق إثبات صفتي الغضب والرضا، فناسب في هذا الباب أن يبين العقيدة فيمن رضي الله عنهم وهم الصحابة، قال تعالى: ﴿وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

#### ٣ معاني الكلمات:

الكلمة	المعنى
الإفراط	تجاوز الحد.
البغي	التعدي والظلم.

#### ٤ معنى كلام الطحاوي: «ونحب أصحاب رسول الله ولا نفرط في حب

أحد منهم ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان»:

ونحب أصحاب رسول الله ﷺ بحب رسول الله ﷺ وحبهم لهم، ولا نفرط في

حب أحد منهم كما فعل الروافض بعلي ﷺ؛ فرفعوه فوق منزلته حتى أوصلوه لدرجة الألوهية، ولا نتبرأ من أحد منهم فقد كانوا أكمل الناس إيماناً وإحساناً، وأعظمهم طاعة وجهاداً، ونبغض من يبغضهم فإن ذلك علامة النفاق والخذلان، ونبغض من يذكرهم بغير الخير، ولا نذكرهم إلا بخير، فإن النبي ﷺ قد أحبهم وأوصى بهم، فحبهم علامة صحة الدين وعلامة الإيمان والإحسان، وبغضهم علامة الكفر والنفاق والخذلان والطغيان، نعوذ بالله من الضلالة بعد الهدى.

#### ٥ تعريف الصحابي:

هو من لقي النبي ﷺ مؤمناً ولو لحظة ومات على ذلك<sup>(١)</sup>.

#### ٦ فضل الصحابة وحقوقهم:

الصحابة هم خير القرون، وأفضل هذه الأمة بعد نبينا ﷺ، ومحبتهم واجبة على كل مسلم؛ إذ أن حبهم دين، فيجب أن نحبهم ونتولاهم ونترضى عنهم، ونزلهم منازلهم، كما أن بغضهم كفر وطغيان.

فالصحابة حملة الدين تلقوه عن المصطفى ﷺ ونقلوه إلينا؛ فالطعن فيهم طعن في الدين كله.

وعلى أيديهم انتشر الإسلام في الأرض، وفتح الله بهم البلاد وقلوب العباد.

#### ٧ الأدلة على فضل الصحابة:

وردت عدة نصوص في فضلهم رضوان الله عليهم لا سيما السابقين منهم من الكتاب والسنة والآثار.

#### أولاً - الكتاب:

أ - قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] إلى أن قال ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩].

ب - قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

ج - قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْهُمُ الْبِرُّ وَالْإِنصَارُ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

(١) انظر: الإصابة (٧/١).

ثانياً - من السنة .

أ - ما روي عن أبي سعيد الخدري أنه قال: كان بين خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف شيء فسيء، فقال ﷺ: (لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم ملء أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه).

ب - ما روي عنه أنه ﷺ قال: (والذي نفسي بيده لا يلج النار أحد بايع تحت الشجرة).

ج - ما روي عنه ﷺ أنه قال: (خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم).

ثالثاً - من الآثار: فإليك بعضها:

أ - ما روي عن ابن عباس ؓ أنه قال: (لا تسبوا أصحاب محمد ﷺ، فلمقام أحدكم ساعة يعني مع النبي خير من عمل أحدكم أربعين سنة).

ب - ما روي عن ابن مسعود ؓ أنه قال: (إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه وابتعثه لرسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلبه ﷺ فرأى قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه، فما رآه أصحابه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن وما رآه سيئاً فهو سيء).

ج - ما روي أنه قيل لعائشة: «أن أناساً يتكلمون في أصحاب النبي ﷺ حتى في أبي بكر وعمر فقالت: أو تعجبون من هذا؟ انقطع منهم العمل فأراد الله ألا ينقطع عنهم الأجر».

هذا بعض ما ورد عن فضل أصحاب رسول الله ﷺ مما وجب محبتهم وموالاتهم وعدم جواز الطعن فيهم..

٨) حكم سب الصحابة:

لقد نهى النبي ﷺ عن التعرض لأصحابه بسب أو شتم فقال: (لا تسبوا أحداً من أصحابي...) الحديث.

فكل من يحب الصحابة فهو محب للرسول ﷺ، وكل من يبغضهم فهو مبغض للرسول ﷺ. وقد سبقت الأدلة في تحريم سب الصحابة.

هذا فمن سب الصحابة أو تنقص أحداً منهم أو جاهر ببغضهم فليس على السنة ولا مع الجماعة.

وإذا سبَّهم سباً يقدح في عدالتهم ودينهم؛ فهذا كفر ونفاق وطغيان، وأما من سبَّهم بما لا يقدح في عدالتهم ولا في دينهم مثل وصف بعضهم بالبخل بهتاناً فهذا يستحق التأديب والتعزير ولا نحكم بكفره بمجرد ذلك<sup>(١)</sup>.

#### ٩ مذهب أهل السنة في الصحابة:

ذهب أهل السنة والجماعة في الصحابة مذهباً وسطاً بين الغلو والجفو، فكفوا عما شجر بينهم، وتركوا الخوض فيما جرى بينهم من خلاف، ويوضح ذلك مقالة عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى: «أولئك قوم طهر الله أيدينا من دمائهم فلنظهر ألسنتنا من أعراضهم».

#### ١٠ المخالفون لأهل السنة والجماعة في محبة الصحابة:

أ - يرى أهل السنة والجماعة: وجوب محبة أصحاب النبي ﷺ جميعهم، وهم مع هذا لا يرفعونهم فوق منزلتهم التي يستحقونها ولا يغالون في حبهم مثل ما فعلت الرافضة في غلوهم لأهل البيت.

ب - أما الرافضة فذهبت إلى موالة أهل البيت والغلو في حبهم وبغض أكثر أصحاب النبي ﷺ لأنهم في اعتقادهم ظلموا علياً وسلبوا الخلافة منه.

ج - رأي أهل النواصب، وهم مناصبة أهل البيت العداء وتكفير أنفسهم كما فعلت الخوارج... ونرى أهل السنة وسطاً بين مذهب الروافض وبين مذهب النواصب فإنهم لم ييغضوا أحداً من أصحابه ﷺ كما فعلت الرافضة وكما فعلت النواصب ولم يغلوا في حبهم بل أنزلوهم المنزلة التي يستحقونها باعتبارهم أصحاب النبي ﷺ وعونه على نشر الدعوة.

#### ١١ المراد بالسابقين في قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنِ الْمُتَجَرِّبِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ [التوبة: ١٠٠].

اختلف في ذلك على أقوال:

أ - فقيل: المراد بهم: الذين أسلموا قبل الفتح وعددهم يزيد على ألف وأربعمائة رجل.

ب - وقيل: المراد بهم: من صلى إلى القبلتين.

(١) انظر: الصارم المسلول (ص ٥٨٦ - ٥٨٧)، ومنهاج السنة (١/ ٢٧).

والأول: أقوى وهو المختار، وذلك لما يأتي:

أولاً: لأنهم ورد في فضلهم عدة نصوص منه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، وقوله: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَدْ أُولِيكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتَلُوا وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَىَ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠]، وقول النبي ﷺ: (والذي نفسي بيده، لا يلج النار أحد بايع تحت الشجرة).

ثانياً: ولأن الصلاة إلى القبلتين بمجردھا لا يعتبر فضيلة لأن نسخ القبلة الأولى ليس من فعلهم ولم يرد على أفضلية من صلى إلى القبلتين على من سواهم.

### ١٢) حكم الغلو في محبة الصحابة:

لا يجوز تجاوز الحد في حب أحد من الصحابة كما فعلت الشيعة لأنه حينئذ غلو واعتداء، وقد قال تعالى: ﴿يَتَاهَلُّ الْكُتُبِ لَا تَتَلَوُا فِي دِينِكُمْ﴾ [النساء: ١٧١].

### ١٣) وجه كون حب الصحابة ديناً وإيماناً وإحساناً:

أما وجه كون حب الصحابة ديناً وإيماناً وإحساناً، فهو أن محبتهم فيها امتثال لأوامر الله ﷻ ولرسوله ﷺ وطاعة لهما. . . ولذلك قال ﷺ: (الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه).

فمحبة أصحابه فيها طاعة له فكانت ديناً وإيماناً وإحساناً من هذا الاعتبار، قد شرح الشارح: إن تسمية الطحاوي محبة أصحاب النبي ﷺ إيماناً لا يستقيم مع ما ذكره من أن الإيمان تصديق فقط، والمحبة عمل القلب وهو غير التصديق واعتذر عنه: بأنه لعله يكون إطلاقاً مجازاً، وإنما اعتذر عنه بذلك: لكي تستقيم نسبة محبة الأصحاب مع ما اختاره، أما على رأي الجمهور غير الأحناف فهو متماشٍ مع أصولهم.

### ١٤) وجه كون بغض الصحابة كفراً ونفاقاً وطغياناً:

وجه كون بغضهم كفراً وطغياناً هو أن أصحاب النبي ﷺ لم يصدر منهم ما يوجب بغضهم، لذلك فمن أبغضهم فلبغضه إمامهم محمداً ﷺ، قال ﷺ: (ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم).

ولهذا كان بغضهم كفراً ونفاقاً وطغياناً من هذا الوجه.

وقد ذكر الشارح أن إطلاق الكفر على هذا هو كفر دون كفر. وهو الكفر العملي لا الاعتقادي.

١٥) معنى قول الرافضة: «لا ولاء إلا ببراءة».

معنى هذا أنه لا تتم موالاته آل البيت إلا بالتبرؤ من أبي بكر وعمر، وقالوا هذه المقالة لزعمهم أن أبا بكر وعمر قد سلبا علياً الخلافة، وأنه كان أولى منهما بها، وأهل السنة يوالونهم كلهم وينزلونهم منازلهم التي يستحقونها بالعدل والإنصاف لا بالأهواء والتعصب، فإن ذلك كله من الغي الذي هو مجاوزة الحد.

١٦) الخصلة التي فضل بها اليهود والنصارى على الرافضة:

هذه الخصلة هي أنه: قيل لليهود من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى، وقيل للنصارى: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب عيسى، وقيل للرافضة: من شر أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب محمد، ولم يستثنوا منهم إلا القليل، آل البيت والمقداد بن الأسود وأبا ذر.

١٧) معنى قول السلف: الشهادة بدعة والبراءة بدعة:

أما الشهادة فالمراد بها: «الشهادة على المعين بالنار أو الكفر مع أنه لم يظهر شيئاً يوجب ذلك فهذه بدعة».

وأما البراءة<sup>(١)</sup> فالمراد بها هنا: ما يقوله الرافضة من أنه لا ولاء إلا ببراءة، أي التبرؤ من الشيخين، فهي بدعة أحدثها الروافض ظلاماً وعدواناً من عند أنفسهم.

١٨) الخلاصة:

- ١ - أهل السنة والجماعة يحبون أصحاب رسول الله ﷺ، بحب رسول الله ﷺ وحبهم، ولا يفرطون في حب أحد منهم كما فعلت الروافض بعلي ﷺ؛ فرفعه فوق منزلته حتى أوصلوه لدرجة الألوهية، ولا يتبرأون من أحد منهم.
- ٢ - الصحابي هو من لقي النبي ﷺ مؤمناً ولو لحظة ومات على ذلك.
- ٣ - الصحابة هم خير القرون، وأفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ، ومحبتهم واجبة على كل مسلم؛ إذ أن جهنم دين.
- ٤ - وردت عدة نصوص في فضل الصحابة رضوان الله عليهم لا سيما السابقين منهم من الكتاب والسنة والآثار.
- ٥ - لقد نهى النبي ﷺ عن التعرض لأصحابه بسب أو شتم، فمن سب الصحابة

(١) انظر: (الشرح والإبانة) لابن بطة (ص ٣٤١).

- أو تنقص أحداً منهم أو جاهر ببغضهم فليس على السنة ولا مع الجماعة.
- ٦ - وإذا سبهم سباً يقدح في عدالتهم ودينهم؛ فهذا كفر ونفاق وطغيان، وأما من سبهم بما لا يقدح في عدالتهم ولا في دينهم مثل وصف بعضهم بالبخل بهتاناً فهذا يستحق التأديب والتعزير ولا نحكم بكفره بمجرد ذلك.
- ٧ - ذهب أهل السنة والجماعة في الصحابة مذهباً وسطاً بين الغلو والجفو، فكفوا عما شجر بينهم، وتركوا الخوض فيما جرى بينهم من خلاف.
- ٨ - لا يجوز تجاوز الحد في حب أحد من الصحابة كما فعلت الشيعة لأنه حيثئذ غلو واعتداء.

### ١٩ المناقشة:

- س١: بيّن معنى كلام الطحاوي: «ونحب أصحاب رسول الله ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان».
- س٢: عرّف الصحابي.
- س٣: وضح فضل الصحابة واذكر بعضاً من حقوقهم.
- س٤: اذكر الأدلة على فضل الصحابة.
- س٥: ما حكم سب الصحابة؟
- س٦: بيّن مذهب أهل السنة في الصحابة.
- س٧: بيّن مذهب المخالفين لأهل السنة والجماعة في محبة الصحابة.
- س٨: ما المراد بالسابقين في قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ الْمُتَّقِينَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ هُمْ مَعَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [التوبة: ١٠٠]؟
- س٩: ما حكم الغلو في محبة الصحابة؟
- س١٠: بيّن وجه كون حب الصحابة ديناً وإيماناً وإحساناً.
- س١١: بيّن وجه كون بغض الصحابة كفراً ونفاقاً وطغياناً.
- س١٢: ما المقصود بقول الرافضة: «لا ولاء إلا ببراءة»؟
- س١٣: ما الخصلة التي فضل بها اليهود والنصارى على الرافضة؟
- س١٤: ما معنى قول السلف: الشهادة بدعة والبراءة بدعة؟



## مبحث الخلافة

❖ كلام ابن أبي العز:

- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب.
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق.
- ٣ - معاني الكلمات.
- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «وتثبت الخلافة بعد رسول الله ﷺ أولاً لأبي بكر الصديق ﷺ، تفضيلاً له وتقديماً على جميع الأمة، ثم لعمر بن الخطاب ﷺ، ثم لعثمان ﷺ، ثم لعلي بن أبي طالب ﷺ، وهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون».
- ٥ - وجه إدخال الطحاوي هذه المسألة الفقهية في العقيدة.
- ٦ - حكم تنصيب ولي الأمر على المسلمين.
- ٧ - مكانة الخلفاء الراشدين ووجوب اتباعهم.
- ٨ - مدة الخلافة الراشدة.
- ٩ - أولى الناس بالخلافة بعد رسول الله ﷺ.
- ١٠ - خلافة أبي بكر ﷺ ثابتة بالنص.
- ١١ - ثبوت خلافة عمر ﷺ بتقويض من أبي بكر ﷺ.
- ١٢ - ثبت خلافة عثمان ﷺ بالشورى.
- ١٣ - ثبوت خلافة علي لما قتل عثمان.
- ١٤ - المفاضلة بين عثمان وعلي.
- ١٥ - موقف المسلم من الفتنة التي وقعت بين الصحابة.
- ١٦ - الخلاصة.
- ١٧ - المناقشة.

## مبحث الخلافة

قال ابن أبي العز:

قوله: «وثبتت الخلافة بعد رسول الله أولاً لأبي بكر الصديق رضي الله عنه تفضيلاً له وتقديماً على جميع الأمة».

اختلف أهل السنة<sup>(١)</sup> في خلافة الصديق رضي الله عنه هل كانت بالنص أو بالاختيار، فذهب الحسن البصري وجماعة من أهل الحديث إلى أنها ثبتت بالنص الخفي والإشارة، ومنهم من قال بالنص الجلي، وذهب جماعة من أهل الحديث والمعتزلة والأشعرية إلى أنها ثبتت بالاختيار.

والدليل على إثباتها بالنص أخبار من ذلك ما أسنده البخاري عن جبير بن مطعم قال: أتت امرأة النبي صلى الله عليه وسلم فأمرها أن ترجع إليه قالت: رأيت إن جئت فلم أجدك؟ كأنها تريد الموت، قال إن لم تجدني فأني أبا بكر<sup>(٢)</sup>، وذكر له سياق آخر وأحاديث آخر وذلك نص على إمامته.

وحديث حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر)<sup>(٣)</sup> ورواه أهل السنن.

وفي «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في اليوم الذي بدئ فيه فقال: (ادعي لي أباك وأخاك حتى أكتب لأبي بكر كتاباً، ثم قال يا أباي الله والمسلمون إلا أبا بكر)<sup>(٤)</sup>.

وفي رواية: (فلا يطمع في هذا الأمر طامع).

وفي رواية قال: (ادعي لي عبد الرحمن بن أبي بكر لأكتب لأبي بكر كتاباً لا

(١) انظر: منهاج السنة (١/٤٨٦).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٥٩)، ومسلم (٢٣٨٦).

(٣) أخرجه أحمد (٥/٣٨٢)، والترمذي (٣٦٦٢).

(٤) أخرجه البخاري (٥٦٦٦)، ومسلم (٢٣٨٧).

يختلف عليه، ثم قال: معاذ الله أن يختلف المؤمنون في أبي بكر<sup>(١)</sup>.  
وأحاديث تقديمه في الصلاة مشهورة معروفة وهو يقول: (مروا أبا بكر فليصل  
بالناس)<sup>(٢)</sup>.

وقد روجع في ذلك مرة بعد مرة فصلى بهم مدة مرض النبي ﷺ.  
وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (بيننا أنا نائم  
رأيتني على قلب عليها دلو فنزعت<sup>(٣)</sup> منها ما شاء الله ثم أخذها ابن أبي قحافة فنزع  
منها ذنوباً<sup>(٤)</sup> أو ذنوبين وفي نزعه ضعف، والله يغفر له، ثم استحالت غرباً<sup>(٥)</sup>، فأخذها  
ابن الخطاب، فلم أر عبقرياً<sup>(٦)</sup> من الناس يفري فريه حتى ضرب الناس بعطن<sup>(٧)</sup><sup>(٨)</sup>.  
وفي «الصحيح» أنه ﷺ قال على منبره: (لو كنت متخذاً من أهل الأرض  
خليلاً لآخذت أبا بكر خليلاً، لا يبقين في المسجد خوخة إلا سدت إلا خوخة  
أبي بكر)<sup>(٩)</sup>.

وفي «سنن أبي داود» وغيره من حديث الأشعث عن الحسن عن أبي بكر أن  
النبي ﷺ قال ذات يوم: (من رأى منكم رؤيا؟ فقال رجل: أنا، رأيت ميزاناً أنزل  
من السماء فوزنت أنت أبو بكر فرجحت أنت بأبي بكر، ثم وزن عمر وأبو بكر  
فرجح أبو بكر، ووزن عمر وعثمان فرجح عمر، ثم رفع فرأيت الكراهة في وجه  
النبي ﷺ فقال، خلافة نبوة ثم يؤتي الله الملك من يشاء)<sup>(١٠)</sup>.

فبين رسول الله أن ولاية هؤلاء خلافة نبوة ثم بعد ذلك ملك.  
وليس فيه ذكر علي ﷺ لأنه لم يجتمع الناس في زمانه بل كانوا مختلفين لم  
يتنظم فيه خلافة النبوة ولا الملك.

- (١) أخرجه أحمد في المسند (١٠٦/٦).
- (٢) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (٢٢٧).
- (٣) النزع: الاستسقاء.
- (٤) الذنوب: هو الدلو المملوء.
- (٥) الغرب: هو الدلو العظيم والمعنى صارت وتحولت من الصغر إلى الكبير.
- (٦) العبقرى: السيد العظيم.
- (٧) العطن: الموضوع الذي تساق إليه الإبل بعد السقي حتى تستريح.
- (٨) أخرجه البخاري (٣٦٦٤)، ومسلم (٢٣٩٢).
- (٩) أخرجه البخاري (٣٩٠٤)، ومسلم (٢٣٨٢).
- (١٠) أخرجه أحمد في المسند (٤٤/٥)، وأبو داود (٤٦٣٥).

وروي أبو داود أيضاً عن جابر رضي الله عنه أنه كان يحدث أن رسول الله قال: (رأى الليلة رجل صالح أن أبا بكر نيط برسول الله ﷺ ونيط عمر بأبي بكر ونيط عثمان بعمر) قال جابر: فلما قمنا من عند رسول الله قلنا: أما الرجل الصالح فرسول الله وأما المنوط بعضهم ببعض فهو ولاة هذا الأمر الذي بعث الله به نبيه <sup>(١)</sup>.

وروي أبو داود أيضاً عن سمرة بن جندب: «أن رجلاً قال: يا رسول الله رأيت كأن دلواً دلي من السماء فجاء أبو بكر فأخذ بعراقيها فشرب شرباً ضعيفاً ثم جاء عمر فأخذ بعراقيها فشرب حتى تضرع، ثم جاء عثمان فأخذ بعراقيها فشرب حتى تضرع، ثم جاء علي فأخذ بعراقيها فانتشطت منه فانتضح عليه منها شيء» <sup>(٢)</sup>.

وعن سعيد بن جمهان عن سفينة قال: قال رسول الله ﷺ: (خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتي الله ملكه من يشاء) <sup>(٣)</sup>.

واحتج من قال لم يستخلف بالخبر المأثور عن عبد الله بن عمر عن عمر رضي الله عنه أنه قال: (إن استخلف فقد استخلف من هو خير مني يعني أبا بكر، إن لا استخلف فلم يستخلف من هو خير مني) يعني رسول الله ﷺ. قال عبد الله: «فعرفت أنه حين ذكر رسول الله غير مستخلف» <sup>(٤)</sup>.

وبما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت من كان رسول الله مستخلفاً لو استخلف <sup>(٥)</sup>؟.

والظاهر والله أعلم أن المراد أنه لم يستخلف بعهد مكتوب، ولو كتب عهداً لكتبه لأبي بكر، بل قد أراد كتابته ثم تركه وقال: يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر. فكان هذا أبلغ من مجرد العهد، فإن النبي دل المسلمين على استخلاف أبي بكر وأرشدهم إليه بأمر متعدد من أقواله وأفعاله، وأخبر بخلافته إخبار راض بذلك حامد له وعزم على أن يكتب بذلك عهداً ثم علم أن المسلمين يجتمعون

(١) أخرجه أحمد (٣/٣٥٥)، أبو داود (٤٦٣٦).

(٢) أخرجه أحمد (٥/٢١)، وأبو داود (٤٦٣٧).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٤٦)، والترمذي (٢٢٢٦).

(٤) أخرجه البخاري (٧٢١٨)، ومسلم (١٨٢٣).

(٥) أخرجه مسلم (٢٣٨٥).

عليه فترك الكتاب اكتفاء بذلك، ثم عزم على ذلك في مرضه يوم الخميس ثم لما حصل لبعضهم شك هل ذلك القول من جهة المرض أو هو قول يجب اتباعه ترك الكتابة اكتفاء بما علم أن الله يختاره والمؤمنون من خلافة أبي بكر.

فلو كان التعيين مما يشتهه على الأمة لبيّنه بياناً قاطعاً للعذر، لكن لما دلهم دلالات متعددة على أن أبا بكر المتعين وفهموا ذلك حصل المقصود، ولهذا قال عمر رضي الله عنه في خطبته التي خطبها بمحضر من المهاجرين والأنصار: «أنت خيرنا وسيدنا وأحبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم»، ولم ينكر ذلك منهم أحد، ولا قال أحد من الصحابة إن غير أبي بكر من المهاجرين أحق بالخلافة منه ولم ينزع أحد في خلافته إلا بعض الأنصار طمعاً في أن يكون من الأنصار أمير ومن المهاجرين أمير وهذا مما ثبت بالنصوص المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم بطلانه.

ثم الأنصار كلهم بايعوا أبا بكر إلا سعد بن عبادة لكونه هو الذي كان يطلب الولاية، ولم يقل أحد من الصحابة قط أن النبي نص على غير أبي بكر لا علي ولا العباس ولا غيرهما كما قد قال أهل البدع.

وروى ابن بطة بإسناده أن عمر بن عبد العزيز بعث محمد بن الزبير الحنظلي إلى الحسن فقال: هل كان النبي استخلف أبا بكر؟ فقال: أو في شك صاحبك؟ نعم والله الذي لا إله إلا هو استخلفه، لهو كان أتقى لله من أن يتوثب عليها.

وفي الجملة فجميع من نقل عنه أنه طلب توليه غير أبي بكر لم يذكر حجة دينية شرعية ولا ذكر أن غير أبي بكر أفضل منه أو أحق بها، وإنما نشأ من حب قبيلته وقومه فقط، وهم كانوا يعلمون فضل أبي بكر رضي الله عنه وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم له، ففي «الصحيحين» عن عمرو بن العاص: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه على جيش ذات السلاسل فأتيته فقلت أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة، قلت: من الرجال؟ قال: أبوها، قلت: ثم من؟ قال: عمر، وعد رجالاً».

وفيها أيضاً عن أبي الدرداء قال: «كنت جالساً عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ أقبل أبو بكر أخذاً بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبتيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أما صاحبكم فقد غامر فسلم، وقال: يا رسول الله إنه كان بيني وبين ابن الخطاب شيء فأسرعت إليه ثم ندمت فسألته أن يغفر لي فأبى علي فأقبلت إليك فقال: يغفر الله لك يا أبا بكر ثلاثاً، ثم إن عمر ندم فأتى منزل أبي بكر فسأل أئمة أبو بكر؟ فقالوا: لا، فأتى إلى

النبي ﷺ فسلم عليه فجعل وجه النبي ﷺ يتمر حتى أشفق أبو بكر فحشا على ركبته فقال: يا رسول الله، والله أنا كنت أظلم مرتين، فقال النبي ﷺ: إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي مرتين؟ فما أؤذي بعدها.

ومعنى غامر غاضب وخاصم، ويضيق هذا المختصر عن ذكر فضائله.

وفي «الصحيحين» أيضاً عن عائشة رضي الله عنها: «أن رسول الله ﷺ مات وأبو بكر بالسنح» فذكرت الحديث إلى أن قالت: «واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة فقالوا: منا أمير ومنكم أمير، فذهب إليهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر وكان عمر يقول: والله ما أردت بذلك إلا أني قد هيات في نفسي كلاماً قد أعجلني خشيت أن لا يبلغه أبو بكر، ثم تكلم أبو بكر فتكلم أبلغ الناس فقال في كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، فقال حباب بن المنذر: لا والله لا نفعل، منا أمير ومنكم أمير، فقال أبو بكر: لا ولكننا الأمراء وأنتم الوزراء، هم أوسط العرب وأعزهم أحساباً، فبايعوا عمر بن الخطاب أو أبا عبيدة بن الجراح، فقال عمر: بل نبايعك، فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ، فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس، فقال قائل: قتلتم سعداً، فقال عمر: قتله الله»<sup>(١)</sup>.

والسنح العالية وهي حديقة بالمدينة معروفة بها.

قوله: ثم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه.

أي ونسبت الخلافة بعد أبي بكر رضي الله عنه لعمر رضي الله عنه وذلك بتفويض أبي بكر الخلافة إليه، واتفاق الأمة بعده عليه، وفضائله رضي الله عنه أشهر من أن تنكر وأكثر من أن تذكر، فقد روي عن محمد ابن الحنفية، أنه قال: «قلت لأبي، يا أبت! من خير الناس بعد رسول الله ﷺ؟ فقال: يا بني أو ما تعرف؟ فقلت: لا! قال: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال عمر، وخشيت أن يقول: ثم عثمان، فقلت: ثم أنت؟ فقال: ما أنا إلا رجل من المسلمين»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٣٦٦٧) قال محقق الطحاوية: وعزو الشارح له إلى الصحيحين خطأ بل انفرد به البخاري.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٧١).

وتقدم قوله ﷺ: (اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر)<sup>(١)</sup>. وفي «صحيح مسلم» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «وضع عمر على سريره فتكنفه الناس يدعون ويشنون ويصلون عليه قبل أن يرفع وأنا فيهم، فلم يرعني إلا برجل قد أخذ بمنكبي من ورائي، فالتفت إليه فإذا هو علي فترحم علي عمر وقال: ما خلفت أحداً أحب إلي أن ألقى الله بمثل عمله منك، وإيم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبك وذلك أنني كنت كثيراً ما أسمع رسول الله ﷺ يقول: جئت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر، فإن كنت لأرجو أو لأظن أن يجعلك الله معهما»<sup>(٢)</sup>.

وتقدم حديث أبي هريرة رضي الله عنه في رؤيا رسول الله ﷺ ونزعه من القلب، ثم نزع أبي بكر، ثم استحالت الدلو غرباً فأخذها ابن الخطاب فلم أر عبقرياً من الناس ينزع نزع عمر حتى ضرب الناس بعطن<sup>(٣)</sup>.

وفي «الصحيحين» من حديث سعد بن أبي وقاص قال: استأذن عمر بن الخطاب على رسول الله ﷺ وعنده نساء من قريش يكلمنه عالية أصواتهن الحديث وفيه: فقال رسول الله ﷺ: (إيه يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك)<sup>(٤)</sup>.

وفي «الصحيحين» أيضاً عن النبي ﷺ أنه كان يقول: (قد كان في الأمم قبلكم محدثون فإن يكن في أمتي منهم أحد فإن عمر بن الخطاب منهم)<sup>(٥)</sup>، وقال ابن وهب: «تفسير محدثون: ملهون».

قوله ثم لعثمان رضي الله عنه.

أي ونسبت الخلافة بعد عمر لعثمان رضي الله عنه، وقد ساق البخاري رحمه الله قصة قتل عمر رضي الله عنه وأمر الشورى والمبايعة لعثمان في «صحيحه»، فأحببت أن أسردها كما رواها بسنده عن عمرو بن ميمون قال: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل أن يصاب بأيام بالمدينة وقف على حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف فقال: كيف

(١) قد تقدم.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٧٧)، ومسلم (٢٣٨٩).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه البخاري (٣٢٩٤)، ومسلم (٢٣٩٦).

(٥) أخرجه البخاري (٣٤٦٩)، ومسلم (٢٣٩٨).

فعلتما، أتخافان أن تكونا قد حملتما الأرض ما لا تطيق؟ قالوا: حملناها أمراً هي له مطيقة، ما فيها كبير فضل، قال: انظر أن تكونا حملتما الأرض ما لا تطيق، قالوا: لا، فقال عمر: لئن سلمني الله لأدعن أرامل أهل العراق لا يحتجن إلى رجل بعدي أبداً، قال: فما أتت عليه إلا أربعة حتى أصيب.

قال: إني لقائم ما بيني وبينه إلا عبد الله بن عباس غداة أصيب، وكان إذا مر بين الصفين قال: استوا، حتى إذا لم ير فيهن خللاً تقدم فكبر، وربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك في الركعة الأولى حتى يجتمع الناس، فما هو إلا أن كبر فسمعته يقول قتلني أو أكلني الكلب حين طعنه، فطار العليج بسكين ذات طرفين لا يمر على أحد يميناً وشمالاً إلا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً مات منهم سبعة، فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنساً فلما ظن العليج أنه مأخوذ نحر نفسه وتناول عمر يد عبد الرحمن بن عوف فقدمه، فمن يلي عمر فقد رأى الذي أرى، وأما نواحي المسجد فإنهم لا يدرون غير أنهم قد فقدوا صوت عمر وهم يقولون: سبحان الله سبحان الله، فصلى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة، فلما انصرفوا قال: يا ابن عباس انظر من قتلني؟ فجال ساعة ثم جاء فقال: غلام المغيرة، قال: الصنع؟ قال: نعم، قال: قاتله الله لقد أمرت به معروفاً، الحمد لله الذي لم يجعل منيتي على يد رجل يدعي الإسلام، قد كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة، وكان العباس أكثرهم رقيقاً فقال: إن شئت فعلت، أي: إن شئت قتلنا، قال: كذبت بعد ما تكلموا بلسانكم وصلوا قبلتكم وحجوا حجكم، فاحتمل إلى بيته فانطلقنا معه وكان الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذٍ، فقائل يقول: لا بأس عليه، وقائل يقول: أخاف عليه، فأتي بنبذ فشربه فخرج من جوفه، ثم أتى بلبن فشربه فخرج من جوفه، فعرفوا أنه ميت.

فدخلنا عليه وجاء الناس يشنون عليه وجاء رجل شاب فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك من صحبة رسول الله وقدم في الإسلام ما قد علمت، ثم وليت فعدلت ثم شهادة، قال: وددت أن ذلك كفاف لا علي ولا لي، فلما أدبر إذا إزاره يمس الأرض، قال: ردوا عليّ الغلام، قال: يا ابن أخ ارفع ثوبك فإنه أنقى لثوبك وأنقى لربك، يا عبد الله بن عمر انظر ما عليّ من الدين، فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفاً أو نحوه، قال: إن وفي له مال آك عمر فأده من أموالهم وإلا فسل في بني عدي بن كعب، فإن لم تف أموالهم فسل في قريش ولا تعدهم إلى غيرهم، فأد عني هذا المال، انطلق إلى عائشة أم المؤمنين فقل: يقرأ عليك عمر السلام ولا



تقل أمير المؤمنين، فإني لست اليوم للمؤمنين أميراً، وقل يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه، فسلم واستأذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه، فقالت: كنت أريده لنفسي ولأوثرن به اليوم على نفسي، فلما أقبل قيل هذا عبد الله بن عمر قد جاء، قال: ارفعوني، فأسنده رجل إليه قال: ما لديك؟ قال: الذي تحب يا أمير المؤمنين أذنت، قال: الحمد لله ما كان شيء أهم إلي من ذلك، فإذا أنا قضيت فاحملوني ثم سلم فقل يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت لي فأدخلوني وإن ردتني فردوني إلى مقابر المسلمين، وجاءت أم المؤمنين حفصة والنساء يسترنها، فلما رأيناها قمنا فولجت عليه فبكت عنده ساعة، واستأذن الرجال فولجت داخلأ لهم فسمعنا بكاءها من الداخل فقالوا: أوص يا أمير المؤمنين استخلف، قال: ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر أي الرهط الذين توفي رسول الله وهو عنهم راض، فسمى علياً وعثمان والزبير وطلحة وسعداً وعبد الرحمن، وقال: يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شيء كههيئة التعزية له، فإن أصابت الإمارة سعداً فهو ذاك وإلا فليستن به أيكم ما أمر فإني لم أعزله من عجز ولا خيانة.

وقال: أوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم حرمتهم، وأوصيه بالأنصار خيراً الذين تبؤوا الدار والإيمان من قبلهم أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئتهم، وأوصيه بأهل الأمصار خيراً فإنهم ردة الإسلام وجباة الأموال وغيظ العدو، وأن لا يأخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم، وأوصيه بالأعراب خيراً فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام أن يأخذ من حواشي أموالهم وأن ترد على فقرائهم، وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله أن يوفى لهم بعدهم وأن يقاتل من ورائهم ولا يكلفوا إلا طاقتهم.

فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشي فسلم عبد الله بن عمر قال: يستأذن عمر بن الخطاب، قالت: أدخلوه فأدخل فوضع هنالك مع صاحبيه، فلما فرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط فقال عبد الرحمن: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم، قال الزبير: قد جعلت أمري إلى علي، فقال طلحة: قد جعلت أمري إلى عثمان، وقال سعد: قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن بن عوف، فقال عبد الرحمن: أيكما تبرأ من هذا الأمر فنجعله إليه والله عليه والإسلام لينظرن أفضلهم في نفسه فأسكت الشيخان، فقال عبد الرحمن: أفتجعلونه إلي والله علي أن لا آلو عن أفضلكم، قالوا: نعم، فأخذ بيد أحدهما فقال لك

قراية من رسول الله والقدم في الإسلام ما قد علمت، فالله عليك لئن أمرتك لتعدلن ولئن أمرت عثمان لتسمعن وتطيعن، ثم خلا بالآخر فقال له مثل ذلك، فلما أخذ الميثاق قال: ارفع يدك يا عثمان فبايعه، فبايع له علي وولج أهل الدار فبايعوه<sup>(١)</sup>.

وعن حميد بن عبد الرحمن أن المسور بن مخزوم أخبره أن الرهط الذين ولاهم عمر اجتمعوا فتشاوروا، قال لهم عبد الرحمن: لست بالذي أنافسكم عن هذا الأمر ولكنكم إن شئتم اخترت لكم منكم، فجعلوا ذلك إلى عبد الرحمن، فلما ولوا عبد الرحمن أمرهم فمال الناس على عبد الرحمن حتى ما أرى أحداً من الناس يتبع أولئك الرهط ولا يطأ عقبه، ومال الناس على عبد الرحمن يشاورونه تلك الليالي حتى إذا كانت تلك الليلة التي أصبحنا فيها فبايعنا عثمان، قال المسور بن مخزوم: طرقتني عبد الرحمن بعد هجع من الليل فضرب الباب حتى استيقظت فقال: أراك نائماً فوالله ما اكتحلت هذه الثلاث بكبير نوم، انطلق فادع لي الزبير وسعداً فدعوتهما له فشاورهما، ثم دعاني فقال: ادع لي علياً فدعوته فناجاه حتى أبهار الليل، ثم قام علي من عنده وهو على طمع، وقد كان عبد الرحمن يخشى من علي شيئاً، ثم قال: ادع لي عثمان فدعوته فناجاه حتى فرق بينهما المؤذن بالصبح، فلما صلى الناس الصبح واجتمع أولئك الرهط عند المنبر فأرسل إلى من كان حاضراً من المهاجرين والأنصار وأرسل إلى أمراء الأجناد وكانوا وافوا تلك الحجة مع عمر فلما اجتمعوا تشهد عبد الرحمن ثم قال: أما بعد، يا علي إني قد نظرت في أمر الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان فلا تجعلن علي نفسك سبيلاً، فقال لعثمان: أبايعك على سنة الله ورسوله والخليفتين من بعده، فبايعه عبد الرحمن وبايعه الناس والمهاجرون والأنصار وأمراء الأجناد والمسلمون<sup>(٢)</sup>.

ومن فضائل عثمان رضي الله عنه الخاصة كونه ختن رسول الله ﷺ على ابنته.

وفي «صحيح مسلم» عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ مضطجعاً في بيته كاشفاً عن فخذه أو ساقيه فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال فتحدث، ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدث، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ وسوى ثيابه فدخل فتحدث، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش له

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٠٧).

(١) أخرجه البخاري (٣٧٠٠).

ولم تباله، ثم دخل عمر فلم تهتش ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك، فقال: (ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة)<sup>(١)</sup>.

وفي «الصحيح» لما كان يوم بيعة الرضوان وأن عثمان رضي الله عنه كان قد بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكة وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده اليمنى: هذه يد عثمان، فضرب بها على يده فقال: هذه لعثمان<sup>(٢)</sup>.

قوله: ثم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه.

أي وثبت الخلافة بعد عثمان لعلي رضي الله عنه، لما قتل عثمان وبايع الناس علياً صار إماماً حقاً واجب الطاعة وهو الخليفة في زمانه خلافة نبوة كما دل عليه حديث سفينة المقدم ذكره أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتي الله ملكه من يشاء).

وكانت خلافة أبي بكر الصديق سنتين وثلاثة أشهر، وخلافة عمر عشر سنين ونصفاً، وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة، وخلافة علي أربع سنين وتسعة أشهر، وخلافة الحسن ستة أشهر.

وأول ملوك المسلمين معاوية رضي الله عنه، وهو خير ملوك المسلمين، لكنه إنما صار إماماً حقاً لما فوض إليه الحسن بن علي رضي الله عنه الخلافة، فإن الحسن رضي الله عنه بايعه أهل العراق بعد موت أبيه ثم بعد ستة أشهر فوض الأمر إلى معاوية فظهر صدق قول النبي صلى الله عليه وسلم: (إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين)<sup>(٣)</sup>. والقصة معروفة في موضعها.

فالاخلافة ثبتت لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد عثمان رضي الله عنه بمبايعة الصحابة سوى معاوية مع أهل الشام، والحق مع علي رضي الله عنه، فإن عثمان رضي الله عنه لما قتل كثر الكذب والافتراء على عثمان وعلى من كان بالمدينة من أكابر الصحابة كعلي وطلحة والزبير وعظمت الشبهة عند من لم يعرف الحال وقويت الشهوة في نفوس ذوي الأهواء والأغراض ممن بعدت داره من أهل الشام، ويحمي الله عثمان

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٩٥).

(١) أخرجه مسلم (٢٤٠١).

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٠٤).

أن يظن بالأكابر ظنون سوء ويبلغه عنهم أخبار منها ما هو كذب ومنها ما هو محرف ومنها ما لم يعرف وجهه، وانضم إلى ذلك أهواء أقوام يحبون العلو في الأرض، وكان في عسكر علي عليه السلام من أولئك الطغاة الخوارج الذين قتلوا عثمان من لم يعرف بعينه، ومن تنتصر له قبيلته، ومن لم تقم عليه حجة بما فعله، ومن في قلبه نفاق لم يتمكن من إظهاره كله، ورأى طلحة والزبير أنه إن لم ينتصر للشهيد المظلوم ويقمع أهل الفساد والعدوان وإلا استوجبوا غضب الله وعقابه فجرت فتنة الجمل على غير اختيار من علي ولا من طلحة والزبير، وإنما أثارها المفسدون بغير اختيار السابقين، ثم جرت فتنة صِقيين لرأي وهو أن أهل الشام لم يعدل عليهم أو لا يتمكن من العدل عليهم وهم كافون حتى يجتمع أمر الأمة وأنهم يخافون طغيان من في العسكر كما طغوا على الشهيد المظلوم، وعلي عليه السلام هو الخليفة الراشد المهدي الذي تجب طاعته ويجب أن يكون الناس مجتمعين عليه، فاعتقد أن الطاعة والجماعة الواجبين عليهم تحصل بقتالهم بطلب الواجب عليهم بما اعتقد أنه يحصل به أداء الواجب، ولم يعتقد أن التأليف لهم كتأليف المؤلفة قلوبهم على عهد النبي والخليفين من بعده مما يسوغ، فحملة ما رآه من أن الدين إقامة الحد عليهم ومنعهم من الإثارة دون تأليفهم على القتال، وقعد عن القتال أكثر الأكابر لما سمعوه من النصوص في الأمر بالعود في الفتنة، ولما رآه من الفتنة التي تربو مفسدتها على مصلحتها، ونقول في الجميع بالحسنى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

والفتن التي كانت في أيامه قد صان الله عنها أيدينا، فنسأل الله أن يصون عنها ألسنتنا بمتته وكرمه.

ومن فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ما في «الصحيحين» عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي)<sup>(١)</sup>.

وقال صلى الله عليه وسلم يوم خيبر: (لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله

(١) أخرجه البخاري (٣٧٠٦)، ومسلم (٢٤٠٤).

ورسوله، قال: فتناولنا لها، فقال: ادعوا لي علياً فأتي به أرمد فبصق في عينيه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه<sup>(١)</sup>.

ولما نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَقَالُوا نَدَعُ أَبْنَاءَنَا وَبَنَاتَنَا وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١] دعا رسول الله علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: (اللهم هؤلاء أهلي).

قوله: «وهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون».

تقدم الحديث الثابت في «السنن» وصححه الترمذي عن العرياض بن سارية قال: «وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة، ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله! كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟ فقال: أوصيكم بالسمع والطاعة فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة»<sup>(٢)</sup>.

وترتيب الخلفاء الراشدين ﷺ أجمعين في الفضل كترتيبهم في الخلافة، ولأبي بكر وعمر ﷺ من المزية أن النبي ﷺ أمرنا باتباع سنة الخلفاء الراشدين ولم يأمرنا في الاقتداء في الأفعال إلا بأبي بكر وعمر، فقال: اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر، وفرق بين اتباع سنتهم والاقتداء بهم، فحال أبي بكر وعمر فوق حال عثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين. وقد روي عن أبي حنيفة تقديم علي علي عثمان، ولكن ظاهر مذهبه تقديم عثمان على علي، وعلى هذا عامة أهل السنة. وقد تقدم قول عبد الرحمن بن عوف لعلي ﷺ: إني قد نظرت في أمر الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان.

وقال أيوب السختياني: «من لم يقدم عثمان على علي فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار».

وفي «الصحيحين» عن ابن عمر قال: «كنا نقول ورسول الله ﷺ حي أفضل أمة النبي ﷺ بعده أبو بكر ثم عمر ثم عثمان»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٩)، ومسلم (٢٤٠٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٠٤).

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٥٥) قال محقق شرح الطحاوية: الحديث ليس في صحيح مسلم.

## الشرح

### عناصر الموضوع:

#### ١ غرض المصنف من عقد هذا الباب:

تقرير معتقد أن أهل السنة والجماعة في الخلافة بعد رسول الله ﷺ ثبتت أولاً لأبي بكر الصديق تفضيلاً له وتقديماً على جميع الصحابة، ثم لعمر، ثم لعثمان، ثم لعلي، وهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهتدون.

#### ٢ مناسبة هذا الباب لما سبق:

لما فرغ المصنف من بيان حقوق الصحابة وما يجب لهم من المحبة والولاء إلى غير ذلك من حقوقهم علينا، ناسب أن يبين معتقد أهل السنة والجماعة في الخلافة بعد رسول الله ﷺ.

#### ٣ معاني الكلمات:

المعنى	الكلمة
الخلافة والإمامة العظمى، وإمارة المسلمين.. كلمات ثلاث ذات مدلول واحد وتعرف بأنها: إمارة عامة للمسلمين في مصالحهم الدينية والدنيوية تثبت لشخص واحد منهم بعد رسول الله ﷺ.	الخلافة
جمع عرقوة، وهي أعواد يخالف بينها ثم تشد في عرى الدلو ويعلق بها الحبل.	العراقي
طرف من أطراف المدينة بعواليها.	السنح
ملهمون.	محدثون

#### ٤ معنى كلام الطحاوي: «ونثبت الخلافة بعد رسول الله ﷺ أولاً لأبي بكر

الصديق ﷺ، تفضيلاً وتقديماً على جميع الأمة، ثم لعمر بن الخطاب ﷺ، ثم لعثمان ﷺ، ثم لعلي بن أبي طالب ﷺ، وهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون»:

ونثبت الخلافة بعد رسول الله ﷺ لأبي بكر الصديق تفضيلاً له وتقديماً على

سائر الأمة، إذ فضّله الرسول ﷺ وقدمه وألمح إلى خلافته في أحاديث عدة، وهو أولى الأمة بالفضل والتقديم، وقد اتفق المسلمون على بيعته يوم السقيفة، ومن بعده عمر بن الخطاب ؓ حيث استخلفه أبو بكر على الناس، وهما صاحب رسول الله ﷺ، ومن بعده عثمان بن عفان ذو النورين ؓ زوج ابتي رسول الله ﷺ، ومن بعده علي بن أبي طالب ؓ زوج فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وهؤلاء الأربعة هم الخلفاء الراشدون والأئمة المهتدون الذين أوصى النبي ﷺ باتباع سنتهم.

#### ٥) وجه إدخال الطحاوي هذه المسألة الفقهية في العقيدة:

لما كان موضوع الخلافة من المواضيع التي خالفت فيها طوائف من أهل البدع القول الحق الذي عليه أهل السنة والجماعة، أدخل هذا البحث في العقيدة لبيان مذهب أهل السنة والجماعة المستقى من النصوص الشرعية، وفي هذا إشارة إلى الرد على المخالفين.

#### ٦) حكم تنصيب ولي الأمر على المسلمين:

أجمع سلف هذه الأمة وجمهور أهل الطوائف الأخرى من المسلمين على أن تنصيب إمام للمسلمين واجب عقلاً وشرعاً خلافاً لبعض المعتزلة القائلين بأنه لا يجب عقلاً وشرعاً.

أما وجوبه عقلاً: فلأنه لا يتم ما أمره الله به من إقامة الحدود وفصل الخصومات وسد الثغور وما إلى ذلك مما يتعلق بالنظام إلا بتنصيب خليفة للمسلمين... وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب علاوة على أن تنصيب خليفة للمسلمين جلب مصالح ودفع مضار لا تحصى.

أما وجوبه شرعاً: فقد دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع...

#### ٧) مكانة الخلفاء الراشدين ووجوب اتباعهم:

عن العرياض بن سارية قال: «وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله! كأن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ فقال: أوصيكم بالسمع والطاعة فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة».

ففي الحديث حث على اتباعهم والتمسك بهديهم رضوان الله عليهم.

## ٨ مدة الخلافة الراشدة:

قال رسول الله ﷺ: (خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتي الله ملكه من يشاء). وكانت خلافة أبي بكر الصديق سنتين وثلاثة أشهر، وخلافة عمر عشر سنين ونصفاً، وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة، وخلافة علي أربع سنين وتسعة أشهر، وخلافة الحسن ستة أشهر.

## ٩ أولى الناس بالخلافة بعد رسول الله ﷺ:

اختلف علماء الأمة في ذلك على ثلاثة أقوال:  
أ - فمذهب أهل السنة والجماعة أن أحق الناس بالخلافة بعد رسول الله ﷺ هو أبو بكر الصديق تفضيلاً وتقديماً له على سائر الأمة.

ب - مذهب الرواندية نسبة إلى (الرواندي) طائفة نشأت في المشرق لها بدع متعددة ومن ضمنها رأيهم في الخليفة، فذهبوا إلى أن أحق الناس بالخلافة بعد رسول الله هو عمه العباس بن عبد المطلب يقول شاعرهم:

يا أيها الناس لا تعذب قلوبكم ولا يضيعكم إلى أكتافها البدع  
العم أولى من ابن العم فاستمعوا قولاً نصيحاً أن الحق يتبع

ج - وذهبت الشيعة إلى أن أحق الناس بالخلافة بعده ﷺ هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وقد اختلفت طوائف الشيعة في أحقية علي رضي الله عنه بالخلافة هل تثبت بالنص عليه من رسول الله ﷺ أم لكونه أفضل من غيره من الصحابة، وقد توفرت فيه الشروط التي تشترط في إمام المسلمين.

الرأي المختار: هو الأول.

## ١٠ خلافة أبي بكر رضي الله عنه ثابتة بالنص:

اختلف القائلون بأحقية أبي بكر بالخلافة على كيفية ثبوت الخلافة له:  
أ - قال الحسن البصري وجماعة من أهل الحديث: إنها تثبت بالنص الخفي والإشارة.

ب - وقال آخرون: إنها تثبت بالنص الجلي.

ج - قال بعض أهل الحديث والمعتزلة والأشاعرة: إنها تثبت بالاختيار.

أدلة كل قول:

أ - استدلال الأولون بما تأتي:

١ - ما روي عنه ﷺ قال: (لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا



بكر خليلاً، لا يبقين في المسجد خوخة إلا سدت إلا خوخة أبي بكر)، قالوا: وفي هذا إشارة إلى أن أبا بكر أفضل الأمة بعد رسول الله. وفي هذا إشارة إلى إمامته بعد رسول الله ﷺ.

٢ - ما روي أن النبي ﷺ قال: (مروا أبا بكر فليصل بالناس)، فقد صلى أبو بكر بالناس عدة مرات، ففي تقديمه بالإمامة الصغرى إشارة إلى تقديمه في الإمامة الكبرى.

٣ - ما روي عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (رأى الليلة رجل صالح أن أبا بكر نيط برسول الله ﷺ ونيط عمر بأبي بكر ونيط عثمان بعمر). قال جابر: فلما قمنا من عند رسول الله ﷺ قلنا: أما الرجل الصالح فرسول الله ﷺ، وأما المنوط بعضهم ببعض فهم ولاة الأمر الذي بعث الله به نبيه.

استدل القائلون بأنها تثبت بالنص الجلي بما يأتي:

١ - ما أسند البخاري إلى جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: «أنت امرأة النبي ﷺ فأمرها أن ترجع إليه فقالت: يا رسول الله أرأيت أن جئت فلم أجدك؟ - كأنها تريد الموت - فقال إن لم تجديني فأني أبا بكر». ... قالوا في الحديث: الحديث صريح على أن أبا بكر سيكون خليفة لرسول الله ﷺ.

٢ - ما روي عن عائشة قالت: دخلت على رسول الله في اليوم الذي توفي فيه فقال: (ادع لي أباك وأخاك حتى أكتب لأبي بكر كتاباً)، ثم قال: يا أباي الله والمؤمنون إلا أبا بكر). ... وفي بعض الروايات: فلا يطمع في هذا الأمر طامع.

استدل القائلون بأنها تثبت بالاختيار لما يأتي:

١ - ما روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «قال عمر: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني يعني أبا بكر، وإن لم أستخلف فلم يستخلف من هو خير مني، يعني رسول الله ﷺ، فقال عبد الله: فعرفت أنه حين ذكر رسول الله لن يستخلف».

٢ - ما روي عن عائشة أنها سألت من كان رسول الله ﷺ مستخلفاً لو استخلف، فهذا يدل على أن رسول الله لم يستخلف.

٣ - ما روي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: «ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون سيئاً فهو سيء».

## الرأي المختار:

الذي يفهم من كلام الشيخ أنه يجعل أن خلافة الصديق تثبت بالنص والذي يظهر - والله أعلم - أنها تثبت بالاختيار لما يأتي:  
 أولاً: اختلاف الصحابة بعد وفاته ﷺ فيمن يتولى الأمر من بعده. ولو كان هناك نص ما اختلفوا.

ثانياً: قول أبي بكر ﷺ في سقيفة بني ساعدة: «بايعوا أحد هذين الرجلين عمر بن الخطاب وأبي عبيدة»، ولو كان هناك نص على إمامته لم يقل ذلك.  
 ثالثاً: أما ما استدل به القائلون بأنها تثبت بالنص فغاية ما ذكره هو الإخبار والإشارة إلى أنه سيكون خليفة بعد رسول الله ﷺ، وليس فيه تنصيب على أحقيته ﷺ بالخلافة.

## ١١ ثبوت خلافة عمر ﷺ بتفويض من أبي بكر ﷺ:

وثبتت الخلافة بعد أبي بكر ﷺ لعمر ﷺ وذلك بتفويض أبي بكر الخلافة إليه واتفاق الأمة بعده عليه وفضائله ﷺ أشهر من أن تنكر وأكثر من أن تذكر، فقد روي عن محمد بن الحنفية أنه قال: قلت لأبي: يا أبت من خير الناس بعد رسول الله ﷺ؟ فقال يا بني أو ما تعرف؟ فقلت لا، قال: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال: عمر، وخشيت أن يقول ثم عثمان فقلت: ثم أنت، فقال: ما أنا إلا رجل من المسلمين.

## ١٢ ثبوت خلافة عثمان ﷺ بالشورى:

ثبتت الخلافة بعد عمر لعثمان ﷺ، وقد ساق البخاري ﷺ قصة قتل عمر ﷺ وأمر الشورى والمبايعة لعثمان في صحيحه، فأحببت أن أسردها كما رواها بسنده عن عمرو بن ميمون قال: رأيت عمر بن الخطاب ﷺ قبل أن يصاب بأيام بالمدينة وقف على حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف فقال: كيف فعلتما أتخافان أن تكونا قد حملتما الأرض ما لا تطيق، قالوا: حملناها أمراً هي له مطيقة ما فيها كبير فضل، قال: أنظرا أن تكونا حملتما الأرض ما لا تطيق، قالوا: لا، فقال عمر: لئن سلمني الله لأدعن أهل العراق لا يحتجن إلى رجل بعدي أبداً، قال: فما أتت عليه إلا أربعة حتى أصيب.

قال: إني لقاتم ما بيني وبينه إلا عبد الله بن عباس غداة أصيب وكان إذا مرَّ بين الصفيين قال استوا، حتى إذا لم ير فيهن خلافاً تقدم فكبر، وربما قرأ سورة

يوسف أو النحل أو نحو ذلك في الركعة الأولى حتى يجتمع الناس، فما هو إلا أن كبر فسمعته يقول: قتلني أو أكلني الكلب حين طعنه، فطار العليج بسكين ذات طرفين لا يمر على أحد يميناً وشمالاً إلا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً مات منهم سبعة، فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنساً، فلما ظن العليج أنه مأخوذ نحر نفسه وتناول عمر يد عبد الرحمن بن عوف فقدمه، فمن يلي عمر فقد رأى الذي أرى، وأما نواحي المسجد فإنهم لا يدرون غير أنهم قد فقدوا صوت عمر وهم يقولون سبحان الله سبحان الله، فصلى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة، فلما انصرفوا قال: يا ابن عباس انظر من قتلني؟ فجال ساعة ثم جاء فقال: غلام المغيرة، قال: الصنع؟ قال: نعم، قال: قاتله الله، لقد أمرت به معروفاً، الحمد لله الذي لم يجعل منيتي على يد رجل يدعي الإسلام، قد كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة، وكان العباس أكثرهم رقيقاً فقال: إن شئت فعلت أي إن شئت قتلنا، قال: كذبت بعد ما تكلموا بلسانكم وصلوا قبلتكم وحجوا حجكم، فاحتمل إلى بيته فانطلقنا معه وكان الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ، فقائل يقول: لا بأس عليه، وقائل يقول: أخاف عليه، فأتى بنيذ فشربه فخرج من جوفه، ثم أتى بلبن فشربه فخرج من جوفه فعرفوا أنه ميت.

فدخلنا عليه وجاء الناس يشنون عليه وجاء رجل شاب، فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك من صحبة رسول الله وقدم في الإسلام ما قد علمت، ثم وليت فعدلت ثم شهادة، قال: وددت أن ذلك كفاف لا علي ولا لي، فلما أدبر إذا إزاره يمس الأرض قال: ردوا علي الغلام، قال: يا ابن أخي ارفع ثوبك فإنه أنقى لثوبك وأتقى لربك، يا عبد الله بن عمر انظر ما علي من الدين فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفاً أو نحوه، قال: إن وفي له مال آل عمر فأده من أموالهم وإلا فسل في بني عدي بن كعب، فإن لم تف أموالهم فسل في قريش ولا تعدهم إلى غيرهم فأد عني هذا المال، انطلق إلى عائشة أم المؤمنين فقل يقرأ عليك عمر السلام ولا تقل أمير المؤمنين فإنني لست اليوم للمؤمنين أميراً، وقل يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه، فسلم واستأذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه، فقالت: كنت أريده لنفسه ولأوثرن به اليوم على نفسي، فلما أقبل قيل هذا عبد الله بن عمر قد جاء، قال: ارفعوني، فأسنده رجل إليه، قال: ما لديك؟ قال: الذي تحب يا أمير المؤمنين أذنت، قال: الحمد لله ما كان شيء أهم إلي

من ذلك، فإذا أنا قضيت فأحملوني ثم سلم فقل يستأذن عمر بن الخطاب فإن أذنت لي فأدخلوني وإن ردتني فردوني إلى مقابر المسلمين. وجاءت أم المؤمنين حفصة والنساء يسترنها فلما رأيناها قمنا فولجت عليه فبكت عنده ساعة، واستأذن الرجال فولجت داخلاً لهم فسمعنا بكاءها من الداخل، فقالوا: أوص يا أمير المؤمنين، استخلف، قال: ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر أي الرهط الذين توفي رسول الله وهو عنهم راض، فسمى علياً وعثمان والزبير وطلحة وسعداً وعبد الرحمن وقال يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شيء كهيئة التعزية له، فإن أصابت الإمارة سعداً فهو ذاك وإلا فليستعن به أيكم ما أمر فإني لم أعزله من عجز ولا خيانة.

وقال: أوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم حرمتهم، وأوصيه بالأنصار خيراً الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم، وأوصيه بأهل الأمصار خيراً فإنهم ردة الإسلام وجباة الأموال وغيظ العدو وأن لا يأخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم، وأوصيه بالأعراب خيراً فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام أن يأخذ من حواشي أموالهم وأن ترد على فقرائهم، وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله أن يوفى لهم بعدهم وأن يقاتل من ورائهم ولا يكلفوا إلا طاقتهم.

فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشي فسلم عبد الله بن عمر قال: يستأذن عمر بن الخطاب، قالت: أدخلوه فأدخل، فوضع هنالك مع صاحبيه، فلما فرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط فقال عبد الرحمن: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم، قال الزبير: قد جعلت أمري إلى علي، فقال طلحة: قد جعلت أمري إلى عثمان، وقال سعد: قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن بن عوف، فقال عبد الرحمن: أيكما تبرأ من هذا الأمر فنجعله إليه والله عليه والإسلام لينظرن أفضلهم في نفسه فأسكت الشيخان، فقال عبد الرحمن: أفتجعلونه إلي والله علي أن لا آلو عن أفضلكم؟ قالوا: نعم، فأخذ بيد أحدهما فقال: لك قرابة من رسول الله والقدم في الإسلام ما قد علمت، فالله عليك لئن أمرتك لتعدلن ولئن أمرت عثمان لتسمعن وتطيعن، ثم خلا بالآخر فقال له مثل ذلك، فلما أخذ الميثاق قال: ارفع يدك يا عثمان فبايعه، فبايع له علي وولج أهل الدار فبايعوه.

## ١٣ ثبوت خلافة علي لما قتل عثمان :

ثبتت الخلافة بعد عثمان لعلي عليه السلام لما قتل عثمان وبايع الناس علياً صار إماماً حقاً واجب الطاعة وهو الخليفة في زمانه خلافة نبوة كما دل عليه حديث سفينة المقدم ذكره أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتي الله ملكه من يشاء). قال النووي في شرح مسلم: وأما ما تدعيه الشيعة من النص<sup>(١)</sup> على علي والوصية إليه فباطل لا أصل له باتفاق المسلمين والاتفاق على بطلان دعواهم من زمن علي وأول من كذبهم علي عليه السلام بقوله: «ما عندنا إلا ما في هذه الصحيفة» ولو كان عنده نص لذكره ولم ينقل أنه ذكره في يوم من الأيام<sup>(٢)</sup>.

## ١٤ المفاضلة بين عثمان وعلي :

لخص شيخ الإسلام ابن تيمية مذهب أهل السنة في المفاضلة بين عثمان وعلي بقول: «ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وعن غيره من أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر، ويثلاثون بعثمان، ويربّعون بعلي عليه السلام كما دلت عليه الآثار، وكما أجمع الصحابة عليهم السلام على تقديم عثمان في البيعة، مع أن بعض أهل السنة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي عليهما السلام بعد اتفاقهم على تقديم أبي بكر وعمر أيهما أفضل، فقدم قوم عثمان وسكتوا أو ربّعوا بعلي، وقدم قوم علياً، وقوم توقفوا، لكن استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان وإن كانت هذه المسألة مسألة عثمان وعلي ليست من الأصول التي يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السنة، لكن المسألة التي يضلل المخالف فيها هي مسألة الخلافة؛ وذلك أنهم يؤمنون بأن الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء الأئمة فهو أضل من حمار أهله<sup>(٣)</sup>.

## ١٥ موقف المسلم من الفتنة التي وقعت بين الصحابة :

فبالخلافة ثبتت لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد عثمان عليه السلام بمبايعة الصحابة سوى معاوية مع أهل الشام والحق مع علي عليه السلام، فإن

(١) وقد ذهب جماعة من الراوندية أن النبي صلى الله عليه وآله نص على العباس بعينه واسمه وأن الأمة جحدت هذا النص، انظر: منهاج السنة (١/٥٠٠).

(٢) شرح مسلم (١٥/١٦٤). (٣) مجموع الفتاوى (٣/١٥٣).

عثمان رضي الله عنه لما قتل كثر الكذب والافتراء على عثمان وعلى من كان بالمدينة من أكابر الصحابة كعلي وطلحة والزبير، وعظمت الشبهة عند من لم يعرف الحال وقويت الشهوة في نفوس ذوي الأهواء والأغراض ممن بعدت داره من أهل الشام، ويحمي الله عثمان أن يظن بالأكابر ظنون سوء ويبلغه عنهم أخبار منها ما هو كذب ومنها ما هو محرف، ومنهما ما لم يعرف وجهه، وانضم إلى ذلك أهواء أقوام يحبون العلو في الأرض. وكان في عسكر علي رضي الله عنه من أولئك الطغاة الخوارج الذين قتلوا عثمان من لم يعرف بعينه، ومن تنتصر له قبيلته، ومن لم تقم عليه حجة بما فعله، ومن في قلبه نفاق لم يتمكن من إظهاره كله، ورأى طلحة والزبير أنه إن لم ينتصر للشهيد المظلوم ويقمع أهل الفساد والعدوان وإلا استوجبوا غضب الله وعقابه فجرت فتنة الجمل على غير اختيار من علي ولا من طلحة والزبير، وإنما أثارها المفسدون بغير اختيار السابقين، ثم جرت فتنة صفين لرأي وهو أن أهل الشام لم يعدل عليهم أو لا يتمكن من العدل عليهم وهم كافون حتى يجتمع أمر الأمة، وأنهم يخافون طغيان من في العسكر كما طغوا على الشهيد المظلوم وعلي رضي الله عنه هو الخليفة الراشد المهدي الذي تجب طاعته ويجب أن يكون الناس مجتمعين عليه، فاعتقد أن الطاعة والجماعة الواجبتين عليهم تحصل بقتالهم بطلب الواجب عليهم بما اعتقد أنه يحصل به أداء الواجب، ولم يعتقد أن التأليف لهم كتأليف المؤلفه قلوبهم على عهد النبي والخليفين من بعده مما يسوغ، فحمله ما رآه من أن الدين إقامة الحد عليهم ومنعهم من الإثارة دون تأليفهم على القتال وقعد عن القتال أكثر الأكابر لما سمعوه من النصوص في الأمر بالقعود في الفتنة ولما رآه من الفتنة التي تربو مفسدتها على مصلحتها ونقول في الجميع بالحسنى:

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

والفتن التي كانت في أيامه قد صان الله عنها أيدينا، فنسأل الله أن يصون عنها ألسنتنا بمنته وكرمه.

### ١٦ الخلاصة:

١ - إن الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر الصديق تفضيلاً له وتقديماً على سائر الأمة، إذ فضله الرسول صلى الله عليه وسلم وقدمه وألمح إلى خلافته في أحاديث

عدة، وهو أولى الأمة بالفضل والتقديم، وقد اتفق المسلمون على بيعته يوم السقيفة، ومن بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث استخلفه أبو بكر على الناس، وهما صاحباً رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن بعده عثمان بن عفان ذو النورين رضي الله عنه زوج ابنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن بعده علي بن أبي طالب رضي الله عنه زوج فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهؤلاء الأربعة هم الخلفاء الراشدون والأئمة المهتدون الذين أوصى النبي صلى الله عليه وسلم باتباع سنتهم.

٢ - أجمع سلف هذه الأمة وجمهور أهل الطوائف الأخرى من المسلمين على أن تنصيب إمام للمسلمين واجب عقلاً وشرعاً خلافاً لبعض المعتزلة القائلين بأنه لا يجب عقلاً وشرعاً.

٣ - كانت خلافة أبي بكر الصديق ستين وثلاثة أشهر، وخلافة عمر عشر سنين ونصفاً، وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة، وخلافة علي أربع سنين وتسعة أشهر، وخلافة الحسن ستة أشهر. فمجملاً ذلك ثلاثون سنة.

٤ - أولى الناس بالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أبو بكر الصديق تفضيلاً له وتقديماً له على سائر الأمة.

٥ - ثبتت الخلافة بعد أبي بكر رضي الله عنه لعمر رضي الله عنه وذلك بتفويض أبي بكر الخلافة إليه واتفق الأمة بعده عليه.

٦ - ثبتت الخلافة بعد عمر لعثمان رضي الله عنه وذلك بالشورى.

٧ - ثبتت الخلافة بعد عثمان لعلي رضي الله عنه لما قتل عثمان وبايع الناس علياً صار إماماً حقاً واجب الطاعة وهو الخليفة في زمانه خلافة نبوة.

٨ - أجمع الصحابة رضي الله عنهم على تقديم عثمان في البيعة مع أن بعض أهل السنة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي رضي الله عنهما بعد اتفاقهم على تقديم أبي بكر وعمر أيهما أفضل، فقدم قوم عثمان وسكتوا أو ربيعوا بعلي، وقدم قوم علياً، وقوم توقفوا، لكن استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان.

٩ - الواجب على المسلم تجاه الفتنة التي وقعت بين الصحابة أن يقول: تلك فتن قد صان الله عنها أيدينا فنسأل الله أن يصون عنها ألسنتنا بمرته وكرمه.

#### ١٧ المناقشة:

• س١: بين معنى كلام الطحاوي: «ونبتت الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أولاً لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، تفضيلاً وتقديماً على جميع الأمة، ثم لعمر بن

الخطاب رضي الله عنه، ثم لعثمان رضي الله عنه، ثم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون».

- س٢: ما وجه إدخال الطحاوي هذه المسألة الفقهية في العقيدة؟
- س٣: ما مناسبة هذا المبحث لما سبق؟
- س٤: ما حكم تنصيب ولي الأمر على المسلمين؟ وضح مع التدليل.
- س٥: بين مكانة الخلفاء الراشدين ووجوب اتباعهم.
- س٦: كم مدة الخلافة الراشدة؟
- س٧: من أولى الناس بالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ اذكر الخلاف، وبين القول الراجح بالأدلة.
- س٨: هل خلافة أبي بكر رضي الله عنه ثابتة بالنص؟
- س٩: كيف ثبتت خلافة عمر رضي الله عنه؟
- س١٠: كيف ثبتت خلافة عثمان رضي الله عنه؟
- س١١: كيف ثبتت خلافة علي رضي الله عنه؟
- س١٢: اذكر الوجه الحق في مسألة المفاضلة بين عثمان وعلي.
- س١٣: ما موقف المسلم من الفتنة التي وقعت بين الصحابة؟



## العشرة المبشرون بالجنة

✽ كلام ابن أبي العز:

- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب.
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق.
- ٣ - معاني الكلمات.
- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «وأن العشرة الذين سماهم رسول الله وبشرهم بالجنة نشهد لهم بالجنة على ما شهد لهم رسول الله وقوله الحق وهم: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح وهو أمين هذه الأمة رضي الله عنهم أجمعين».
- ٥ - أفضل الصحابة المبشرين بالجنة.
- ٦ - الأدلة على فضل العشرة المبشرين بالجنة.
- ٧ - الخلاصة.
- ٨ - المناقشة.

## العشرة المبشرون بالجنة.

قال ابن أبي العز:

قوله: «وأن العشرة الذين سماهم رسول الله وبشرهم بالجنة نشهد لهم بالجنة على ما شهد لهم رسول الله، وقوله الحق وهم: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح، وهو أمين هذه الأمة ﷺ أجمعين».

تقدم ذكر بعض فضائل الخلفاء الأربعة، ومن فضائل الستة الباقين من العشرة ﷺ ما رواه مسلم عن عائشة ؓ: «أرق رسول الله ﷺ ذات ليلة فقال: ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة، قالت: وسمعنا صوت السلاح، فقال النبي ﷺ: من هذا؟ فقال: سعد بن أبي وقاص يا رسول الله، جئت أحرسك<sup>(١)</sup>، وفي لفظ آخر: وقع في نفسي خوف على رسول الله ﷺ فحجث أحرسه، فدعا له رسول الله ﷺ ثم نام».

وفي «الصحيحين» أن رسول الله ﷺ جمع لسعد بن أبي وقاص أبويه يوم أحد فقال: (إرم فداك أبي وأمي)<sup>(٢)</sup>.

وفي «صحيح مسلم» عن قيس بن أبي حازم قال: «رأيت يد طلحة التي وقى بها النبي يوم أحد قد شلت»<sup>(٣)</sup>.

وفيه أيضاً عن أبي عثمان النهدي قال: «لم يبق مع رسول الله ﷺ في بعض تلك الأيام التي قاتل فيها النبي ﷺ غير طلحة وسعد»<sup>(٤)</sup>.

وفي «الصحيحين» واللفظ لمسلم عن جابر بن عبد الله قال: ندب رسول الله ﷺ

(١) أخرجه البخاري (٢٨٨٥)، ومسلم (٢٤١٠).

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٠٥)، ومسلم (٢٤١١).

(٣) أخرجه البخاري (٣٧٢٤) قال محقق شرح الطحاوية العدني «دون مسلم».

(٤) أخرجه البخاري (٣٧٢٢)، ومسلم (٢٤١٤).

الناس يوم الخندق فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير، فقال النبي ﷺ: (لكل نبي حوارى وحواريي الزبير)<sup>(١)</sup>.

وفيها أيضاً عن الزبير ﷺ: «أن النبي ﷺ قال: من يأتي بني قريظة فيأتيهم بخبرهم، فانطلقت، فلما رجعت جمع لي رسول الله ﷺ أبويه فقال: فذاك أبي وأمي»<sup>(٢)</sup>.

وفي «صحيح مسلم» عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل أمة أميناً وإن أميناً أيتها الأمة أبو عبيدة ابن الجراح»<sup>(٣)</sup>.

وفي «الصحيحين» عن حذيفة بن اليمان قال: «جاء أهل نجران إلى النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله، ابعث إلينا رجلاً أميناً، فقال: لأبعثن إليكم رجلاً أميناً حق أمين، قال: فاستشرف لها الناس، قال: فبعث أبا عبيدة ابن الجراح»<sup>(٤)</sup>.

وعن سعيد بن زيد ﷺ قال: أشهد على رسول الله ﷺ أنني سمعته يقول: (عشرة في الجنة: النبي في الجنة، وأبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وسعد بن مالك في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، ولو شئت لسميت العاشر، قال: فقالوا: من هو؟ قال: سعيد بن زيد، وقال: لمشهد رجل منهم مع رسول الله ﷺ يغبر منه وجهه خير من عمل أحدكم ولو عمّر عمّر نوح)<sup>(٥)</sup>، رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي وصححه، ورواه الترمذي عن عبد الرحمن بن عوف.

وعن عبد الرحمن بن عوف ﷺ أن النبي ﷺ قال: (أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعلي في الجنة وعثمان في الجنة وطلحة في الجنة والزبير بن العوام في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل في الجنة وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة)، رواه الإمام أحمد في مسنده، ورواه أبو بكر بن أبي خيثمة وقدم فيه عثمان على علي ﷺ.

(١) أخرجه البخاري (٢٨٤٦)، ومسلم (٢٤١٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٢٠)، ومسلم (٢٤١٦).

(٣) أخرجه البخاري (٣٧٤٤)، ومسلم (٢٤١٩).

(٤) أخرجه البخاري (٣٧٤٥)، ومسلم (٢٤٢٠).

(٥) أخرجه أبو داود (٤٦٤٩)، والترمذي (٣٧٤٨)، وابن ماجه (١٣٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحركت الصخرة، فقال رسول الله: (اهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد)<sup>(١)</sup>، رواه مسلم والترمذي وغيرهما وروي من طرق.

وقد اتفق أهل<sup>(٢)</sup> السنة على تعظيم هؤلاء العشرة وتقديمتهم لما اشتهر من فضائلهم ومناقبتهم، ومن أجهل ممن يكره التكلم بلفظ العشرة<sup>(٣)</sup> أو فعل شيء يكون عشرة لكونهم يبغضون خيار الصحابة وهم العشرة المشهود لهم بالجنة وهم يستنون منهم علياً رضي الله عنه، فمن العجب أنهم يوالون لفظ التسعة وهم يبغضون التسعة من العشرة ويبغضون سائر المهاجرين والأنصار من السابقين الأولين الذين بايعوا رسول الله تحت الشجرة وكانوا ألفاً وأربعمائة وقد رضي الله عنهم كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

ثبت في «صحيح مسلم» عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة»<sup>(٤)</sup>.

وثبت في «صحيح مسلم» أيضاً عن جابر (أن غلام حاطب بن أبي بلتعة قال: يا رسول الله ليدخلن حاطب النار، فقال رسول الله ﷺ: كذبت لا يدخلها فإنه شهد بدرأ والحديبية)<sup>(٥)</sup>.

والرافضة يتبرؤون من جمهور هؤلاء: بل يتبرؤون من سائر أصحاب رسول الله ﷺ إلا من نفر قليل نحو بضعة عشر نفرأ، ومعلوم أنه لو فرض في العالم عشرة من أكفر الناس لم يهجر هذا الاسم لذلك، كما أنه سبحانه لما قال: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ سَعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [النمل: ٤٨] لم يجب هجر اسم التسعة مطلقاً بل اسم العشرة قد مدح الله مسماه في مواضع من القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَيْهَاتَ وَلَا هَيْهَا وَسِرَّاتٍ وَلَا تَخْلَقُوا فِي سِرِّاتٍ وَلَا تَكُنْ بِكُم مِّنْ جُنُودٍ مُّشْرِكَةٌ لَا تَدْعُوا إِلَىٰ مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عَالِمُ الْغُيُوبِ﴾ [البقرة: ١٩٦] ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ﴾ [الأعراف: ١٤٢] ﴿وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيْلِ عَشْرِ ﴿٢﴾﴾ [الفجر: ١، ٢]، وكان ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان.

(١) أخرجه مسلم (٢٤١٧)، والترمذي (٣٦٩٦).

(٢) انظر: منهاج السنة (٥٠١/٢).

(٣) انظر: منهاج السنة (٣٨/١ - ٤١).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) أخرجه مسلم (٢٤٩٥).

وقال في ليلة القدر: (التمسوها في العشر الأواخر من رمضان)<sup>(١)</sup>.  
وقال: (ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من أيام العشر)<sup>(٢)</sup> يعني عشر ذي الحجة.

والرافضة توالي بدل<sup>(٣)</sup> العشرة المبشرين بالجنة اثني عشر إماماً أولهم علي بن أبي طالب عليه السلام ويدعون أنه وصي النبي صلى الله عليه وآله وسلم، دعوى مجردة عن الدليل، ثم الحسن عليه السلام، ثم الحسين عليه السلام، ثم علي بن الحسين زين العابدين، ثم محمد بن علي الباقر، ثم جعفر بن محمد الصادق، ثم موسى بن جعفر الكاظم، ثم علي بن موسى الرضى، ثم محمد بن علي الجواد، ثم علي بن محمد، ثم الحسن بن علي العسكري، ثم محمد بن الحسن، ويغالون في محبتهم ويتجاوزون الحد ولم يأت ذكر الأئمة الاثني عشر إلا على صفة ترد قولهم وتبطله، وهو ما خرجاه في «الصحيحين» عن جابر بن سمرة قال: دخلت مع أبي علي النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسمعتنه يقول: (لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً)<sup>(٤)</sup>، ثم تكلم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بكلمة خفيت علي فسألت أبي ماذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال كلهم من قريش.

وفي لفظ: (لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة).

وفي لفظ: (لا يزال هذا الأمر عزيزاً إلى اثني عشر خليفة)<sup>(٥)</sup>.

وكان الأمر كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والاثنا عشر الخلفاء: الراشدون الأربعة، ومعاوية، وابنه يزيد، وعبد الملك بن مروان وأولاده الأربعة، وبينهم عمر بن عبد العزيز، ثم أخذ الأمر في الانحلال.

وعند الرافضة أن أمر الأئمة لم يزل في أيام هؤلاء فاسداً منغصاً يتولى عليهم الظالمون المعتدون بل المنافقون الكافرون، وأهل الحق أذل من اليهود، وقولهم ظاهر البطلان، بل لم يزل الإسلام عزيزاً في ازدياد في أيام هؤلاء الاثني عشر.

(١) أخرجه البخاري (٢١٠٩)، ومسلم (١١٦٩).

(٢) أخرجه البخاري (٩٦٩).

(٣) انظر: منهاج السنة (٢٣٨/٨).

(٤) أخرجه البخاري (٧٢٢٢)، ومسلم (١٨٢١).

(٥) أخرجه البخاري (٧٢٢٢)، ومسلم (١٨٢١) واللفظ لمسلم.

## الشرح

### عناصر الموضوع:

#### ١) غرض المصنف من عقد هذا الباب:

أ - تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة في الشهادة بالجنة لمن شهد لهم الرسول ﷺ بالجنة، ومن لم يشهد له بالجنة لا نشهد له بالجنة، ونشهد بالجنة للمؤمنين على العموم، أما التعيين فلا نشهد إلا لمن شهد له الرسول ﷺ كالعشرة المبشرين بالجنة وأصحاب بدر وأصحاب بيعة الرضوان.

#### ٢) مناسبة هذا الباب لما سبق:

لما فرغ المصنف من بيان معتقد أهل السنة والجماعة في الخلافة بعد رسول الله ﷺ، ناسب أن يبين عقيدة أهل السنة والجماعة في الشهادة بالجنة لمن شهد لهم رسول الله ﷺ وهم العشرة المبشرون بالجنة، ومن جملتهم الخلفاء الراشدون المهديون.

#### ٣) معاني الكلمات:

المعنى	الكلمة
ما بشرت به من أمر خير أو شر <sup>(١)</sup> .	البشارة

#### ٤) معنى كلام الطحاوي: «وأن العشرة الذين سماهم رسول الله وبشرهم

بالجنة نشهد لهم بالجنة على ما شهد لهم رسول الله، وقوله الحق وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح وهو أمين هذه الأمة ﷺ أجمعين»:

نؤمن بأن النبي ﷺ قد بشر عشرة من أصحابه بالجنة صراحة كما جاء الحديث بذلك، فذكر العشرة المذكورين آنفاً، فنحن نؤمن بذلك، ونؤمن أن الرسول ﷺ قد بشر غيرهم على ما ثبت في الأحاديث الصحيحة.

(١) انظر: تهذيب اللغة (١/٣٣٨).

وخالفت الرافضة في الشهادة بالجنة لمن شهد لهم الرسول بالجنة فالرافضة يتبرؤون من جمهور الصحابة إلا من نفر قليل من الصحابة وتوالي بدل العشرة المبشرين اثني عشر إماماً ويغالون في محبتهم.

#### ٥ أفضل الصحابة المبشرين بالجنة:

اتفق أهل السنة على تعظيم هؤلاء العشرة - وهم أبو بكر عمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح وهو أمين هذه الأمة ﷺ - وتقديمهم لما اشتهر من فضائلهم ومناقبهم، ومن أجهل ممن يكره التكلم بلفظ العشرة أو فعل شيء يكون عشرة لكونهم يبغضون خيار الصحابة وهم العشرة المشهود لهم بالجنة وهم يستنون منهم علياً ﷺ، فمن العجب أنهم يوالون لفظ التسعة وهم يبغضون التسعة من العشرة ويبغضون سائر المهاجرين والأنصار من السابقين الأولين الذين بايعوا رسول الله تحت الشجرة وكانوا ألفاً وأربعمائة، وقد ﷺ كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

#### ٦ الأدلة على فضل العشرة المبشرين بالجنة:

عن سعيد بن زيد ﷺ قال: «أشهد على رسول الله ﷺ أنني سمعته يقول: (عشرة في الجنة: النبي في الجنة وأبو بكر في الجنة وطلحة في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وسعد بن مالك في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة) ولو شئت لسميت العاشر، قال: فقالوا: من هو؟ قال: سعيد بن زيد، وقال: لمشهد رجل منهم مع رسول الله ﷺ يغبر منه وجهه خير من عمل أحدكم ولو عمّر عمر نوح».

وعن عبد الرحمن بن عوف ﷺ، أن النبي ﷺ قال: (أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعلي في الجنة وعثمان في الجنة وطلحة في الجنة والزبير بن العوام في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل في الجنة وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة).

#### ٧ الرافضة يتبرؤون من العشرة المبشرين بالجنة:

الرافضة يتبرؤون من العشرة المبشرين بالجنة ما عدا علي بن أبي طالب ﷺ والرافضة توالي بدل العشرة المبشرين بالجنة اثني عشر إماماً ويغالون في محبتهم ويتجاوزن الحد في ذلك وتبطل عقيدتهم تلك ما رواه البخاري ومسلم عن

جابر بن سمرة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا يزال هذا الأمر عزيزاً إلى اثني عشر خليفة»<sup>(١)(٢)</sup> قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١٣/٢٦٣): «والذي وقع أن الناس اجتمعوا على أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، إلى أن وقع أمر الحكمين في صفين فسمي معاوية يومئذ بالخلافة ثم اجتمع الناس على معاوية عند صلح الحسن ثم اجتمعوا على ولده يزيد ولم ينتظم للحسين أمر، بل قُتل قبل ذلك ثم لما مات يزيد وقع الاختلاف إلى أن اجتمعوا على عبد الملك بن مروان بعد قتل ابن الزبير ثم اجتمعوا على أولاده الأربعة: الوليد ثم سليمان ثم يزيد ثم هشام وتخلل بين سليمان ويزيد عمر بن عبد العزيز فهؤلاء سبعة بعد الخلفاء الراشدين والثاني عشر هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك اجتمع الناس عليه لما مات عمه هشام... ولم يتفق أن يجتمع الناس على خليفة بعد ذلك»

#### ٨ الخلاصة:

- ١ - يؤمن أهل السنة والجماعة بأن النبي ﷺ قد بشر عشرة من أصحابه بالجنة صراحة كما جاء الحديث بذلك.
- ٢ - اتفق أهل السنة على تعظيم هؤلاء العشرة - وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح وهو أمين هذه الأمة رضي الله عنهم أجمعين - وتقديمتهم لما اشتهر من فضائلهم ومناقبتهم.
- ٣ - جاءت الأدلة الصريحة بفضل العشرة المبشرين بالجنة.

#### ٩ المناقشة:

- س١: بيّن معنى كلام الطحاوي: «وأن العشرة الذين سماهم رسول الله وبشرهم بالجنة نشهد لهم بالجنة على ما شهد لهم رسول الله وقوله الحق وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح وهو أمين هذه الأمة رضي الله عنهم أجمعين».
- س٢: من هم أفضل الصحابة؟
- س٣: اذكر الأدلة على فضل العشرة المبشرين بالجنة؟

(١) أخرجه البخاري (٧٢٢٢)، ومسلم (١٨٢١)، واللفظ لمسلم.

(٢) انظر: منهاج السنّة (٢٣٨/٨).



# ما يجب على المسلم تجاه أصحاب رسول الله ﷺ وأزواجه

❖ كلام ابن أبي العز:

- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب.
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق.
- ٣ - معاني الكلمات.
- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «ومن أحسن القول في أصحاب رسول الله وأزواجه الطاهرات من كل دنس وذرياته المقدسين من كل رجس فقد برئ من النفاق».
- ٥ - المراد بأهل البيت.
- ٦ - أدلة فضل أهل البيت.
- ٧ - الوصية بأهل البيت.
- ٨ - موقف أهل السنة والجماعة من أهل البيت.
- ٩ - حكم الغلو في أهل البيت.
- ١٠ - الرد على ابن حزم في دعواه تفضيل أزواج النبي ﷺ على العشرة المبشرين بالجنة.
- ١١ - الواجب على المسلم تجاه الصحابة رضي الله عنهم.
- ١٢ - أول من أظهر مذهب الرفض.
- ١٣ - الرافضة ستار للزندقة.
- ١٤ - الخلاصة.
- ١٥ - المناقشة.

## ما يجب على المسلم تجاه أصحاب رسول الله ﷺ وأزواجه

قال ابن أبي العز:

قوله: «ومن أحسن القول في أصحاب رسول الله وأزواجه الطاهرات من كل دنس وذرياته المقدسين من كل رجس فقد برئ من النفاق».

تقدم بعض ما ورد في الكتاب والسنة من فضائل الصحابة رضي الله عنهم.

وفي «صحيح مسلم» عن زيد بن أرقم قال: قام فينا رسول الله ﷺ خطيباً بماء يدعى خُمًّا بين مكة والمدينة، فقال: (أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي ثلاثاً<sup>(١)</sup>).

وخرج البخاري عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: «ارقبوا محمداً في أهل بيته»<sup>(٢)</sup>.

وإنما قال الشيخ رحمته الله: فقد برئ من النفاق لأن أصل الرفض<sup>(٣)</sup> إنما أحدثه منافق زنديق قصده إبطال دين الإسلام والقدح في الرسول ﷺ كما ذكر ذلك العلماء، فإن عبد الله بن سبأ لما أظهر الإسلام أراد أن يفسد دين الإسلام بمكره وخبثه كما فعل بولس بدين النصرانية فأظهر التنسك، ثم أظهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى سعى في فتنة عثمان وقتله، ثم لما قدم علي الكوفة أظهر الغلو في علي والنصر له ليتمكن بذلك من أغراضه، وبلغ ذلك علياً فطلب قتله

(٢) أخرجه البخاري (٣٧١٣).

(١) أخرجه مسلم (٢٤٠٨).

(٣) انظر: منهاج السنة (٨/٤٧٨).

فهرب منه إلى قرقيس وخبره معروف في التاريخ<sup>(١)</sup>.

وتقدم أن من فضله على أبي بكر وعمر جلده جلد المفترى، وبقيت في نفوس المبطلين خمائر بدعة الخوارج من الحرورية والشيعة، ولهذا كان الرفض باب الزندقة كما حكاه القاضي أبو بكر ابن الطيب عن الباطنية وكيفية إفسادهم لدين الإسلام قال: فقالوا للداعي: يجب عليك إذا وجدت من تدعوه مسلماً أن تجعل التشيع عنده دينك وشعارك، واجعل المدخل من جهة ظلم السلف لعلي وقتلهم الحسين والتبرؤ من تيم وعدي وبني أمية وبني العباس [وقل بالرجعة]<sup>(٢)</sup>، وأن علياً يعلم الغيب يفوض إليه خلق العالم وما أشبه ذلك من أعاجيب الشيعة وجهلهم، فإذا أنست من بعض الشيعة عند الدعوة إجابة ورشداً أوقفته على مثالب علي وولده ﷺ. انتهى.

ولا شك أنه يتطرق من سب الصحابة إلى سب أهل البيت، ثم إلى سب الرسول ﷺ، إذ أهل بيته وأصحابه مثل هؤلاء عند الفاعلين الضالين.

(١) هو بولص بن يوشع ملك اليهود، انظر: منهاج السنة (١/٢٩).

(٢) الرجعة عند بعض الشيعة: رجوع الإمام بعد موته، وعند بعضهم: غيبته أي: رجوعه بعد غيبته، انظر: مفاتيح العلوم (ص ٤٤).

## الشرح

### عناصر الموضوع:

#### ١ غرض المصنف من عقد هذا الباب:

تقرير عقيدة أهل السنة في آل البيت والصحابة وحسن القول في أزواج النبي ﷺ وذريته، فمن أحسن القول فيهم فقد برئ من النفاق، ومن طعن في أمهات المؤمنين والصحابة فهو منافق.

#### ٢ مناسبة هذا الباب لما سبق:

بعد أن ذكر المصنف ما يجب للصحابة من حقوق، انتقل إلى ذكر أهل بيت النبي ﷺ، وأول هذا البيت هم أزواج النبي ﷺ ثم قرابته وهم آل العباس وآل أبي طالب وآل الحارث، فمن أحسن القول فيهم وفي الصحابة فقد برئ من النفاق.

#### ٣ معاني الكلمات:

الكلمة	المعنى
الغلو	مجاوزه الحد.
الدنس	الوسخ.
الرجس	القذر القبيح.

#### ٤ معنى كلام الطحاوي: «ومن أحسن القول في أصحاب رسول الله

وأزواجه الطاهرات من كل دنس وذرياته المقدسين من كل رجس فقد

برئ من النفاق»:

برئ من النفاق كل من أحسن القول في حق أصحاب رسول الله ﷺ، ولم يقع في أحد منهم، وأحسن القول في أزواجه رضي الله عنهن الطاهرات من كل دنس، المبرئات من كل إثم، وفي ذريته المتزهين عن كل رجس وقذر، الذين أمر باتباعهم وأوصى بهم.

فكل من أحسن قوله فيهم جميعاً برئ من النفاق.

٥ المراد بأهل البيت:

أهل البيت: آل النبي ﷺ الذين حرمت عليهم الصدقة، وهم آل علي بن أبي طالب، وآل جعفر، وآل عقيل، وآل العباس، وبنو الحارث بن عبد المطلب، وأزواج النبي ﷺ.

قال ابن كثير: «ثم الذي لا يشك فيه من تدبر القرآن أن نساء النبي ﷺ داخلات في قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] فإن سياق الكلام معهن، ولهذا قال بعد هذا كله: ﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا يَتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤] أي: واعملن بما ينزل الله على رسوله في بيوتكن من الكتاب والسنة، قال قتادة وغير واحد: ﴿وَأَذْكُرَنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٤] هذه النعمة التي خصصتن بها من بين النساء».

٦ أدلة فضل أهل البيت:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وقال النبي ﷺ: (أذكركم الله في أهل بيتي)<sup>(١)</sup>.

٧ الوصية بأهل البيت:

جاء في «صحيح مسلم» عن زيد بن أرقم، قال: قام فينا رسول الله ﷺ خطيباً بماء يدعى حُماً بين مكة والمدينة، فقال: (أما بعد، ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي ثلاثاً).

٨ موقف أهل السنة والجماعة من أهل البيت:

من أصول أهل السنة والجماعة محبة أهل البيت ومولاتهم والحفاظ على وصيته ﷺ فيهم. روى مسلم في «صحيحه» عن زيد بن أرقم قال: قام فينا رسول الله ﷺ خطيباً بماء يدعى حُماً ثم قال: (يا أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وإني تارك فيكم ثقلين أولهما: كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم

(١) رواه مسلم (٢٤٠٨).

قال: ألا وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي). وأخرج البخاري عن أبي بكر أنه قال: «ارقبوا محمداً في أهل بيته» أي: راعوهم... وأزواج النبي ﷺ من آل بيته فيوالون أيضاً أزواجه ويعتقدون أنهم أزواجه في الآخرة خاصة خديجة، وكذلك عائشة التي قال رسول الله في بيان فضلها: (فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام).

ويعتقدون أنهم أمهات المسلمين والمؤمنين قال تعالى: ﴿الَّتِي أُولَىٰ بِالمُؤْمِنِينَ مِنْ أُنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجَهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦] أي في الاحترام والتقدير وحرمة النكاح. ومعلوم أن هذه الأمومة لا توجب ميراثاً أو حرمة نكاح لبناتهن.

### ٩) حكم الغلو في أهل البيت:

يتبرأ أهل السنة والجماعة من الذين يغلون في بعض أهل البيت ويدعون لهم العصمة، ومن الذين يناصبون العداوة لأهل البيت المستقيمين ويطعنون فيهم، ومن طريقة المبتدعة والخرافيين الذين يتوسلون بأهل البيت ويتخذونهم أرباباً من دون الله. فأهل السنة مذهبهم في هذا الباب وغيره مذهب وسط لا إفراط فيه ولا تفريط.

### ١٠) الرد على ابن حزم في دعواه تفضيل أزواج النبي ﷺ على العشرة المبشرين بالجنة:

يرى ابن حزم أن أزواج الرسول أفضل من العشرة، ووجهته في ذلك أن أزواجه معه في درجته في الجنة ودرجة النبي في الجنة أعلى من درجة العشرة، ولذا قال أن أزواجه أفضل من العشرة المبشرين.

الرد عليه:

وهذا القول شاذ مردود لما يأتي:

أولاً: أنه يلزم عليه أن تكون أزواجه ﷺ أفضل من غير محمد ﷺ من الأنبياء، لأن درجة الرسول محمد ﷺ أعلى من غيره ولم يقل بهذا أحد.

ثانياً: أن النبي ﷺ قال: (كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام)، ومن المعلوم أن أكثر أزواجه ﷺ لسن من هذا العدد القليل الذي كمل قطعاً.

ثالثاً: قول النبي ﷺ في عائشة: (فضل عائشة على النساء...) فهو إنما فضلها على النساء ولم يفضلها على الرجال.

رابعاً: ما روي عن علي رضي الله عنه أنه قال: «خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر»، بهذا يبطل ما قال ابن حزم... ومما يجدر ذكره أنه لم يقل بهذا غيره.

### ١١) الواجب على المسلم تجاه الصحابة رضي الله عنهم:

من أصول أهل السنة والجماعة:

أولاً: سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله اتباعاً لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا﴾ [الحشر: ١٠]، وطاعة للرسول في قوله: (لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه).

ثانياً: أنهم يقبلون ما جاء في الكتاب والسنة من فضائلهم ومراتبهم فيفضلون من أنفق من قبل الفتح وقاتل على الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا لقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلٍ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْمُسْتَقِيمِينَ﴾ [الحديد: ١٠]، ويؤمنون أيضاً بأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة، وأن الله ﷻ قال: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

ثالثاً: ويمسكون عما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم ويقولون في تلك الآثار التي ذكر فيها مساوئ بعض الصحابة أن من تلك الآثار ما هو كذب ومنها ما زيد فيه وأنقص وغيره عن وجهه.

رابعاً: وهم على هذا لا يدعون العصمة لأحد من أصحاب الرسول، بل قد يقع بعضهم في بعض الذنوب وإن كان لهم من السوابق الشيء الكثير.

### ١٢) أول من أظهر مذهب الرفض:

قال ابن أبي العز هذا القول مشيراً إلى أن القدر في أصحاب محمد ﷺ نفاق وطغيان وإشارة إلى أن أصل الرفض الذي أظهره منافق زنديق ملحد أراد في الإسلام وفي رسول الله ﷺ وفي صحابته، فقد ذكر العلماء أن عبد الله بن سبأ لما أظهر الإسلام حتى توصل بذلك إلى قتل عثمان رضي الله عنه بأن أوغر قلوب الرجال عليه متظاهراً أنه بذلك يأمر بالمعروف ويزين لهم قتل عثمان. ثم لما قدم علي بن أبي طالب رضي الله عنه الكوفة غلا فيه غلواً مفرطاً فطلب علي قتله فهرب إلى قريش، ومن هنا ندرك أن أصل الرفض إنما ظهر من ذلك المنافق، ولهذا قال العلماء: «حب أبي بكر وعمر إيمان، وبغضهم نفاق، وحب آل البيت إيمان وبغضهم نفاق».

## ١٣ الرافضة ستار للزندقة :

اتخذ الزنادقة التشيع ستاراً لهم . فأخذوا يبنونه عن طريق آراءهم الباطلة الفاسدة، ذكر الباقلاني عن الباطنية وكيفية إفسادهم للدين أنهم كانوا يقولون للداعي إذا رأيت من تدعوه مسلماً فاجعل التشيع دينك وشعارك واجعل المدخل من جهته ظلم السلف لعلي وقتلهم الحسن بن علي والتبرؤ من تيم وعدي (قبيلتي أبي بكر وعمر) وبني أمية وبني العباس، فإذا وجدت فيمن تدعوه استجابة لما تقول فأوقفه على مثالب علي وآل البيت .

قال الشارح تعليقاً على هذا القول: «ولا شك أنه يتطرق من سب الصحابة إلى سب أهل البيت، ثم إلى سب الرسول ﷺ، إذ أهل بيته وأصحابه مثل هؤلاء عند الفاعلين الضالين» .

## ١٤ الخلاصة :

- ١ - برئ من النفاق كل من أحسن القول في حق أصحاب رسول الله ﷺ، وفي أزواجه رضي الله عنهن، وفي ذريته .
- ٢ - أهل البيت: آل النبي ﷺ الذين حرمت عليهم الصدقة، وهم آل علي بن أبي طالب، وآل جعفر، وآل عقیل، وآل العباس، وبنو الحارث بن عبد المطلب، وأزواج النبي ﷺ .
- ٣ - أدلة فضل أهل البيت ثابتة في الكتاب والسنة .
- ٤ - من أصول أهل السنة والجماعة محبة أهل البيت وموالاتهم والحفاظ على وصيته ﷺ فيهم .
- ٥ - يتبرأ أهل السنة والجماعة من الذين يغفلون في بعض أهل البيت ويدعون لهم العصمة، ومن الذين يناصبون العداوة لأهل البيت المستقيمين ويطعنون فيهم، ومن طريقة المبتدعة والخرافيين الذين يتوسلون بأهل البيت ويتخذونهم أرباباً من دون الله .
- ٦ - من أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ .
- ٧ - ومن أصولهم أنهم يمسون عما شجر بين الصحابة ﷺ ويقولون في تلك الآثار التي ذكر فيها مساوئ بعض الصحابة أن من تلك الآثار ما هو كذب ومنها ما زيد فيه وأنقص وغير عن وجهه .



- ٨ - ومن أصولهم أنهم لا يدعون العصمة لأحد من أصحاب الرسول بل قد يقع بعضهم في بعض الذنوب وإن كان لهم من السوابق الشيء الكثير.
- ٩ - أول من أظهر مذهب الرفض عبد الله بن سبأ.
- ١٠ - الرفضه ستار للزندقة.

١٥ المناقشة:

- س١: بيّن معنى كلام الطحاوي: «ومن أحسن القول في أصحاب رسول الله وأزواجه الطاهرات من كل دنس وذرياته المقدسين من كل رجس فقد برئ من النفاق». ولماذا قال الطحاوي ذلك مع بيان أول من أظهر مذهب الروافض؟
- س٢: من هم أهل البيت؟
- س٣: اذكر أدلة فضل أهل البيت.
- س٤: عمن جاءت الوصية بأهل البيت، وضع ذلك.
- س٥: ما موقف أهل السنة والجماعة من أهل البيت؟
- س٦: ما حكم الغلو في أهل البيت؟
- س٧: كيف ترد على دعوى تفضيل أزواج النبي ﷺ على العشرة المبشرين بالجنة؟
- س٨: ما الواجب على المسلم تجاه الصحابة رضي الله عنهم؟
- س٩: من أول من أظهر مذهب الرفض؟



# مذهب أهل السنة والجماعة في علماء السلف

✽ كلام ابن أبي العز:

- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب.
- ٢ - مناسبة الباب لما سبق.
- ٣ - معاني الكلمات.
- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر وأهل الفقه والنظر لا يُذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل».
- ٥ - المراد بالسلف.
- ٦ - أصناف علماء السلف.
- ٧ - عقيدة أهل السنة والجماعة تجاه علماء السلف.
- ٨ - أعداء العلماء في مخالفة الحديث الصحيح.
- ٩ - موقف المعتزلة والأشاعرة من علماء السلف.
- ١٠ - حرمة الطعن في العلماء.
- ١١ - أصناف الطاعنين في العلماء.
- ١٢ - نماذج من الطعن في علماء السلف المعاصرين.
- ١٣ - الآثار السيئة لظاهرة الطعن في العلماء السلفيين المعاصرين.
- ١٤ - وسائل علاج الطعن في العلماء.
- ١٥ - الخلاصة.
- ١٦ - المناقشة.

## مذهب أهل السنة والجماعة في علماء السلف

قال ابن أبي العز:

قوله: «وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر وأهل الفقه والنظر لا يذكرون إلا بالجميل ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل». قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا نُبِّئَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥]، فيجب على كل مسلم<sup>(١)</sup> بعد موالاته الله ورسوله موالاته المؤمنين كما نطق به القرآن خصوصاً الذين هم ورثة الأنبياء الذين جعلهم الله بمنزلة النجوم يهتدى بهم في ظلمات البر والبحر، وقد أجمع المسلمون على هدايتهم ودرابتهم إذ كل أمة قبل مبعث محمد علماء شرارها إلا المسلمين فإن علماءهم خيارهم، فإنهم خلفاء الرسول من أمته والمحيون لما مات من سنته، فهم قام الكتاب وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا، وكلهم متفقون اتفاقاً يقيناً على وجوب اتباع الرسول، ولكن إذا وجد لواحد منهم قول قد جاء حديث صحيح بخلافه فلا بد له في تركه من عذر.

وجماع الأعدار ثلاثة أصناف:

أحدها: عدم اعتقاده أن النبي ﷺ قاله.

والثاني: عدم اعتقاده أنه أراد تلك المسألة بذلك القول.

والثالث: اعتقاده أن ذلك الحكم منسوخ.

فلهم الفضل علينا والمنة بالسبق وتبليغ ما أرسل به الرسول ﷺ إلينا وإيضاح ما كان منه يخفى علينا فرضي الله عنهم وأرضاهم.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

## الشرح

### عناصر الموضوع:

#### ١ غرض المصنف من عقد هذا الباب:

تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة في علماء السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان فلهم المنزلة العالية والفضل الكبير، فهم ورثة الأنبياء وحملة الدين، فيجب محبتهم واحترامهم، وذكرهم بالثناء الجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على سبيل الضلالة.

#### ٢ مناسبة هذا الباب لما سبق:

لما فرغ المصنف من ذكر حقوق الصحابة وأهل البيت وما يجب لهم، انتقل إلى الذين يلونهم في الفضيلة وهم العلماء ورثة الأنبياء فيجب الثناء عليهم واحترامهم، ومن ذكرهم بسوء فهو على سبيل الضلالة.

#### ٣ معاني الكلمات:

الكلمة	المعنى
النسخ	بيان انتهاء حكم شرعي بطريق شرعي متراخ عنه.

#### ٤ معنى كلام الطحاوي: «وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من

التابعين أهل الخير والأثر وأهل الفقه والنظر لا يذكرون إلا بالجميل

ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل»:

والعلماء السابقون، من الصحابة والتابعين، أهل الصلاح وأتباع السنن وأهل الفقه، لا نذكرهم إلا بالجميل والثناء من ذكرهم بسوء فهو على سبيل الضلالة، فإن محبتهم واجبة، ولحومهم مسمومة لمن ذكرهم بسوء.

#### ٥ المراد بالسلف:

السلف لغة، مصدر سلف يسلف سلفاً. من باب نصر إذا مضى وتقدم، والسلاف سلف القوم المتقدمون.

والمراد بالسلف اصطلاحاً إذا أطلق لفظ السلف عند المسلمين أريد به صحابة رسول الله ﷺ والتابعون لهم بإحسان من العلماء والمتقدمين دون من رمي ببدعة، وعلى هذا فعلماء السلف هم العلماء المتقدمون العالمون والعاملون بسنة رسول الله ﷺ وهدية.

## ٦ أصناف علماء السلف:

وعلماء السلف على أصناف متعددة منها:

- ١ - رواة الأحاديث الذين حفظوا أخبار رسول الله ﷺ ونقلوها إلى من بعدهم بكل دقة وأمانة وميزوا بين صحيحها وضعيفها وما يثبت منها وما لم يثبت.
- ٢ - علماء أصول الدين: الذين ردوا على أقوال أهل البدع وكانوا شجى في حلوق الدهريين والاتحاديين وغيرهم من طوائف أهل البدع.
- ٣ - الفقهاء الذين بينوا أصول العبادات وقانون المعاملات وميزوا الحلال والحرام وبينوا عقوبات الجرائم والجنائيات.
- ٤ - أئمة القراء وحملة التفسير سواء منهم من فسر بالرأي أو بالأثر.
- ٥ - أئمة النحو واللغة والأدب، فإن كثيراً من المتقدمين ردوا على أهل البدع ولم يشتهر عنهم أقوال مخالفة لأصحاب الرسول ﷺ.
- ٦ - أئمة التاريخ وحفظة السيرة بما فيها من دروس وعبر.

## ٧ عقيدة أهل السنة والجماعة تجاه علماء السلف:

يرى أهل السنة والجماعة وجوب موالة علماء السلف جميعاً وعدم ذكرهم بما يسيء إليهم أو مخالفة طريقتهم لعموم قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، فقد توعد من خالف سبيل المؤمنين - ولا يتوعد بالنار إلا على أمر محرم... ولعموم قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: ٧١] وإذا كانت موالة عامة المسلمين واجبة فإن موالة العلماء منهم خاصة متأكدة الوجوب، وذلك لأن الله جعلهم كالنجوم يهتدى بهم. ولأنهم ورثة الأنبياء وقد أجمع المسلمون على هدايتهم ودرائتهم لأجل هذا تجب موالة علماء السلف لأنهم كما قال الطحاوي: «بهم نطق الكتاب وبه نطقوا، وبهم قال الكتاب وبه قالوا، فلا يذكرون إلا بالجميل ومن ذكرهم بالسوء فهو على غير سبيل المؤمنين»، وقد اتفق

علماء السلف عموماً على وجوب التمسك بما ورد عن الرسول ﷺ فلا بد له من عذر.

### ٨ أَعذار العلماء في مخالفة الحديث الصحيح:

جماع ذلك ثلاثة أمور:

أولها: عدم اعتقاده أن النبي ﷺ قائله.

والثاني: عدم اعتقاده أنه أراد تلك المسألة بذلك القول.

والثالث: اعتقاده أن ذلك الحكم منسوخ.

### ٩ موقف المعتزلة والأشاعرة من علماء السلف:

بعد أن ذكرنا أن أهل السنة يرون وجوب موالاته علماء السلف، فإن كثيراً من المعتزلة يطعن في كثير من علماء السلف... بل ويفسقونهم ويطعنون في كثير من الآثار التي عن علماء السلف التي تخالف آراءهم ومعتقداتهم الباطلة.

أما الأشعرية فإنهم وإن كانوا لا يطعنون إلا أنهم تارة يقدمون رأي السلف وتارة يقدمون رأي الخلف وتارة ثالثة يقولون: «إن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم». وهذه العبارة إذا دققنا فيها النظر وجدناها متناقضة، إذ مقتضى السلامة وجود العلم والحكمة: «العلم بوجود الأسباب والحكمة في سلوك تلك الأسباب» وعلى هذا كان الواجب أن يقال: إن مذهب السلف أسلم وأعلم وأحكم.. لما ذكرناه من أن السلامة تستلزم العلم والحكمة.

### ١٠ حرمة الطعن في العلماء:

إن الطعن في العلماء، القدح فيهم، والتشهير بهم ونشر عيوبهم، كل هذا غير جائز، بل هو محرم أشد التحريم، فلا يجوز للمؤمن أن يأكل لحم أخيه، ولحم العلماء أشد حرمة، قال الإمام ابن عساكر: «اعلم يا أخي - رحمنا الله وإياك - أن لحوم العلماء مسمومة، وسنة الله في هتك أستار منتقسيهم معلومة، ومن أطلق لسانه في العلماء بالثلب بلاه الله قبل موته بموت القلب، ولذلك فلا يجوز أبداً الطعن في العلماء ولا حل ذلك بحال».

### ١١ أصناف الطاعنين في العلماء:

إن الطاعنين في العلماء أصناف، فمن هذه الأصناف:

١ - المتحللون من الدين وأشباههم، فهؤلاء قد اعتادوا الطعن في العلماء

والقدح فيهم لأجل الحط من شأنهم وتوهين مكانتهم في قلوب الناس، والازدراء بهم لإضعاف ثقة الناس فيهم، ومن ثم التوصل بذلك إلى الطعن في الشريعة والحط من شأن الدين في نفوس الناس، وذلك عن طريق القدح في حملة الشريعة من العلماء والدعاة، وهؤلاء أخصب أنواع الطاعنين في العلماء لسوء قصدهم وفساد نيتهم.

٢ - بعض من المنتسبين إلى الدعوة الإسلامية، من أفراد الجماعات المختلفة، وهؤلاء قد يوجد عند بعضهم قدح في بعض العلماء بسبب الجهل واتباع الهوى ونحو ذلك، فيرمون هذا العالم بالعمالة وهذا بالتهور، وهذا بالجبن، وهذا بأنه عالم سلطة، وهذا بأنه عالم حيض ونفاس ولا علم له بالواقع، وهذا بأنه عميل... إلخ.

٣ - بعض العلماء - وهذا أمر مؤسف جداً ولكنه واقع ومعروف - إذا كانوا في عصر واحد ولا سيما إذا كانوا متمثلين في الصنعة والتخصص يدب بينهم الحسد، فيقع من بعضهم الطعن والقدح في بعض، فيتكلم هذا في حق هذا، وهذا في حق هذا، وإن كان هذا غير جائز وغير لائق، ولا ينبغي أبداً أن يصدر من المنسوبين إلى العلم، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

### ١٢ نماذج من الطعن في العلماء المعاصرين السلفيين:

إن الطعن في العلماء والكلام في حقهم يأخذ أشكالاً متعددة وصوراً متنوعة، فمن هذه الأشكال والصور.

١ - اتهام العلماء بالسطحية والجهل بالواقع، وأنهم علماء حيض ونفاس فقط، ولا علم عندهم بالواقع والأخطار المحيطة ونحو ذلك.

وهذه تهمة قد أطلقها كثير من الناس، بعضهم بسوء نية وبعضهم بحسن نية مع الجهل الشديد، وهذه تهمة غير صحيحة، فإن العلماء أحياناً ما يكون لهم مأخذ سائغ فيما يفتون به، وتكون لهم نظرة معينة لا يستوعبها غيرهم ممن ليسوا بعلماء، أو تقدير للمصالح والمفاسد على حسب ما تقتضيه قواعد الشريعة، فيتهمون من قبل بعض الجهال بمثل هذه التهمة.

٢ - اتهام بعض العلماء بالمداهنة والنفاق:

ولا سيما إذا كانوا من العلماء الذين يرتبطون بمؤسسات رسمية أو حكومية، فحينئذٍ يكثر اتهامهم بالمداهنة وتشجيع السلطة والنفاق وبيع الدين بالدنيا،



والحرص على المنصب والمكافآت، وغير ذلك من التهم الشيعة.

### ٣ - اتهام بعض العلماء بالجبين:

وذلك حين يقوم هؤلاء العلماء بالتحذير من التسرع والخروج على الولاية وتكفير الناس، وغير ذلك من الأشياء التي يكون لها أثر سلبي خطير على المجتمعات وعلى الدعوة الإسلامية، فيتهمون بمثل هذه التهم من قتل ناس من الجهال الذين ليس عندهم علم بالمصالح والمفاسد أو من قبل شباب متهور ليس عندهم حسن تقدير للأمور.

### ٤ - اتهام بعض العلماء بأنهم قشور:

أي القول بأنهم ليس عندهم علم بحقائق العلوم وبواطنها، وأنهم مجرد علماء ظاهر لا يفهمون إلا ظواهر النصوص فقط، وهذه التهمة الباطلة قد كثر إطلاقها من قبل ناس من المتصوفة والباطنية وغيرهم من أصناف أهل الضلال.

### ١٣ الآثار السيئة لظاهرة الطعن في العلماء السلفيين المعاصرين:

إن الطعن في العلماء كما ذكرنا أمر محرم وظاهرة سيئة جداً، ولها آثار سلبية خطيرة جداً أذكر منها:

#### ١ - فقدان الثقة في العلماء:

وهذه نتيجة خطيرة جداً، ومرحلة متقدمة من مراحل الضلال، فإن الناس إذا فقدوا الثقة في العلماء الذين هم ورثة الأنبياء، وحملة الشريعة، أقول: إذا فقدوا فيهم الثقة لم يقبلوا منهم كلاماً ولا فتوى، وقد يتطور الأمر إلى اتخاذ رؤوس جهال يفتون بغير علم، أو أن يستقل كل واحد بنفسه ويعرض عن العلماء، ويكون هذا من أهم أسباب الضلال والانحراف، وقد يتطور الأمر إلى أن يفقد العلماء دور الريادة في الأمة.

#### ٢ - إشاعة العداوة والبغضاء في المجتمع:

فإن من تكلم في أحد العلماء وشهر به، فقد استجلب عداوة ذلك العالم وداوة المتبعين له، وبالتالي ينقسم المجتمع المسلم إلى أحزاب وشيع وفرق متنافرة متناحرة تدب بينها العداوة والبغضاء والكراهية والطعن بالتبادل، وكل هذا فيه إضعاف لقوة المجتمع المسلم.

#### ٣ - تشتيت جهود العلماء:

إذ قد يضطر الواحد منهم إلى الرد على من قدح فيه من خلال كتاب أو نحوه،

فيضيع بذلك وقته، ولعله كان من الأنفع للأمة أن يغتنم العالم وقته في التعلم والتعليم وإفادة الأمة.

#### ٤ - جرأة السفهاء والسفلة على العلماء:

فإنه لو شاع في المجتمع الطعن في أحد العلماء سواء من قبل غيره من العلماء أو طلبة العلم أو الإسلاميين أو حتى العلمانيين ونحوهم، فإن ذلك يكون سبباً في اجترأ العامة والسفهاء عليه، والتطاول عليه والاستهانة به، وهذا أمر خطير، لأنه قد يجر إلى التطاول على الشريعة كلها بعد ذلك.

#### ٥ - إعراض الناس عن الدين:

وذلك لأن العامة والجهال إذا فقدوا الثقة في العلماء فقد يعرضون عن الشريعة بالكلية، ويستخفون بها، ويكون ذلك سبباً لتحللهم من تعاليم الشريعة بكاملها، وفي هذا من الفساد ما لا يعلمه إلا الله تعالى.

#### ١٤ وسائل علاج الطعن في العلماء:

إن من الواجب علينا أن نحرص على معالجة هذه الظاهرة الخطيرة، والقضاء عليها، ومن وسائل علاج هذه الظاهرة السيئة:

١ - معرفة قدر العلماء، وأنهم أصحاب الريادة في الأمة ومصابيح الهدى فيها، وأن صلاح الأمة بصلاحهم وفسادها بفسادهم، وأنهم أولى الناس بالتقدير والاحترام والإجلال.

٢ - معرفة مدى الإثم والحرمة المترتبة على الطعن في العلماء والقدح فيهم، وذلك لشدة حرمة الكلام فيهم وغمزهم ولمزهم، لأن لحومهم مسمومة كما سبق.

٣ - معرفة الآثار الخطيرة المترتبة على القدح في العلماء كما سبق الكلام عنها.

٤ - إشاعة جو الاحترام والتقدير للعلماء في أفراد المجتمع ونشر فضائلهم، وتذكير الناس بوجوب احترامهم ومعرفة حقهم.

٥ - كتمان عيوب العلماء وعدم نشرها بين الناس، فإن ستر عيب المسلم واجب، والعلماء أحق من غيرهم، فالواجب مراعاة ذلك حرصاً على حفظ مكانة العلماء.

٦ - الدعاء للعلماء بأن يوفقهم الله - تعالى - في القول والعمل، وأن يجنبهم الخطأ والزلل ويستر عوراتهم، فإن الدعاء من أعظم أسباب التوفيق.

- ٧ - النصح للعلماء، فإن الدين النصيحة، كما أخبر بذلك النبي ﷺ، والنصيحة للعلماء واجبة فيجب النصح لهم وتذكيرهم إذا نسوا أو أخطأوا وتعريفهم الصواب، وذلك بالأسلوب الذي يتناسب مع مكانتهم.
- ٨ - التماس المعاذير لهم إذا أخطأوا في أمر، فهم بشر أولاً وآخرأ وليسوا معصومين، وكل بني آدم خطاء، ولو التمسنا لهم المعاذير لم نطعن فيهم أبداً.
- ٩ - إحسان الظن بهم: لأنهم أعلم الناس بالشرعية، وأعلمهم بالكتاب والسنة، فيجب إحسان الظن بهم، وبما يصدر عنهم من أقوال وأفعال.

### ١٥ الخلاصة:

- ١ - العلماء السابقون، من الصحابة والتابعين، أهل الصلاح وأتباع السنن وأهل الفقه، لا نذكرهم إلا بالجميل والثناء ومن ذكرهم بسوء فهو على سبيل الضلالة، فإن محبتهم واجبة، ولحومهم مسمومة لمن ذكرهم بسوء.
- ٢ - علماء السلف هم العلماء المتقدمون العالمون والعاملون بسنة رسول الله ﷺ وهدية.
- ٣ - يرى أهل السنة والجماعة وجوب موالة علماء السلف جميعاً وعدم ذكرهم بما يسيء إليهم أو مخالفة طريقتهم.
- ٤ - للعلماء أعداء في مخالفة الحديث الصحيح وهي: عدم اعتقاده أن النبي ﷺ قائله، أو عدم اعتقاده أنه أراد تلك المسألة بذلك القول، أو اعتقاده أن ذلك الحكم منسوخ.
- ٥ - حرمة الطعن في العلماء.
- ٦ - إن الطعن في العلماء والكلام في حقهم يأخذ أشكالاً متعددة وصوراً متنوعة.
- ٧ - إن الطعن في العلماء كما ذكرنا أمر محرّم وظاهرة سيئة جداً، ولها آثار سلبية خطيرة جداً.
- ٨ - إن من الواجب علينا أن نحرض على معالجة ظاهرة الطعن في العلماء الخطيرة، والقضاء عليها.

### ١٦ المناقشة:

- س١: بين معنى كلام الطحاوي: «وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر وأهل الفقه والنظر لا يذكرهم إلا بالجميل ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل».

- س٢: ما المراد بالسلف؟
- س٣: اذكر أصناف علماء السلف.
- س٤: وضح عقيدة أهل السنة والجماعة تجاه علماء السلف.
- س٥: عدد أضرار العلماء في مخالفة الحديث الصحيح.
- س٦: ما موقف المعتزلة والأشاعرة من علماء السلف؟
- س٧: بين حرمة الطعن في العلماء.
- س٨: اذكر أصناف الطاعنين في العلماء.
- س٩: عدد نماذج من الطعن في علماء السلف المعاصرين.
- س١٠: ما الآثار السيئة لظاهرة الطعن في العلماء السلفيين المعاصرين؟
- س١١: ما وسائل علاج الطعن في العلماء؟

## المفاضلة بين الأنبياء والأولياء

✽ كلام ابن أبي العز:

- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب.
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق.
- ٣ - معاني الكلمات.
- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «ولا نفضل أحداً من الأولياء على أحد من الأنبياء ﷺ»، ونقول نبي واحد أفضل من جميع الأولياء».
- ٥ - مفهوم الولاية عند أهل السنة.
- ٦ - أفضل أولياء الله عند أهل السنة.
- ٧ - نظرة غلاة المتصوفة إلى الأنبياء.
- ٨ - المقصود بختم الولاية.
- ٩ - المراد من ختم الولاية عند ابن عربي.
- ١٠ - التعريف بابن عربي وأقوال الناس فيه.
- ١١ - مذهب ابن عربي في ختم الولاية والرد عليه.
- ١٢ - الولي عند الصوفية.
- ١٣ - الخلاصة.
- ١٤ - المناقشة.

## المفاضلة بين الأنبياء والأولياء

قال ابن أبي العز:

قوله: «ولا نفضل أحداً من الأولياء على أحد من الأنبياء ﷺ ونقول نبي واحد أفضل من جميع الأولياء».

يشير الشيخ رحمه الله إلى الرد على الاتحادية وجهلة المتصوفة وإلا فأهل الاستقامة يوصون بمتابعة العلم ومتابعة الشرع، فقد أوجب الله على الخلق كلهم متابعة الرسل، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ﴾ [النساء: ٦٤] إلى أن قال: ﴿وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

قال أبو عثمان النيسابوري: من أمر السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة، ومن أمر الهوى على نفسه نطق بالبدعة<sup>(١)</sup>.

وقال بعضهم: ما ترك بعضهم شيئاً من السنة إلا لكبر في نفسه.

والأمر كما قال، فإنه إذا لم يكن متبعاً للأمر الذي جاء به الرسول كان يعمل بإرادة نفسه فيكون متبعاً لهواه بغير هدى من الله، وهذا غش النفس وهو من الكبر فإنه شبيهه بقول الذين قالوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى تُؤْتِنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ رَسُولُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

وكثير من هؤلاء يظن أنه يصل برياسته واجتهاده في العبادة وتصفية نفسه إلى ما وصلت إليه الأنبياء من غير اتباع لطريقتهم.

منهم من يظن أنه قد صار أفضل من الأنبياء.

ومنهم من يقول إن الأنبياء والرسل إنما يأخذون العلم بالله من مشكاة خاتم

(١) انظر: منهاج السنة (٥/٣٣١ - ٣٣٨).

الأولياء ويدعي لنفسه أنه خاتم الأولياء ويكون ذلك العلم هو حقيقة قول فرعون وهو أن هذا الوجود المشهود واجب بنفسه ليس له صانع مباين له لكن هذا يقول هو الله، وفرعون أظهر الإنكار بالكلية، لكن كان فرعون في الباطن أعرف بالله منهم فإنه كان مثبتاً للصانع، وهؤلاء ظنوا أن الوجود المخلوق هو الوجود الخالق كابن عربي وأمثاله وهو لما رأى أن الشرع الظاهر لا سبيل إلى تغييره قال: النبوة ختمت لكن الولاية لم تختم، وادعى من الولاية ما هو أعظم من النبوة وما يكون للأنبياء والمرسلين وأن الأنبياء مستفيدون منها كما قال:

مقام النبوة في برزخ فوق الرسول ودون الولي

وهذا قلب للشريعة، فإن الولاية ثابتة للمؤمنين المتقين كما قال تعالى: ﴿آلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣]، والنبوة أخص من الولاية، والرسالة أخص من النبوة كما تقدم التنبيه على ذلك.

وقال ابن عربي أيضاً في فصوصه<sup>(١)</sup>: ولَمَّا مَثَلَ النَّبِيَّ ﷺ النبوَّةَ بالحائِطِ مِنَ اللَّبْنِ فَرَأَاهَا قَدْ كَمَلَتْ إِلَّا مَوْضِعَ لَبْنَةٍ فَكَانَ هُوَ مَوْضِعَ اللَّبْنَةِ، وَأَمَّا خَاتَمُ الْأَوْلِيَاءِ فَلَا بَدَّ لَهُ مِنْ هَذِهِ الرَّؤْيَا فِيرَى مَا مَثَلَهُ النَّبِيَّ ﷺ وَيَرَى نَفْسَهُ فِي الْحَائِطِ فِي مَوْضِعِ لَبْنَتَيْنِ وَيَرَى نَفْسَهُ تَنْطَبِعُ فِي مَوْضِعِ اللَّبْنَتَيْنِ فَتَكْمَلُ الْحَائِطُ، وَالسَّبَبُ الْمَوْجِبُ لِكَوْنِهِ يَرَاهَا لَبْنَتَيْنِ أَنَّ الْحَائِطَ لَبْنَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَلَبْنَةٍ مِنْ ذَهَبٍ، وَاللَّبْنَةُ الْفِضَّةُ هِيَ ظَاهِرُهُ وَمَا يَتَّبِعُهُ فِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ كَمَا هُوَ أَخَذَ عَنِ اللَّهِ فِي الشَّرْعِ مَا هُوَ فِي الصُّورَةِ الظَّاهِرَةِ مُتَّبِعٌ فِيهِ لِأَنَّهُ يَرَى الْأَمْرَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ فَلَا بَدَّ أَنْ يَرَاهُ هَكَذَا هُوَ مَوْضِعُ اللَّبْنَةِ الذَّهَبِيَّةِ فِي الْبَاطِنِ فَإِنَّهُ يَأْخُذُ مِنَ الْمَعْدَنِ الَّذِي يَأْخُذُ مِنْهُ الْمَلِكُ الَّذِي يُوْحَى إِلَيْهِ إِلَى السُّؤَالِ قَالَ: فَإِنْ فَهَمْتَ مَا أَشْرْنَا إِلَيْهِ فَقَدْ حَصَلَ لَكَ الْعِلْمُ النَّافِعُ.

فمن أكفر ممن ضرب لنفسه المثل بلبنة ذهب وللرسل المثل بلبنة فضة فيجعل نفسه أعلى وأفضل من الرسل تلك أمانيتهم ﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبِكْفِيَةٍ﴾ [غافر: ٥٦] وكيف يخفى كفر من هذا كلامه وله من الكلام أمثال هذا وفيه ما يخفى منه الكفر ومنه ما يظهر، فلهذا يحتاج إلى نقد جيد ليظهر زيفه، فإن

من الزغل ما يظهر لكل ناقد، ومنه ما لا يظهر إلا للناقد الحاذق البصير، وكفر ابن عربي وأمثاله فوق كفر القائلين: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٢٤] ولكن ابن عربي وأمثاله منافقون زنادقة اتحادية في الدرك الأسفل من النار، والمنافقون يعاملون معاملة المسلمين لإظهارهم الإسلام كما كان يظهره المنافقون في حياة النبي ﷺ وبيطنون الكفر وهو يعاملهم معاملة المسلمين لما يظهر منهم، فلو أنه ظهر من أحد منهم ما يبطنه من الكفر لأجرى عليه حكم المرتد، ولكن في قبول توبته خلاف، والصحيح عدم قبولها وهي رواية معلى عن أبي حنيفة رضي الله عنه والله المستعان.



## الشرح

## عناصر الموضوع:

١ غرض المصنف من عقد هذا الباب:

أ - تقرير معتقد أهل السنة والجماعة أن الأنبياء أفضل من الأولياء. والرسول أفضل من الأنبياء، وأفضل الرسل أولو العزم، وأفضل أولو العزم الخليلان إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام.

ب - الرد على بعض الصوفية الذين قالوا بتفضيل الولي على النبي ففضلوا الأولياء على الأنبياء<sup>(١)</sup>.

٢ مناسبة هذا الباب لما سبق:

بعد ما ذكر المصنف فيما سبق ما يجب للصحابة وآل البيت، ثم انتقل إلى الذين يلونهم وهم العلماء ورثة الأنبياء، ناسب أن يبين ما يجب على المؤمنين في حق الأولياء.

٣ معاني الكلمات:

الكلمة	المعنى
الاتحادية	هم قوم يمتدنون أن الله اتحد ببعض مخلوقاته وهذا اتحاد خاص أما الاتحاد العام فهو اعتقاد اتحاد وجود الخالق بالمخلوق وهو معنى وحدة الوجود.
الزغل	الغش
الختم	الإتمام، وبلوغ النهاية.

٤ معنى كلام الطحاوي: «ولا نفضل أحداً من الأولياء على أحد من

الأنبياء ﷺ، ونقول نبي واحد أفضل من جميع الأولياء»:

ولا نفضل الأولياء على الأنبياء، كما قال بعض الضلال كابن عربي وغيره،

(١) انظر: الهداية الربانية (ص ٣٤٤).

بل نقول إن النبي الواحد أفضل من جميع الأولياء، وذلك لما اصطفاهم الله من النبوة والحكمة، قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّكَ اللَّهُ سَكِينٌ بَصِيرٌ﴾ ﴿٧٥﴾ [الحج: ٧٥].

#### ٥ مفهوم الولاية عند أهل السنة:

مفهوم الولاية في اللغة: الولاية في اللغة ضد العداوة، وأصلها المحبة والقرب وأصل العداوة: بغض والبعد..  
والولي عند جمهور المسلمين اصطلاحاً: هو الموافق لله والمحب له...  
والمتبع له فيما يحبه الله وفيما يكرهه وفيما يأمره به وفيما ينهى. عنه فلا يحب إلا ما أحب الله، ولا ينهى إلا عما نهى الله عنه، ولا يكره إلا ما كره الله ﷻ...

#### ٦ أفضل أولياء الله عند أهل السنة:

أفضل أولياء الله هم: أنبياءه، وأفضل أنبيائه المرسلون، وأفضل المرسلين أولو العزم صلوات الله عليهم أجمعين، وهم الذين أشار الله ﷻ إليهم بقوله: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]، وأفضل أولي العزم من الرسل: هو محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمؤمنين. وعلى هذا: فأفضل أولياء الله على الإطلاق هو نبينا محمد ﷺ.

#### ٧ نظرة غلاة المتصوفة إلى الأنبياء:

غلاة المتصوفة على ثلاث طوائف:  
الأولى: تظن أنه قد يصل برياضته واجتهاده في العبادة وتصفيته لنفسه إلى درجة الأنبياء من غير اتباع لطريقتهم.  
الثانية: تظن أن الأولياء أفضل من الأنبياء...  
الثالثة: تقول إن الأنبياء والرسل إنما يأخذون العلم من مشكاة خاتم الأولياء... ويدعى بعضهم أنه هو خاتم الأولياء.  
وهذه الطوائف الثلاث تتقص الأنبياء والرسل حقهم مما جعل بعض العلماء يكفرهم.

#### ٨ المقصود بختم الولاية:

عند غلاة الصوفية هو الشخص الذي يختم الله به كل مقام، وهو التحقق بنهاية كمال تلك المرتبة<sup>(١)</sup>.

(١) المعجم الصوفي.

وعند الرافضة: خاتم الولاية هو الذي يبلغ به صلاح الدنيا والآخرة ونهاية الكمال ويختل بموته نظام العالم وهو المهدي الموعود في آخر الزمان<sup>(١)</sup>.  
فلفظ خاتم الأولياء لم يرد في الكتاب والسنة ولا في كلام سلف الأمة من الصحابة والتابعين، وإنما هو مصطلح مبتدع.

٩ المراد من ختم الولاية عند ابن عربي:

على نوعين:

١ - ختم الولاية العامة: وهو الذي لا يوجد بعده ولي، وهو عندهم عيسى عليه السلام.

يقول ابن عربي: «فيكون عيسى عليه السلام خاتم الأولياء وهو خاتم الأولياء وهو أفضل هذه الأمة المحمدية، فإنه وإن كان ولياً في هذه الأمة والملة المحمدية، فهو نبي ورسول في نفس الأمر»<sup>(٢)</sup>.

٢ - ختم الولاية الخاصة: وهي لرجل من العرب جمع علم كل ولي محمدي وهو خاتم النبوة المطلقة يختم الله به الولاية المحمدية، فكما أن الله ختم بمحمد صلى الله عليه وسلم نبوة الشرائع كذلك ختم الله بالختم المحمدي الولاية التي تحصل من الورث المحمدي، وختم هذه الولاية المحمدية يدعيه ابن عربي لنفسه فقال:

أنا خاتم الولاية دون شك لورث الهاشمي مع المسيح  
كما أنني أبو بكر عتيق أجاهد كل ذي جسم وروح<sup>(٣)</sup>

يقول الخميني: «إن الأولياء بلغوا مرتبة لم يبلغها نبي مرسل ولا ملك مقرب، وإنهم يعلمون متى يموتون».

ويقول أيضاً: «إنهم يخافون من نصوص الأولياء كما يخافون من القرآن».

١٠ التعريف بابن عربي وأقوال الناس فيه:

يرى ابن عربي:

١ - أن النبوة ختمت، والولاية لم تختم حتى جاء وختمها.

٢ - أن الولاية أفضل من النبوة، وذلك لأن الولي يأخذ العلم من الله صلى الله عليه وسلم

(١) انظر: اصطلاحات الصوفية للكاشي (ص ١٥٨).

(٢) الفتوحات المكية (١/١٨٥).

(٣) انظر: الفتوحات المكية (١/٤٩، ٢٤٤).

مباشرة فهو يتلقى العلم من المعدن الذي يتلقى منه الملك، أما الأنبياء وسائر الأولياء فإنما يأخذون العلم (العلم الباطن) من مشكاة خاتم الأولياء.

٣ - أن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء.

٤ - مثل خاتم الأولياء بلبنتين من حائط اكتمل بناؤه ولم يبق فيه سوى موضع هاتين اللبنتين إحداهما: فضة، ويرمز بها إلى علم الظاهر، والأخرى ذهب: ويرمز بها إلى علم الباطن، فقد جعل ابن عربي نفسه في موضع اللبنة الذهبية. وجعل الرسول في موضع اللبنة الفضية.

وقد اختلف الناس في ابن عربي على ثلاثة آراء:

١ - رأي يقول بتكفيره وأنه منافق زنديق ملحد... وقد أظهر من الأقوال ما يوجب كفره، وممن يقول بهذا الرأي شارح الطحاوية.

٢ - رأي من يقول أنه من الأولياء العارفين، والأئمة المجتهدين، وما ورد من كلمات مشكلة في تأليفه فظاهرها غير مراد..

والمراد اصطلاحات اصطلاح عليها الصوفية وهي في حقيقتها خطيرة وإن كان يظهر منها إذا أخذت بغض النظر عن تلك الاصطلاحات - المراد بها - قد يظهر منها أقوال منكورة.

٣ - رأي من يقول أنه ولي لكن يحرم النظر في كتبه على غير العارفين بطريقته لما فيها من عبارات قد يتبادر إلى ذهن من يطلع عليها أشياء لا يريدونها ابن عربي بتلك العبارات، ونسب هذا إلى السيوطي.

١١) مذهب ابن عربي في ختم الولاية والرد عليه:

يرى ابن عربي:

١ - أن مذهب النبوة ختمت، والولاية لم تختم، حتى جاء وختمها.

٢ - أن الولاية أفضل من النبوة وذلك لأن الولي يأخذ العلم من الله ﷻ مباشرة فهو يتلقى العلم من المعدن الذي يتلقى منه الملك.

أما الأنبياء وسائر الأولياء فإنما يأخذون العلم (العلم الباطن) من مشكاة خاتم الأولياء.

٣ - أن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء.

٤ - مثل خاتم الأولياء بلبنتين من حائط اكتمل بناؤه ولم يبق فيه سوى موضع هاتين اللبنتين إحداهما: فضة ويرمز بها إلى علم الظاهر، والأخرى ذهب: ويرمز

بها إلى علم الباطن، فقد جعل ابن عربي نفسه في موضع اللبنة الذهبية وجعل الرسول في موضع اللبنة الفضية.

الرد على هذا المذهب:

وهذا المذهب مذهب باطل فيه تحريف للشريعة الإسلامية، ويرد عليه بما يأتي:

أولاً: المذهب باطل من أساسه لعدم وروده لا في الكتاب ولا في السنة، فنقرأ الكتاب ونتبع السنة فلا نجد فيهما ذكراً لختم الولاية، وكذلك لم ينقل عن سلف هذه الأمة ما يشير إلى هذه الفكرة «ختم الولاية».

ثانياً: إنه معارض للقرآن والسنة وإجماع الأمة.

١ - فهي معارضة القرآن حيث قال: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣]، فقد وصفت الآية أولياء الله بوصفين: بالإيمان والتقوى، فمن كان مؤمناً متقياً كان من أولياء الله ويفهم من الآية أن الأنبياء أفضل من سائر الأولياء لأن الأنبياء جمعوا الإيمان والتقوى.

على ذلك كان اصطفاء الله لهم بوجبه، وقال ابن عربي إن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء. فكان بقوله هذا معارضاً لنص الآية...

٢ - وهو معارض للسنة فقد روي عنه عليه السلام أنه قال: (ما طلعت الشمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على أفضل من أبي بكر).

وابن عربي يقول: بأن خاتم الأولياء أفضل من أبي بكر.. بل أفضل من سائر الأولياء، فكان بفكرته تلك معارضاً لنص الحديث.

٣ - وهو معارض للإجماع.. فقد أجمع سلف الأمة على خلاف ما روي من أن الأنبياء أفضل الخلق وأشرفهم على الله.

فمذهب ابن عربي باطل لا ينبغي الالتفات إليه، ولولا كثرة الذاكرين لابن عربي والمشيدين به لما كان مذهبه جديراً بالمذاكرة لمعارضته الصريحة لنصوص الشريعة.

١٢) الولي عند الصوفية:

وقد عرف القشيري الولي بأنه: «فعل بمعنى مفعول، وهو من يتولى الله سبحانه وتعالى أمره، أو فعل مبالغة من الفاعل، وهو الذي يتولى عبادة الله

تعالى وطاعته، فعبادته تجري على التوالي من غير أن يتخللها عصيان، فلا يخلق له الخذلان الذي هو القدرة على العصيان<sup>(١)</sup>.

### ١٣ الخلاصة:

- ١ - لا يفضل أهل السنة والجماعة الأولياء على الأنبياء، كما قال بعض الضلالة كابن عربي وغيره، بل يقولون إن النبي الواحد أفضل من جميع الأولياء، وذلك لما اصطفاهم الله من النبوة والحكمة.
- ٢ - الولي عند جمهور المسلمين اصطلاحاً: هو الموافق لله والمحب له... والمتبع له فيما يحبه الله وفيما يكرهه وفيما يأمره به وفيما ينهى عنه، فلا يحب إلا ما أحب الله، ولا ينهى إلا عما نهى الله عنه، ولا يكره إلا ما كره الله ﷻ...
- ٣ - أفضل أولياء الله هم: أنبياءه، وأفضل أنبيائه المرسلون، وأفضل المرسلين أولو العزم صلوات الله عليهم أجمعين، وأفضل أولي العزم من الرسل: هو محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمنتقين.
- ٥ - المقصود بختم الولاية عند غلاة الصوفية هو الشخص الذي يختم الله به كل مقام، وهو التحقق بنهاية كمال تلك المرتبة.
- ٦ - وعند الرافضة: خاتم الولاية هو الذي يبلغ به صلاح الدنيا والآخرة ونهاية الكمال ويختل بموته نظام العالم، وهو المهدي الموعود في آخر الزمان.
- ٧ - لفظ خاتم الأولياء لم يرد في الكتاب والسنة ولا في كلام سلف الأمة من الصحابة والتابعين، وإنما هو مصطلح مبتدع.
- ٨ - مذهب ابن عربي في ختم الولاية باطل؛ لأنه معارض للقرآن والسنة وإجماع الأمة.

### ١٤ المناقشة:

- س١: يبين معنى كلام الطحاوي: «ولا نفضل أحداً من الأولياء على أحد من الأنبياء ﷺ»، ونقول نبي واحد أفضل من جميع الأولياء؟
- س٢: وضح مفهوم الولاية عند أهل السنة.
- س٣: من أفضل أولياء الله عند أهل السنة؟

(١) الرسالة القشيرية (ص ٣٥٩).

- س٤: فصل القول في نظرة غلاة المتصوفة إلى الأنبياء.
- س٥: ما المقصود بختم الولاية.
- س٦: ما المراد من ختم الولاية عند ابن عربي.
- س٧: من هو ابن عربي وما آراؤه في مسألة ختم الولاية، وبم ترد عليها؟ وما أقوال الناس فيه؟
- س٨: اذكر تعريف الولي عند الصوفية؟





## الإيمان بكرامات الأولياء

✽ كلام ابن أبي العز:

- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب.
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق.
- ٣ - معاني الكلمات.
- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «ونؤمن بما جاء من كراماتهم وضح عن الثقات من رواياتهم».
- ٥ - تعريف المعجزة.
- ٦ - شروط المعجزة.
- ٧ - تعريف الكرامة.
- ٨ - المقارنة بين المعجزة والكرامة.
- ٩ - ضوابط الكرامة عند أهل السنة.
- ١٠ - أدلة ثبوت الكرامة.
- ١١ - كرامات الأولياء معجزات الأنبياء.
- ١٢ - أنواع الخوارق للعادة.
- ١٣ - أقسام الأشياء الخارقة للعادة من حيث الأصل.
- ١٤ - تبرأ النبي ﷺ من أمور ثلاثة.
- ١٥ - الحكمة من إجراء الكرامة على يد بعض العباد.
- ١٦ - هل يدل إجراء الكرامة على يد شخص على كرامته عند الله.

- ١٧ - منكرو الكرامة، وشبهاتهم والرد عليها.
- ١٨ - نوعا كلمات الله.
- ١٩ - الكشف والتأثير باعتبار تنوع كلمات الله تعالى.
- ٢٠ - معنى الفراسة وأنواعها.
- ٢١ - الفرق بين الكرامة والفراسة.
- ٢٢ - هل عدم حصول الكرامة للمسلم يضر به أم لا؟
- ٢٣ - الفرق بين كرامات الأولياء وخوارق الكهان والسحرة.
- ٢٤ - الخلاصة.
- ٢٥ - المناقشة.

## الإيمان بكرامات الأولياء

قال ابن أبي العز:

قوله: «ونؤمن بما جاء من كراماتهم وصح عن الثقات من رواياتهم».  
فالمعجزة<sup>(١)</sup> في اللغة تعم كل خارق للعادة، وكذلك الكرامة في عرف أئمة أهل العلم المتقدمين، ولكن كثير من المتأخرين يفرقون في اللفظ بينهما فيجعلون المعجزة للنبي والكرامة للولي، وجماعها الأمر الخارق للعادة.

فصفات الكمال ترجع إلى ثلاثة: العلم والقدرة والغنى، وهذه الثلاثة لا تصلح على الكمال إلا لله وحده، فإنه الذي أحاط بكل شيء علماً، وهو على كل شيء قدير، وهو غني عن العالمين. ولهذا أمر النبي ﷺ أن يتبرأ من دعوى هذه الثلاثة بقوله: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [الأنعام: ٥٠].

وكذلك قال نوح ﷺ، فهذا أول أولي العزم وأول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، وهذا خاتم الرسل وخاتم أولي العزم، وكلاهما تبرأ من ذلك، وهذا لأنهم يطالبونهم: تارة بعلم الغيب كقوله تعالى: ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ [الأعراف: ١٨٧]. وتارة بالتأثير كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّىٰ تَنْجِرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَبُوعًا﴾ [الآيات: ٩٠].

وتارة يعيبون عليهم الحاجة البشرية كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧].

فأمر الرسول أن يخبرهم بأنه لا يملك ذلك وإنما ينال من تلك الثلاثة بقدر ما يعطيه الله، فيعلم ما علمه الله إياه، ويستغني عما أغناه عنه، ويقدر على ما أقدره عليه من الأمور المخالفة للعادة المطردة أو لعادة أغلب الناس، فجميع المعجزات والكرامات ما تخرج عن هذه الأنواع.

(١) انظر: الفتاوى (٣١١/١١).

ثم الخارق إن حصل<sup>(١)</sup> به فائدة مطلوبة في الدين كان من الأعمال الصالحة المأمور بها ديناً وشرعاً، إما واجب أو مستحب، وإن حصل به أمر مباح كان من نعم الله الدنيوية التي تقتضي شكراً، وإن كان على وجه يتضمن ما هو منهي عنه نهي تحريم أو نهي تنزيه كان سبباً للعذاب أو البغض، كالذي أوتي الآيات فانسلخ منها بلعام بن باعورا لاجتهاد أو تقليد أو نقص عقل أو علم أو غلبة حال أو عجز أو ضرورة.

فالخارق ثلاثة أنواع: محمود في الدين، ومذموم، ومباح. فإن كان المباح فيه منفعة كان نعمة وإلا فهو كسائر المباحات التي لا منفعة فيها، قال أبو علي الجوزجاني: كن طالباً للاستقامة لا طالباً للكرامة، فإن نفسك متحركة في طلب الكرامة وربك يطلب منك الاستقامة.

قال الشيخ السهروردي في عوارفه<sup>(٢)</sup>: وهذا أصل كبير في الباب، فإن كثيراً من المجتهدين المتعبدین سمعوا السلف الصالحين المتقدمين وما منحوا به من الكرامات وخوارق العادات، فنفسهم لا تزال تتطلع إلى شيء من ذلك ويحبون أن يرزقوا شيئاً منه، ولعل أحدهم يبقى منكسر القلب متهماً لنفسه في صحة عمله حيث لم يحصل له خارق ولو علموا بسر ذلك لهان عليهم الأمر، فيعلم أن الله يفتح على بعض المجاهدين الصادقين من ذلك باباً والحكمة فيه أن يزداد بما يرى من خوارق العادات وآثار القدرة يقيناً فيقوى عزمه على الزهد في الدنيا والخروج عن دواعي الهوى فسبيل الصادق مطالبة النفس بالاستقامة في كل الكرامة.

ولا ريب لأن القلوب من التأثير أعظم مما للأبدان لكن إن كانت صالحة كان تأثيرها صالحاً، وإن كانت فاسدة كان تأثيرها فاسداً، فالأحوال يكون تأثيرها محبوباً لله تعالى تارة ومكروهاً لله أخرى.

وقد تكلم الفقهاء في وجوب القود على من يقتل غيره في الباطن وهؤلاء يشهدون بواطنهم وقلوبهم الأمر الكوني ويعدون مجرد خرق العادة لأحدهم أنه كرامة من الله له، ولا يعلمون أنه في الحقيقة إنما الكرامة لزوم الاستقامة، وأن الله تعالى لم يكرم عبداً بكرامة أعظم من موافقته فيما يحبه ويرضاه هو طاعته وطاعة

(٢) عوارف المعارف (٥/٧٦).

(١) انظر: الفتاوى (١١/٣١٩).

رسوله وموالاة أوليائه ومعاداة أعدائه، وهؤلاء هم أولياء الله الذين قال الله فيهم: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢].

وأما ما يبتلي الله به عبده من السر بخرق العادة أو بغيرها أو بالضراء فليس ذلك لأجل كرامة العبد على ربه ولا هوانه عليه، بل قد سعد بها قوم إذا أطاعوه وشقي بها قوم إذا عصوه كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ [الفجر: ١٥].

ولهذا كان الناس في هذه الأمور ثلاثة أقسام: قسم ترتفع درجاتهم بخرق العادة، وقسم يتعرضون بها لعذاب الله، وقسم يكون في حقهم بمنزلة المباحات كما تقدم. وتنوع الكشف والتأثير باعتبار تنوع كلمات الله، وكلمات الله نوعان: كونية ودينية. فكلماته الكونية<sup>(١)</sup> هي التي استعاذ بها النبي ﷺ في قوله: (أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر)، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [الأنعام: ١١٥]، والكون كله داخل تحت هذه الكلمات وسائر الخوارق.

والنوع الثاني: الكلمات الدينية، وهي القرآن وشرع الله الذي بعث به رسوله، وهي أمره ونهيه وخبره، وحظ العبد منها العلم بها والعمل، والأمر بما أمر الله به، كما أن حظ العباد عموماً وخصوصاً العلم بالكونيات والتأثير فيها أي بموجبها، فالأولى تدبيره كونية والثانية شرعية دينية، فكشف الأولى العلم بالحوادث الكونية، وكشف الثانية العلم بالمأمورات الشرعية.

وقدرة الأولى: التأثير في الكونيات إما في نفسه كمشيه على الماء وطيранه في الهواء وجلسه في النار، وإما في غيره بإصحاح وإهلاك وإغناء وإفقار.

وقدرة الثانية: التأثير في الشرعيات، إما في نفسه بطاعة الله ورسوله والتمسك بكتاب الله وسنة رسوله باطناً وظاهراً، وإما في غيره بأن يأمر بطاعة الله ورسوله فيطاع في ذلك طاعة شرعية.

(١) انظر: الفتاوى (١١/٣٢٢).

فإذا تقرر ذلك فاعلم أن عدم الخوارق علماً وقدرة لا تضر المسلم في دينه، فمن لم ينكشف له شيء من المغيبات ولم يسخر له شيء من الكونيات لا ينقص ذلك في مرتبته عند الله بل قد يكون عدم ذلك أنفع له، فإنه إن اقترن به الدين وإلا هلك صاحبه في الدنيا والآخرة، فإن الخارق قد يكون مع الدين وقد يكون مع عدمه أو فساده أو نقصه.

فالخوارق النافعة تابعة للدين خادمة له، كما أن الرياسة النافعة هي التابعة للدين، وكذلك المال النافع كما كان السلطان والمال النافع بيد النبي ﷺ وأبي بكر وعمر، فمن جعلها هي المقصودة وجعل الدين تابعاً لها ووسيلة إليها لا لأجل الدين في الأصل فهو شبيه بمن يأكل الدنيا بالدين، وليست حاله كحال من تدين خوف العذاب أو رجاء الجنة، فإن ذلك ما هو مأمور به وهو على سبيل نجاة وشريعة صحيحة.

والعجب أن كثيراً ممن يزعم أن همه قد ارتفع عن أن يكون خوفاً من النار أو طلباً للجنة يجعل همه بدينه أدنى خارق من خوارق الدنيا، ثم إن الدين إذا صح علماً وعملاً فلا بد أن يوجب خرق العادة إذا احتاج إلى ذلك صاحبه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۗ ﴿١﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]، وقال تعالى: ﴿إِنْ تَقْوُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَبِيئًا ۗ ﴿٦٦﴾ وَإِذَا لَأْتَيْنَهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ۗ ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۗ ﴿٦٨﴾﴾ [النساء: ٦٦ - ٦٨]، وقال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۗ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۗ ﴿١٨﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٤].

وقال رسول الله ﷺ: (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله)<sup>(١)</sup>، ثم قرأ قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَكِّئِينَ ۗ ﴿٧٥﴾﴾ [الحجر: ٧٥]. رواه الترمذي من رواية أبي سعيد الخدري.

وقال تعالى فيما يرويه عنه رسوله ﷺ: (من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي

(١) أخرجه الترمذي (٣١٢٧).

يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألتني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته، ولا بد له منه).<sup>(١)</sup> فظهر أن الاستقامة حظ الرب، وطلب الكرامة حظ النفس، وبالله التوفيق.

وقول المعتزلة في إنكار الكرامة ظاهر البطلان، فإنه بمنزلة إنكار المحسوسات، وقولهم لو صحت لأشبهت المعجزة فيؤدي إلى التباس النبي بالولي وذلك لا يجوز، وهذه الدعوى إنما تصح إذا كان الولي يأتي بالخارق ويدعي النبوة، وهذا لا يقع ولو ادعى النبوة لم يكن ولياً بل كان متنبئاً كذاباً، وقد تقدم الكلام في الفرق بين النبي والمتنبئ عند قول الشيخ، وأن محمداً عبده المجتبي ونبيه المصطفى. ومما ينبغي التنبيه عليه ههنا أن الفراسة<sup>(٢)</sup> ثلاثة أنواع:

إيمانية وسببها نور يقذفه الله في قلب عبده، وحقيقتها أنها خاطر يهجم على القلب يثب عليه كوثوب الأسد على الفريسة، ومنها اشتقاقها وهذه الفراسة على حسب قوة الإيمان، فمن كان أقوى إيماناً فهو أهدى فراسة، قال أبو سليمان الداراني رحمته الله: الفراسة مكاشفة النفس ومعاينة الغيب، وهي من مقامات الإيمان، انتهى.

وفراسة رياضية وهي التي تحصل بالجوع والسهر والتخلي، فإن النفس إذا تجردت عن العوائق صار لها من الفراسة والكشف بحسب تجردها، وهذه فراسة مشتركة بين المؤمن والكافر ولا تدل على إيمان ولا على ولاية، ولا تكشف عن حق نافع ولا عن طريق مستقيم، بل كشفها من جنس فراسة الولاية وأصحاب عبادة الرؤساء والأطباء ونحوهم.

وفراسة خلقية وهي التي صنف فيها الأطباء وغيرهم واستدلوا بالخلق على الخلق لما بينهما من الارتباط الذي اقتضته حكمة الله، كالاستدلال بصغر الرأس الخارج عن العادة على صغر العقل، وبكبره على كبره، وسعة الصدر على سعة الخلق، وبضيقه على ضيقه، وبجمود العينين وكلال نظرهما على بلادة صاحبهما وضعف حرارة قلبه، ونحو ذلك.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: المدارج (٢/٤٨٣).

## الشرح

### عناصر الموضوع:

#### ١) غرض المصنف من عقد هذا الباب:

بيان أن من معتقد أهل السنة والجماعة التصديق بكرامات الأولياء خلافاً لأهل البدع كالمعتزلة، فإنهم أنكروا كرامات الأولياء بل أنكروا خوارق العادة التي تجري على غير أيدي الأنبياء.

#### ٢) مناسبة هذا الباب لما سبق:

بعد أن قرر المؤلف فيما سبق معتقد أهل السنة والجماعة في الأولياء، مناسب أن يذكر معتقد أهل السنة في كرامات الأولياء.

#### ٣) معاني الكلمات:

الكلمة	المعنى
الكرامات	هي ما يجريه الله تعالى للصالحين من خوارق العادات.

#### ٤) معنى كلام الطحاوي: «ونؤمن بما جاء من كراماتهم وصح عن الثقات

من رواياتهم»:

ونؤمن بما ورد من كرامات الأولياء، وما أجراه الله لهم من خوارق العادات، نؤمن بما ثبت من ذلك، ونرد ما لم يثبت، والأصل في ذلك قوله تعالى: ﴿كَلِمًا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْعَرْبَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِؤُْمَ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧].

وما ورد في حق أولياء الرحمن هو مقصور على أهل الطاعة والرضوان والإيمان دون ما ثبت من خوارق العادات لبعض أولياء الشيطان.

#### ٥) تعريف المعجزة:

المعجزة في اللغة: مأخوذة من العجز وهو ضد القدرة. والمُعجَز هو فاعل العجز في غيره أو مظهر عجز غيره، وإطلاقها على الأمر المخارق لإطلاق مجازي لأنه



يسبب في إظهار المعجز والهاء فيها للمبالغة كما زيدت في راوية ونسابة وعلامة.  
 أما في الاصطلاح، فالمعجزة هي: أمر ممكن عقلاً خارق للعادة يجريه الله تعالى على يد نبي من أنبيائه أو رسول من رسله لإظهار صدق نبوته وصحة رسالته.  
 ويلاحظ: أن المعجزة بمعناها اللغوي تطلق على أمر خارج للعادة سواء كان لنبي أو لغيره، وعلى هذا جرى عرف أئمة العلم المتقدمين، أما المتأخرون منهم فقد جعلوا المعجزة للنبي والكرامة للولي كما في التعريف الذي سبق ذكره.

#### ٦ شروط المعجزة:

- للمعجزة عدة شروط منها:
- ١ - أن تكون أمراً خارقاً للعادة.
  - ٢ - أن تكون على يد نبي أو رسول يتحدى بها من وصلت إليهم دعوته وشملتهم رسالته.
  - ٣ - أن تعجز الأمة عن الإتيان بمثلها على الصورة التي كان التحدي بها.
  - ٤ - ألا يكون الأمر الخارق متضمناً تكذيب مدعي النبوة كما يحكى أنه قيل لمسيمة الكذاب: إن محمداً بصق في عين أرمد فشفيت فأرنا مثل ذلك، فبصق في (عين أرمد فعميت) فحصول الشفاء بمجرد البصق أمر غير معتاد وكذلك حصول العمى.

#### ٧ تعريف الكرامة:

الكرامة في اللغة: اسم مصدر من كرم يكرم تكريماً، وأكرم وإكراماً إذا أعطى بدون مقابل.

وفي الاصطلاح: هي ظهور أمر خارق للعادة من قبل شخص مقارن للإيمان والعمل الصالح من غير دعوى النبوة وهذا لا يكون إلا لولي.

#### ٨ أنواع الكرامات:

- أنواع الكرامات هي:
- ١ - العلوم: وذلك بأن يتحصل الشخص من العلم ما لم يتحصل عليه آخر مثل ما وقع للخضر من العلم كما في سورة الكهف.
  - ٢ - المكاشفات (حسن الظن): وذلك بأن يُخبر بعض الناس بأمر من الأمور على وجه يفيد الظن فيقع على حسب ما أخبر به كرامة له من عند الله.
  - ٣ - القدرة والتأثير: وذلك أن يحصل لشخص من القوة والتأثير ما لا يحصل لآخر وذلك كقصة أصحاب الكهف.

٤ - الرؤية الصادقة .

٥ - الحفظ : وهو أن يحفظ الله بعض عباده من الأولياء من الوقوع في حبائل الشيطان .

### ٩ المقارنة بين المعجزة والكرامة :

المعجزة والكرامة متفتتان في أوجه منها :

أ - متفتتان في أن كلاً منهما أمر خارق للعادة يجريه الله تعالى على يد بعض عباده ..

ب - وتختلفان في أوجه عدة منها :

١ - أن المعجزة تكون للرسول وللنبي ، والكرامة تكون للولي من غير الرسل والأنبياء .

٢ - أن الكرامة تُنال بالتقوى والمعجزة تنال بالنبوة .

٣ - أن الكرامة أخف قدرأ من المعجزة ..

٤ - أن المعجزة مأمونة العاقبة ، فيؤمن على صاحبها من المعاصي بعد فعل الطاعات بخلاف الكرامة فغير مأمونة العاقبة ، لأنه قد تكون من باب الاستدراج كما في قصة «بلعام بن باعوراء» .

٥ - إن صاحب المعجزة يظهرها ويتحدى بها بخلاف صاحب الكرامة . فعليه أن يجتهد في كتمانها .

٦ - أن صاحب المعجزة مأمون التبديل معصوم من الكفر أما صاحب الكرامة فليس كذلك .

### ١٠ ضوابط الكرامة عند أهل السنة :

للكرامات ضوابط عند أهل السنة والجماعة منها :

١ - أن يكون صاحبها مؤمناً تقياً مخلصاً لله ﷻ متبعاً للمصطفى ﷺ .

٢ - أن تكون الكرامة غير مخالفة للشرع .

٣ - أن لا تؤدي الكرامة إلى ترك الواجبات أو فعل المنهيات .

٤ - على من أظهر الله على يديه الكرامة أن لا يزكي نفسه ، وأن لا يعرض

نفسه للفتن بذكر ذلك ، حتى لا يفتن ويقع في الاستدراج<sup>(١)</sup> .

(١) انظر: الفتاوى (٤٣١/١٠، ٢٧٤/١١)، والفرقان (ص٣٥٤)، والموافقات (٤٧٥/٢)،

وتلبس إبليس لابن الجوزي (ص٣٧١)، ولوامع الأنوار البهية (٣٩٧/٢) .

## ١١ أدلة ثبوت الكرامة:

أدلة ثبوت الكرامات عديدة من الكتاب والسنة والآثار:

أ - من الكتاب عدة آيات منها ما يأتي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۗ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

ب - ما ورد في قصة أصحاب الكهف: ﴿إِنَّمَا فَتِيَّةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ﴾ [الكهف: ١٣] وكان في زمانهم ملك ظالم فهربوا منه، فأناهمم الله ثلاثمائة وتسع سنين، ثم أيقظهم بعد نومهم الطويل وفيهم نزل قوله: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ﴾ [الكهف: ١٣] إلى أن قال: ﴿وَلَيْسُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ [الكهف: ٢٥].

ما ورد من قصة مريم حينما ذهبت إلى محراب بمعزل عن الناس فكان يأتيها رزقها من غير أن يقدمه لها أي إنسان، قال تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧].

## ١٢ كرامات الأولياء معجزات الأنبياء:

قال ابن تيمية: «وكرامات أولياء الله إنما حصلت ببركة اتباع الرسول ﷺ فهي في الحقيقة تدخل في معجزات الرسول»<sup>(١)</sup>.

## ١٣ أنواع الخوارق للعادة:

قسم العلماء خوارق العادة إلى ستة أقسام:

- ١ - المعجزة.
- ٢ - الإرهاص: وهو المتقدم للنبوة كتظليل الغمام للنبي ﷺ.
- ٣ - الكرامة.
- ٤ - الاستدراج: وهو الظاهر على يد الفاسق.
- ٥ - الإهانة والاحتقار: ويكون على عكس مراد الشخص كما جرى لمسيلمة الكذاب حينما تفل في بئر عذبة ليزداد الماء، فصار ملحاً أجاجاً.
- ٦ - المعونة: وتظهر على يد عوام وضعفاء المسلمين كتخليص من محنة أو مكروب.

(١) مجموع الفتاوى (١١/٢٧٥).

## ١٤ أقسام الأشياء الخارقة للعادة من حيث الأصل:

الأمر الخارق للعادة: لا يكون إلا من أحد ثلاثة أمور:

١ - إما أن يكون من باب العلم.

٢ - أو من باب القدرة والتأثير.

٣ - أو من باب الغنى.

## ١٥ تبرأ النبي ﷺ من أمور ثلاثة:

أمر الله نبيه محمداً ﷺ أن يتبرأ من دعوى هذه الأمور الثلاثة بقوله: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِن آتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [الأنعام: ٥٠].

وذلك لأمرين.

أولهما: أن هذه الصفات الثلاث لا تصلح على وجه الكمال إلا لله ﷻ، فهو العليم مطلقاً، والقادر قدرة كاملة، والغني غنى كاملاً عما سواه.

ثانيهما: أن المشركين تارة يسألون رسول الله ﷺ أن يخبرهم عن بعض الأمور الغيبية كسؤالهم عن ميعاد الساعة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسِمُهَا﴾ [النازعات: ٤٢].

وتارة يطلبون منه التأثير في الأشياء: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَبُوعًا﴾ [الإسراء: ٩٠].

وتارة يحتجون عليه بالأكل والشرب وفعل ما اعتاد عليه البشر: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧]، فأمر الله نبيه محمداً أن يخبرهم بأنه لا يستطيع عمل شيء من تلك الأشياء إلا إذا أقره الله عليه، فلا يعلم إلا ما أعلمه الله، ولا يقدر إلا على ما أقره الله عليه، ولا يستغني إلا عما أغناه الله عنه.

## ١٦ الحكمة من إجراء الكرامة على يد بعض العباد:

يجري الله ﷻ الكرامة على يد بعض العباد لحكم متعددة منها:

أ - الامتنان على الإنسان بتلبية حاجته كما حصل لأم أيمن رضي الله عنها، فقد روى أنها كانت مهاجرة من مكة إلى المدينة، وكانت صائمة فأصابها من العطش شيء كثير فدعت الله ﷻ والتفتت إلى السماء فإذا دلو معلق شربت منه حتى ارتوت.

ب - حاجة الإنسان إلى ما يقوي إيمانه، فقد يجري الله ﷻ الكرامة على يد بعض الناس فيزداد يقيناً ويتقوى عزمه على فعل الطاعات واجتناب المعاصي.

ج - نصر الله المؤمنين وإحداث الرعب في قلوب أعدائهم كما حصل لخالد بن الوليد رضي الله عنه حينما شرب السم بعد أن قال: (بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء)، فلم يتأثر من ذلك السم فها به الأعداء وها بوا جيشه. وحصل الصلح بين الطرفين.

د - إنقاذ المسلمين من شرّ وقعوا فيه أو معصية ابتلوا بها كما حصل لسارية وكان على جيش من جيوش المسلمين فأحاط به الأعداء فسمع صوت عمر بن الخطاب يجلس: يا سارية الجبل، أي: الزم الجبل، فاعتصموا به وكان في ذلك عصمة من ذلك الشر الذي أحاط بهم.

هـ - الاستدراج: أو الابتلاء والاختبار كما حصل «البلعام بن باعوراء»، وقد كان بني إسرائيل وكان رجلاً صالحاً مستجاب الدعوة أكرمه الله بها، فطلب منه قومه أن يدعو على موسى وقومه فأبى ذلك أول الأمر ثم وافقهم بعد ذلك، فكان كلما دعا عليهم بدعوة أصابت قومه. ثم اندلع لسانه على صدره ونزل فيه قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءآيَاتِنَا فَٱنشَخْ مِنْهَا قَآئِبَهُ ٱلسَّيْطَٰنُ فكَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَنُكَلِّمُهُ ٱلْعَرَبِ ٱلَّيْطَ ﴿١٧٦﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَٰبَ إِن يَحْمِلُوهُ عَلَيْهِ يَلْهَثُونَ أَوْ تَتَرَكَّهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٥ - ١٧٦].

١٧ هل يدل إجراء الكرامة على يد شخص على كرامته عند الله:

إجراء الله تعالى الكرامة على يد عبد من عباده أو إنعامه عليه بصحة أو غنى أو ما أشبه ذلك، وكذلك ابتلاؤه سبحانه للإنسان بالضراء لا يدل الأول على الكرامة ولا يدل الثاني على هوانه عند الله... ودليل ذلك قوله سبحانه: ﴿فَإِمَّا يَنْظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِذَآ مَا أُبْتَلِنَاهُ رَبُّهُ فَٱكْرَمَهُ ۖ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَإِمَّا إِذَآ مَا أُبْتَلِنَاهُ فَقَدَرَهُ فَوَقَرَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿١٦﴾﴾ [الفجر: ١٥، ١٦] الآية، فقد نفت الآية أن يكون الإنعام دليلاً على كرامته كما نفت أن يكون تضييق الرزق دليلاً على هوان الإنسان عند الله فإن الإنسان إذا أطاع الله وشكره على نعمه فهو يثاب على ذلك، أما إن عصاه مع إنعامه عليه وترك شكره فإن ذلك يكون مضرة عليه.

ولهذا كان أصحاب خوارق العادات ثلاثة أقسام:

١ - قسم ترتفع درجته بسبب تلك الخوارق، لما يكون من طاعة الله وشكره على نعمه.

٢ - قسم تنخفض درجته بسبب عدم شكره لله سبحانه على تلك النعم واستعماله تلك الخوارق في معصية الخالق.

٣ - وقسم لا تنخفض درجته ولا ترتفع ويكون ذلك الإنعام إليه كسائر المباحات.

### ١٨ منكر الكرامة، وشبهاتهم والرد عليها:

أنكر المعتزلة كرامات الأولياء، وشبهتهم في ذلك أنهم قالوا: لو سلمنا بوجود الكرامات وهي مشبهة للمعجزات في أن كلاً منهما أمر خارق للعادة لأدى ذلك إلى التباس النبي بالولي ولذلك قالوا: أن الأمر الخارق للعادة لا يكون إلا للأنبياء.

### الرد عليها:

هذه شبهة باطلة ولا يسلم لهم ما ذكروه من أن القول بإثبات الكرامات يترتب عليه التباس النبي بالولي، وذلك لأن الولي لا يدعي النبوة مهما كانت كراماته، والالتباس إنما يكون فيما لو سلمنا بأن الولي يدعي النبوة، أما من ادعى النبوة بعد محمد ﷺ وكان معه أمر خارق فإن كذبه سيظهر لكل من تتبع أحواله، فلا بد أن يظهر عليه من الكذب والدجل واستحواذ الشياطين عليه ما يدل على كذبه.

### ١٩ نوعا كلمات الله:

كلمات الله على نوعين: كونية، ودينية شرعية.  
أما الكلمات الكونية ففي قوله تعالى: ﴿وَقَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الأعراف: ١٣٧]، وفي قوله ﷺ: (أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر).

والكلمات الشرعية الدينية في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أُنزِلَتْ إِبراهيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٢٤].

### ٢٠ الكشف والتأثير باعتبار تنوع كلمات الله تعالى:

كلمات الله تعالى على نوعين:

أولهما: كلمات كونية قدرية، والكون كله داخل تحت هذه الكلمات، وهي التي استعاذ بها النبي ﷺ في قوله: (أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق).

والثاني يشير قوله ﷺ: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾

[يس: ٨٢].

ثانيهما: كلمات دينية شرعية وهي القرآن وشرع الله ﷻ الذي أنزله على رسوله ﷺ. وهو أمره ونهيه وخبره، وحظ العبد منها: العلم بها والعمل بالأمر بما أمر الله به. أما الكشف الثاني: فهو العلم بالمأمورات الشرعية وتأثيرها بالأمر الشرعية أما في نفس الإنسان متدبراً لها فيمثلها، أو يعظ بها غيره فيمثل ذلك الأمر.

### ٢١) معنى الفراسة وأنواعها:

الفراسة في اللغة: مصدر فرس الرجل فلاناً بعينه إذا دقق النظر لإدراك شيء من أموره الباطنة عن طريق النظر لظواهره وهي على ثلاثة أنواع:  
النوع الأول: فراسة إيمانية وسببها نور يقذفه الله ﷻ في قلب عبده المؤمن يعرف به الحق من الباطل والصدق من الكذب، وحقيقتها خاطر يهجم على القلب ينقي ما يضلله ويعارضه، والإيمان سبب لوجود هذه الفراسة فهي تقوى بقوته وتضعف مع ضعفه وهذه خاصة بالمؤمنين.

النوع الثاني: فراسة رياضية: وتكون بالجوع والسهر والتخلي، وذلك لأن النفس إذا تجردت من بعض العوائق تكشفت لها بعض الأمور، وهذه الفراسة مشتركة بين المؤمن والكافر ولا تدل على إيمانه ولا ولايته.

النوع الثالث: فراسة خلقية وهي كاستدلالم بصغر الرأس عن المعتاد على صغر العقل، وبكبره على كبر العقل، وبضيق الصدر على ضيق الخلق، وعلى سعته بسعة الخلق، وباستدلالم بشدة بياض العين على الشجاعة، وبجمود العينين وكلال نظرهما على بلادة صاحبهما ونحو ذلك.

### ٢٢) الفرق بين الكرامة والفراسة:

بينهما عموم وخصوص: فقد تكون الكرامة فراسة وقد لا تكون العكس، والفراسة قد تكون كرامة وقد لا تكون.

### ٢٣) هل عدم حصول الكرامة للمسلم يضر به أم لا؟:

عدم الخوارق علماً وقدرة لا يضر المسلم في دينه، فمن لم ينكشف له شيء من المغيبات ولن يسخر له شيء من الكونيات لا ينتقص ذلك في مرتبته عند الله بل قد يكون عدم ذلك أنفع له، فالخوارق النافعة تابعة للدين خادمة له كما أن الرئاسة النافعة هي التابعة للدين.

وكذلك المال النافع كما كان السلطان والمال النافع بيد النبي ﷺ وأبي بكر وعمر، فمن جعلها هي المقصودة وجعل الدين تابعاً لها ووسيلة إليها لا لأجل

الدين فهو شبيه بمن يأكل الدنيا بالدين وليست حاله كحال من تدين خوف العذاب أو رجاء الجنة، فإن ذلك مأمور به وهو على سبيل نجاة وشريعة صحيحة.

### ٢٤) الفرق بين كرامات الأولياء وخوارق الكهان والسحرة:

١ - كرامات الأولياء: سببها التقوى والعمل الصالح، وأما أعمال المشعوذين والسحرة فسببها الكفر والفسق والفجور.

٢ - كرامات الأولياء: يستعان بها على البر والتقوى أو على أمور مباحة وأما أعمال المشعوذين والسحرة فيستعان بها على أمور محرمة من الشرك وقتل النفس وغير ذلك.

٣ - أن الكرامات تقوى وتزاد بذكر الله وتوحيده، وأما أعمال الشعوذة والسحر فتضعف وتذهب بذكره الله وقراءة القرآن والتوحيد.

٤ - الكرامات ليست من عمل الأولياء إنما هي خلق محض من الله تعالى وأما السحر والشعوذة فمن كسب الساحر.

٥ - أن الكرامات تزيد صاحبها تواضعاً ومحبة لله وإقبالاً على عبادة الله أما السحرة: فإنهم يستغلون الأحوال الشيطانية بجلب الناس إلى تعظيمهم والتقرب إليهم<sup>(١)</sup> المقصود أن كرامات الأولياء لا بد أن يكون سببها الإيمان والتقوى، فما كان بسبب الكفر والفسوق والعصيان فهو من خوارق أعداء الله لا من كرامات أولياء الله، فمن كانت خوارقه لا تحصل بالصلاة والقراءة والذكر وقيام الله والدعاء، وإنما تحصل عند الشرك مثل دعاء الميت الغائب أو بالفسق والعصيان، أو أكل المحرمات كالحيات والزنابير والخنافس كالدم وغيره من النجاسات ومثل الغناء والرقص، ولا سيما مع النسوة الأجانب والمردان وتنقص عند سماع القرآن وتقوى عند سماع مزامير الشيطان وهو يكره سماع القرآن، ينفر عنه ويتكلف، ليس له فيه محبة ولا لذة، ويحب سماع المكاء والتصدية ويجد عنده مواجيد فهذه أحوال شيطانية، فهذا مما يتناوله قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِصَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ ﴿٣٦﴾ [الزخرف: ٣٦].

(١) انظر: شرح الواسطية للهراس (ص ٢٥٤)، تحقيق ياسين العدني.



## ٢٥ الخلاصة:

- ١ - يؤمن أهل السنة والجماعة بما ورد من كرامات الأولياء، وما أجراه الله لهم من خوارق العادات.
- ٢ - المعجزة هي: أمر ممكن عقلاً خارق للعادة يجريه الله تعالى على يد نبي من أنبيائه أو رسولٍ من رسله لإظهار صدق نبوته وصحة رسالته. وله شروط.
- ٣ - الكرامة: أمر ممكن عقلاً خارق للعادة يجريه الله تعالى على يد ولي من أوليائه غير الأنبياء، ولها ضوابط، والكرامات ثابتة بالكتاب والسنة والآثار.
- ٤ - المعجزة والكرامة متفقتان في أوجه، وتختلفان في أوجه.
- ٥ - كرامات أولياء الله إنما حصلت ببركة اتباع الرسول ﷺ، فهي في الحقيقة تدخل في معجزات الرسول.
- ٦ - قسم العلماء خوارق العادة إلى ستة أقسام: المعجزة والإرهاص والكرامة والاستدراج والإهانة والاحتقار والمعونة.
- ٧ - الأمر الخارق للعادة: لا يكون إلا من أحد ثلاثة أمور: إما أن يكون من باب العلم، أو القدرة والتأثير، أو الغنى.
- ٨ - يجري الله ﷻ الكرامة على يد بعض العباد لحكم متعددة.
- ٩ - إجراء الله تعالى الكرامة على يد عبد من عباده أو إنعامه عليه بصحة أو غنى أو ما أشبه ذلك، وكذلك ابتلاؤه سبحانه للإنسان بالضراء لا يدل الأول على الكرامة ولا يدل الثاني على هوانه عند الله.
- ١٠ - أنكر المعتزلة كرامات الأولياء، وشبهتهم في ذلك أن الأمر الخارق للعادة لا يكون إلا للأنبياء. وهي شبهة باطلة.
- ١١ - كلمات الله على نوعين: كونية ودينية شرعية.
- ١٢ - الفراسة في اللغة: مصدر فرس الرجل فلاناً بعينه إذا دقق النظر لإدراك شيء من أموره الباطنة عن طريق النظر لظواهره وهي على ثلاثة أنواع.
- ١٣ - عدم ظهور الخوارق علماً وقدرة لا يضر المسلم في دينه.
- ١٤ - هنا فرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، وفرق بين كرامات الأولياء وخوارق الكهان والسحرة.

## ٣٦ المناقشة:

- س١: بيّن معنى كلام الطحاوي: «ونؤمن بما جاء من كراماتهم وصح عن الثقات من رواياتهم».
- س٢: عرّف المعجزة لغةً واصطلاحاً؟
- س٣: عدّد شروط المعجزة.
- س٤: عرّف الكرامة لغةً واصطلاحاً؟
- س٥: قارن بين المعجزة والكرامة.
- س٦: اذكر ضوابط الكرامة عند أهل السنة.
- س٧: اذكر أدلة ثبوت الكرامة.
- س٨: اشرح العبارة التالية: كرامات الأولياء معجزات الأنبياء.
- س٩: بيّن أنواع الخوارق للعادة.
- س١٠: ما أقسام الأشياء الخارقة للعادة من حيث الأصل.
- س١١: تبرأ النبي ﷺ من أمور ثلاثة، اذكرها مع الدليل.
- س١٢: ما الحكمة من إجراء الكرامة على يد بعض العباد.
- س١٣: هل يدل إجراء الكرامة على يد شخص على كرامته عند الله؟
- س١٤: أنكر الكرامة طائفة، اذكرهم مع بيان شبهاتهم والرد عليها.
- س١٥: ما نوعا كلمات الله؟
- س١٦: فصل القول في الكشف والتأثير باعتبار تنوع كلمات الله تعالى.
- س١٧: ما معنى الفراسة وما أنواعها؟
- س١٨: ما الفرق بين الكرامة والفراسة؟
- س١٩: هل عدم حصول الكرامة للمسلم يضر به أم لا؟
- س٢٠: اذكر الفرق بين كرامات الأولياء وخوارق الكهان والسحرة.

## الإيمان بأشراط الساعة

❖ كلام ابن أبي العز:

- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب.
- ٢ - مناسبة الباب لما سبق.
- ٣ - معاني الكلمات.
- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «ونؤمن بأشراط الساعة من خروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها وخروج دابة الأرض من موضعها».
- ٥ - المراد بأشراط الساعة.
- ٦ - أقسام أشراط الساعة.
- ٧ - أشراط الساعة الكبرى.
- ٨ - أول الآيات ظهوراً.
- ٩ - الخلاصة.
- ١٠ - المناقشة.

## الإيمان بأشراط الساعة

قال ابن أبي العز:

قوله: «ونؤمن بأشراط الساعة من خروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء، ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها وخروج دابة الأرض من موضعها». عن عوف بن مالك الأشجعي، قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وهو في قبة من آدم، فقال: (اعدد ستاً بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين راية، تحت كل راية اثنا عشر ألفاً<sup>(١)</sup>). وروي راية بالراء والغين وهما بمعنى رواه البخاري وأبو داود وابن ماجه والطبراني. وعن حذيفة بن أسيد، قال: اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر الساعة، فقال: (ما تذكرون؟ قالوا: نذكر الساعة، فقال: إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف بالخسوف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم)<sup>(٢)</sup> رواه مسلم. وفي «الصحيحين» واللفظ للبخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ذكر الدجال عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (إن الله لا يخفى عليكم إن الله ليس بأعور، وأشار بيده إلى عينه، وإن المسيح الدجال أعور عين اليمنى كأن عينه عنة طافية)<sup>(٣)</sup>.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من نبي إلا وأنذر قومه الأعور الدجال، ألا إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور ومكتوب بين عينيه كفر) فسره في رواية، أي: كافر.

وروى البخاري وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (والذي

(١) أخرجه البخاري (٣١٧٦). (٢) أخرجه مسلم (٢٩٠١).

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٠٧)، ومسلم (١٦٩).

نفسه بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة خيراً من الدنيا وما فيها)، ثم يقول أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ (١) [النساء: ١٥٩].

وأحاديث الدجال وعيسى ابن مريم ﷺ ينزل من السماء ويقتله ويخرج بأجوج مأجوج في أيامه بعد قتله الدجال فيهلكهم الله أجمعين في ليلة واحدة ببركة دعائه عليهم، ويضيق هذا المختصر عن بسطها.

وأما خروج الدابة وطلوع الشمس من المغرب فقال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ (٨٢) [النمل: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْتِنَانُ لَوْ تَكُنَّ ءَامَنَّتْ مِنْ قَبْلٍ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انظُرُوا إِنَّا مُنظِرُونَ﴾ (١٥٨) [الأنعام: ١٥٨].

وروى البخاري عند تفسير الآية عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا رآها الناس آمن عليها فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل) (٢).

وروى مسلم عن عبد الله بن عمرو قال: حفظت من رسول الله ﷺ حديثاً لم أنسه بعد، سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما ما كانت قبل صاحبها فالأخرى على إثرها قريباً) (٣).

أي أول الآيات التي ليست مألوفة وإن كان الدجال ونزول عيسى ﷺ من السماء قبل ذلك، وكذلك خروج أجوج ومأجوج كل ذلك أمور مألوفة لأنهم بشر مشاهدة مثلهم مألوفة، وأما خروج الدابة بشكل غريب غير مألوف ثم مخاطبتها الناس ووسمها إياهم بالإيمان أو الكفر فأمر خارج عن مجاري العادات، وذلك أول الآيات الأرضية كما أن طلوع الشمس من مغربها على خلاف عاداتها المألوفة أول الآيات السماوية.

وقد أفرد الناس في أحاديث أشراط الساعة مصنفات مشهورة يضيق على بسطها هذا المختصر.

(١) أخرجه البخاري (٢٢٢٢)، ومسلم (١٥٥).

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٣٥)، ومسلم (١٥٧).

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٤١).

## الشرح

### عناصر الموضوع:

#### ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب:

بيان معتقد أهل السنة والجماعة في أشراط الساعة وهي على ثلاثة أقسام:

١ - العلامات الصغرى: وهذه حصلت وانقضت.

٢ - العلامات الوسطى: وهذه ما تزال تحدث، مثل استخراج الكنوز من

الأرض، واجتماع اليهود في فلسطين انتظاراً للدجال، وتوطئة للملاحم التي ستقوم هناك.

٣ - العلامات الكبرى: من خروج الدجال ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام

ونحوها مما سيأتي في المباحث القادمة.

#### ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق:

قرر المصنف أن من أصول أهل السنة اتباع السنة، ومما جاءت به السنة

أشراط الساعة الصغرى والكبرى، فيجب الإيمان بها وتصديق ما جاءت به الأدلة من الكتاب والسنة.

#### ٣ - معاني الكلمات:

الكلمة	المعنى
أشراط	جمع شرط، وهو العلامة.
الساعة	من أسماء يوم القيامة.

#### ٤ - معنى كلام الطحاوي: «ونؤمن بأشراط الساعة من خروج الدجال ونزول

عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها

وخروج دابة الأرض من موضعها»:

ونؤمن بأن للساعة علامات تظهر فتدل على قرب قيام الساعة، وهذه العلامات

قد ذكرها النبي ﷺ في حديثه حيث قال في حق الساعة: (إنها لن تقوم حتى تروا عشر آيات...) فذكر: الدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم... الحديث.

وهذه هي العلامات الكبرى للساعة، وهناك علامات صغرى غيرها.

#### ٥ المراد بأشراط الساعة:

أي علاماتها الدالة على قرب وقوعها. قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ﴾ [محمد: ١٨].

#### ٦ أقسام أشراط الساعة:

وقد قسم العلماء أشراط الساعة إلى ثلاثة أقسام:

١ - العلامات الصغرى: وهذه حصلت وانقضت.

٢ - العلامات الوسطى: وهذه ما تزال تحدث، مثل استخراج الكنوز من الأرض، واجتماع اليهود في فلسطين انتظاراً للدجال، وتوطئة للملاحم التي ستقوم هناك.

٣ - العلامات الكبرى: من خروج الدجال ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام ونحوها مما سيأتي في المبحث القادم.

#### ٧ أشراط الساعة الكبرى:

أشراط الساعة الكبرى:

١ - خروج الدجال.

٢ - خروج الشمس من مغربها.

٣ - خروج الدابة.

٤ - خروج يأجوج ومأجوج.

٥ - نزول عيسى عليه الصلاة والسلام.

٦ - حدوث خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب.

٧ - خروج نار من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم.

#### ٨ أول الآيات ظهوراً:

روى مسلم عن عبد الله بن عمرو قال: حفظت من رسول الله ﷺ حديثاً لم أنسه بعد، سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس

من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما ما كانت قبل صاحبها فالأخرى على إثرها قريباً).

أي أول الآيات التي ليست مألوفة وإن كان الدجال ونزول عيسى عليه السلام من السماء قبل ذلك وكذلك خروج يأجوج ومأجوج كل ذلك أمور مألوفة لأنهم بشر مشاهدة مثلهم مألوفة، وأما خروج الدابة بشكل غريب غير مألوف ثم مخاطبتها الناس ووسمها إياهم بالإيمان أو الكفر فأمر خارج عن مجاري العادات، وذلك أول الآيات الأرضية، كما أن طلوع الشمس من مغربها على خلاف عاداتها المألوفة أول الآيات السماوية.

### ٩ الخلاصة:

- ١ - يؤمن أهل السنة والجماعة بأن للساعة علامات تظهر فتدل على قرب قيام الساعة، وهذه العلامات قد ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه.
- ٢ - أشراط الساعة: أي علاماتها الدالة على قرب وقوعها.
- ٣ - قسّم العلماء أشراط الساعة إلى ثلاثة أقسام: صغرى، ووسطى، وكبرى.
- ٤ - أشراط الساعة الكبرى: خروج الدجال، وخروج الشمس من مغربها، وخروج الدابة، خروج يأجوج ومأجوج، ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام، وحدث الخسف، وخروج نار من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم.
- ٥ - خروج الدابة أول الآيات الأرضية كما أن طلوع الشمس من مغربها على خلاف عاداتها المألوفة أول الآيات السماوية.

### ١٠ المناقشة:

- س١: بيّن معنى كلام الطحاوي: «ونؤمن بأشراط الساعة من خروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها وخروج دابة الأرض من موضعها».
- س٢: ما المراد بأشراط الساعة؟
- س٣: اذكر أقسام أشراط الساعة، مع التمثيل لكل قسم.
- س٤: عدّد أشراط الساعة الكبرى.
- س٥: ما أول الآيات ظهوراً؟ فضّل القول في ذلك.



## الكهانة والعرافة

❖ كلام ابن أبي العز:

- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب.
- ٢ - مناسبة الباب لما سبق.
- ٣ - معاني الكلمات.
- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «ولا نصدق كاهناً ولا عرافاً ولا من يدعي شيئاً يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة».
- ٥ - أنواع المنجمين.
- ٦ - معنى السحر وحكمه.
- ٧ - حكم الساحر.
- ٨ - الأقوال في حقيقة السحر.
- ٩ - السحر الذي فيه كفر اتفاقاً.
- ١٠ - كل رقية فيها شرك لا تجوز.
- ١١ - عدم جواز الاستعانة بالجن.
- ١٢ - معنى استمتاع كل من الإنس والجن بعضهم ببعض.
- ١٣ - رجال الغيب.
- ١٤ - القول بأن الفقراء يسلم لهم حالهم والرد عليه.
- ١٥ - الاعتقاد في بعض البله.
- ١٦ - حديث: «أكثر أهل الجنة البله».
- ١٧ - الطائفة الملامية.

- ١٨ - من يصعق بالأنغام الحسنة ويهذي بسماعها.
- ١٩ - من يجوّز الخروج عن الشريعة متعلقاً بقصة موسى.
- ٢٠ - من يقول بطواف الكعبة معه.
- ٢١ - معنى الكاهن والعراف.
- ٢٢ - حكم الكهانة والعرافة.
- ٢٣ - خطورة إتيان الكهان والعرافين.
- ٢٤ - حكم سؤال العراف.
- ٢٥ - سبل الوقاية من السحر.
- ٢٦ - موقف المسلم من السحرة والمشعوذين.
- ٢٧ - الخلاصة.
- ٢٨ - المناقشة.

## الكهانة والعرافة

قال ابن أبي العز:

قوله: «ولا نصدق كاهناً ولا عرافاً ولا من يدعي شيئاً يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة».

روى مسلم والإمام أحمد عن صفية بنت أبي عبيد عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: (من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم يقبل له صلاة أربعين ليلة)<sup>(١)</sup>.

وروى الإمام أحمد في «مسنده» عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: (من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد)<sup>(٢)</sup>.

والمنجم يدخل في اسم العراف عند بعض العلماء، وعند بعضهم هو في معناه، فإذا كانت هذه حال السائل فكيف بالمسؤول؟

وفي «الصحيحين» و«مسند الإمام أحمد» عن عائشة قالت: سئل رسول الله ﷺ عن الكهان فقال: (ليسوا بشيء)، فقالوا: يا رسول الله، إنهم يحدثون أحياناً بالشيء يكون حقاً، فقال رسول الله ﷺ: (تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة)<sup>(٣)</sup>.

وفي «الصحيح» عنه ﷺ أنه قال: (ثمن الكلب خبيث، ومهر البغي خبيث، وحلوان الكاهن خبيث)<sup>(٤)</sup>.

وحلوانه الذي تسميه العامة: حلاوته، ويدخل في هذا المعنى ما تعاطاه

(١) أخرجه مسلم (٢٩٤١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٣٠)، وأحمد (٦٨/٤).

(٣) أخرجه البخاري (٥٧٦٢)، ومسلم (٢٢٢٨).

(٤) أخرجه مسلم (١٥٦٨).

المنجم وصاحب الأزلام<sup>(١)</sup> التي يستقسم بها مثل الخشبة المكتوب عليها «أ ب ج د»<sup>(٢)</sup> والتضارب بالحصى والذي يخط في الرمل وما تعاطاه هؤلاء حرام. وقد حكى الإجماع على تحريمه غير واحد من العلماء كالبنغوي والقاضي عياض وغيرهما.

وفي «الصحيحين» عن زيد بن خالد قال: خطبنا رسول الله ﷺ بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل فقال: (أندرون ما قال ربكم الليلة؟) قلنا: الله ورسوله أعلم؟ قال: (قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مُطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب)<sup>(٣)</sup>.

وفي «صحيح مسلم» و«مسند أحمد» عن أبي مالك الأشعري أن النبي ﷺ قال: (أربع في أمي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والظعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة)<sup>(٤)</sup>.

والنصوص عن النبي وأصحابه وسائر الأئمة بالنهي عن ذلك أكثر من أن يتسع هذا الموضع لذكرها.

وصناعة التنجيم التي مضمونها الأحكام والتأثير، وهو الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية أو التمزيج بين القوى الفلكية<sup>(٥)</sup> والغوائل الأرضية صناعة محرمة بالكتاب والسنة، بل هي محرمة على لسان جميع المرسلين. قال تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [طه: ٦٩]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّلُوتِ﴾ [النساء: ٥١]، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وغيره: الجبت السحر.

وفي «صحيح البخاري» عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان لأبي بكر غلام يأكل من

(١) الأزلام: واحد زلم وهي قدام الميسر.

(٢) يزعمون أنهم يعرفون حوادث العالم من هذه الحروف.

(٣) أخرجه البخاري (٨٤٦)، ومسلم (٧١).

(٤) أخرجه مسلم (٩٣٤)، وأحمد (٣٤٢/٥).

(٥) انظر: الفتاوى (١٩٢/٣٥).

خواجه فجاء يوماً بشيء فأكل منه أبو بكر فقال له الغلام: تدري ممّ هذا؟ قال: وما هو؟ قال: كنت تكهّنت لإنسان في الجاهلية وما أحسن الكهانة إلاّ أنني خدعته فلقيني فأعطاني بذلك فهذا الذي أكلت منه، فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شيء في بطنه»<sup>(١)</sup>.

والواجب على ولي الأمر وكل قادر أن يسعى في إزالة هؤلاء المنجمين والكهّان والعزّافين وأصحاب الشرب بالرمل والحصى<sup>(٢)</sup> والقرع والقالات ومنعهم من الجلوس في الحوانيت والطرفات أو يدخلوا على الناس في منازلهم لذلك الضرب، ويكفي من يعلم تحريم ذلك ولا يسعى في إزالته مع قدرته على ذلك قوله تعالى: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٩]. وهؤلاء الملاعين يقولون الإثم ويأكلون السحت بإجماع المسلمين. وثبت في «السنن» عن النبي ﷺ برواية الصديق رضي الله عنه قال: (إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه)<sup>(٣)</sup>.

وهؤلاء الذين يفعلون هذه الأفعال الخارجة عن الكتاب والسنة أنواع:

نوع منهم أهل تلبيس وكذب وخداع الذين يظهر أحدهم طاعة الجن له أو يدعي الحال من أهل المحال من المشايخ النصابين والفقراء الكاذبين والطرقية المكارين، فهؤلاء يستحقون العقوبة البليغة التي تردعهم وأمثالهم عن الكذب والتلبيس، وقد يكون في هؤلاء من يستحق القتل كمن يدعي النبوة بمثل هذه الخزعبلات أو يطلب تغيير شيء من الشريعة ونحو ذلك.

ونوع يتكلم في الأمور على سبيل الجد والحقيقة بأنواع السحر. وجمهور العلماء يوجبون قتل الساحر كما هو مذهب أبي حنيفة ومالك وأحمد في المنصوص عنه، وهذا هو المأثور عن الصحابة كعمر وابنه عثمان وغيرهم، ثم اختلف هؤلاء هل يستتاب أم لا؟ وهل يكفر بالسحر أم يقتل لسعيه في الأرض بالفساد. وقالت طائفة: إن قتل بالسحر يقتل وإلا عوقب بدون القتل إذا لم يكن

(١) أخرجه البخاري (٣٨٤٢).

(٢) انظر: أضواء البيان (٤/٤٥٤).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٣٣٨)، والترمذي (٢١٦٨).

في قوله وعمله كفر، وهذا هو المنقول عن الشافعي وهو قول في مذهب أحمد.

وقد تنازع العلماء في حقيقة السحر وأنواعه والأكثر يقولون: إنه قد يؤثر في موت المسحور ومرضه من غير وصول شيء ظاهر إليه، وزعم بعضهم أنه مجرد تخييل<sup>(١)</sup>.

واتفقوا كلهم على أن من كان من جنس دعوة الكواكب السبعة أو غيرها أو خطابها أو السجود لها والتقرب إليها بما يناسبها من اللباس والخواتم والبخور ونحو ذلك، فإنه كفر وهو من أعظم أبواب الشرك فيجب غلقه، بل سدّه وهو من جنس فعل قوم إبراهيم عليه السلام. ولهذا قال ما حكى الله عنه بقوله: ﴿فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ [الصافات: ٨٨، ٨٩]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ آيَاتُ رَمًا كَوَّكَبًا ﴿٧٦﴾﴾ [الأنعام: ٧٦] الآيات إلى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنعام: ٨٢].

واتفقوا كلهم أيضاً على أن كل رقية وتعزيم<sup>(٢)</sup> أو قسم فيه شرك بالله، فإنه لا يجوز التكلم به وإن أطاعته به الجن أو غيرهم، وكذلك كل كلام فيه كفر لا يجوز التكلم به، وكذلك الكلام الذي لا يعرف معناه لا يتكلم به لإمكان أن يكون فيه شرك لا يعرف، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً)<sup>(٣)</sup>.

ولا يجوز الاستعاذة بالجن، فقد ذمّ الله الكافرين على ذلك فقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾ [الجن: ٦] قالوا: كان الإنسي إذا نزل بالوادي يقول: أعوذ بعظيم هذا الوادي من سفهائه فبييت في أمن وجوار حتى يصبح ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦] يعني: الإنس للجن باستعاذتهم بهم رهقاً؛ أي إثماً وطغياناً وجرأة وشرأ، وذلك أنهم قالوا: قد سدنا الجن والإنس، فالجن تعظم في أنفسها وتزداد كفرأ إذا عاملتها الإنس بهذه المعاملة، وقد قال

(١) أنكر طائفة من أهل الكلام فقالوا: إنه لا تأثير للسحر البتة لا من مرض ولا قتل وقال: إنما ذلك تخييل لأعين الناظرين وهذا خلاف ما عليه السلف، انظر: كتاب بدائع الفوائد (٢/٢٢٧).

(٢) العزيمة: هي الرقية وعزّم الراقي قرأ العزائم أو العزائم آيات تقرأ على ذوي العاهات، انظر: حاشية ابن قاسم على كتاب التوحيد (ص ٨٦).

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٠٠).

تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِنَّا كَرِهْنَا لَكُمْ أَنْ تَقُولُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَنِسَاءُ مَنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سبا: ٤٠، ٤١] فهؤلاء الذين يزعمون أنهم يدعون الملائكة ويخاطبونهم بهذه العزائم وأنها تنزل عليهم ضالون وإنما تنزل عليهم الشياطين، وقد قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَمَسُّرُ الْجِنَّ فَلِئْسَ لَكُم مِّنَ الْجِنَّ أَوْلِيَاءُ لَهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا آجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾﴾ [الأنعام: ١٧٨]، فاستمتع الإنسي بالجن في قضاء حوائجه وامتنال أوامره وإخباره بشيء من المغيبات ونحو ذلك، واستمتع الجن بالإنس تعظيمه إياه واستعانته به واستغاثته وخضوعه له.

ونوع منهم يتكلم بالأحوال الشيطانية والكشوف ومخاطبته رجال الغيب، وأن لهم خوارق تقتضي أنهم أولياء الله وكان من هؤلاء من يعين المشركين على المسلمين ويقول: إن الرسول أمره بقتال المسلمين مع المشركين لكون المسلمين قد عصوا وهؤلاء في الحقيقة إخوان المشركين.

والناس من أهل العلم فيهم على ثلاثة أحزاب:

حزب يكذبون بوجود رجال الغيب، ولكن قد عاينهم الناس وثبت عن عاينهم أو حدثه الثقات بما رأوه، وهؤلاء إذا رأوهم وتيقنوا وجودهم خضعوا لهم. وحزب عرفوهم ورجعوا إلى القدر واعتقدوا أن ثم في الباطن طريقاً إلى الله غير طريقة الأنبياء.

وحزب ما أمكنهم أن يجعلوا ولياً خارجاً عن دائرة الرسول فقالوا: يكون الرسول هو ممدداً للطائفتين، فهؤلاء معظمون للرسول جاهلون بدينه وشرعه.

والحق أن هؤلاء من أتباع الشياطين وأن رجال الغيب هم الجن، ويسمون رجالاً كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٤١﴾﴾ [الجن: ٤١] وإلا فالإنس يؤنسون؛ أي يشهدون ويُروون وإنما يحتجب الإنسي أحياناً لا يكون دائماً محتجباً عن أبصار الإنس، ومن ظنهم أنهم من الإنس فمن غلظه وجهه، وسبب الضلال فيهم وافتراق هذه الأحزاب الثلاثة عدم الفرقان بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمن.

ويقول بعض الناس: الفقراء يسلم إليهم حالهم، وهذا كلام باطل بل الواجب عرض أفعالهم وأحوالهم على الشريعة المحمدية، فما وافقها قبل، وما خالفها رد كما قال النبي ﷺ: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)<sup>(١)</sup>.

وفي رواية: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد).

فلا طريقة إلا طريقة الرسول ﷺ، ولا حقيقة إلا حقيقته، ولا شريعة إلا شريعته، ولا عقيدة إلا عقيدته، ولا يصل أحد من الخلق بعده إلى الله وإلى رضوانه وجنته وكرامته إلا بمتابعته باطناً وظاهراً.

ومن لم يكن له مصداقاً فيما أخبر ملتزماً لطاعته فيما أمر في الأمور الباطنة التي في القلوب والأعمال الظاهرة التي على الأبدان لم يكن مؤمناً، فضلاً عن أن يكون ولياً لله تعالى ولو طار في الهواء ومشى على الماء وأنفق من الغيب وأخرج الذهب من الخشب ولو حصل له من الخوارق ماذا عسى أن يحصل، فإنه لا يكون مع تركه الفعل المأمور وعزل المحظور إلا من أهل الأحوال الشيطانية المبعدة لصاحبها عن الله تعالى المقربة إلى سخطه وعذابه، لكن من ليس يكلف من الأطفال والمجانين قد رفع عنهم القلم فلا يعاقبون وليس لهم من الإيمان بالله والإقرار باطناً وظاهراً ما يكونون به من أولياء الله المقربين وحزبه المفلحين وجنده الغالبين، لكن يدخلون في الإسلام تبعاً لأبائهم كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ الْحَقِّنَا بَيْنَهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [التور: ٢١].

فمن اعتقد في بعض البله<sup>(٢)</sup> أو المولعين مع تركه لمتابعة الرسول في أقواله وأفعاله وأحواله أنه من أولياء الله ويفضله على متبعي طريقة الرسول فهو ضال مبتدع مخطئ في اعتقاده، فإن ذاك الأبله إما أن يكون شيطاناً زنديقاً، أو زوكارياً متحليلاً، أو مجنوناً معذوراً، فكيف يفضل على من هو من أولياء الله المتبعين لرسوله أو يساوى به، ولا يقال: يمكن أن يكون هذا متبعاً في الباطن وإن كان تاركاً للاتباع في الظاهر، فإن هذا خطأ أيضاً بل الواجب متابعة الرسول ظاهراً

(١) أخرجه البخاري (٤/٤٤٨) مع الفتح معلقاً.

(٢) البله: جمع الأبله هو الغافل عن الشر المطبوع على الخير.



وباطناً. قال يونس بن عبد الأعلى الصدفي: قلت للشافعي: إن صاحبنا الليث كان يقول: إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء فلا تغفروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة. فقال الشافعي: قصر الليث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بل إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء ويطيير في الهواء فلا تغفروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة.

وأما ما يقوله بعض الناس عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: (اطلعت على أهل الجنة فرأيت أكثر أهلها البله)<sup>(١)</sup>، فهذا لا يصح عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا ينبغي نسبته إليه، فإن الجنة إنما خلقت لأولي الألباب الذين أرشدتهم عقولهم وألبابهم إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر. وقد ذكر الله أهل الجنة بأوصافهم في كتابه فلم يذكر في أوصافهم البله الذي هو ضعف العقل، وإنما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء)<sup>(٢)</sup> ولم يقل البله.

والطائفة الملامية وهم الذين يفعلون ما يلامون عليه ويقولون: نحن متبعون في الباطن ويقصدون إخفاء المرئيين ردوا باطلهم بباطل آخر والصراط المستقيم بين ذلك.

وكذلك الذين يصعقون عند سماع الأنغام الحسنة مبتدعون ضالون، وليس للإنسان أن يستدعي ما يكون سبب زوال عقله ولم يكن في الصحابة والتابعين من يفعل ذلك ولو عند سماع القرآن، بل كانوا كما وصفهم الله تعالى: ﴿إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢] وكما قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضَلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣].

وأما الذين ذكروهم العلماء بخير من عقلاء المجانين، فأولئك كان فيهم خير ثم زالت عقولهم. ومن علامة هؤلاء: أنه إذا حصل في جنونهم نوع من الصحو تكلموا بما كان في قلوبهم من الإيمان ويهتدون بذلك في حال زوال عقلهم بخلاف من كان قبل جنونه كافراً أو فاسقاً لم يكن حدوث جنونه مزبلاً لما ثبت

(١) أخرجه البزار كما في كشف الأستار (١٩٨٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٤١)، ومسلم (٢٧٣٧).

من كفره أو فسقه، وكذلك من جنّ من المؤمنين المتقين يكون محشوراً مع المؤمنين المتقين، وزوال العقل بجنون أو غيره سواه سمي صاحبه مولعاً أو متولهاً لا يوجب مزيد حال، بل حال صاحبه من الإيمان والتقوى يبقى على ما كان عليه من خير وشر لا أنه يزيده أو ينقصه، ولكن جنونه يحرمه الزيادة من الخير كما أنه يمنع عقوبته على الشر ولا يمحو عنه ما كان عليه قبله.

وما يحصل لبعضهم عند سماع الأنغام المطربة من الهذيان والتكلم ببعض اللغات المخالفة للسانه المعروف منه، فذلك شيطان يتكلم على لسانه كما يتكلم على لسان المصروع، وذلك كله من الأحوال الشيطانية، وكيف يكون زوال العقل سبباً أو شرطاً أو تقرّباً إلى ولاية الله كما يظنه كثير من أهل الضلال حتى قال قائلهم:

هم معشر حلوا النظام وخرقوا السياج فلا فرض لديهم ولا نفل  
مجانين إلا أن سر جنونهم عزيز على أبوابه يسجد العقل  
وهذا كلام ضال، بل كافر يظن أن في الجنون سرّاً يسجد العقل على بابه لما رآه من بعض المجانين من نوع مكاشفة أو تصرف عجيب خارق للعادة، ويكون ذلك سبب ما اقترن به من الشياطين كما يكون للسحرة والكهّان، فيظن هذا الضال أن كل من خبل أو خرق عادة كان ولياً لله، ومن اعتقد هذا فهو كافر، فقد قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٧٦﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧٧﴾﴾ [الشعراء: ٢٢١، ٢٢٢] فكل من تنزل عليه الشياطين لا بد أن يكون عنده كذب وفجور.

وأما الذين يتعبدون بالرياضات والخلوات ويتركون الجمع والجماعات فهم الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، قد طبع الله على قلوبهم كما قد ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: (من ترك ثلاث جمع تهاوناً من غير عذر طبع الله على قلبه)<sup>(١)</sup>. وكل من عدل عن اتباع سنة الرسول إن كان عالماً بها فهو مغضوب عليه وإلا فهو ضال، ولهذا شرع الله لنا أن نسأله في كل صلاة أن يهدينا الصراط المستقيم صراط الذين أنعم عليهم من

(١) أخرجه أبو داود (١٠٥٢)، والترمذي (٥٠٠).

النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

وأما من يتعلق بقصة موسى مع الخضر عليه السلام في تجويز الاستغناء عن الوحي بالعلم اللدني الذي يدعيه بعض من عدم التوفيق فهو ملحد زنديق، فإن موسى عليه السلام لم يكن مبعوثاً إلى الخضر ولم يكن الخضر مأموراً بمتابعتة، ولهذا قال له: أنت موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم، ومحمد عليه السلام مبعوث إلى جميع الثقليين، ولو كان موسى وعيسى حينئذ لكانا من أتباعه، وإذا نزل عيسى عليه السلام إلى الأرض إنما يحكم بشرعة محمد، فمن ادعى أنه مع محمد عليه السلام كالخضر مع موسى أو جوز ذلك لأحد من الأمة فليجدد إسلامه وليشهد شهادة الحق فإنه مفارق لدين الإسلام بالكلية، فضلاً عن أن يكون من أولياء الله وإنما هو من أولياء الشيطان، وهذا الموضع مفرق بين زنادقة القوم وأهل الاستقامة.

وكذا من يقول: بأن الكعبة تطوف برجال منهم حيث كانوا، فهلاً خرجت الكعبة إلى الحديبية فطافت برسول الله عليه السلام حين أحصر عنها وهو يود منها نظرة، وهؤلاء لهم شبه بالذين وصفهم الله تعالى حيث يقول: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مِّنْشَرَّةٍ﴾ ﴿٥٢﴾ [المدثر: ٥٢] إلى آخر السورة.

## الشرح

### عناصر الموضوع:

#### ١) غرض المصنف من عقد هذا الباب:

تقرير معتقد أهل السنة أن الغيب لا يطلع عليه إلا الله، لذا يجب على المسلم أن لا يصدق الكهنة والعرّافين فيما يخبرون به من الأمور الغيبية لأن الغيب لا يعلمه إلا الله، وكذلك لا يقبلون من أحد قولاً يخالف ما ثبت في الكتاب والسنة وإجماع الأمة لأن الحق لا يخرج عنها وما عداها فباطل.

#### ٢) مناسبة هذا الباب لما سبق:

قرر المصنف فيما سبق أشراط الساعة الكبرى وهي من الغيب، فيجب علينا الإيمان والتصديق بوقوعها مستقبلاً، وفي هذا الباب يؤكد أن مسائل الغيب لا تؤخذ من الكهان والعرّافين، ولا ممن يدعي شيئاً خلاف الكتاب والسنة.

#### ٣) معاني الكلمات:

المعنى	الكلمة
مصطلح صوفي يطلق على الأقطاب والأوتاد والأبدال والنقباء وغيرهم.	رجال الغيب
مصطلح صوفي ويراد به ما يرد على القلب أو ما يحل به من حزن أو بسط أو قبض.	الحال
يعني البله في أمور الدنيا، لقلة اهتمامهم بها.	البله

#### ٤) معنى كلام الطحاوي: «ولا نصدق كاهناً ولا عرافاً ولا من يدعي شيئاً

يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة»:

ولا نصدق كاهناً ولا عرافاً وهم الذين يدعون علم الغيب، والإخبار بالمغيبات؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ [لقمان: ٣٤] وقال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥]. والنبي ﷺ يقول: (من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد).

وهكذا كل من ادعى شيئاً مخالفاً لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وإجماع الأمة فإننا نرده عليه، ولا نقبله كائناً من كان.

#### ٥ أنواع المنجمين:

وهؤلاء الذين يفعلون هذه الأفعال الخارجة عن الكتاب والسنة أنواع: نوع منهم أهل تلبيس وكذب وخداع الذين يظهر أحدهم طاعة الجن له أو يدعي الحال من أهل المحال من المشايخ النصابين والفقراء الكاذبين والطرقية المكارين، فهؤلاء يستحقون العقوبة البليغة التي تردعهم وأمثالهم عن الكذب والتلبيس، وقد يكون في هؤلاء من يستحق القتل كمن يدعي النبوة بمثل هذه الخزعبلات أو يطلب تغيير شيء من الشريعة ونحو ذلك. ونوع يتكلم في هذه الأمور على سبيل الجد والحقيقة بأنواع السحر.

#### ٦ معنى السحر وحكمه:

السحر لغة: عبارة عما خفي ولطف سببه. وشرعاً: هو ما تعاطاه السحرة من عقد وعزائم ورقى وأعمال تؤثر في القلوب والأبدان، فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه. وحكم السحر: محرم لأنه كفر بالله وشرك مناف للإيمان والتوحيد، ووجه دخول السحر في الشرك من جهتين:

- ١ - من جهة ما فيه من استخدام الشياطين والتعلق بهم.
- ٢ - ومن جهة ما فيه من ادعاء علم الغيب الذي استأثر الله بعلمه.

#### ٧ حكم الساحر:

وجمهور العلماء يوجبون قتل الساحر كما هو مذهب أبي حنيفة ومالك وأحمد في المنصوص عنه، وهذا هو المأثور عن الصحابة كعمر وابنه وعثمان وغيرهم، ثم اختلف هؤلاء هل يستتاب أم لا؟ وهل يكفر بالسحر أم يقتل لسعيه في الأرض بالفساد؟

وقال طائفة: إن قتل بالسحر يقتل وإلا عوقب بدون القتل إذا لم يكن في قوله وعمله كفر، وهذا هو المنقول عن الشافعي وهو قول في مذهب أحمد.

#### ٨ الأقوال في حقيقة السحر:

وقد تنازع العلماء في حقيقة السحر وأنواعه، والأكثر يقولون إنه قد يؤثر في موت

المسحور ومرضه من غير وصول شيء ظاهر إليه وزعم بعضهم أنه مجرد تخييل .

### ٩) السحر الذي فيه كفر اتفاقاً:

واتفقوا كلهم على أن ما كان من جنس دعوة الكواكب السبعة أو غيرها أو خطابها أو السجود لها والتقرب إليها بما يناسبها من اللباس والخواتم والبخور ونحو ذلك فإنه كفر وهو من أعظم أبواب الشرك فيجب غلقه بل سده وهو من جنس فعل قوم إبراهيم عليه السلام، ولهذا قال ما حكى الله عنه بقوله: ﴿فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ [الصفات: ٨٨، ٨٩]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ أَيْلٌ رَأَى كَوْكَبًا﴾ الآيات [الأنعام: ٧٦] . . إلى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ ﴿٨٢﴾ [الأنعام: ٨٢].

### ١٠) كل رقية فيها شرك لا تجوز:

واتفقوا كلهم أيضاً على أن كل رقية وتعزيم أو قسم فيه شرك بالله فإنه لا يجوز التكلم به، وإن أطاعته به الجن أو غيرهم، وكذلك كل كلام فيه كفر لا يجوز التكلم به، وكذلك الكلام الذي لا يعرف معناه لا يتكلم به لإمكان أن يكون فيه شرك لا يعرف، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً).

### ١١) عدم جواز الاستعانة بالجن:

ولا يجوز الاستعانة بالجن فقد ذم الله الكافرين على ذلك فقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يُودُونَ رِجَالًا مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦] قالوا: كان الإنسي إذا نزل بالوادي يقول: أعوذ بعظيم هذا الوادي من سفهائه فيبيت في أمن وجوار حتى يصبح ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦] يعني: الإنس للجن باستعانتهم بهم رهقاً، أي: إثماً وطغياناً وجراءة وشرأ، وذلك أنهم قالوا: قد سُدنا الجن والإنس فالجن تعاضم في أنفسها وتزداد كفراً إذا عاملتها الإنس بهذه المعاملة، وقد قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَكِكَةِ أَهْتُولَاءِ إِنَّا كَرُّ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَإِلْنَا مِن دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ [سبأ: ٤٠، ٤١] فهؤلاء الذين يزعمون أنهم يدعون الملائكة ويخاطبونهم بهذه العزائم وأنها تنزل عليهم ضالون وإنما تنزل عليهم الشياطين.

### ١٢) معنى استمتاع كل من الإنس والجن بعضهم ببعض:

وقد قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَمَعَشَرُ الْجِنُّ قَدِ اسْتَكْرَرْتُمْ مِنَ الْإِنسِ وَقَالَ

أَوْلِيَاءُ لَهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا آجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَلِيدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ [الأنعام: ١٢٨]، فاستمتع الإنسي بالجن في قضاء حوائجه وامتنال أوامره وإخباره بشيء من المغيبات ونحو ذلك، واستمتع الجن بالإنس تعظيمه إياه واستعانه به واستغائه وخضوعه له.

### ١٣ رجال الغيب:

ونوع منهم يتكلم بالأحوال الشيطانية والكشوف ومخاطبة رجال الغيب وأن لهم حوارق تقتضي أنهم أولياء الله، وكان من هؤلاء من يعين المشركين على المسلمين ويقول إن الرسول أمره بقتال المسلمين مع المشركين لكون المسلمين قد عصوا؛ وهؤلاء في الحقيقة إخوان المشركين.

والناس من أهل العلم فيهم على ثلاثة أحزاب:

حزب يكذبون بوجود رجال الغيب، ولكن قد عاينهم الناس وثبت عن عاينهم أو حدثه الثقات بما رأوه، وهؤلاء إذا رأوهم وتيقنوا وجودهم خضعوا لهم. وحزب عرفوهم ورجعوا إلى القدر واعتقدوا أن ثم في الباطن طريقاً إلى الله غير طريقة الأنبياء.

وحزب ما أمكنهم أن يجعلوا ولياً خارجاً عن دائرة الرسول، فقالوا: يكون الرسول هو ممدداً للطائفتين فهؤلاء معظمون للرسول جاهلون بدينه وشرعه.

والحق أن هؤلاء من أتباع الشياطين وأن رجال الغيب هم الجن ويسمون رجالاً كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦]، وإلا فالإنس يؤنسون أي يشهدون ويرون وإنما يحتجب الإنسي أحياناً لا يكون دائماً محتجباً عن أبصار الإنس، ومن ظنهم أنهم من الإنس فمن غلظه وجهله وسبب الضلال فيهم وافتراق هذه الأحزاب الثلاثة عدم الفرقان بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمن.

### ١٤ القول بأن الفقراء يسلم لهم حالهم والرد عليه:

ويقول بعض الناس: الفقراء يسلم إليهم حالهم وهذا كلام باطل، بل الواجب عرض أفعالهم وأحوالهم على الشريعة المحمدية فما وافقها قبل وما خالفها رد كما قال النبي ﷺ: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد). وفي رواية: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد). فلا طريقة إلا طريقة الرسول ﷺ، ولا حقيقة إلا حقيقته، ولا شريعة إلا

شريعته ولا عقيدة إلا عقيدته، ولا يصل أحد من الخلق بعده إلى الله وإلى رضوانه وجنته وكرامته إلا بمتابعته باطناً وظاهراً.

ومن لم يكن له مصداقاً فيما أخبر ملتزماً لطاعته فيما أمر في الأمور الباطنة التي في القلوب والأعمال الظاهرة التي على الأبدان لم يكن مؤمناً فضلاً عن أن يكون ولياً لله تعالى ولو طار في الهواء ومشى على الماء وأنفق من الغيب وأخرج الذهب من الخشب، ولو حصل له من الخوارق ماذا عسى أن يحصل فإنه لا يكون مع تركه الفعل المأمور وعزل المحذور إلا من أهل الأحوال الشيطانية المبعدة لصاحبها عن الله تعالى المقربة إلى سخطه وعذابه، لكن من ليس يكلف من الأطفال والمجانين قد رفع عنهم القلم فلا يعاقبون وليس لهم من الإيمان بالله والإقرار باطناً وظاهراً ما يكونون به من أولياء الله المقربين وحزبه المفلحين وجنده الغالبين، لكن يدخلون في الإسلام تبعاً لأبائهم كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ آلِهِنَا آلِفَنَّا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَهُمْ مِنْ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ أَمْرٍ إِتْمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ ﴿٢١﴾﴾ [الطور: ٢١].

### ١٥ الاعتقاد في بعض البله (١):

فمن اعتقد في بعض البله أو المولعين مع تركه لمتابعة الرسول في أقواله وأفعاله وأحواله أنه من أولياء الله ويفضله على متبعي طريقة الرسول فهو ضال مبتدع مخطئ في اعتقاده، فإن ذاك الأبله إما أن يكون شيطاناً زنديقاً أو زوكارياً متحياً أو مجنوناً معذوراً، فكيف يفضل على من هو من أولياء الله المتبعين لرسوله أو يساوى به؟ ولا يقال يمكن أن يكون هذا متبعاً في الباطن وإن كان تاركاً للاتباع في الظاهر، فإن هذا خطأ أيضاً، بل الواجب متابعة الرسول ظاهراً وباطناً، قال يونس بن عبد الأعلى الصدفي: قلت للشافعي: إن صاحبنا الليث كان يقول إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة، فقال الشافعي: قصر الليث رحمته الله، بل إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء ويطيير في الهواء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة.

(١) البله جمع الأبله: وهو الغافل عن الشر المطبوع على الخير وقيل: هم الذين غلبت عليهم سلامة الصدر وحسن الظن بالناس لأنهم أغفلوا أمر دنياهم فجهلوا حذق التشرف فيها وأقبلوا على آخرتهم فشغلوا أنفسهم، انظر: النهاية (١/١٥٥).



## ١٦ حديث: «أكثر أهل الجنة البله»:

وأما ما يقوله بعض الناس عن رسول الله ﷺ أنه قال: (اطلعت على أهل الجنة فرأيت أكثر أهلها البله)، فهذا لا يصح عن رسول الله ﷺ ولا ينبغي نسبته إليه، فإن الجنة إنما خلقت لأولي الألباب الذين أرشدتهم عقولهم وألبابهم إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وقد ذكر الله أهل الجنة بأوصافهم في كتابه فلم يذكر في أوصافهم البله الذي هو ضعف العقل، وإنما قال النبي ﷺ: (اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء) ولم يقل البله.

## ١٧ الطائفة الملامية:

اللامية: يقصد بهم في المصطلح الصوفي: الذين لا يظهرون للخلق أعمالاً وأسراراً بل يخفون أسرارهم لكمال ذوقهم وقوه شهودهم لربهم وذلك بأن يظهروا ارتكاب المعاصي بحجة عدم لفت الأنظار إلى صلاحهم، بدعوى أن ذلك لن يؤثر في صلاحهم لأن عروقهم قد تشربت بالإخلاص<sup>(١)</sup>.

## ١٨ من يصعق بالأنعام الحسنة ويهدي بسماعها:

وكذلك الذين يصعقون عند سماع الأنعام الحسنة مبتدعون ضالون، وليس للإنسان أن يستدعي ما يكون سبب زوال عقله، ولم يكن في الصحابة والتابعين من يفعل ذلك ولو عند سماع القرآن، بل كانوا كما وصفهم الله تعالى: ﴿إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]، وكما قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَبِّهًا مِثْقَالَ مَثَاثِي تَقْشَعْرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضَلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣].

وأما الذين ذكرهم العلماء بخير من عقلاء المجانين فأولئك كان فيهم خير ثم زالت عقولهم، ومن علامة هؤلاء أنه إذا حصل في جنونهم نوع من الصحو تكلموا بما كان في قلوبهم من الإيمان، ويهتدون بذلك في حال زوال عقلهم بخلاف من كان قبل جنونه كافراً أو فاسقاً لم يكن حدوث جنونه مزيلاً لما ثبت من كفره أو فسقه، وكذلك من جن من المؤمنين المتقين يكون محشوراً مع المؤمنين المتقين، وزوال العقل بجنون أو غيره سواء سمي صاحبه مولعاً أو

(١) انظر: الموسوعة الميسرة (١١٦٢/٢)، والفتاوى (١٦٤/٣٥).

متولهاً لا يوجب مزيد حال، بل حال صاحبه من الإيمان والتقوى يبقى على ما كان عليه من خير وشر لا أنه يزيده أو ينقصه، ولكن جنونه يحرمه الزيادة من الخير كما أنه يمنع عقوبته على الشر ولا يمحو عنه ما كان عليه قبله.

وما يحصل لبعضهم عند سماع الأنغام المطربة من الهذيان والتكلم ببعض اللغات المخالفة للسنة المعروف منه فذلك شيطان يتكلم على لسانه كما يتكلم على لسان المصروع، وذلك كله من الأحوال الشيطانية، وكيف يكون زوال العقل سبباً أو شرطاً أو تقرباً إلى ولاية الله كما يظنه كثير من أهل الضلال حتى قال قائلهم:

هم معشر حلوا النظام وخرقوا الـ  
مجانين إلا أن سر جنونهم  
عزیز علی أبوابه يسجد العقل

وهذا كلام ضال بل كافر يظن أن في الجنون سرّاً يسجد العقل على بابه لما رآه من بعض المجانين من نوع مكاشفة أو تصرف عجيب خارق للعادة، ويكون ذلك سبب ما اقترن به من الشياطين كما يكون للسحرة والكهان، فيظن هذا الضال أن كل من خبل أو خرق عادة كان ولياً لله، ومن اعتقد هذا فهو كافر، فقد قال تعالى: ﴿هَلْ أُتِيكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾ [الشعراء: ٢٢١، ٢٢٢] فكل من تنزل عليه الشياطين لا بد أن يكون عنده كذب وفجور.

١٩ من يجوز الخروج عن الشريعة متعلقاً بقصة موسى:

وأما من يتعلق بقصة موسى مع الخضر عليه السلام في تجويز الاستغناء عن الوحي بالعلم اللدني الذي يدعيه بعض من عدم التوفيق فهو ملحد زنديق، فإن موسى عليه السلام لم يكن مبعوثاً إلى الخضر ولم يكن الخضر مأموراً بمتابعته، ولهذا قال له: أنت موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم، ومحمد عليه السلام مبعوث إلى جميع الثقلين، ولو كان موسى وعيسى حيين لكانا من أتباعه، وإذا نزل عيسى عليه السلام إلى الأرض إنما يحكم بشريعة محمد، فمن ادعى أنه مع محمد عليه السلام كالخضر مع موسى أو جاوز ذلك لأحد من الأمة فليجدد إسلامه وليشهد شهادة الحق فإنه مفارق لدين الإسلام بالكلية فضلاً عن أن يكون من أولياء الله، وإنما هو من أولياء الشيطان وهذا الموضوع مفرق بين زنادقة القوم وأهل الاستقامة وحرك ترى.

٢٠ من يقول بطواف الكعبة معه:

وكذا من يقول بأن الكعبة تطوف برجال منهم حيث كانوا، فهلاً خرجت الكعبة إلى الحديبية فطافت برسول الله عليه السلام حين أحصر عنها وهو يود منها نظرة، وهؤلاء

لهم شبه بالذين وصفهم الله تعالى حيث يقول: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُوقَىٰ صُحُفًا مُّنتَشَرَةً﴾ [المدثر: ٥٢] إلى آخر السورة.

### ٢١ معنى الكاهن والعرّاف:

الكاهن: هو الذي يأخذ عن مسترق السمع ويخبر عن المغيبات في المستقبل.  
العرّاف: هو الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك.

### ٢٢ حكم الكهانة والعرافة:

- الكهانة والعرافة من الشرك، وقد دخلت في الشرك من جهتين:
- ١ - من جهة دعوى مشاركة الله في علم الغيب الذي اختص به.
  - ٢ - ومن جهة التقرب إلى غير الله كاستخدام الشياطين والاستعانة بهم.

### ٢٣ خطورة إتيان الكهان والعرّافين:

يجب على المسلم أن يحذر من الذهاب إلى الكهان والعرّافين وغيرهم ممن يدعون علم الغيب، وأن يحذر غيره من الذهاب إليهم.  
لما في ذلك من أضرار عقدية، ومفاسد خلقية واجتماعية.. الخ.

### ٢٤ حكم سؤال العرّاف:

فمن أتى كاهناً أو عرافاً وصدّقهم فيما يقولون ويزعمون فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ؛ لأنه صدّق أن هناك من يعلم الغيب غير الله تعالى.  
ومن أتاهم ولم يصدقهم لم تقبل له صلاة أربعين يوماً.  
وذلك للأدلة الواردة في ذلك، ومنها:

روى مسلم والإمام أحمد عن صفية بنت أبي عبيد عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: (من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم يقبل له صلاة أربعين ليلة).  
وروى الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: (من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد).

### ٢٥ سبل الوقاية من السحر:

- خير علاج للسحر أن يتقيه المسلم ويحترز منه قبيل وقوعه وحدوثه، وأهم ما يتحصن به المسلم من السحر هو الآتي:
- ١ - قراءة سورة الإخلاص والمعوذتين ثلاث مرات في أول النهار وأول الليل.

٢ - قراءة الآيتين من آخر سورة البقرة، لقول النبي ﷺ: (من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة كفتاه)<sup>(١)</sup>.

٣ - قراءة آية الكرسي وهي أعظم آية في القرآن.

٤ - التعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق في الليل والنهار وعند نزول أي منزل في البناء أو الصحراء لقول النبي ﷺ: (من نزل منزلاً فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك)<sup>(٢)</sup>.

### ٢٦ موقف المسلم من السحر والمشعوذين:

السحر والشعوذة من أعمال الجاهلية التي جاء الإسلام بإبطالها والتحذير من فعلها أو إتيان من يمارسها، فيجب على المسلم أن يبتعد عن السحرة والمشعوذين، ويحذر منهم ومن إتيانهم وسؤالهم أو تصديقهم، فإن ذلك ينقص إيمانه بل قد يبطل إيمانه كله.

### ٢٧ الخلاصة:

١ - لا يصدق أهل السنة والجماعة الكهان ولا العرافين وهم الذين يدعون علم الغيب، والإخبار بالمغيبات.

٢ - السحر: هو ما تعاطاه السحرة من عقد وعزائم ورقى وأعمال تؤثر في القلوب والأبدان فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه.

٣ - حكم السحر: محرم لأنه كفر بالله وشرك مناف للإيمان والتوحيد.

٤ - جمهور العلماء يوجبون قتل الساحر، وقال طائفة إن قتل الساحر يقتل وإلا عوقب بدون القتل إذا لم يكن في قوله وعمله كفر.

٥ - تنازع العلماء في حقيقة السحر وأنواعه، والأكثر يقولون إنه قد يؤثر في موت المسحور ومرضه من غير وصول شيء ظاهر إليه، وزعم بعضهم أنه مجرد تخييل.

٦ - كل رقية فيها شرك لا تجوز.

٧ - لا يجوز الاستعاذة بالجن لأن الله ذم الكافرين على ذلك فقال تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ كَانْتُمْ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يُوَدُّونَ رِجَالًا مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦].

٨ - ويقول بعض الناس: الفقراء يسلم إليهم حالهم وهذا كلام باطل، بل الواجب عرض أفعالهم وأحوالهم على الشريعة المحمدية، فما وافقها قبل،

(٢) رواه مسلم (٢٧٠٨).

(١) رواه البخاري (٥٠٠٨).

- وما خالفها رُدًّا، كما قال النبي ﷺ: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد).
- ٩ - من اعتقد في بعض البله أو المولعين مع تركه لمتابعة الرسول في أقواله وأفعاله وأحواله أنه من أولياء الله ويفضله على متبعي طريقة الرسول فهو ضال مبتدع مخطئ في اعتقاده.
- ١٠ - حديث: (أكثر أهل الجنة البله): لا يصح عن رسول الله ﷺ ولا ينبغي نسبته إليه.
- ١١ - الطائفة الملامية وهم الذين يفعلون ما يلامون عليه ويقولون نحن متبعون في الباطن ويقصدون إخفاء المرائين، ردوا باطلهم بباطل آخر والصراف المستقيم بين ذلك.
- ١٢ - من يصعقون بالأنغام الحسنة ويهزون بسماعها مبتدعون ضالون، وليس للإنسان أن يستدعي ما يكون سبب زوال عقله ولم يكن في الصحابة والتابعين من يفعل ذلك ولو عند سماع القرآن.
- ١٣ - من تعلق بقصة موسى مع الخضر ﷺ في تجويز الاستغناء عن الوحي بالعلم اللدني الذي يدعيه بعض من عدم التوفيق فهو ملحد زنديق، فإن موسى ﷺ لم يكن مبعوثاً إلى الخضر ولم يكن الخضر مأموراً بمتابعته.
- ١٤ - وكذا من يقول بأن الكعبة تطوف برجال منهم حيث كانوا، فهو ملحد زنديق ضال.
- ١٥ - الكاهن: هو الذي يأخذ عن مسترق السمع ويخبر عن المغيبات في المستقبل.
- ١٦ - العراف: هو الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك.
- ١٧ - الكهانة والعرافة من الشرك.
- ١٨ - فمن أتى كاهناً أو عرافاً وصدقهم، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ؛ ومن أتاهم ولم يصدقهم لم تقبل له صلاة أربعين يوماً.
- ١٩ - خير علاج للسحر أن يتقيه المسلم ويحترز منه قبيل وقوعه وحدوثه، وأهم ما يتحصن به المسلم من السحر هو كتاب الله ﷻ.
- ٢٠ - السحر والشعوذة من أعمال الجاهلية التي جاء الإسلام بإبطالها والتحذير من فعلها أو إتيان من يمارسها، فيجب على المسلم أن يبتعد عن السحرة

والمشعوذين، ويحذر منهم ومن إتيانهم وسؤالهم أو تصديقهم، فإن ذلك ينقص إيمانه بل قد يبطل إيمانه كله.

### ٢٨ المناقشة:

- س١: بيّن معنى كلام الطحاوي: «ولا نصدق كاهناً ولا عرافاً ولا من يدعي شيئاً يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة».
- س٢: اذكر أنواع المنجمين؟
- س٣: ما معنى السحر؟ وما حكمه؟
- س٤: بيّن حكم الساحر.
- س٥: اذكر الأقوال في حقيقة السحر.
- س٦: ما هو السحر الذي فيه كفر اتفاقاً؟
- س٧: وضح ضوابط الرقية الشرعية.
- س٨: هل يجوز الاستعانة بالجن؟
- س٩: ما المقصود باستمتاع كل من الإنس والجن بعضهم ببعض؟
- س١٠: من هم رجال الغيب؟
- س١١: كيف ترد على من يقول بأن الفقراء يسلم لهم حالهم؟
- س١٢: ما قولك في اعتقاد بعض الناس في بعض البله؟
- س١٣: ما درجة حديث: (أكثر أهل الجنة البله)؟
- س١٤: تكلم عن الطائفة الملامية.
- س١٥: ما حكم من يصعق بالأنعام الحسنة ويهذي بسماعها؟
- س١٦: كيف ترد على من يجوّز الخروج عن الشريعة متعلقاً بقصة موسى مع الخضر؟
- س١٧: ما حكم من يقول بطواف الكعبة معه؟ وكيف ترد عليه؟
- س١٨: عرف كلاً من الكاهن والعراف.
- س١٩: ما حكم الكهانة والعرافة؟
- س٢٠: بيّن خطورة إتيان الكهان والعرافين.
- س٢١: ما حكم سؤال العراف؟ فضل القول في ذلك.
- س٢٢: اذكر سبل الوقاية من السحر.
- س٢٣: ما موقف المسلم من السحرة والمشعوذين؟

# الحث على الاجتماع والنهي عن التفرق والاختلاف

✽ كلام ابن أبي العز:

- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب.
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق.
- ٣ - معاني الكلمات.
- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «ونرى الجماعة حقاً وصواباً، والفرقة زيفاً وعذاباً».
- ٥ - أدلة الاجتماع والنهي عن الافتراق.
- ٦ - وجوب الرد إلى الكتاب والسنة عند التنازع.
- ٧ - أقسام الناس.
- ٨ - مراتب الافتراق والاختلاف في الدين.
- ٩ - أنواع الاختلاف.
- ١٠ - اختلاف التنوع يكون على وجوه.
- ١١ - اختلاف التضاد.
- ١٢ - موضع الذم في خلاف التنوع.
- ١٣ - أكثر البغي في التنوع وأدلة البغي.
- ١٤ - الاختلاف في كتاب الله على نوعين.
- ١٥ - الخلاصة.
- ١٦ - المناقشة.

## الحث على الاجتماع والنهي عن التفرُّق والاختلاف

قال ابن أبي العز:

قوله: «ونرى الجماعة حقاً وصواباً والفرقة زيغاً وعذاباً».

قال الله تعالى: ﴿وَأَعْيِضُوا بِجِبِلِّ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ

عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٥٥﴾ [آل عمران: ١٠٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ

ثُمَّ يُنَزِّلُهم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ [الأنعام: ١٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١٧٨﴾ إِلَّا مَنْ رَجَعُ رَبُّكَ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩].

فجعل أهل الرحمة مستثنين من الاختلاف وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ

الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾ [البقرة: ١٧٦].

وقد تقدم قوله ﷺ: (إن أهل الكتابين افرقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة

وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة يعني الأهواء كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة)<sup>(١)</sup>.

وفي رواية: قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: (ما أنا عليه وأصحابي)، فبيّن

أن عامة المختلفين هالكون إلا أهل السنة والجماعة وأن الاختلاف واقع لا محالة.

وروى الإمام أحمد عن معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال: (إن الشيطان ذئب

الإنسان كذئب الغنم يأخذ الشاة القاصية والناحية، فإياكم والشعاب وعليكم بالجماعة والعامّة والمسجد)<sup>(٢)</sup>.

وفي «الصحيحين» عن النبي أنه قال لما نزل قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢٣٢/٥).



يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴿ [الأنعام: ٦٥] قال: (أعوذ بوجهك) ﴿ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْضِكُمْ ﴿ [الأنعام: ٦٥] قال: (أعوذ بوجهك) ﴿ أَوْ يَلْسَنُكُمْ شَيْعًا وَيَذِقَ بَعْضُكُم بِأَسِّ بَعْضٍ ﴿ [الأنعام: ٦٥] قال: (هاتان أهون) (١).

فدلّ على أنه لا بدّ أن يلبسهم شيعاً ويذيق بعضهم بأس بعض مع براءة الرسول من هذه الحال وهم فيها في جاهلية، ولهذا قال الزهري: وقعت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ متوافرون، فأجمعوا على أن كل دم أو مال أو قرح أصيب بتأويل القرآن فهو هدر أنزلوه من منزلة الجاهلية.

وقد روى مالك بإسناده الثابت عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول: ترك الناس العمل بهذه الآية، يعني قوله تعالى: ﴿ وَإِن طَافَيْنَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَقْتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقْتُلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ﴾ [الحجرات: ٩] فإن المسلمين لما اقتتلوا كان الواجب الإصلاح بينهم كما أمر الله تعالى، فلما لم يعمل بذلك صارت فتنة وجاهلية.

وهكذا تسلسل النزاع والأمور التي تتنازع فيها الأمة في الأصول والفروع إذا لم يردّ إلى الله والرسول لم يتبين فيها الحق، بل يصير فيها المتنازعون على غير بيّنة من أمرهم، فإن رحمهم الله أقرّ بعضهم بعضاً ولم يبيح بعضهم على بعض كما كان الصحابة في خلافة عمر وعثمان يتنازعون في بعض مسائل الاجتهاد فيقرّ بعضهم بعضاً ولا يعتدي ولا يُعتدى عليه، وإن لم يرحموا وقع بينهم الاختلاف المذموم فبغى بعضهم على بعض إما بالقول مثل تكفيره وتفسيقه، وإما بالفعل مثل حبسه وضربه وقتله والذين امتحنوا الناس بخلق القرآن كانوا من هؤلاء ابتدعوا بدعة وكفروا من خالفهم فيها واستحلوا منع حقه وعقوبته.

فالناس إذا خفي عليهم بعض ما بعث الله به الرسول، إما عادلون وإما ظالمون، فالعادل فيهم الذي يعمل بما وصل إليه من آثار الأنبياء ولا يظلم غيره، والظالم الذي يعتدي على غيرهم وأكثرهم إنما يظلمون مع علمهم بأنهم يظلمون كما قال تعالى: ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَعِيًّا بَيْنَهُمْ ﴾ [البقرة: ٢١٣]، وإلا فلو سلكوا ما علموه من العدل أقرّ بعضهم بعضاً كالمقلدين

(١) أخرجه البخاري (٤٦٢٨).

لأئمة العلم الذين يعرفون من أنفسهم أنهم عاجزون عن معرفة حكم الله ورسوله في تلك المسائل فجعلوا أئمتهم نواباً عن الرسول وقالوا: هذا غاية ما قدرنا عليه، فالعادل منهم لا يظلم الآخر ولا يعتدي عليه بقول ولا فعل مثل: أن يدعي أن قول مقلده هو الصحيح بلا حجة يبيدها ويذم من خالفه مع أنه معذور. ثم إن أنواع الافتراق<sup>(١)</sup> والاختلاف في الأصل قسمان: اختلاف تنوع واختلاف تضاد<sup>(٢)</sup>:

واختلاف التنوع على وجوه منه ما يكون كل واحد من القولين أو الفعلين حقاً مشروعاً، كما في القراءات التي اختلف فيها الصحابة رضي الله عنهم حتى زجرهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال: (كلاكما محسن).

ومثله اختلاف الأنواع في صفة الأذان والإقامة والاستفتاح ومحل سجود السهو والتشهد وصلاة الخوف وتكبيرات العيد ونحو ذلك مما قد شرع جميعه وإن كان بعض أنواعه أرجح أو أفضل.

ثم تجد لكثير من الأمة في ذلك الاختلاف ما أوجب اقتتال طوائف منهم على شفع الإقامة وإيثارها ونحو ذلك، وهذا عين المحرم، وكذا تجد كثيراً منهم في قلبه من الهوى لأحد هذه الأنواع والإعراض عن الآخر والنهي عنه ما دخل به فيما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم.

ومنه ما يكون كل من القولين هو في المعنى القول الآخر، لكن العبارتان مختلفتان كما يختلف كثير من الناس في ألفاظ الحدود وصيغ الأدلة والتعبير عن المسميات ونحو ذلك، ثم الجهل أو الظلم يحمل على حمد إحدى المقالتين وذم الأخرى والاعتداء على قائلها ونحو ذلك.

وأما اختلاف التضاد فهو القولان المتنافيان، إما في الأصول وإما في الفروع عند الجمهور الذين يقولون: المصيب واحد، والخطب في هذا أشد؛ لأن القولين يتنافيان، لكن نجد كثيراً من هؤلاء قد يكون القول الباطل الذي مع منازعه فيه حق ما أو معه دليل يقتضي حقاً ما فيرد الحق مع الباطل حتى يبقى هذا مبطلاً في

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/١٢٨ - ١٤٠).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤١٠).

البعض كما كان الأول مبطلاً في الأصل وهذا يجري كثيراً لأهل السنة. وأما أهل البدعة فالأمر فيهم ظاهر، ومن جعل الله له هداية ونوراً رأى من هذا ما تبين له منفعة ما جاء في الكتاب والسنة من النهي عن هذا وأشباهه وإن كانت القلوب الصحيحة تنكر هذا لكن نور على نور.

والاختلاف الأول الذي هو اختلاف التنوع فالذم فيه واقع على من بغى على الآخر فيه، وقد دلّ القرآن على حمد كل واحد من الطائفتين في مثل ذلك إذا لم يحصل بغى كما في قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْسَةٍ أَوْ نَزَعْتُمْهَا فَأَيْمَةٌ عَلَىٰ أَسْوَلِهَا فَيُؤْذِنُ اللَّهُ﴾ [الحشر: ٥]، وقد كانوا اختلفوا في قطع الأشجار فقطع قوم وترك آخرون.

وكما في قوله تعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَمْكُمَانِ فِي الْمَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٨، ٧٩] فخص سليمان بالفهم وأتى عليهما بالحكم والعلم.

وكما في إقرار النبي ﷺ يوم بني قريظة لمن صلى العصر في وقتها ولمن أخرها إلى أن وصل إلى بني قريظة.

وكما في قوله ﷺ: (إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر) (٢). ونظائر ذلك.

والاختلاف الثاني: هو ما حمد فيه إحدى الطائفتين وذمت الأخرى كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْنَا الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ ائْتَفَقُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وقوله تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ أَخْلَصُوا فِي رِيبِهِمَا فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ﴾ [الحج: ١٩].

وأكثر الاختلاف الذي يؤول إلى الأهواء بين الأمة من القسم الأول، وكذلك إلى سفك الدماء واستباحة الأموال والعداوة والبغضاء لأن إحدى الطائفتين لا تعترف للأخرى بما معها من الحق ولا تنصفها، بل تزيد على ما مع نفسها من

(١) أخرجه البخاري (٩٤٦)، ومسلم (١٧٧٠).

(٢) أخرجه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦).

الحق زيادات من الباطل والأخرى كذلك، ولذلك جعل الله مصدره البغي في قوله: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَدْمٍ مَا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ بَيِّنَاتٍ بَيْنَهُمْ﴾ [البقرة: ٢١٣]، لأن البغي مجاوزة الحد، وذكر هذا في غير موضع من القرآن ليكون عبرة لهذه الأمة.

وقريب من هذا الباب ما خرجاه في «الصحيحين» عن أبي الزناد عن الأعرج، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم).

فأمرهم بالإمساك عما لم يؤمروا به معللاً بأن سبب هلاك الأولين إنما كان كثرة السؤال ثم الاختلاف على الرسل بالمعصية.

ثم الاختلاف في الكتاب من الذين يقرون به على نوعين:  
أحدهما: اختلاف في تنزيله.

والثاني: اختلاف في تأويله وكلاهما فيه إيمان ببعض دون بعض.

فالأول كاختلافهم في تكلم الله بالقرآن وتنزيله، فطائفة قالت: هذا الكلام حصل بقدرته ومشيبته لكونه مخلوقاً في غيره لم يقم به، وطائفة قالت: بل هو صفة له قائم بذاته ليس بمخلوق لكنه لا يتكلم بمشيئته وقدرته، وكل من الطائفتين جمعت في كلامها بين حق وباطل فأمنت ببعض الحق وكذبت بما تقوله الأخرى من الحق وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك.

وأما الاختلاف في تأويله الذي يتضمن الإيمان ببعض دون بعض فكثير، كما في حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: خرج رسول الله على أصحابه ذات يوم وهم يختصمون في القدر، هذا ينزع بآية، وهذا ينزع بآية، فكأنما فقي في وجهه حب الرمان فقال: (أبهذا أمرتم أم بهذا وكلتم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض، انظروا ما أمرتم به فاتبعوه وما نهيتم عنه فانتهوا)<sup>(١)</sup>.

وفي رواية: (يا قوم بهذا ضلت الأمم قبلكم باختلافهم على أنبيائهم وضربهم

(١) تقدم تخريجه.

الكتاب بعضه ببعض، وإن القرآن لم ينزل لتضربوا بعضه ببعض، ولكن نزل القرآن يصدق بعضه بعضاً، ما عرفتم منه فاعملوا به وما تشابه فآمنوا به).

وفي رواية: (فإن الأمم قبلكم لم يلعنوا حتى اختلفوا، وإن المرء في القرآن كفر)، وهو حديث مشهور مخرج في المسانيد والسنن.

وقد روى أصل الحديث مسلم في «صحيحه» من حديث عبد الله بن رباح الأنصاري أن عبد الله بن عمرو قال: هجرت إلى النبي ﷺ يوماً فسمع أصوات رجلين اختلفا في آية، فخرج علينا رسول الله يعرف في وجهه الغضب فقال: (إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب)<sup>(١)</sup>.

وجميع أهل البدع مختلفون في تأويله مؤمنون ببعضه دون بعض يقرون بما يوافق رأيهم من الآيات وما يخالفه، إما أن يتأولوه تأويلاً يحرفون فيه الكلم عن مواضعه، وإما أن يقولوا هذا متشابه لا يعلم أحد معناه فيجحدوا ما أنزله من معانيه وهو في معنى الكفر بذلك، لأن الإيمان باللفظ بلا معنى هو من جنس إيمان أهل الكتاب كما قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: ٥]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَفْقَهُونَ كِتَابَ اللَّهِ أَفَآيَاتِهِ﴾ [البقرة: ٧٨] أي إلا تلاوة من غير فهم معناه، وليس هذا كالمؤمن الذي فهم ما فهم من القرآن فعمل به واشتبه عليه بعضه فوكل علمه إلى الله كما أمره النبي ﷺ بقوله: (فما عرفتم منه فاعملوا به وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه) فامتثل ما أمر نبيه ﷺ.

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٦).

## الشرح

### عناصر الموضوع:

#### ١ غرض المصنف من عقد هذا الباب:

تقرير معتقد أهل السنة والجماعة في أن الاجتماع حق وأنه يجب على الأمة أن تجتمع على الحق، والفرقة عذاب، فالاجتماع للأمة على الحق رحمة والفرقة بينها عذاب.

#### ٢ مناسبة هذا الباب لما سبق:

قرر المؤلف فيما سبق أن من أصول أهل السنة اتباع السنة والجماعة واجتناب الشذوذ والفرقة، فناسب أن يؤكد على أن من صميم عقيدة أهل السنة أن اجتماع الأمة على الحق رحمة والفرق بينها عذاب.

#### ٣ معاني الكلمات:

المعنى	الكلمة
هو الخروج عن طاعة الله ﷻ.	الفسق

#### ٤ معنى كلام الطحاوي: «ونرى الجماعة حقاً وصواباً، والفرقة زيفاً وعذاباً»:

ونرى الجماعة هي الحق والصواب، والطريق المستقيم، وهي الفرقة الناجية، وهي ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، وما عداها من فرق الضلال فزيغ وضلال وميل عن الحق وعذاب في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣].

#### ٥ أدلة الاجتماع والنهي عن الافتراق:

قال الله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾ [آل عمران: ١٠٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَأَنتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الأنعام: ١٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١٧٨﴾ إِلَّا مَنْ رَجَعَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩].  
فجعل أهل الرحمة مستثنين من الاختلاف، وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة: ١٧٦].  
وقد تقدم قوله ﷺ: (إن أهل الكتابين افرقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة يعني الأهواء كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة)<sup>(١)</sup>.

وفي رواية: قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: (ما أنا عليه وأصحابي) فبيّن أن عامة المختلفين هالكون إلا أهل السنة والجماعة وأن الاختلاف واقع لا محالة.

وروى الإمام أحمد عن معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال: (إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ الشاة القاصية والناحية، فإياكم والشعاب وعليكم بالجماعة والعامّة والمسجد).

وفي الصحيحين عن النبي أنه قال لما نزل قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥] قال: (أعوذ بوجهك) ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْضِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥] قال: (أعوذ بوجهك) ﴿أَوْ يَلْسَمُكُمْ شَيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥] قال: (هاتان أهون).

فدل على أنه لا بد أن يلبسهم شيعاً ويذيق بعضهم بأس بعض مع براءة الرسول من هذه الحال وهم فيها في جاهلية، ولهذا قال الزهري: وقعت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ متوافرون فأجمعوا على أن كل دم أو مال أو قرح أصيب بتأويل القرآن فهو هدر أنزلوهم منزلة الجاهلية.

وقد روى مالك بإسناده الثابت عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول: ترك الناس العمل بهذه الآية يعني قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَتِلُوا الَّتِي تَبَغَىٰ حَتَّىٰ نَفَىٰءَ إِلَيْكَ أَمْرٌ بِاللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩]، فإن المسلمين لما اقتتلوا كان الواجب الإصلاح بينهم كما أمر الله تعالى، فلما لم يعمل بذلك صارت فتنة وجاهلية.

(١) أخرجه أحمد (٥/٢٣٢)، والطبراني في الكبير (٣٤٥).

## ٦ وجوب الرد إلى الكتاب والسنة عند التنازع:

وهكذا تسلسل النزاع والأمور التي تتنازع فيها الأمة في الأصول والفروع إذا لم ترد إلى الله والرسول لم يتبين فيها الحق بل يصير فيها المتنازعون على غير بيئة من أمرهم، فإن رحمهم الله أقر بعضهم بعضاً ولم ييغ بعضهم على بعض كما كان الصحابة في خلافة عمر وعثمان يتنازعون في بعض مسائل الاجتهاد فيقر بعضهم بعضاً ولا يعتدي ولا يُعتدى عليه، وإن لم يرحموا وقع بينهم الاختلاف المذموم فبغى بعضهم على بعض إما بالقول مثل تكفيره وتفسيقه، وإما بالفعل مثل حبسه وضربه وقتله والذين امتحنوا الناس بخلق القرآن كانوا من هؤلاء ابتدعوا بدعة وكفروا من خالفهم فيها واستحلوا منه حقه وعقوبته.

## ٧ أقسام الناس:

فالناس إذا خفي عليهم بعض ما بعث الله به الرسول: أ - إما عادلون، ب - وإما ظالمون فالعادل فيهم الذي يعمل بما وصل إليه من آثار الأنبياء ولا يظلم غيره، والظالم: الذي يعتدي على غيره وأكثرهم إنما يظلمون مع علمهم بأنهم يظلمون كما قال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغِيًّا بَيْنَهُمْ﴾ [البقرة: ٢١٣]، وإلا فلو سلكوا ما علموه من العدل أقر بعضهم بعضاً كالمقلدين لأئمة العلم الذين يعرفون من أنفسهم أنهم عاجزون عن معرفة حكم الله ورسوله في تلك المسائل فجعلوا أئمتهم نواباً عن الرسول وقالوا هذا غاية ما قدرنا عليه، فالعادل منهم لا يظلم الآخر ولا يعتدي عليه بقول ولا فعل مثل أن يدعي أن قول مقلده هو الصحيح بلا حجة عنده ويذم من خالفه مع أنه معذور.

## ٨ مراتب الافتراق والاختلاف في الدين:

أ - المرتبة الأولى: مخالفة أصل الدين وهم أعظم مراتب الافتراق مثل دعاء الأموات أو التقرب للكواكب وعبادة غير الله وإقامة المشاهد من فرق الرافضة والباطنية والقبورية وغيرهم.

ب - المرتبة الثانية: الافتراق البدعي غير الكفري، مثل الذي حصل من الخوارج من تكفير بالمعصية والخروج على الجماعة.

ج - المرتبة الثالثة: الافتراق في المسائل العملية في مسائل الفقه بين الأئمة المجتهدين، فإذا اجتهد العالم وتحرى الحق وأصاب فله أجران، وإذا اجتهد وتحرى الحق فأخطأ فله أجر واحد على اجتهاده، وأما من قال قولاً ليس فيه



بمتحرٍ للحق وإنما هو نتيجة عن هوى فهذا يأثم ولا يؤجر<sup>(١)</sup>.

### ٩ أنواع الاختلاف

للاختلاف أنواع بحسب اعتباراته والمقصود منه، وهو كالاتي:

أولاً: أنواع الاختلاف باعتبار حقيقته وهو ينقسم إلى قسمين:

أ - اختلاف تنوع.

ب - اختلاف تضاد.

ثانياً: أنواع الاختلاف باعتبار موضوعه، وهو ينقسم إلى قسمين:

أ - اختلاف في المسائل الاعتقادية.

ب - اختلاف في المسائل الفقهية.

ثالثاً: الاختلاف باعتبار حكمه وهو ينقسم إلى قسمين:

أ - اختلاف سائغ.

ب - اختلاف مذموم<sup>(٢)</sup>.

### ١٠ اختلاف التنوع يكون على وجوه:

اختلاف التنوع يكون على وجوه منها:

الوجه الأول: أن تتنوع الأسماء والصفات مع اتحاد المسمى فيعبر على واحد

منهم عن معنى في المسمى غير المعنى الآخر مع اتحاد المسمى كما قيل في اسم السيف: الصارم والمهند<sup>(٣)</sup>.

الوجه الثاني: أن يكون كل واحد من القولين أو الفعلين حقاً مشروعاً كما في

القراءات التي اختلف فيها الصحابة رضي الله عنهم حتى نجدهم النبي صلى الله عليه وسلم.

الوجه الثالث: أن يذكر من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل وتنبية

المستمع على النوع الأعلى سبيل الحد المطابق للمحدود في عمومته وخصوصه<sup>(٤)</sup>.

### ١١ اختلاف التضاد:

هو القولان المتنافيان، فإن كان في الاعتقاد فينتج عنه الفرقة والاختلاف الحقيقي.

(١) انظر: جامع شروح الطحاوية (ص ١٣٥٦).

(٢) انظر: أدب الخلاف لصالح بن حميد (ص ١١).

(٣) مجموع الفتاوى (١٣/١٧٨).

(٤) انظر المصدر السابق (١٣/١٨٠).

## ١٢ موضع الذم في خلاف التنوع:

واختلاف التنوع الذم فيه واقع على من بغى على الآخر فيه، وقد دل القرآن على حمد كل واحد من الطائفتين في مثل ذلك إذا لم يحصل بغى كما في قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٥] وقد كانوا اختلفوا في قطع الأشجار فقطع قوم وترك آخرون.

وكما في قوله تعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَمْكُتَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَمٌّ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٨، ٧٩] فخص سليمان بالفهم وأثنى عليهما بالحكم والعلم.

وكما في إقرار النبي ﷺ يوم بني قريظة لمن صلى العصر في وقتها ولمن أخرها إلى أن وصل إلى بني قريظة.

وكما في قوله ﷺ: (إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر). ونظائر ذلك.

## ١٣ أكثر البغي في التنوع وأدلة البغي:

أكثر الاختلاف الذي يؤول إلى الأهواء بين الأمة من القسم الأول - اختلاف التنوع - وكذلك إلى سفك الدماء واستباحة الأموال والعداوة والبغضاء لأن إحدى الطائفتين لا تعترف للأخرى بما معها من الحق ولا تنصفها بل تزيد على ما مع نفسها من الحق زيادات من الباطل والأخرى كذلك، ولذلك جعل الله مصدره البغي في قوله: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [البقرة: ٢١٣] لأن البغي مجاوزة الحد، وذكر هذا في غير موضع من القرآن ليكون عبرة لهذه الأمة.

وقريب من هذا الباب ما خرجاه في الصحيحين عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم).

فأمرهم بالإسك عما لم يؤمروا به معللاً بأن سبب هلاك الأولين إنما كان كثرة السؤال ثم الاختلاف على الرسل بالمعصية.

## ١٤ الاختلاف في كتاب الله على نوعين:

الاختلاف في الكتاب من الذين يقرون به على نوعين:

أحدهما: اختلاف في تنزيله.

والثاني: اختلاف في تأويله، وكلاهما فيه إيمان ببعض دون بعض.

فالأول كاختلافهم في تكلم الله بالقرآن وتنزيله، فطائفة قالت هذا الكلام حصل بقدرته ومشيئته لكونه مخلوقاً في غيره لم يقم به، وطائفة قالت بل هو صفة له قائم بذاته ليس بمخلوق، لكنه لا يتكلم بمشيئته وقدرته، وكل من الطائفتين جمعت في كلامها بين حق وباطل فأمنت ببعض الحق وكذبت بما تقوله الأخرى من الحق وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك.

وأما الاختلاف في تأويله الذي يتضمن الإيمان دون بعض فكثير كما في حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: خرج رسول الله على أصحابه ذات يوم وهم يختصمون في القدر هذا ينزع بآية وهذا ينزع بآية فكأنما فقي في وجهه حب الرمان فقال: (أبهذا أمرتم أم بهذا وكلمتم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض، انظروا ما أمرتم به فاتبعوه وما نهيتم عنه فانتهوا).

وفي رواية: (يا قوم بهذا ضلت الأمم قبلكم باختلافهم على أنبيائهم وضربهم الكتاب بعضه ببعض، وإن القرآن لم ينزل لتضربوا بعضه ببعض، ولكن نزل القرآن يصدق بعضه بعضاً، ما عرفتم منه فاعملوا به وما تشابهه فآمنوا به).

وفي رواية: (فإن الأمم قبلكم لم يلعنوا حتى اختلفوا وإن المرء في القرآن كفر) وهو حديث مشهور مخرج في المسانيد والسنن.

وقد روى أصل الحديث مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن رباح الأنصاري أن عبد الله بن عمرو قال: هجرت إلى النبي ﷺ يوماً فسمع أصوات رجلين اختلفا في آية فخرج علينا رسول الله يعرف في وجهه الغضب فقال: (إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب).

وجميع أهل البدع مختلفون في تأويله مؤمنون ببعضه دون بعض يقرون بما يوافق رأيهم من الآيات وما يخالفه، إما أن يتأولوه تأويلاً يحرفون فيه الكلم عن مواضعه، وإما أن يقولوا هذا متشابه لا يعلم أحد معناه فيجحدوا ما أنزله من معانيه وهو في معنى الكفر بذلك لأن الإيمان باللفظ بلا معنى هو من جنس إيمان أهل الكتاب كما قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: ٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي﴾ [البقرة: ٧٨] أي: إلا تلاوة من غير فهم معناه، وليس هذا كالمؤمن الذي فهم ما فهم من القرآن فعمل، واشتبه عليه بعضه فوكل علمه

إلى الله كما أمره النبي ﷺ بقوله: (فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه) فامتثل ما أمر نبيه ﷺ.

### ١٥ الخلاصة:

- ١ - يرى أهل السنة والجماعة أن الجماعة هي الحق والصواب، والطريق المستقيم، وهي الفرقة الناجية، وهي ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه.
- ٢ - الأدلة متوافرة على الحث على الاجتماع والنهي عن الافتراق.
- ٣ - وجوب الرد إلى الكتاب والسنة عند التنازع.
- ٤ - الناس إذا خفي عليهم بعض ما بعث الله به الرسول إما عادلون وإما ظالمون.
- ٥ - إن أنواع الافتراق والاختلاف في الأصل قسمان اختلاف تنوع واختلاف تضاد.
- ٦ - اختلاف التنوع الذم فيه واقع على من بغى على الآخر فيه، وقد دل القرآن على حمد كل واحد من الطائفتين في مثل ذلك إذا لم يحصل بغى.
- ٧ - أكثر الاختلاف الذي يؤول سفك الدماء واستباحة الأموال والعداوة والبغضاء، هو من باب اختلاف التنوع.
- ٨ - الاختلاف في الكتاب من الذين يقرون به على نوعين: أحدهما اختلاف في تنزيهه، والثاني اختلاف في تأويله، وكلاهما فيه إيمان ببعض دون بعض.

### ١٦ المناقشة:

- س١: بين معنى كلام الطحاوي: «ونرى الجماعة حقاً وصواباً، والفرقة زيغاً وعذاباً».
- س٢: اذكر أدلة الاجتماع والنهي عن الافتراق.
- س٣: إلى أي شيء يجب الرد عند التنازع؟
- س٤: فصل القول في أقسام الناس إذا خفي عليهم بعض ما بعث الله به الرسول ﷺ.
- س٥: ما أقسام الاختلاف؟
- س٦: أين موضع الذم في خلاف التنوع؟
- س٧: اذكر أدلة البغي.
- س٨: ما أنواع الاختلاف في كتاب الله؟

## الدين عند الله الإسلام

✽ كلام ابن أبي العز:

- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب.
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق.
- ٣ - معاني الكلمات.
- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «ودين الله في الأرض والسماء واحد وهو دين الإسلام، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] وهو بين الغلو والتقصير وبين التشبيه والتعطيل وبين الجبر والقدر وبين الأمن والإياس».
- ٥ - أدلة أن الدين عند الله الإسلام.
- ٦ - ظهور الإسلام.
- ٧ - تعليم النبي ﷺ كلاً بحسبه.
- ٨ - معنى قول الطحاوي: «بين الغلو والتقصير».
- ٩ - معنى قول الطحاوي: «بين التشبيه والتعطيل».
- ١٠ - معنى قول الطحاوي: «بين الجبر والقدر».
- ١١ - معنى قول الطحاوي: «بين الأمن والإياس».
- ١٢ - الخلاصة.
- ١٣ - المناقشة.

## الدين عند الله الإسلام

قال ابن أبي العز:

قوله: «ودين الله في الأرض والسماء واحد وهو دين الإسلام. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وهو بين الغلو والتقصير، وبين التشبيه والتعطيل، وبين الجبر والقدر، وبين الأمن والإياس».

ثبت في «الصحيح» عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد)<sup>(١)</sup>. وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥] عام في كل زمان، ولكن الشرائع تتنوع كما قال تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

فدين الإسلام هو ما شرعه الله صلى الله عليه وسلم لعباده على السنة رسله، وأصل هذا الدين وفروعه روايته عن الرسل وهو ظاهر غاية الظهور يمكن كل مميز من صغير وكبير وفصيح وأعجم وذكي وبليد أن يدخل فيه بأقصر زمان، وإنه يقع الخروج منه بأسرع من ذلك من إنكار كلمة أو تكذيب أو معارضة أو كذب على الله أو ارتياب في قول الله تعالى أو رد لما نزل أو شك فيما نفى الله عنه الشك، أو غير ذلك مما في معناه.

فقد دلّ الكتاب والسنة على ظهور دين الإسلام وسهولة تعلمه وأنه يتعلمه الوافد، ثم يولي في وقته واختلاف تعليم النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الألفاظ بحسب من يتعلم، فإن كان بعيد الوطن كضمام بن ثعلبة النجدي ووفد عبد القيس علمهم ما لم يسعهم جهله مع علمه أن دينه سينشر في الآفاق ويرسل إليهم من يفقههم في سائر ما يحتاجون إليه، ومن كان قريب الوطن يمكنه الإتيان كل وقت بحيث يتعلم

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٢)، ومسلم (٢٣٦٥).

على التدرج، أو كان قد علم فيه أنه قد عرف ما لا بد منه أجابه بحسب حاله وحاجته على ما تدل قرينة حال السائل كقوله: «قل آمنت بالله ثم استقم»<sup>(١)</sup>.

وأما من شرع ديناً لم يأذن به الله، فمعلوم أن أصوله المستلزمة له لا يجوز أن تكون منقولة عن النبي ﷺ ولا عن غيره من المرسلين، إذ هو باطل وملزوم الباطل باطل، كما أن لازم الحق حق.

وقوله: «بين الغلو والتقصير»، قال تعالى: ﴿يَتَاهَلَّ الْكِتَابُ لَا تَقْلُوبُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقْلُوبُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١]، ﴿قُلْ يَتَاهَلَّ الْكِتَابُ لَا تَقْلُوبُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٧٧].

وقال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَمَسُّوْا إِنَّا اللَّهُ لَا يَحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِنَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [المائدة: ٨٧، ٨٨].

وفي «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها: أن ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ سألوا أزواج النبي ﷺ عن عمله في السر، فقال بعضهم: لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا أنام على فراش، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: (ما بال أقوام يقول أحدهم كذا وكذا، لكنني أصوم وأفطر، وأنام وأقوم، وآكل اللحم وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني)<sup>(٢)</sup>.

وفي غير «الصحيحين»: سألوا عن عبادته في السر فكأنهم تقالوها<sup>(٣)</sup>.

وذكر في سبب نزول الآية الكريمة عن ابن جريج عن عكرمة أن عثمان بن مظعون وعلي بن أبي طالب وابن مسعود والمقداد بن الأسود وسالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنهم في أصحابه تبتلوا فجلسوا في البيوت واعتزلوا النساء ولبسوا المسوح وحرموا طيبات الطعام واللباس إلا ما يأكل ويلبس أهل السياحة من بني إسرائيل وهموا بالاختصاص وأجمعوا لقيام الليل وصيام النهار فنزلت: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَمَسُّوْا إِنَّا اللَّهُ لَا يَحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [المائدة: ٨٧].

(١) أخرجه مسلم (٣٨).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٢٥٩/٣).

يقول: لا تسيروا بغير سنة المسلمين، يريد ما حرموا من النساء والطعام واللباس، وما أجمعوا له من قيام الليل وصيام النهار، وما هموا من الاختصاص، فلما نزلت فيهم بعث النبي ﷺ إليهم فقال: (إن لأنفسكم عليكم حقاً، وإن لأعينكم حقاً صوموا وأفطروا وصلوا وناموا، فليس منا من ترك سنتنا)، فقالوا: اللهم سلمنا واتبعنا ما أنزلت<sup>(١)</sup>.

وقوله: «وبين التشبيه والتعطيل»، تقدم أن الله ﷻ يحب أن يوصف بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تشبيه، فلا يقال: سمع كسمعنا ولا بصر كبصرنا ونحوه، ومن غير تعطيل فلا ينفي عنه ما وصف به نفسه أو وصفه به أعرف الناس به رسوله ﷻ فإن ذلك تعطيل، وقد تقدم الكلام في هذا المعنى.

ونظير هذا القول قوله: ومن لم يتوق النفي والتشبيه زلّ ولم يصب التنزيه، وهذا المعنى مستفاد من قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ردّ على المشبهة وقوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ردّ على المعطلة.

وقوله: «وبين الجبر والقدر»، تقدم الكلام أيضاً على هذا المعنى وأن العبد غير مجبور على أفعاله وأقواله وأنها ليست بمنزلة حركات المرتعش وحركات الأشجار بالرجاء وغيرها وليست مخلوقة للعباد، بل هي فعل العبد وكسبه وخلق الله تعالى. وقوله: «وبين الأمن واليأس»، تقدم الكلام أيضاً على هذا المعنى وأنه يجب أن يكون العبد خائفاً من عذاب ربه راجياً رحمته، وأن الخوف والرجاء بمنزلة الجناحين للعبد في سيره إلى الله تعالى والدار الآخرة.

(١) أخرجه ابن جرير في التفسير (١٠/رقم ١٢٣٤٨).



## الشرح

### عناصر الموضوع:

#### ١ غرض المصنف من عقد هذا الباب:

بيان معتقد أهل السنة والجماعة في أن الإسلام دين وسط بين الأديان وبين الملل الأخرى، ويشير إلى أن كل دين سماوي أرسل به الرسل يسمى الإسلام وهو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك، فالإسلام دين الأنبياء كلهم وأتباعهم، فكل نبي دعا قومه، وكل من اتبعه على ذلك يعتبر مسلماً. فدين الأنبياء واحد وشرائعهم مختلفة.

#### ٢ مناسبة هذا الباب لما سبق:

قرر المصنف فيما سبق أن من صميم عقيدة أهل السنة والجماعة أن اجتماع الأمة على الحق رحمة والفرقة بينها عذاب، فناسب أن يبين أن هذا هو دين الإسلام.

#### ٣ معاني الكلمات:

المعنى	الكلمة
	الغلو
	مجاوزه الحد.

#### ٤ معنى كلام الطحاوي: «ودين الله في الأرض والسماء واحد وهو دين

الإسلام، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]،

وقال تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] وهو بين الغلو والتقصير

وبين التشبيه والتعطيل وبين الجبر والقدر وبين الأمن والإياس:

ودين الله واحد وهو الإسلام، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾

[آل عمران: ١٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي

الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ

دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، فهو الدين الحق الذي بعث الله به جميع رسله، وهو أن لا

يعبد إلا الله تعالى، وأن يعبد بما شرع، فما من رسول إلا وقد أرسل بالإسلام،

قال أبناء يعقوب عليهم السلام: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣]، وقال موسى: ﴿يَقَوْمُ إِن كُنتُمْ ءَامِنُمْ بِاللّٰهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُواْ إِن كُنتُمْ مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤]، وقالت بلقيس: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

وهو دين وسط كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]؛ فهو وسط بين الغلو والتقصير، ووسط في حق النبي صلى الله عليه وآله، لا غلو ولا تقصير، وهو وسط في باب الصفات بين التشبيه والتعطيل، ووسط في القدر بين الجبرية والقدرية، ووسط بين الأمن من مكر الله واليأس من رحمته.

#### ٥ أدلة أن الدين عند الله الإسلام:

ثبت في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: (إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد).

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥] عام في كل زمان، ولكن الشرائع تتنوع كما قال تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

#### ٦ ظهور الإسلام:

فدين الإسلام هو ما شرعه الله صلى الله عليه وآله لعباده على السنة رسله، وأصل هذا الدين وفروعه روايته عن الرسل، وهو ظاهر غاية الظهور، يمكن كل مميز من صغير وكبير وفصيح وأعجم وذكي وبليد أن يدخل فيه بأقصر زمان، وإنه يقع الخروج منه بأسرع من ذلك من إنكار كلمة أو تكذيب أو معارضة أو كذب على الله أو ارتياب في قول الله تعالى أو رد لما أنزل أو شك فيما نفى الله عنه الشك أو غير ذلك مما في معناه. فقد دل الكتاب والسنة على ظهور دين الإسلام وسهولة تعلمه.

#### ٧ تعليم النبي صلى الله عليه وآله كلاً بحسبه:

واختلاف تعليم النبي صلى الله عليه وآله في بعض الألفاظ بحسب من يتعلم، فإن كان بعيد الوطن كضمام بن ثعلبة النجدي ووفد عبد القيس علمهم ما لم يسعهم جهله مع علمه أن دينه سينشر في الآفاق ويرسل إليهم من يفقههم في سائر ما يحتاجون إليه، ومن كان قريب الوطن يمكنه الإتيان كل وقت بحيث يتعلم على التدرج، أو كان قد علم فيه أنه قد عرف ما لا بد منه أجابه بحسب حاله وحاجته على ما تدل قرينة حال السائل كقوله: (قل آمنت بالله ثم استقم).

وأما من شرع ديناً لم يأذن به الله، فمعلوم أن أصوله المستلزمة له لا يجوز أن

تكون منقولة عن النبي ﷺ ولا عن غيره من المرسلين إذ هو باطل، وملزوم الباطل باطل كما أن لازم الحق حق.

٨ معنى قول الطحاوي: «بين الغلو والتقصير»:

وقوله: بين الغلو والتقصير، قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١]، ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٧٧].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَبِيبَتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَسْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (٨٧) ﴿وَكُلُوا وَمِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ (٨٨) [المائدة: ٨٧، ٨٨].

وفي «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها أن ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ سألوا أزواج النبي ﷺ عن عمله في السر فقال بعضهم: لا أكل اللحم، وقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا أنام على فراش، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: (ما بال أقوام يقول أحدهم كذا وكذا، لكنني أصوم وأفطر، وأنام وأقوم، وأكل اللحم وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني).

وفي غير «الصحيحين»: سألوا عن عبادته في السر فكأنهم تقالوها.

وذكر في سبب نزول الآية الكريمة عن ابن جريج عن عكرمة أن عثمان بن مظعون وعلي بن أبي طالب وابن مسعود والمقداد بن الأسود وسالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنهم في أصحابه تبتلوا فجلسوا في البيوت واعتزلوا النساء ولبسوا المسوح وحرموا طيبات الطعام واللباس إلا ما يأكل ويلبس أهل السياحة من بني إسرائيل، وهموا بالاختصاص، وأجمعوا لقيام الليل وصيام النهار، فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَبِيبَتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَسْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (٨٧) [المائدة: ٨٧].

يقول: لا تسيروا بغير سنة المسلمين، يريد ما حرّموا من النساء والطعام واللباس، وما أجمعوا له من قيام الليل وصيام النهار، وما هموا به من الاختصاص، فلما نزلت فيهم بعث النبي ﷺ إليهم فقال: (إن لأنفسكم عليكم حقاً وإن لأعينكم حقاً صوموا وأفطروا وصلوا وناموا، فليس منا من ترك سنتنا)، فقالوا: اللهم سلّمنا واتبعنا ما أنزلت.

٩ معنى قول الطحاوي: «بين التشبيه والتعطيل»:

وقوله: (وبين التشبيه والتعطيل) تقدم أن الله ﷻ يحب أن يوصف بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تشبيه، فلا يقال: سمع كسمعنا ولا بصر كبصرنا ونحوه، ومن غير تعطيل فلا ينفي عنه ما وصف به نفسه أو وصفه به أعرف الناس به رسوله ﷺ، فإن ذلك تعطيل، وقد تقدم الكلام في هذا المعنى. ونظير هذا القول قوله: ومن لم يتوق النفي والتشبيه زل ولم يصب التنزيه، وهذا المعنى مستفاد من قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] رد على المشبهة وقوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] رد على المعطلة.

١٠ معنى قول الطحاوي: «بين الجبر والقدر»:

وقوله: (وبين الجبر والقدر) تقدم الكلام أيضاً على هذا المعنى وأن العبد غير مجبور على أفعاله وأقواله، وأنها ليست بمنزلة حركات المرتعش وحركات الأشجار بالرياح وغيرها، وليست مخلوقة للعباد بل هي فعل العبد وكسبه وخلق الله تعالى.

١١ معنى قول الطحاوي: «بين الأمن والإياس»:

وقوله: (وبين الأمن والإياس) تقدم الكلام أيضاً على هذا المعنى وأنه يجب أن يكون العبد خائفاً من عذاب ربه راجياً رحمته، وأن الخوف والرجاء بمنزلة الجناحين للبعد في سيره إلى الله تعالى والدار الآخرة.

١٢ الخلاصة:

- ١ - دين الله واحد وهو الإسلام، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، فهو الدين الحق الذي بعث الله به جميع رسله، وهو أن لا يعبد إلا الله تعالى، وأن يعبد بما شرع.
- ٢ - إن اختلاف تعليم النبي ﷺ في بعض الألفاظ بحسب من يتعلم منه.
- ٣ - دين الإسلام وسط بين الغلو والتقصير.
- ٤ - دين الإسلام وسط بين التشبيه والتعطيل.
- ٥ - دين الإسلام وسط بين الجبر والقدر.
- ٦ - دين الإسلام وسط بين الأمن واليأس.

## ١٣ المناقشة:

- س١: بيّن معنى كلام الطحاوي: «ودين الله في الأرض والسماء واحد وهو دين الإسلام، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]».
- س٢: اذكر أدلة أن الدين عند الله الإسلام؟.
- س٣: ما سبب اختلاف الألفاظ في تعليم النبي ﷺ للناس؟
- س٤: ما المقصود بقول الطحاوي: «بين الغلو والتقصير».
- س٥: ما المقصود بقول الطحاوي: «بين التشبيه والتعطيل»؟
- س٦: ما المقصود بقول الطحاوي: «بين الجبر والقدر»؟
- س٧: ما المقصود بقول الطحاوي: «بين الأمن واليأس».



## البراءة ممن يخالف عقيدة أهل السنة والجماعة

❖ كلام ابن أبي العز:

- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب.
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق.
- ٣ - معاني الكلمات.
- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «فهذا ديننا واعتقادنا ظاهراً وباطناً ونحن براء إلى الله تعالى من كل من خالف الذي ذكرناه وبيناه، ونسأل الله تعالى أن يثبتنا على الإيمان ويختم لنا به ويعصمنا من الأهواء المختلفة والآراء المتفرقة والمذاهب الردية مثل المشبهة والمعتزلة والجهمية والجبرية والقدرية وغيرهم من الذين خالفوا السنة والجماعة وحالفوا الضلالة ونحن منهم براء وهم عندنا ضلال وأردياء، وبالله العصمة والتوفيق».
- ٥ - التعريف بالمشبهة ورؤوسهم.
- ٦ - التعريف بالمعتزلة ورؤوسهم.
- ٧ - أصول المعتزلة.
- ٨ - التعريف بالجهمية ورؤوسهم.
- ٩ - قص الجعد والجهم.

- ١٠ - ما تفرد به جهم بن صفوان من اعتقاد.
- ١١ - الخلفاء العباسيون والإمام أحمد.
- ١٢ - التعريف بالجبرية ورؤوسهم.
- ١٣ - نصوص في ذم القدرية.
- ١٤ - تتابع الفتن وترتيبها.
- ١٥ - تقابل هذه الفرق.
- ١٦ - سبب الضلال مخالفة سبيل المؤمنين والصراط المستقيم.
- ١٧ - قول بعض السلف في المنحرفين من العباد والعلماء.
- ١٨ - طرق الضلال.
- ١٩ - أهل التبديل نوعان.
- ٢٠ - تفصيل القول في هذه الفرق.
- ٢١ - من قال: أن المراد خلاف الظاهر.
- ٢٢ - الخلاصة.
- ٢٣ - المناقشة.



## البراءة ممن يخالف عقيدة أهل السنة والجماعة

قال ابن أبي العز:

قوله: «فهذا ديننا واعتقادنا ظاهراً وباطناً ونحن براء إلى الله تعالى من كل من خالف الذي ذكرناه وبيّناه، ونسأل الله تعالى أن يثبتنا على الإيمان ويختم لنا به ويعصمنا من الأهواء المختلفة والآراء المتفرقة والمذاهب مثل: المشبهة والمعتزلة والجهمية والجبرية والقدرية وغيرهم من الذين خالفوا السنة والجماعة وحالفوا الضلالة ونحن منهم براء وهم عندنا ضلال وأردياء وبالله العصمة والتوفيق».

الإشارة بقوله: فهذا، كل ما تقدم من أول الكتاب إلى هنا.

والمشبهة: هم الذين شبهوا الله سبحانه بالخلق في صفاته، وقولهم عكس قول النصارى شبهوا المخلوق وهو عيسى عليه السلام بالخالق وجعلوه إلهاً، وهؤلاء شبهوا الخالق بالمخلوق كداود الجواربي وأشباهه.

والمعتزلة هم: عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء الغزال وأصحابهما، سُموا بذلك لما اعتزلوا الجماعة بعد موت الحسن البصري رضي الله عنه في أوائل المائة الثانية وكانوا يجلسون معتزلين فيقول قتادة وغيره: أولئك المعتزلة.

وقيل: إن واصل بن عطاء هو الذي وضع أصول مذهب المعتزلة وتابعه عمرو بن عبيد تلميذ الحسن البصري، فلما كان زمن هارون الرشيد صَنَّف لهم أبو الهذيل كتابين وبيّن مذهبهم وبنى مذهبهم على الأصول الخمسة التي سَمَّوها العدل والتوحيد وإنفاذ الوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولبسوا فيها الحق بالباطل، إذ شأن البدع هذا اشتغالها على حق وباطل.

وهم مشبهة الأفعال لأنهم قاسوا أفعال الله تعالى على أفعال عباده وجعلوا ما يحسن من العباد يحسن منه، وما يقبح من العباد يقبح منه، وقالوا: يجب عليه أن يفعل كذا، ولا يجوز له أن يفعل كذا بمقتضى ذلك القياس الفاسد، فإن السيد من

بني آدم لو رأى عبده تزني بإمائه ولا يمنعمهم من ذلك لعدّ إما مستحسناً للقبیح، وإما عاجزاً، فكيف يصح قياس أفعاله ﷺ على أفعال عباده، والكلام على هذا المعنى مبسوط في موضعه.

فأما العدل فستروا تحته نفي القدر وقالوا: إن الله لا يخلق الشر ولا يقضي به، إذ لو خلقه ثم يعذبهم عليه يكون ذلك جوراً، والله تعالى عادلاً لا يجور، ويلزم على هذا الأصل الفاسد أن الله تعالى يكون في ملكه ما لا يريد، فيريد الشيء ولا يكون، ولازمه وصفه بالعجز تعالى الله عن ذلك.

وأما التوحيد فستروا تحته القول بخلق القرآن، إذ لو كان غير مخلوق لزم تعدد القدماء ويلزمهم على هذا القول الفاسد أن علمه وقدرته وسائر صفاته مخلوقة أو التناقض.

وأما الوعيد فقالوا: إذا أوعد بعض عبده وعيداً فلا يجوز أن لا يعذبهم ويخلف وعيده لأنه لا يخلف الميعاد، فلا يعفو عن من يشاء ولا يغفر لمن يريد عندهم.

وأما المنزلة بين المنزلتين فعندهم أن من ارتكب كبيرة يخرج من الإيمان ولا يدخل في الكفر.

وأما الأمر بالمعروف فهو أنهم قالوا: علينا أن نأمر غيرنا بما أمرنا به وأن نلزمه بما يلزمنا، وذلك هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وضمنوه أنه يجوز الخروج على الأئمة بالقتال إذا جاروا، وقد تقدم جواب هذه الشبهة الخمس في مواضعها.

وعندهم أن التوحيد والعدل من الأصول العقلية التي لا يعلم صحة السمع إلا بعدها، وإذا استدلوا على ذلك بأدلة سمعية فإنما يذكرونها للاعتضاد بها لا للاعتماد عليها، فهم يقولون: لا ثبت هذه بالسمع، بل العلم بها متقدم على العلم بصحة النقل، فمنهم من لا يذكرها في الأصول إذ لا فائدة فيها عندهم، ومنهم من يذكرها ليبين موافقة السمع للعقل ولإيناس الناس بها لا للاعتماد عليها، والقرآن والحديث فيه عندهم بمنزلة الشهود الزائدين على النصاب، والمدد اللاحق بعسكر مستغن عنهم، وبمنزلة من يتبع هواه، واتفق أن الشرع ما يهواه كما قال عمر بن

عبد العزيز: لا تكن ممن يتبع الحق إذا وافق هواه ويخالفه إذا خالف هواه، فإذا أنت لا تثاب على ما وافقته من الحق وتعاقب على ما تركته منه لأنك إنما اتبعت هواك في الموضوعين، وكما أن الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، والعمل يتبع قصد صاحبه وإرادته، فالاعتقاد القوي يتبع أيضاً علم ذلك وتصديقه، فإذا كان تابِعاً للإيمان كان من الإيمان كما أن العمل الصالح إذا كان عن نية صالحة كان صالحاً وإلا فلا، فقول أهل الإيمان التابع لغير الإيمان كعمل أهل الصلاح التابع لغير قصد أهل الصلاح. وفي المعتزلة زنادقة كثيرة، وفيهم من ضلَّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

والجهمية هم المتسبون إلى جهنم بن صفوان السمرقندي، وهو الذي أظهر نفى الصفات والتعطيل، وهو أخذ ذلك عن الجعد بن درهم الذي ضحى به خالد بن عبد الله القسري بواسط، فإنه خطب الناس في يوم عيد الأضحى وقال: أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فإني مضح بالجدد بن درهم، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً، تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً، ثم نزل فذبحه، وكان ذلك بعد استفتاء علماء زمانه وهم السلف الصالح رحمهم الله تعالى.

وكان جهنم بعده بخراسان فأظهر مقالته هناك وتبعه عليها ناس بعد أن ترك الصلاة أربعين يوماً شكاً في ربه، وكان ذلك لمناظرته قوماً من المشركين يقال لهم: السمنية من فلاسفة الهند الذين ينكرون من العلم ما سوى الحسيات. قالوا له: هذا ربك الذي تعبد هل يرى أو يشم أو يذاق أو يلمس؟ فقال: لا، فقالوا: هو معدوم، فبقي أربعين يوماً لا يعبد شيئاً، ثم لما خلا قلبه من معبود يؤلهه نقش الشيطان اعتقاداً نحته فكره فقال: إنه الوجود المطلق ونفى جميع الصفات واتصل بالجدد.

وقد قيل: إن جعداً كان قد اتصل بالصابئة الفلاسفة من أهل حران، وأنه أيضاً أخذ شيئاً عن بعض اليهود المحرفين لدينهم المتصلين بلبيد بن الأعصم الساحر الذي سحر النبي ﷺ، فقتل جهنم بخراسان، قتله سلم بن أحوز، ولكن كانت قد فشت مقالته في الناس وتقلدها بعده المعتزلة، ولكن كان جهنم أدخل في التعطيل

منهم؛ لأنه ينكر الأسماء حقيقة وهم لا ينكرون الأسماء بل الصفات.

وقد تنازع العلماء في الجهمية هل هم من الثنتين وسبعين فرقة أم لا؟ ولهم في ذلك قولان، وممن قال: إنهم ليسوا من الثنتين وسبعين فرقة عبد الله بن المبارك ويوسف بن أسباط.

وإنما اشتهرت مقالة الجهمية من حين محنة الإمام أحمد بن حنبل وغيره من علماء السنة، فإنه من إمارة المأمون قوا وكثروا فإنه قد أقام بخراسان مدة واجتمع بهم ثم كتب بالمحنة من طرطوس سنة ثمانى عشرة ومائتين وفيها مات، وردوا الإمام أحمد إلى الحبس ببغداد إلى سنة عشرين، وفيما كانت محنته مع المعتصم ومناظرته لهم بالكلام فلما ردّ عليهم ما احتجوا به عليه، وبين أنه لا حجة لهم في شيء من ذلك وأن طلبهم من الناس أن يوافقوهم وامتحانهم إياهم جهل وظلم وأراد المعتصم إطلاقه، أشار عليه من أشار بأن المصلحة ضربه لئلا تنكسر حرمة الخلافة من بعد مرة، فلما ضربوه قامت الشناعة في العامة وخافوا فأطلقوه. وقصته مذكورة في كتب التاريخ.

ومما انفرد به جهم أن الجنة والنار تفنيان، وأن الإيمان هو المعرفة فقط، والكفر هو الجهل فقط، وأنه لا فعل لأحد في الحقيقة إلا الله وحده، وأن الناس إنما تنسب إليهم أفعالهم على سبيل المجاز كما يقال: تحركت الشجرة، ودار الفلك، وزالت الشمس. ولقد أحسن القائل:

عجبت لشیطان دعا الناس جهرة إلى النار واشتق اسمه من جهنم

وقد نقل أن أبا حنيفة رضي الله عنه لما سئل عن الكلام في الأعراض والأجسام فقال:

لئن الله عمرو بن عبيد هو فتح على الناس الكلام في هذا.

والجبرية أصل قولهم من جهم بن صفوان كما تقدم، وأن فعل العبد بمنزلة طوله ولونه وهم عكس القدرية نفاة القدر، فإن القدرية إنما نسبوا إلى القدر لنفيهم إياه، كما سُميت المرجئة لنفيهم الإرجاء، وأنه لا أحد مرجأ لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم، وقد تسمى الجبرية قدرية لأنهم غلوا في إثبات القدر، وكما يسمى الذين لا يجزمون بشيء من الوعد والوعيد بل يغفلون في إرجاء كل أمر حتى الأنواع فلا يجزمون بثواب من تاب، كما لا يجزمون بعقوبة من لم يتب،

وكما لا يجزم لمعين، وكانت المرجئة الأولى يرجئون عثمان وعلياً ولا يشهدون بإيمان ولا كفر.

وقد ورد في ذم القدرية أحاديث في «السنن» منها: ما روى أبو داود في سننه من حديث عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: (القدرية مجوس هذه الأمة إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم)<sup>(١)</sup>. وروي في ذم القدرية أحاديث أخر كثيرة تكلم أهل الحديث في صحة رفعها. والصحيح أنها موقوفة بخلاف الأحاديث الواردة في ذم الخوارج فإن فيهم في الصحيح وحده عشرة أحاديث، أخرج البخاري منها ثلاثة، وأخرج مسلم سائرهما، ولكن مشابهتهم للمجوس ظاهرة بل قولهم أردأ من قول المجوس، فإن المجوس اعتقدوا وجود خالقين والقدرية اعتقدوا خالقين.

وهذه البدع المتقابلة حدثت من الفتن المفارقة بين الأمة، كما ذكر البخاري في «صحيحه» عن سعيد بن المسيب قال: وقعت الفتنة الأولى، يعني مقتل عثمان فلم تبق من أصحاب بدر أحداً، ثم وقعت الفتنة الثانية فلم تبق من أصحاب الحديدية أحداً، ثم وقعت الثالثة فلم ترتفع وللناس طباخ أي عقل وقوة.

فالخوارج والشيعة حدثوا في الفتنة الأولى، والقدرية والمرجئة في الفتنة الثانية، والجهمية ونحوهم بعد الفتنة الثالثة، فصار هؤلاء الذين فرقوا دينهم شيعاً يقابلون البدعة بالبدعة، أولئك غلوا في علي، وأولئك كفروه، وأولئك غلوا في الوعيد حتى خلدوا بعض المؤمنين، وأولئك غلوا في الوعيد حتى نفوا بعض الوعيد، أعني المرجئة، وأولئك غلوا في التنزيه حتى نفوا الصفات، وهؤلاء غلوا في الإثبات حتى وقعوا في التشبه وصاروا يبتدعون من الدلائل والمسائل ما ليس بمشروع ويعرضون عن الأمر المشروع، وفيهم من استعان على ذلك بشيء من كتب الأوائل اليهود والنصارى والمجوس والصابئين، فإنهم قرؤوا كتبهم فصار عندهم من ضلالتهم ما أدخلوه في مسائلهم ودلائلهم وغيره في اللفظ تارة، وفي المعنى أخرى، فلبسوا الحق بالباطل وكتبوا حقاً جاء به نبينهم ففترقوا واختلفوا وتكلموا حيثئذ في الجسم والعرض والتجسيم نفيًا وإثباتاً.

(١) تقدم تخريجه وهو حديث ضعيف.

وسبب ضلال هذه الفرق وأمثالهم عدولهم عن الصراط المستقيم الذي أمرنا الله باتباعه، فقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتِي﴾ [يوسف: ١٠٨].  
فوحّد لفظ: صراطه وسبيله وجمع السبل المخالفة له. وقال ابن مسعود رضي الله عنه:  
خط لنا رسول الله ﷺ خطأً وقال: (هذا سبيل الله، ثم خطّ خطوطاً عن يمينه وعن يساره وقال: هذه سبل، على كل سبيل شيطان يدعو إليه)، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَلَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [١٥٣] [الأنعام: ١٥٣].

ومن هنا يعلم أن اضطرار العبد إلى سؤال هداية الصراط المستقيم فوق كل ضرورة، ولهذا شرع الله في الصلاة قراءة أم القرآن في كل ركعة إما فرضاً أو إيجاباً على حسب اختلاف العلماء في ذلك لاحتياج العبد إلى هذا الدعاء العظيم القدر المشتمل على أشرف المطالب وأجلها، فقد أمرنا الله تعالى أن نقول: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧) [الفاتحة: ٦، ٧]، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: (اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون)<sup>(١)</sup>.

وثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: (لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه)، قالوا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: (فمن؟)<sup>(٢)</sup>.

قال طائفة من السلف: من انحرف من العلماء ففيه شبه من اليهود، ومن انحرف من العباد ففيه شبه من النصارى، فلهذا تجد أكثر المنحرفين من أهل الكلام من المعتزلة ونحوهم فيه شبه من اليهود، حتى أن علماء اليهود يقرؤون كتب شيوخ المعتزلة ويستحسنون طريقتهم، وكذا شيوخ المعتزلة يميلون إلى اليهود ويرجحونهم على النصارى، وأكثر المنحرفين من العباد من المتصوفة

(١) أخرجه أحمد (٣٨٧/٤)، والترمذي (٢٩٥٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٥٦)، ومسلم (٢٦٦٩).

ونحوهم فيهم شبه من النصارى، ولهذا يميلون إلى نوع من الرهبانية والحلول والاتحاد ونحو ذلك، وشيوخ هؤلاء يذمون الكلام وأهله، وشيوخ أولئك يعيبون طريقة هؤلاء ويصنفون في ذم السماع والوجد وكثير من الزهد والعبادة التي أحدثها هؤلاء.

ولفرق الضلال في الوحي طريقتان<sup>(١)</sup>: طريقة التبديل وطريقة التجهيل، أما أهل التبديل فهم نوعان: أهل الوهم والتخييل، وأهل التحريف والتأويل.

فأهل الوهم والتخييل هم الذين يقولون: أن الأنبياء أخبروا عن الله واليوم الآخر والجنة والنار بأمور غير مطابقة للأمر في نفسه، لكنهم خاطبوه بما يتخيلون به ويتوهمون به أن الله شيء عظيم كبير وأن الأبدان تعاد وأن لهم نعيماً محسوساً وعقاباً محسوساً وإن كان الأمر ليس كذلك؛ لأن مصلحة الجمهور في ذلك، وإن كان كذباً فهو كذب لمصلحة الجمهور، وقد وضع ابن سينا وأمثاله قانونهم على هذا الأصل.

وأما أهل التحريف والتأويل فهم الذين يقولون: أن الأنبياء لم يقصدوا بهذه الأقوال ما هو الحق في نفس الأمر، وأن الحق في نفس الأمر هو ما علمناه بعقولنا، ثم يجتهدوا في تأويل هذه الأقوال إلى ما يوافق رأيهم بأنواع التأويلات، ولهذا كان أكثرهم لا يجزمون بالتأويل بل يقولون يجوز أن يراد كذا وغاية ما معهم إمكان احتمال اللفظ.

وأما أهل التجهيل والتضليل الذين حقيقة قولهم: أن الأنبياء وأتباع الأنبياء جاهلون ضالون لا يعرفون ما أراد الله بما وصف به نفسه من الآيات وأقوال الأنبياء ويقولون: يجوز أن يكون للنص تأويل لا يعلمه إلا الله لا يعلمه جبرائيل ولا محمد ولا غيره من الأنبياء، فضلاً عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وأن محمداً ﷺ كان يقرأ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيْ﴾ [ص: ٧٥] وهو لا يعرف معاني هذه الآيات بل معناها الذي دلت عليه لا يعرفه إلا الله تعالى ويظنون أن هذه طريقة السلف.

(١) انظر: الفتاوى (٣١/٥)، والصواعق المرسله (٤١٨/٢).

ثم منهم من يقول: إن المراد بهذا خلاف مدلولها الظاهر المفهوم ولا يعرفه أحد كما لا يعلم وقت الساعة، ومنهم من يقول: بل تجرى على ظاهرها، وهؤلاء يشتركون في القول بأن الرسول لم يبين المراد بالنصوص التي يجعلونها مشكلة أو متشابهة، ولهذا يجعل كل فريق المشكل من نصوصه غير ما يجعله الفريق الآخر مشكلاً.

ثم منهم من يقول: لم يعلم معانيها أيضاً، ومنهم من يقول علمها ولم يبينها بل أحال في بيانها على الأدلة العقلية وعلى من يجتهد في العلم بتأويل تلك النصوص، فهم مشتركون في أن الرسول لم يعلم أو لم يُعلم، بل نحن عرفنا الحق بعقولنا ثم اجتهدنا في حمل كلام الرسول على ما يوافق عقولنا، وأن الأنبياء وأتباعهم لا يعرفون العقلية ولا يفهمون السمعية، وكل ذلك ضلال وتضليل عن سواء السبيل.

نسأل الله السلامة والعافية من هذه الأقوال الواهية المفضية بقائلها إلى الهاوية. سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.



## الشرح

### عناصر الموضوع:

#### ١) غرض المصنف من عقد هذا الباب:

عقد المصنف هذا الباب لبيان أن ما تقدم هو عقيدة أهل السنة والجماعة، وأشار إلى البراءة ممن يخالف ما قرره في هذه العقيدة الطحاوية.

#### ٢) مناسبة هذا الباب لما سبق:

بعدما قرر المصنف عقيدة أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة أبي حنيفة وصاحبيه، ناسب أن يختم هذه العقيدة المباركة «العقيدة الطحاوية» بالبراءة ممن يخالط عقيدة أهل السنة والجماعة.

#### ٣) معاني الكلمات:

المعنى	الكلمة
	الردية
	السيئة الفاسدة.

٤) معنى كلام الطحاوي: «فهذا ديننا واعتقادنا ظاهراً وباطناً ونحن براء إلى الله تعالى من كل من خالف الذي ذكرناه وبيناه، ونسأل الله تعالى أن يثبتنا على الإيمان ويختم لنا به ويعصمنا من الأهواء المختلفة والآراء المتفرقة والمذاهب الردية مثل المشبهة والمعتزلة والجهمية والجبرية والقدرية وغيرهم من الذين خالفوا السنة والجماعة وحالفوا الضلالة، ونحن منهم براء وهم عندنا ضلال وأردياء، وبالله العصمة والتوفيق»:

ونحن قد بينا ديننا وعقيدتنا، وهو كل ما سبق أن ذكرناه، فهذا اعتقادنا الظاهر والباطن ولسنا ممن يظهرون غير ما يبطنون، ونتبرأ إلى الله تعالى من كل قول وأحد خالف شيئاً مما سبق ذكره وبيناه، ونسأل الله تعالى أن يثبتنا على الإيمان،

كما كان النبي ﷺ يقول: (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)<sup>(١)</sup>. وأن يعصمنا من الأهواء المختلفة والأوهام الفاسدة، والآراء المتفرقة في مسائل الاعتقاد، والمذاهب الرديئة الفاسدة كالمشبهة والمعتزلة، والجهمية والجبرية والقدرية وغيرهم، فكل هؤلاء خالفوا السنة وجماعة المسلمين جماعة الحق، ووافقوا الضلالة وحالفوها وقالوا بها، فنحن نتبرأ منهم.

إذ يلزم المسلم أن يتبرأ من أهل الكفر والابتداع، ونحكم عليهم بأنهم ضلال أرياء، فاسدو المذهب والعقول والآراء، والله هو العاصم والموفق.

#### ٥ التعريف بالمشبهة ورؤوسهم:

والمشبهة هم الذين شبهوا الله سبحانه بالخلق في صفاته وقولهم عكس قول النصارى شبهوا المخلوق وهو عيسى عليه السلام بالخالق وجعلوه إلهاً، وهؤلاء شبهوا الخالق بالمخلوق كداود الجواربي وأشباهه.

#### ٦ التعريف بالمعتزلة ورؤوسهم:

والمعتزلة هم عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء الغزال وأصحابهما، سُموا بذلك لما اعتزلوا الجماعة بعد موت الحسن البصري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في أوائل المائة الثانية، وكانوا يجلسون معتزلين فيقول قتادة وغيره: أولئك المعتزلة.

وقيل إن واصل بن عطاء هو الذي وضع أصول مذهب المعتزلة وتابعه عمرو بن عبيد تلميذ الحسن البصري، فلما كان زمن هارون الرشيد صنف لهم أبو الهذيل كتابين وبين مذهبهم.

#### ٧ أصول المعتزلة:

بني مذهبهم على الأصول الخمسة التي سموها العدل والتوحيد وإنفاذ الوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولبسوا فيها الحق بالباطل، إذ شأن البدع هذا اشتغالها على حق وباطل.

وهم مشبهة الأفعال لأنهم قاسوا أفعال الله تعالى على أفعال عباده، وجعلوا ما يحسن من العباد يحسن منه، وما يقبح من العباد يقبح منه، وقالوا يجب عليه أن يفعل كذا ولا يجوز له أن يفعل كذا بمقتضى ذلك القياس الفاسد، فإن السيد من بني آدم لو رأى عبده تزني بإمائه ولا يمنعهم من ذلك لعد إما مستحسناً للقبیح

(١) أحمد (٤/١٨٢)، وابن ماجه (١٩٩).

وإما عاجزاً، فكيف يصح قياس أفعاله ﷺ على أفعال عباده، والكلام على هذا المعنى مبسوط في موضعه.

فأما العدل فستروا تحته نفي القدر وقالوا إن الله لا يخلق الشر ولا يقضي به، إذ لو خلقه ثم يعذبهم عليه يكون ذلك جوراً، والله تعالى عادلاً لا يجور، ويلزم على هذا الأصل الفاسد أن الله تعالى يكون في ملكه ما لا يريد، فيريد الشيء ولا يكون، ولازمه وصفه بالعجز تعالى الله عن ذلك.

وأما التوحيد فستروا تحته القول بخلق القرآن إذ لو كان غير مخلوق لزم تعدد القدماء، ويلزمهم على هذا القول الفاسد أن علمه وقدرته وسائر صفاته مخلوقة أو التناقض.

وأما الوعيد فقالوا: إذا أوعد بعض عبيده وعيداً فلا يجوز أن لا يعذبهم ويخلف وعيده لأنه لا يخلف الميعاد، فلا يعفو عمن يشاء ولا يغفر لمن يريد عندهم.

وأما المنزلة بين المنزلتين فعندهم أن من ارتكب كبيرة يخرج من الإيمان ولا يدخل في الكفر.

وأما الأمر بالمعروف فهو أنهم قالوا: علينا أن نأمر غيرنا بما أمرنا به وأن نلزمه بما يلزمنا، وذلك هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وضمَّنه أنه يجوز الخروج على الأئمة بالقتال إذا جاروا، وقد تقدم جواب هذه الشبه الخمس في مواضعها.

وعندهم أن التوحيد والعدل من الأصول العقلية التي لا يعلم صحة السمع إلا بعدها، وإذا استدلوا على ذلك بأدلة سمعية فإنما يذكرونها للاعتضاد بها لا للاعتماد عليها، فهم يقولون لا نثبت هذه بالسمع بل العلم بها متقدم على العلم بصحة النقل، فمنهم من لا يذكرها في الأصول إذ لا فائدة فيها عندهم، ومنهم من يذكرها ليبين موافقة السمع للعقل ولإيناس الناس بها لا للاعتماد عليها، والقرآن والحديث فيه عندهم بمنزلة الشهود الزائدين على النصاب، والمدد اللاحق بعسكر مستغن عنهم، وبمنزلة من يتبع هواه واتفق أن الشرع ما يهواه كما قال عمر بن عبد العزيز: لا تكن ممن يتبع الحق إذا وافق هواه، ويخالفه إذا خالف هواه، فإذا أنت لا تثاب على ما وافقته من الحق، وتعاقب على ما تركته منه، لأنك إنما اتبعت هواك في الموضوعين. وكما أن الأعمال بالنيات وإنما لكل

امرى ما نوى والعمل يتبع قصد صاحبه وإرادته، فالاعتقاد القوي يتبع أيضاً علم ذلك وتصديقه، فإذا كان تابعاً للإيمان كان من الإيمان كما أن العمل الصالح إذا كان عن نية صالحة كان صالحاً وإلا فلا. فقول أهل الإيمان التابع لغير الإيمان كعمل أهل الصلاح التابع لغير قصد أهل الصلاح وفي المعتزلة زنادقة كثيرة وفيهم من ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

### ٨ التعريف بالجهمية<sup>(١)</sup> ورؤوسهم:

والجهمية هم المنتسبون إلى جهم بن صفوان السمرقندي، وهو الذي أظهر نفي الصفات والتعطيل، وهو أخذ ذلك عن الجعد بن درهم الذي ضحى به خالد بن عبد الله القسري بواسطة، فإنه خطب الناس في عيد الأضحى وقال أيها الناس ضحوا تقبّل الله ضحاياكم فإني مضح بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً، ثم نزل فذبحه، وكان ذلك بعد استفتاء علماء زمانه وهم السلف الصالح رحمهم الله تعالى.

### ٩ قصة الجعد والجهم:

وكان جهم بعده بخراسان فأظهر مقالته هناك وتبعه عليها ناس بعد أن ترك الصلاة أربعين يوماً شكاً في ربه، وكان ذلك لمناظرته قوماً من المشركين يقال لهم السمنية من فلاسفة الهند الذين ينكرون من العلم ما سوى الحسيات قالوا له: هذا ربك الذي تعبد هل يرى أو يشم أو يذاق أو يلمس؟ فقال: لا، فقالوا: هو معدوم، فبقي أربعين يوماً لا يعبد شيئاً، ثم لما خلا قلبه من معبود يؤلهه نقش الشيطان اعتقاداً نحته فكره فقال: إنه الوجود المطلق، ونفى جميع الصفات واتصل بالجعد.

وقد قيل إن جعداً كان قد اتصل بالصائبة الفلاسفة من أهل حران وأنه أيضاً أخذ شيئاً عن بعض اليهود المحرفين لدينهم المتصلين بلبيد بن الأعصم الساحر الذي سحر النبي ﷺ فقتل جهم بخراسان، قتله سلم بن أحوز، ولكن

(١) من أهل العلم من عدّ الجهمية ثلاثة درجات: شرها الغالية الذين ينفون أسماء الله وصفاته ويدخل في هذا القسم القرامطة الباطنية والفلاسفة. الدرجة الثانية: مثبتوا الأسماء دون الصفات وهم المعتزلة. الدرجة الثالثة: الذين أثبتوا الأسماء مع نفيهم لبعض الصفات وهم الكلاية والأشعرية وبعض المتصوفة. انظر: التسعينة لشيخ الإسلام (١/٢٦٥).

كانت قد فشت مقالته في الناس وتقلدها بعده المعتزلة، ولكن كان جهم أدخل في التعطيل منهم لأنه ينكر الأسماء حقيقة وهم لا ينكرون الأسماء بل الصفات.

١٠ ما تفرد به جهم بن صفوان من اعتقاد:

ومما انفرد به جهم أن الجنة والنار تفنيان وأن الإيمان هو المعرفة فقط والكفر هو الجهل فقط، وأنه لا فعل لأحد في الحقيقة إلا الله وحده، وأن الناس إنما تنسب إليهم أفعالهم على سبيل المجاز كما يقال تحركت الشجرة ودار الفلك وزالت الشمس، ولقد أحسن القائل:

عجبت لشيطان دعا الناس جهرة إلى النار واشتق اسمه من جهنم  
وقد نقل أن أبا حنيفة رضي الله عنه لما سئل عن الكلام في الأعراض والأجسام فقال:  
لعن الله عمرو بن عبيد هو فتح على الناس الكلام في هذا.

١١ الخلفاء العباسيون والإمام أحمد:

وإنما اشتهرت مقالة الجهمية من حين محنة الإمام أحمد بن حنبل وغيره من علماء السنة، فإنه من إمارة المأمون قووا وكثروا، فإنه قد أقام بخراسان مدة واجتمع بهم ثم كتب بالمحنة من طرطوس سنة ثمانين عشرة ومائتين وفيها مات، وردوا الإمام أحمد إلى الحبس ببغداد إلى سنة عشرين وفيها كانت محنته مع المعتصم ومناظرته لهم بالكلام، فلما رد عليهم ما احتجوا به عليه وبيّن أنه لا حجة لهم في شيء من ذلك، وأن طلبهم من الناس أن يوافقوه وامتحانهم إياهم جهل وظلم، وأراد المعتصم إطلاقه، أشار عليه من أشار بأن المصلحة ضربه لئلا تنكسر حرمة الخلافة من بعد مرة، فلما ضربوه قامت الشناعة في العامة وخافوا فأطلقوه وقصته مذكورة في كتب التاريخ.

١٢ التعريف بالجبرية ورؤوسهم:

والجبرية أصل قولهم من جهم بن صفوان كما تقدم، وأن فعل العبد بمنزلة طوله ولونه، وهم عكس القدرية نفاة القدر، فإن القدرية إنما نسبوا إلى القدر لنفيهم إياه كما سميت المرجئة لنفيهم الإرجاء، وأنه لا أحد مرجأ لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم، وقد تسمى الجبرية قدرية لأنهم غلوا في إثبات القدر وكما يسمى الذين لا يجزمون بشيء من الوعد والوعيد بل يغلون في إرجاء كل أمر حتى الأنواع فلا يجزمون بثواب من تاب كما لا يجزمون بعقوبة من لم يتب،

وكما لا يجزم لمعين، وكانت المرجئة الأولى يرجئون عثمان وعلياً ولا يشهدون بإيمان ولا كفر.

### ١٣) نصوص في ذم القدرية:

وقد ورد في ذم القدرية أحاديث في السنن منها ما روى أبو داود في سننه من حديث عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: (القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم). وروي في ذم القدرية أحاديث أخر كثيرة تكلم أهل الحديث في صحة رفعها، والصحيح أنها موقوفة بخلاف الأحاديث الواردة في ذم الخوارج فإن فيهم في الصحيح وحده عشرة أحاديث، أخرج البخاري منها ثلاثة، وأخرج مسلم سائرهما، ولكن مشابهتم للمجوس ظاهرة، بل قولهم أردأ من قول المجوس، فإن المجوس اعتقدوا وجود خالقين والقدرية اعتقدوا خالقين.

### ١٤) تتابع الفتن وترتيبها:

وهذا البدع المتقابلة حدثت من الفتن المفرقة بين الأمة كما ذكر البخاري في صحيحه عن سعيد بن المسيب قال: وقعت الفتنة الأولى يعني مقتل عثمان فلم تبق من أصحاب بدر أحداً، ثم وقعت الفتنة الثانية فلم تبق من أصحاب الحديبية أحداً، ثم وقعت الثالثة فلم ترتفع للناس طباخ، أي: عقل وقوة. فالخوارج والشيعة حدثوا في الفتنة الأولى، والقدرية والمرجئة في الفتنة الثانية، والجهمية ونحوهم الفتنة الثالثة.

### ١٥) تقابل هذه الفرق:

فالخوارج والشيعة حدثوا في الفتنة الأولى، والقدرية والمرجئة في الفتنة الثانية، والجهمية ونحوهم بعد الفتنة الثالثة، فصار هؤلاء الذين فرقوا دينهم شيعاً يقابلون البدعة بالبدعة، أولئك غلوا في علي، وأولئك كفروه، وأولئك غلوا في الوعيد حتى خلدوا بعض المؤمنين، وأولئك غلوا في الوعيد حتى نفوا بعض الوعيد أعني المرجئة، وأولئك غلوا في التنزيه حتى نفوا الصفات، وهؤلاء غلوا في الإثبات حتى وقعوا في التشبيه وصاروا يبتدعون من الدلائل والمسائل ما ليس بمشروع ويعرضون عن الأمر المشروع، وفيهم من استعان على ذلك بشيء من كتب الأوائل اليهود والنصارى والمجوس والصابئين، فإنهم قرؤوا كتبهم فصار عندهم من ضلالتهم ما أدخلوه في مسائلهم ودلائلهم وغيره في اللفظ تارة وفي

المعنى أخرى، فلبسوا الحق بالباطل وكتموا حقاً جاء نبينهم فتفرقوا واختلفوا، وتكلموا حينئذ في الجسم والعرض والتجسيم نفيًا وإثباتاً.

### ١٦) سبب الضلال مخالفة سبيل المؤمنين والصراط المستقيم:

وسبب ضلال هذه الفرق وأمثالهم عدولهم عن الصراط المستقيم الذي أمرنا الله باتباعه، فقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨].

فوحّد لفظ صراطه، وسبيله، وجمع السُّبُل المخالفة له، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: خط لنا رسول الله ﷺ خطأً وقال: (هذا سبيل الله، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن يساره وقال: هذه سبل على كل سبيل شيطان يدعو إليه) ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [١٥٣] [الأنعام: ١٥٣].

ومن هنا يعلم أن اضطرار العبد إلى سؤال هداية الصراط المستقيم فوق كل ضرورة، ولهذا شرع الله تعالى في الصلاة قراءة أم القرآن في كل ركعة إما فرضاً أو إيجاباً على حسب اختلاف العلماء في ذلك لاحتياج العبد إلى هذا الدعاء العظيم القدر المشتمل على أشرف المطالب وأجلها، فقد أمرنا الله تعالى أن نقول: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝﴾ [الفاتحة: ٦، ٧] وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: (اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون).

وثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: (لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟).

### ١٧) قول بعض السلف في المنحرفين من العباد والعلماء:

قال طائفة من السلف: من انحرف من العلماء ففيه شبه من اليهود، ومن انحرف من العباد ففيه شبه من النصارى، ولهذا تجد أكثر المنحرفين من أهل الكلام من المعتزلة ونحوهم فيه شبه من اليهود، حتى أن علماء اليهود يقرأون كتب شيوخ المعتزلة ويستحسنون طريقتهم، وكذا شيوخ المعتزلة يميلون إلى اليهود

ويرجعونهم على النصارى، وأكثر المنحرفين من العباد من المتصوفة ونحوهم فيهم شبه من النصارى، ولهذا يميلون إلى نوع من الرهبانية والحلول والاتحاد ونحو ذلك، وشيوخ هؤلاء يذمون الكلام وأهله، وشيوخ أولئك يعيبون طريقة هؤلاء ويصنفون في ذم السماع والوجد وكثير من الزهد والعبادة التي أحدثها هؤلاء.

### ١٨ طرق الضلال:

ولفرق الضلال في الوحي طريقتان: طريقة التبديل، وطريقة التجهيل.

### ١٩ أهل التبديل نوعان:

أما أهل التبديل فهم نوعان: أهل الوهم والتخييل، وأهل التحريف والتأويل.

### ٢٠ تفصيل القول في هذه الفرق:

فأهل الوهم والتخييل هم الذين يقولون أن الأنبياء أخبروا عن الله واليوم الآخر والجنة والنار بأمور غير مطابقة للأمر في نفسه لكنهم خاطبوهم بما يتخيلون به ويتوهمون به أن الله شيء عظيم كبير، وأن الأبدان تعاد، وأن لهم نعيماً محسوساً وعقاباً محسوساً، وإن كان الأمر ليس كذلك، لأن مصلحة الجمهور في ذلك، وإن كان كذباً فهو كذب لمصلحة الجمهور، وقد وضع ابن سينا وأمثاله قانونهم على هذا الأصل.

وأما أهل التحريف والتأويل فهم الذين يقولون أن الأنبياء لم يقصدوا بهذه الأقوال ما هو الحق في نفس الأمر، وأن الحق في نفس الأمر هو ما علمناه بعقولنا ثم يجتهدون في تأويل هذه الأقوال إلى ما يوافق رأيهم بأنواع التأويلات، ولهذا كان أكثرهم لا يجزمون بالتأويل بل يقولون يجوز أن يراد كذا وغاية ما معهم إمكان احتمال اللفظ.

وأما أهل التجهيل والتضليل الذين حقيقة قولهم أن الأنبياء وأتباع الأنبياء جاهلون ضالون لا يعرفون ما أراد الله بما وصف به نفسه من الآيات وأقوال الأنبياء، ويقولون يجوز أن يكون للنص تأويل لا يعلمه إلا الله لا يعلمه جبرائيل ولا محمد ولا غيره من الأنبياء فضلاً عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وأن محمداً ﷺ كان يقرأ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾﴾ [الشورى: ٥]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيْكَ﴾ [ص: ١٧٥]، وهو لا



يعرف معاني هذه الآيات، بل معناها الذي دلت عليه لا يعرفه إلا الله تعالى، ويظنون أن هذه طريقة السلف.

### ٢١) من قال: أن المراد خلاف الظاهر:

ثم أن أهل الضلال من يقول إن المراد بهذا خلاف مدلوها الظاهر المفهوم ولا يعرفه أحد كما لا يعلم وقت الساعة، ومنهم من يقول: بل تجرى على ظاهرها، وهؤلاء يشتركون في القول بأن الرسول لم يبين المراد بالنصوص التي يجعلونها مشكلة أو متشابهة؛ ولهذا يجعل كل فريق المشكل من نصوصه غير ما يجعله الفريق الآخر مشكلاً.

### ٢٢) الخلاصة:

- ١ - بين المصنف عقيدته من خلال ما سبق ذكره.
- ٢ - المشبهة هم الذين شبهوا الله سبحانه بالخلق في صفاته وقولهم عكس قول النصارى، شبهوا المخلوق وهو عيسى عليه السلام بالخالق وجعلوه إلهاً، وهؤلاء شبهوا الخالق بالمخلوق كداود الجواربي وأشباهه.
- ٣ - بنى المعتزلة مذهبهم على الأصول الخمسة التي سموها العدل والتوحيد وإنفاذ الوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولبسوا فيها الحق بالباطل، إذ شأن البدع هذا، اشتمالها على حق وباطل.
- ٤ - الجهمية هم المنتسبون إلى جهنم بن صفوان السمرقندي، وهو الذي أظهر نفي الصفات والتعطيل وهو أخذ ذلك عن الجعد بن درهم.
- ٥ - إنما اشتهرت مقالة الجهمية من حين محنة الإمام أحمد بن حنبل وغيره من علماء السنة، فإنه من إمارة المأمون قووا وكثروا.
- ٦ - الجبرية أصل قولهم من جهنم بن صفوان كما تقدم وأن فعل العبد بمنزلة طوله ولونه وهم عكس القدرية نفاة القدرة.
- ٧ - وقد ورد في ذم القدرية أحاديث كثيرة تكلم أهل الحديث في صحة رفعها، والصحيح أنها موقوفة بخلاف الأحاديث الواردة في ذم الخوارج فإن فيهم في الصحيح وحده عشرة أحاديث أخرج البخاري منها ثلاثة وأخرج مسلم سائرهما.

٨ - هذه البدع المتقابلة حدثت من الفتن المفترقة بين الأمة كما ذكر البخاري في صحيحه عن سعيد بن مسيب قال: وقعت الفتنة الأولى يعني مقتل عثمان فلم تبق من أصحاب بدر أحداً، ثم وقعت الفتنة الثانية فلم تبق من أصحاب الحديدية أحداً، ثم وقعت الثالثة فلم ترتفع وللناس طباخ، أي: عقل وقوة.

٩ - سبب ضلال هذه الفرق وأمثالهم عدولهم عن الصراط المستقيم الذي أمرنا الله باتباعه، فقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

١٠ - قال طائفة من السلف: من انحرف من العلماء ففيه شبه من اليهود، ومن انحرف من العباد ففيه شبه من النصارى.

١١ - لفرق الضلال في الوحي طريقتان: طريقة التبديل، وطريقة التجهيل.

١٢ - أما أهل التبديل فهم نوعان: أهل الوهم والتخييل، وأهل التحريف والتأويل.

١٣ - من قال: أن المراد خلاف الظاهر فهو ضال مبتدع.

### ٢٣ المناقشة:

• س١: بين معنى كلام الطحاوي: «فهذا ديننا واعتقادنا ظاهراً وباطناً ونحن براء إلى الله تعالى من كل من خالف الذي ذكرناه وبيّناه، ونسأل الله تعالى أن يثبتنا على الإيمان ويختم لنا به ويعصمنا من الأهواء المختلفة والآراء المتفرقة والمذاهب الردية مثل المشبهة والمعتزلة والجهمية والجبرية والقدرية وغيرهم من الذين خالفوا السنة والجماعة وحالفوا الضلالة ونحن منهم براء، وهم عندنا ضلال وأردياء، وبالله العصمة والتوفيق».

• س٢: تكلم عن المشبهة ورؤوسهم.

• س٣: فضل القول في أصول المعتزلة.

• س٤: من هم الجهمية؟ واذكر رؤوسهم.

• س٥: تكلم حول الجعد والجهم، ومذهبيهم الفاسد، وعمن تلقوه؟.

• س٦: اذكر ما تفرد به جهم بن صفوان من اعتقاد.

• س٧: بين دور الخلفاء العباسيين في محنة الإمام أحمد، وانتشار البدع.

• س٨: من هم الجبرية؟ ومن أشهر رؤوسهم؟.

- س٩: اذكر النصوص الواردة في ذم القدرية.
- س١٠: كيف تتابعت الفتن مع بيان ترتيبيها، وتقابلها.
- س١١: ما سبب ضلال الفرق؟.
- س١٢: اشرح مقالة طائفة من السلف: من انحرف من العلماء ففيه شبه من اليهود ومن انحرف من العباد ففيه شبه من النصارى.
- س١٣: ما هي طرق الضلال؟.
- س١٤: ما أنواع أهل التبديل؟ ثم فصل القول في هذه الفرق.
- س١٥: كيف ترد على من قال: أن المراد خلاف الظاهر؟.

## فهرس المجلد الثالث

الموضوع	الصفحة
حكم مرتكب الكبيرة .....	٨٩٧
١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب .....	٩٠٣
٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق .....	٩٠٣
٣ - معاني الكلمات .....	٩٠٣
٤ - معنى كلام الطحاوي .....	٩٠٣
٥ - تحرير محل النزاع .....	٩٠٤
٦ - انقسام الذنوب إلى كبائر وصغائر .....	٩٠٤
٧ - ضابط الكبيرة .....	٩٠٦
٨ - حكم مرتكب الكبيرة في الكتاب والسنة .....	٩٠٨
٩ - أقسام أصحاب الكبائر .....	٩٠٩
١٠ - المخالفون لأهل السنة في مرتكب الكبيرة .....	٩٠٩
١١ - حكم مرتكب الكبيرة في الآخرة .....	٩١١
١٢ - استدراك ابن أبي العز على الطحاوي في تعبيره بالمعرفة في قوله: «بعد أن لقوا الله عارفين» .....	٩١٣
١٣ - استدراك الشارح على الطحاوي في تخصيص أمة محمد بالحكم، حيث قال: «وأهل الكبائر من أمة محمد لا يخلدون» .....	٩١٤
١٤ - الرد على فهم بعض شارحي الطحاوية أن قول الطحاوي: «في النار» هو خبر لأهل الكبائر .....	٩١٤
١٥ - حكم تمنى الموت والاستدلال بقول يوسف: ﴿تَوَقَّئِ مُسْلِمًا وَالْحَقِيقِي بِالصَّلَاتِينَ﴾ [يوسف: ١٠١] .....	٩١٤
١٦ - الخلاصة .....	٩١٥
١٧ - المناقشة .....	٩١٥
الصلاة خلف كل بر وفاجر .....	٩١٧
١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب .....	٩٢٢
٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق .....	٩٢٢
٣ - معاني الكلمات .....	٩٢٢
٤ - معنى كلام الطحاوي: «ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة، وعلى من مات منهم» .....	٩٢٢
٥ - الصلاة خلف البر والفاجر من مسائل الفقه .....	٩٢٣

الموضوع	الصفحة
٦ - أنواع أئمة الصلاة	٩٢٣
٧ - هل يبحث عن حال الإمام أو يختبر في اعتقاده؟	٩٢٣
٨ - حكم الصلاة خلف الإمام البر العادل	٩٢٤
٩ - حكم الصلاة خلف الإمام مستور الحال	٩٢٤
١٠ - حكم الصلاة خلف الإمام الفاسق	٩٢٤
١١ - يمنع الإمام الفاسق من الإمامة إذا أمنت الفتنة	٩٢٦
١٢ - حكم الصلاة خلف الإمام المخطئ	٩٢٦
١٣ - حكم الصلاة خلف الإمام المبتدع	٩٢٧
١٤ - المراد بولي الأمر	٩٢٧
١٥ - حكم الصلاة على من مات من أهل القبلة	٩٢٧
١٦ - حكم الصلاة على الشهيد	٩٢٧
١٧ - الحكمة من عدم وجوب الصلاة على الشهيد	٩٢٨
١٨ - حكم الصلاة على الكفار والمنافقين	٩٢٨
١٩ - حكم الصلاة على الفساق	٩٢٨
٢٠ - الاستغفار لأهل القبلة	٩٣٠
٢١ - الخلاصة	٩٣١
٢٢ - المناقشة	٩٣١
الحكم على معين بجنة أو نار، أو كفر أو إشرارك	٩٣٣
١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب	٩٣٦
٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق	٩٣٦
٣ - معاني الكلمات	٩٣٦
٤ - معنى كلام الطحاوي: «ولا تنزل أحداً منهم جنة ولا ناراً، ولا تشهد عليهم بكفر ولا بشرك ولا بنفاق، ما لم يظهر منهم شيء من ذلك، ونذر سرائرهم إلى الله تعالى»	٩٣٦
٥ - من أصول أهل السنة والجماعة عدم الشهادة لمعين بجنة أو نار	٩٣٧
٦ - أقوال السلف للشهادة لمعين بالجنة	٩٣٧
٧ - حكم تكفير المسلم المعين أو تفسيقه	٩٣٨
٨ - معنى كلام الطحاوي: «ولا نرى السيف على أحد من أمة محمد ﷺ إلا من وجب عليه السيف»	٩٣٨
٩ - الحكم على عقائد الناس أكبر من الحكم على أموالهم وأعراضهم	٩٣٩

الصفحة	الموضوع
٩٣٩	١٠ - الأصل أن دماء المسلمين وأموالهم معصومة .....
٩٣٩	١١ - الحالات التي يباح فيها دم المسلم .....
٩٣٩	١٢ - الخلاصة .....
٩٤٠	١٣ - المناقشة .....
٩٤١	طاعة ولاة الأمر وعدم الخروج عليهم .....
٩٤٥	١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب .....
٩٤٥	٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق .....
٩٤٥	٣ - معاني الكلمات .....
	٤ - معنى كلام الطحاوي: «ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا ولا ندعو عليهم ولا ننزع يداً من طاعتهم ونرى طاعتهم من طاعة الله ﷻ»
٩٤٥	فريضة ما لم يأمرنا بمعصية وندعو لهم بالصلاح والمعافة» .....
٩٤٦	٥ - وجه إدخال مسألة الخروج على ولي الأمر في الأصول .....
٩٤٦	٦ - حكم الخروج على ولي أمر المسلمين .....
٩٤٨	٧ - تفسير قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] .....
٩٤٨	٨ - الحالات التي يجوز فيها الخروج على ولي الأمر .....
٩٤٩	٩ - الحكمة من النهي عن الخروج على ولي الأمر .....
٩٤٩	١٠ - الوسيلة الشرعية للخلاص من جور الأئمة .....
٩٥٠	١١ - الخلاصة .....
٩٥٠	١٢ - المناقشة .....
٩٥١	اتباع السنة والجماعة .....
٩٥٤	١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب .....
٩٥٤	٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق .....
٩٥٤	٣ - معاني الكلمات .....
٩٥٤	٤ - معنى كلام الطحاوي: «وتتبع السنة والجماعة ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة» .....
٩٥٥	٥ - وجه إدخال مسألة اتباع السنة في كتب الاعتقاد .....
٩٥٥	٦ - أدلة وجوب لزوم الجماعة .....
	٧ - تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِمْ وَسَاءَٰتُ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥] .....
٩٥٦	٨ - المراد بالجماعة .....
٩٥٦	٩ - المراد بالسنة .....
٩٥٦	١٠ - نشأة التسمية بأهل السنة والجماعة .....

الموضوع	الصفحة
١١ - خطورة التفرق .....	٩٥٧
١٢ - الأدلة على ذم الفرقة .....	٩٥٧
١٣ - الأسباب المؤدية للتفرق .....	٩٥٧
١٤ - طريق الخلاص من الفرقة والخلاف .....	٩٥٨
١٥ - أنواع الخلاف .....	٩٥٨
١٦ - هل الاختلاف رحمة؟! .....	٩٥٨
١٧ - الواجب على المسلم عند اختلاف الأمة .....	٩٥٩
١٨ - الخلاصة .....	٩٥٩
١٩ - المناقشة .....	٩٥٩
الحب في الله والبغض في الله .....	٩٦١
١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب .....	٩٦٤
٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق .....	٩٦٤
٣ - معاني الكلمات .....	٩٦٤
٤ - معنى كلام الطحاوي: «ونحب أهل العدل والأمانة، ونبغض أهل الجور والخيانة» .....	٩٦٤
٥ - المحبة الشرعية .....	٩٦٥
٦ - الحب في الله والبغض في الله كمال الإيمان .....	٩٦٥
٧ - المقصود بالحب في الله والبغض في الله .....	٩٦٥
٨ - حكم الحب في الله والحب مع الله .....	٩٦٥
٩ - الفرق بين الحب مع الله والحب في الله .....	٩٦٦
١٠ - لوازم المحبة .....	٩٦٦
١١ - معنى محبة الله للمحسنين والمتقين .....	٩٦٦
١٢ - اجتماع الحب في الله والبغض في الله في شخص واحد .....	٩٦٧
١٣ - الخلاصة .....	٩٦٧
١٤ - المناقشة .....	٩٦٨
موقف المسلم من النصوص المتشابهة والمحكمة .....	٩٦٩
١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب .....	٩٧٢
٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق .....	٩٧٢
٣ - معاني الكلمات .....	٩٧٢
٤ - معنى كلام الطحاوي: «ونقول الله أعلم فيما اشتبه علينا علمه» .....	٩٧٢
٥ - طريقة أهل العلم إذا اشتبه عليهم من الدين .....	٩٧٢
٦ - القول على الله بغير علم من كبائر الذنوب .....	٩٧٣

## الصفحة

## الموضوع

- ٧ - المقصود بالمحكم والمتشابه ..... ٩٧٣
- ٨ - هل في القرآن محكم ومتشابه؟ والحكمة من ذلك ..... ٩٧٣
- ٩ - الواجب على المسلم فيما اشبه علمه ..... ٩٧٤
- ١٠ - الطوائف التي ضلت من جهة المتشابه ..... ٩٧٥
- ١١ - الخلاصة ..... ٩٧٦
- ١٢ - المناقشة ..... ٩٧٦
- المسح على الخفين في السفر والحضر ..... ٩٧٧
- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب ..... ٩٨٠
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق ..... ٩٨٠
- ٣ - معاني الكلمات ..... ٩٨٠
- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «ونرى المسح على الخفين في السفر والحضر، كما جاء في الأثر» ..... ٩٨٠
- ٥ - مناسبة ذكر هذا المبحث في العقيدة الطحاوية ..... ٩٨١
- ٦ - حكم المسح على الخفين ..... ٩٨١
- ٧ - أيهما أفضل المسح على الخفين أم غسل الرجلين؟ ..... ٩٨١
- ٨ - الحكمة من مسح الرأس بدل الغسل ..... ٩٨٢
- ٩ - أقوال العلماء في فرض غسل الرجلين في الوضوء ..... ٩٨٢
- ١٠ - الخلاصة ..... ٩٨٣
- ١١ - المناقشة ..... ٩٨٣
- الحج والجهاد ماضيان مع ولي الأمر إلى قيام الساعة ..... ٩٨٥
- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب ..... ٩٨٨
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق ..... ٩٨٨
- ٣ - معاني الكلمات ..... ٩٨٨
- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «والحج والجهاد ماضيان مع أولي الأمر من المسلمين برّهم وفاجرهم إلى قيام الساعة لا يبطلهما شيء ولا ينقضهما» ..... ٩٨٩
- ٥ - مناسبة ذكر المصنف هذا المبحث في العقيدة ..... ٩٨٩
- ٦ - الحكمة من ذكر الطحاوي للحج والجهاد دون غيرهما ..... ٩٨٩
- ٧ - حكم الجهاد ..... ٩٨٩
- ٨ - الأدلة على أن الحج ركن من أركان الإسلام ..... ٩٩٠
- ٩ - الخلاصة ..... ٩٩١



## الصفحة

## الموضوع

- ١٠ - المناقشة ..... ٩٩١
- الإيمان بالملائكة ..... ٩٩٣
- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب ..... ١٠٠٣
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق ..... ١٠٠٣
- ٣ - معاني الكلمات ..... ١٠٠٣
- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «نؤمن بالكرام الكاتين، فإن الله قد جعلهم علينا حافطين» ..... ١٠٠٣
- ٥ - التعريف بالملائكة وحكم الإيمان بهم ..... ١٠٠٤
- ٦ - كيف يكون الإيمان بالملائكة؟ ..... ١٠٠٤
- ٧ - أسماء الملائكة الواردة في الكتاب والستة ..... ١٠٠٥
- ٨ - موت الملائكة ..... ١٠٠٦
- ٩ - المراد بالكرام الكاتين وعددهم ..... ١٠٠٦
- ١٠ - حكم الإيمان بالكرام الكاتين وعددهم ..... ١٠٠٧
- ١١ - الأمور التي يكتبها الكرام الكاتيون ..... ١٠٠٧
- ١٢ - معنى قوله ﷺ في حق قرينه: (ولكن الله أعانني عليه فأسلم) ..... ١٠٠٧
- ١٣ - معنى كلام الطحاوي: «نؤمن بملك الموت، الموكل بقبض الأرواح» ..... ١٠٠٨
- ١٤ - حكم الإيمان بملك الموت ..... ١٠٠٩
- ١٥ - الجمع بين قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمِمْسِكِ الْتِي فَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأَخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الزمر: ٤٢]، وقوله تعالى: ﴿السَّجْدَةُ: ﴿١١﴾﴾ [السجدة: ١١]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ أَحَدِكُمُ الْمَوْتُ فَوَقَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الأنعام: ٦١] ..... ١٠٠٩
- ١٦ - حقيقة الروح التي في البدن ولما سميت بهذا الاسم ..... ١٠١٠
- ١٧ - هل الروح والنفس شيء واحد أم أنهما متغايران؟! ..... ١٠١٠
- ١٨ - مسكن الروح ..... ١٠١١
- ١٩ - الروح مخلوقة ..... ١٠١٢
- ٢٠ - هل تموت الروح؟ ..... ١٠١٣
- ٢١ - مستقر الأرواح ..... ١٠١٤
- ٢٢ - هل مسمى الإنسان هو الروح فقط؟ أم البدن فقط؟ أم مجموعهما؟ ..... ١٠١٦
- ٢٣ - الخلاصة ..... ١٠١٦
- ٢٤ - المناقشة ..... ١٠١٧

## الموضوع

## الصفحة

- عذاب القبر ..... ١٠١٩
- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب ..... ١٠٢٨
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق ..... ١٠٢٨
- ٣ - معاني الكلمات ..... ١٠٢٨
- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «وبعذاب القبر لمن كان له أهلاً وسؤال منكر ونكير في قبره عن ربه ودينه ونبيه، على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ، وعن الصحابة رضوان الله عليهم. والقبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران» ..... ١٠٢٨
- ٥ - لماذا أورد الطحاوي هذا المبحث في عقيدته؟ ..... ١٠٢٩
- ٦ - عذاب القبر دل عليه الكتاب والسنة والإجماع ..... ١٠٢٩
- ٧ - إنكار المعتزلة لاسم الملكين منكر ونكير ..... ١٠٣٠
- ٨ - حكم التصديق بسؤال منكر ونكير للميت ..... ١٠٣٠
- ٩ - الأصول الثلاثة التي يسأل عنها الملكان ..... ١٠٣٠
- ١٠ - سؤال الملكين عام لكل من يموت من البشر ..... ١٠٣١
- ١١ - هل يمتحن الأطفال في قبورهم؟ ..... ١٠٣٢
- ١٢ - تعريف نعيم القبر وعذابه ..... ١٠٣٢
- ١٣ - المستثنون من فتنة القبر ..... ١٠٣٢
- ١٤ - عقيدة أهل السنة والجماعة في عذاب القبر ونييمه ..... ١٠٣٣
- ١٥ - الملاحظة ينكرون عذاب القبر ونييمه ..... ١٠٣٤
- ١٦ - العذاب والنعيم للروح والبدن معاً ..... ١٠٣٥
- ١٧ - استمرار عذاب القبر إلى يوم القيامة ..... ١٠٣٥
- ١٨ - الحكمة من تغييب عذاب القبر عن الثقلين ..... ١٠٣٦
- ١٩ - أجساد الأنبياء والشهداء لا تفتنى ..... ١٠٣٦
- ٢٠ - الخلاصة ..... ١٠٣٦
- ٢١ - المناقشة ..... ١٠٣٧
- البعث والجزاء والعرض ..... ١٠٣٩
- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب ..... ١٠٥٠
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق ..... ١٠٥٠
- ٣ - معاني الكلمات ..... ١٠٥٠
- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «نوؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة، والعرض والحساب، وقراءة الكتاب، والثواب والعقاب، والصراف والميزان» ..... ١٠٥٠
- ٥ - تعريف البعث والنشور ..... ١٠٥١

## الصفحة

## الموضوع

- ٦ - منزلة الإيمان بالبعث من الدين ..... ١٠٥١
- ٧ - الأدلة على ثبوت البعث ..... ١٠٥١
- ٨ - أدلة إمكان البعث ..... ١٠٥٢
- ٩ - حكم إنكار البعث ..... ١٠٥٣
- ١٠ - الحكمة من اهتمام القرآن بإثبات المعاد ..... ١٠٥٣
- ١١ - الحكمة من إخبار النبي ﷺ لأمر الآخرة تفصيلاً ..... ١٠٥٣
- ١٢ - دعوى النبي ﷺ في أمور المعاد دون غيره من الأنبياء ..... ١٠٥٣
- ١٣ - أساليب القرآن في إثبات المعاد ..... ١٠٥٤
- ١٤ - آيات المعاد في سورة يس ..... ١٠٥٥
- ١٥ - آيات المعاد في سورة الإسراء ..... ١٠٥٧
- ١٦ - ذكر مذاهب في المعاد هل هو جسماني أم روحاني؟ أم بهما معاً؟ ..... ١٠٥٨
- ١٧ - أقوال الناس في إعادة الأجسام بعد فنائها ..... ١٠٥٨
- ١٨ - الجواب عما استشكله بعض الناس من قوله ﷺ: (إن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من تشق عنه الأرض فأجد موسى باطشاً جنب العرش) ..... ١٠٥٩
- ١٩ - الخلاصة ..... ١٠٦٠
- ٢٠ - المناقشة ..... ١٠٦١
- الحساب والصراف والميزان ..... ١٠٦٣
- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب ..... ١٠٧٠
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق ..... ١٠٧٠
- ٣ - معاني الكلمات ..... ١٠٧٠
- ٤ - تعريف الحساب ..... ١٠٧٠
- ٥ - الأدلة على ثبوت الحساب ..... ١٠٧١
- ٦ - كيفية وصفة الحساب ..... ١٠٧١
- ٧ - أنواع لحساب ..... ١٠٧١
- ٨ - كيفية محاسبة الكفار ..... ١٠٧١
- ٩ - أول من يحاسب من الأمم ..... ١٠٧٢
- ١٠ - أول ما يحاسب عليه العبد ..... ١٠٧٢
- ١١ - أول ما يقضى بين الناس في الدماء ..... ١٠٧٢
- ١٢ - حكم الإيمان بنشر الصحف وقراءة الكتاب ..... ١٠٧٢
- ١٣ - الجمع بين قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٨] وبين قوله ﷺ: (ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك) ..... ١٠٧٢

الصفحة	الموضوع
١٠٧٣	١٤ - الجزء مظهر من مظاهر عدل الله ﷻ
١٠٧٣	١٥ - أنواع الجزاء الرباني
١٠٧٤	١٦ - جزاء الحسنة والسيئة كما وردت في القرآن والسنة
١٠٧٥	١٧ - المقصود بالعرض وأنواعه وأدلته
١٠٧٥	١٨ - تعريف الصراط وصفته
١٠٧٦	١٩ - الحكمة من الصراط وحكم الإيمان به
١٠٧٦	٢٠ - أول من يعبر الصراط
١٠٧٦	٢١ - هل يمر الكفار بالصراط؟
١٠٧٦	٢٢ - الصراط الثاني
١٠٧٧	٢٣ - تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَنْكُرَ إِلَّا وَأَرْدَهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١]
١٠٧٧	٢٤ - تعريف الميزان وصفته وحكم الإيمان به
١٠٧٨	٢٥ - الأشياء التي توزن في الميزان
١٠٧٩	٢٦ - الحكمة من تقديم الحساب على الميزان
١٠٧٩	٢٧ - هل الميزان واحد؟
١٠٧٩	٢٨ - الجواب على دعوى أن أعمال العباد أعراض لا يمكن وزنها
١٠٨٠	٢٩ - الخلاصة
١٠٨١	٣٠ - المناقشة
١٠٨٣	الجنة والنار مخلوقتان موجودتان لا تفنيان أبداً
١٠٩٥	١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب
١٠٩٥	٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق
١٠٩٥	٣ - معاني الكلمات
	٤ - معنى كلام الطحاوي: «والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبداً ولا تبيدان، وأن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق، وخلق لهما أهلاً، فمن شاء منهم إلى الجنة فضلاً منه، ومن شاء منهم إلى النار عدلاً منه، وكل يعمل لما قد فرغ له، وصائر إلى ما خلق له. والخير والشر مقدران على العباد»
١٠٩٦	٥ - لماذا عقد المصنف هذا المبحث؟
١٠٩٦	٦ - تعريف الجنة ولما سميت بذلك ومكانها
	٧ - النار في اللغة تقال للهبيب الذي يبدو للحاسة، وللحرارة المجردة، ولنار جهنم، ولنار الحرب. وفي الشرع: هي دار العذاب التي أعدها الله في الآخرة للكافرين الذين كفروا بالله وعصوا رسله.
١٠٩٧	٨ - الجنة والنار مخلوقتان موجودتان

## الصفحة

## الموضوع

- ٩ - الجنة والنار لا تفنيان ..... ١٠٩٩
- ١٠ - المخالفون لأهل السنة في خلق الجنة والنار ووجودهما ..... ١٠٩٩
- ١١ - المخالفون لأهل السنة في شأن فناء الجنة والنار ودوامهما ..... ١١٠١
- ١٢ - أقوال الناس في أبدية النار ودوامها ..... ١١٠٤
- ١٣ - اختلاف أهل العلم في توجيه الاستثناء في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُئِلُوا فِي الْجَنَّةِ خَلِيلِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوفٍ﴾ [هود: ١٠٨] ..... ١١٠٥
- ١٤ - حكم أطفال المسلمين في الآخرة ..... ١١٠٦
- ١٥ - أنواع المخلوقات من حيث الإرادة ..... ١١٠٦
- ١٦ - منع الثواب عن العبد ..... ١١٠٦
- ١٧ - الخلاصة ..... ١١٠٦
- ١٨ - المناقشة ..... ١١٠٧
- الاستطاعة ..... ١١٠٩
- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب ..... ١١١٥
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق ..... ١١١٥
- ٣ - معاني الكلمات ..... ١١١٥
- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «والاستطاعة التي يجب بها الفعل من نحو التوفيق الذي لا يجوز أن يوصف المخلوق به تكون مع الفعل، وأما الاستطاعة من جهة الصحة والوسع والتمكن وسلامة الآلات فهي قبل الفعل وبها يتعلق الخطاب وهو كما قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]» ..... ١١١٦
- ٥ - تعريف الاستطاعة ..... ١١١٦
- ٦ - أنواع الاستطاعة ..... ١١١٦
- ٧ - المقارنة بين الاستطاعة التي تكون قبل الفعل والاستطاعة التي تكون مع الفعل .. ١١١٧
- ٨ - مذهب أهل السنة في مسألة الاستطاعة ..... ١١١٧
- ٩ - الأدلة على الاستطاعة ..... ١١١٨
- ١٠ - المخالفون لأهل السنة في مسألة الاستطاعة ..... ١١١٩
- ١١ - الخلاصة ..... ١١١٩
- ١٢ - المناقشة ..... ١١٢٠
- أفعال العباد خلق الله وكسب من العباد ..... ١١٢١
- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب ..... ١١٣٠
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق ..... ١١٣٠

## الموضوع

## الصفحة

- ٣ - معاني الكلمات ..... ١١٣٠
- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «وأفعال العباد هي خلق الله وكسب من العباد» ..... ١١٣٠
- ٥ - مذهب أهل السنة والجماعة في أفعال العباد ..... ١١٣١
- ٦ - أقوال السلف في إثبات خلق الله لأفعال العباد ..... ١١٣١
- ٧ - أدلة أهل السنة والجماعة في مسألة خلق أفعال العباد ..... ١١٣٢
- ٨ - المخالفون لأهل السنة في خلق أفعال العباد ..... ١١٣٢
- ٩ - شبهات القدرية «المعتزلة» حول أفعال العباد والجواب عليها ..... ١١٣٣
- ١٠ - شبهات الجبرية حول أفعال العباد والجواب عليها ..... ١١٣٤
- ١١ - عدم التعارض بين فعل العبد والمشئنة ..... ١١٣٥
- ١٢ - أنواع العقوبة ..... ١١٣٥
- ١٣ - أفعال العباد نوعان ..... ١١٣٦
- ١٤ - استخدام الجبل بدل الجبر ..... ١١٣٦
- ١٥ - شبهة خلق الفعل مع العقوبة ظلم ..... ١١٣٦
- ١٦ - الخلاصة ..... ١١٣٧
- ١٧ - المناقشة ..... ١١٣٨
- التكليف بحسب الطاقة ..... ١١٣٩
- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب ..... ١١٤٨
- ٢ - مناسبة هذا الباب فيما سبق ..... ١١٤٨
- ٣ - معاني الكلمات ..... ١١٤٨
- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «ولم يكلفهم الله تعالى إلا ما يطيقون ولا يطيقون إلا ما كلفهم، وهو تفسير لا حول ولا قوة إلا بالله نقول: لا حيلة لأحد ولا تحول لأحد ولا حركة لأحد عن معصية الله إلا بمعونة الله، ولا قوة لأحد على إقامة طاعة الله والثبات عليها إلا بتوفيق الله، وكل شيء يجري بمشيئة الله تعالى وعلمه وقضائه وقدره، غلبت مشيئته المشيئات كلها وعكست إرادته الإرادات كلها، وغلب قضاؤه الحيل كلها، يفعل ما يشاء وهو غير ظالم أبداً: ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ [الأنبياء: ٢٣]» ..... ١١٤٨
- ٥ - المراد بالطاقة ..... ١١٤٩
- ٦ - تفسير قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتُمْ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿١٦٦﴾ [البقرة: ٢٨٦] ..... ١١٤٩

## الصفحة

## الموضوع

- ٧ - إطلاق القول بالتكليف بما لا يطاق من البدع ..... ١١٤٩
- ٨ - أقوال الناس في تكليف ما لا يطاق ..... ١١٥٠
- ٩ - منشأ النزاع بين الفرق في التكليف بما لا يطاق ..... ١١٥٢
- ١٠ - توضيح المصطلحات العلمية كوناً وشرعاً ..... ١١٥٣
- ١١ - الفوائد المستنبطة من حديث: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا» ..... ١١٥٥
- ١٢ - توجيه حديث: «لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم» ..... ١١٥٦
- ١٣ - الخلاصة ..... ١١٥٧
- ١٤ - المناقشة ..... ١١٥٨
- انتفاع الأموات بسعي الأحياء ..... ١١٥٩
- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب ..... ١١٦٦
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق ..... ١١٦٦
- ٣ - معاني الكلمات ..... ١١٦٦
- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «وفي دعاء الأحياء وصدقاتهم منفعة الأموات» ..... ١١٦٦
- ٥ - وجه إدخال الطحاوي مسألة فقهية في الاعتقاد ..... ١١٦٦
- ٦ - اتفاق أهل السنة على انتفاع الميت بسعي الأحياء ..... ١١٦٧
- ٧ - ما يصل إلى الميت من ثواب الحج ..... ١١٦٧
- ٨ - أقوال الناس في مسألة انتفاع الأموات بسعي الأحياء ..... ١١٦٧
- ٩ - الأدلة على انتفاع الميت ..... ١١٦٨
- ١٠ - حكم التطوع بقراءة القرآن وإهداء ثوابها للميت ..... ١١٦٩
- ١١ - حكم استئجار من يقرأ القرآن ويهدي ثوابه للميت ..... ١١٧٠
- ١٢ - حكم من يوصي بجزء من ماله لمن يقرأ القرآن على قبره ..... ١١٧٠
- ١٣ - حكم إهداء ثواب القراءة أو أي عمل صالح للنبي ﷺ ..... ١١٧٠
- ١٤ - حكم قراءة القرآن على القبور ..... ١١٧١
- ١٥ - حكم أخذ الأجرة على تعليم القرآن ..... ١١٧١
- ١٦ - الخلاصة ..... ١١٧٢
- ١٧ - المناقشة ..... ١١٧٣
- استجابة الله تعالى دعاء عباده ..... ١١٧٥
- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب ..... ١١٨٢
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق ..... ١١٨٢

## الموضوع

## الصفحة

- ٣ - معاني الكلمات ..... ١١٨٢
- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «والله تعالى يستجيب الدعوات ويقضي الحاجات» .. ١١٨٢
- ٥ - معنى الدعاء ..... ١١٨٢
- ٦ - تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦] ..... ١١٨٣
- ٧ - أنواع الدعاء ..... ١١٨٣
- ٨ - شروط إجابة الدعاء ..... ١١٨٣
- ٩ - أنواع القرب ..... ١١٨٤
- ١٠ - مذهب أهل السنة والجماعة أن الدعاء أقوى الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار ..... ١١٨٤
- ١١ - أدلة أهل السنة والجماعة في مسألة الانتفاع بالدعاء ..... ١١٨٤
- ١٢ - المخالفون لأهل السنة في مسألة الانتفاع بالدعاء ..... ١١٨٥
- ١٣ - الرد على شبه المخالفين لأهل السنة في مسألة الانتفاع بالدعاء ..... ١١٨٦
- ١٤ - الجواب على دعوى بعض: دعونا فلم يستجب لنا، والله يقول: ﴿أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] ..... ١١٨٧
- ١٥ - المعاني المستلزمة للدعاء ..... ١١٨٧
- ١٦ - معنى كلام الطحاوي: «ويملك كل شيء ولا يملكه شيء، ولا غنى عن الله تعالى طرفة عين، ومن استغنى عن الله طرفة عين فقد كفر وصار من أهل الحين» ..... ١١٨٨
- ١٧ - معنى قول طائفة من العلماء: «أن الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد» ..... ١١٨٨
- ١٨ - الخلاصة ..... ١١٨٨
- ١٩ - المناقشة ..... ١١٨٩
- صفنا الغضب والرضا ..... ١١٩١
- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب ..... ١١٩٥
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق ..... ١١٩٥
- ٣ - معاني الكلمات ..... ١١٩٥
- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «والله يغضب ويرضى، لا كأحد من الورى» ..... ١١٩٥
- ٥ - تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨] ..... ١١٩٥
- وسبب تسمية البيعة ببيعة الرضوان ..... ١١٩٥
- ٦ - مذهب أهل السنة والجماعة في صفتي الرضا والغضب ..... ١١٩٦
- ٧ - الأدلة من الكتاب والسنة على إثبات صفتي الرضا والغضب ..... ١١٩٦



## الصفحة

## الموضوع

- ٨ - المخالفون لأهل السنة في إثبات صفتي الرضا والغضب ..... ١١٩٦
- ٩ - الخلاصة ..... ١١٩٨
- ١٠ - المناقشة ..... ١١٩٨
- محبة أصحاب رسول الله ﷺ ..... ١١٩٩
- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب ..... ١٢٠٦
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق ..... ١٢٠٦
- ٣ - معاني الكلمات ..... ١٢٠٦
- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «ونحب أصحاب رسول الله ولا نفرط في حب أحد منهم ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان» ..... ١٢٠٦
- ٥ - تعريف الصحابي ..... ١٢٠٧
- ٦ - فضل الصحابة وحقوقهم ..... ١٢٠٧
- ٧ - الأدلة على فضل الصحابة ..... ١٢٠٧
- ٨ - حكم سب الصحابة ..... ١٢٠٨
- ٩ - مذهب أهل السنة في الصحابة ..... ١٢٠٩
- ١٠ - المخالفون لأهل السنة والجماعة في محبة الصحابة ..... ١٢٠٩
- ١١ - المراد بالسابقين في قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْهُمُ الْمُتَّقُونَ وَالَّذِينَ تَبِعُوا مِنْهُمْ فِي سُبُلِهِمْ يُسَافِرُونَ﴾ ..... ١٢٠٩
- ١٢ - حكم الغلو في محبة الصحابة ..... ١٢١٠
- ١٣ - وجه كون حب الصحابة ديناً وإيماناً وإحساناً ..... ١٢١٠
- ١٤ - وجه كون بغض الصحابة كفراً ونفاقاً وطغياناً ..... ١٢١٠
- ١٥ - معنى قول الرافضة: «لا ولاء إلا لبراءة» ..... ١٢١١
- ١٦ - الخصلة التي فضل بها اليهود والنصارى على الرافضة ..... ١٢١١
- ١٧ - معنى قول السلف: الشهادة بدعة والبراءة بدعة ..... ١٢١١
- ١٨ - الخلاصة ..... ١٢١١
- ١٩ - المناقشة ..... ١٢١٢
- مبحث الخلافة ..... ١٢١٣
- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب ..... ١٢٢٦
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق ..... ١٢٢٦
- ٣ - معاني الكلمات ..... ١٢٢٦

## الصفحة

## الموضوع

- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «ونثبت الخلافة بعد رسول الله ﷺ أولاً لأبي بكر الصديق ﷺ، تفضلاً له وتقديماً على جميع الأمة، ثم لعمر بن الخطاب ﷺ، ثم لعثمان ﷺ، ثم لعلي بن أبي طالب ﷺ، وهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون» ..... ١٢٢٦
- ٥ - وجه إدخال الطحاوي هذه المسألة الفقهية في العقيدة ..... ١٢٢٧
- ٦ - حكم تنصيب ولي الأمر على المسلمين ..... ١٢٢٧
- ٧ - مكانة الخلفاء الراشدين ووجوب اتباعهم ..... ١٢٢٧
- ٨ - مدة الخلافة الراشدة ..... ١٢٢٨
- ٩ - أولى الناس بالخلافة بعد رسول الله ﷺ ..... ١٢٢٨
- ١٠ - خلافة أبي بكر ﷺ ثابتة بالنص ..... ١٢٢٨
- ١١ - ثبوت خلافة عمر ﷺ بتفويض من أبي بكر ﷺ ..... ١٢٣٠
- ١٢ - ثبوت خلافة عثمان ﷺ بالشورى ..... ١٢٣٠
- ١٣ - ثبوت خلافة علي لما قتل عثمان ..... ١٢٣٣
- ١٤ - المفاضلة بين عثمان وعلي ..... ١٢٣٣
- ١٥ - موقف المسلم من الفتنة التي وقعت بين الصحابة ..... ١٢٣٣
- ١٦ - الخلاصة ..... ١٢٣٤
- ١٧ - المناقشة ..... ١٢٣٥
- العشرة المبشرون بالجنة. .... ١٢٣٧
- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب ..... ١٢٤٢
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق ..... ١٢٤٢
- ٣ - معاني الكلمات ..... ١٢٤٢
- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «وأن العشرة الذين سماهم رسول الله ﷺ ويشركهم بالجنة نشهد لهم بالجنة على ما شهد لهم رسول الله ﷺ، وقوله الحق وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح وهو أمين هذه الأمة رضي الله عنهم أجمعين» ..... ١٢٤٢
- ٥ - أفضل الصحابة المبشرين بالجنة ..... ١٢٤٣
- ٦ - الأدلة على فضل العشرة المبشرين بالجنة ..... ١٢٤٣
- ٧ - الرافضة يتبرؤون من العشرة المبشرين بالجنة ..... ١٢٤٣
- ٨ - الخلاصة ..... ١٢٤٤
- ٩ - المناقشة ..... ١٢٤٤
- ما يجب على المسلم تجاه أصحاب رسول الله ﷺ وأزواجه ..... ١٢٤٥

## الصفحة

## الموضوع

- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب ..... ١٢٤٨
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق ..... ١٢٤٨
- ٣ - معاني الكلمات ..... ١٢٤٨
- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «ومن أحسن القول في أصحاب رسول الله وأزواجه الطاهرات من كل دنس وذرياته المقدسين من كل رجس فقد برئ من النفاق» ..... ١٢٤٨
- ٥ - المراد بأهل البيت ..... ١٢٤٩
- ٦ - أدلة فضل أهل البيت ..... ١٢٤٩
- ٧ - الوصية بأهل البيت ..... ١٢٤٩
- ٨ - موقف أهل السنة والجماعة من أهل البيت ..... ١٢٤٩
- ٩ - حكم الغلو في أهل البيت ..... ١٢٥٠
- ١٠ - الرد على ابن حزم في دعواه تفضيل أزواج النبي ﷺ على العشرة المبشرين بالجنة ..... ١٢٥٠
- ١١ - الواجب على المسلم تجاه الصحابة رضي الله عنهم ..... ١٢٥١
- ١٢ - أول من أظهر مذهب الرفض ..... ١٢٥١
- ١٣ - الرفضية ستار للزندقة ..... ١٢٥٢
- ١٤ - الخلاصة ..... ١٢٥٢
- ١٥ - المناقشة ..... ١٢٥٣
- مذهب أهل السنة والجماعة في علماء السلف ..... ١٢٥٥
- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب ..... ١٢٥٧
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق ..... ١٢٥٧
- ٣ - معاني الكلمات ..... ١٢٥٧
- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر وأهل الفقه والنظر لا يذكرون إلا بالجميل ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل» ..... ١٢٥٧
- ٥ - المراد بالسلف ..... ١٢٥٧
- ٦ - أصناف علماء السلف ..... ١٢٥٨
- ٧ - عقيدة أهل السنة والجماعة تجاه علماء السلف ..... ١٢٥٨
- ٨ - أعداء العلماء في مخالفة الحديث الصحيح ..... ١٢٥٩
- ٩ - موقف المعتزلة والأشاعرة من علماء السلف ..... ١٢٥٩
- ١٠ - حرمة الطعن في العلماء ..... ١٢٥٩
- ١١ - أصناف الطاعنين في العلماء ..... ١٢٥٩
- ١٢ - نماذج من الطعن في علماء السلف المعاصرين ..... ١٢٦٠

الصفحة	الموضوع
١٢٦١	١٣ - الآثار السيئة لظاهرة الطعن في العلماء السلفيين المعاصرين
١٢٦٢	١٤ - وسائل علاج الطعن في العلماء
١٢٦٣	١٥ - الخلاصة
١٢٦٣	١٦ - المناقشة
١٢٦٥	المفاضلة بين الأنبياء والأولياء
١٢٦٩	١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب
١٢٦٩	٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق
١٢٦٩	٣ - معاني الكلمات
	٤ - معنى كلام الطحاوي: «ولا نفضل أحداً من الأولياء على أحد من الأنبياء ﷺ ونقول نبي واحد أفضل من جميع الأولياء»
١٢٦٩	٥ - مفهوم الولاية عند أهل السنة
١٢٧٠	٦ - أفضل أولياء الله عند أهل السنة
١٢٧٠	٧ - نظرة غلاة المتصوفة إلى الأنبياء
١٢٧٠	٨ - المقصود بختم الولاية
١٢٧١	٩ - المراد من ختم الولاية عند ابن عربي
١٢٧١	١٠ - التعريف بابن عربي وأقوال الناس فيه
١٢٧٢	١١ - مذهب ابن عربي في ختم الولاية والرد عليه
١٢٧٣	١٢ - الولي عند الصوفية
١٢٧٤	١٣ - الخلاصة
١٢٧٤	١٤ - المناقشة
١٢٧٧	الإيمان بكرامات الأولياء
١٢٨٤	١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب
١٢٨٤	٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق
١٢٨٤	٣ - معاني الكلمات
١٢٨٤	٤ - معنى كلام الطحاوي: «ونؤمن بما جاء من كراماتهم وصح عن الثقات من رواياتهم»
١٢٨٤	٥ - تعريف المعجزة
١٢٨٥	٦ - شروط المعجزة
١٢٨٥	٧ - تعريف الكرامة
١٢٨٥	٨ - أنواع الكرامات
١٢٨٦	٩ - المقارنة بين المعجزة والكرامة
١٢٨٦	١٠ - ضوابط الكرامة عند أهل السنة

## الصفحة

## الموضوع

- ١٢٨٧ ..... ١١ - أدلة ثبوت الكرامة
- ١٢٨٧ ..... ١٢ - كرامات الأولياء معجزات الأنبياء
- ١٢٨٧ ..... ١٣ - أنواع الخوارق للعادة
- ١٢٨٨ ..... ١٤ - أقسام الأشياء المخارقة للعادة من حيث الأصل
- ١٢٨٨ ..... ١٥ - تبرأ النبي ﷺ من أمور ثلاثة
- ١٢٨٨ ..... ١٦ - الحكمة من إجراء الكرامة على يد بعض العباد
- ١٢٨٩ ..... ١٧ - هل يدل إجراء الكرامة على يد شخص على كرامته عند الله
- ١٢٩٠ ..... ١٨ - منكرو الكرامة، وشبهاتهم والرد عليها
- ١٢٩٠ ..... ١٩ - نوعا كلمات الله
- ١٢٩٠ ..... ٢٠ - الكشف والتأثير باعتبار تنوع كلمات الله تعالى
- ١٢٩١ ..... ٢١ - معنى الفراسة وأنواعها
- ١٢٩١ ..... ٢٢ - الفرق بين الكرامة والفراسة
- ١٢٩١ ..... ٢٣ - هل عدم حصول الكرامة للمسلم يضر به أم لا؟
- ١٢٩٢ ..... ٢٤ - الفرق بين كرامات الأولياء وخوارق الكهان والسحرة
- ١٢٩٣ ..... ٢٥ - الخلاصة
- ١٢٩٤ ..... ٢٦ - المناقشة
- ١٢٩٥ ..... الإيمان بأشراط الساعة
- ١٢٩٨ ..... ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب
- ١٢٩٨ ..... ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق
- ١٢٩٨ ..... ٣ - معاني الكلمات
- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «ونؤمن بأشراط الساعة من خروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم ﷺ من السماء ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها وخروج دابة الأرض من موضعها»
- ١٢٩٨ ..... ٥ - المراد بأشراط الساعة
- ١٢٩٩ ..... ٦ - أقسام أشراط الساعة
- ١٢٩٩ ..... ٧ - أشراط الساعة الكبرى
- ١٢٩٩ ..... ٨ - أول الآيات ظهوراً
- ١٣٠٠ ..... ٩ - الخلاصة
- ١٣٠٠ ..... ١٠ - المناقشة
- ١٣٠١ ..... الكهانة والعرافة
- ١٣١٢ ..... ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب

الموضوع

الصفحة

- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق ..... ١٣١٢
- ٣ - معاني الكلمات ..... ١٣١٢
- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «ولا نصدق كاهناً ولا عرافاً ولا من يدعي شيئاً يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة» ..... ١٣١٢
- ٥ - أنواع المنجمين ..... ١٣١٣
- ٦ - معنى السحر وحكمه ..... ١٣١٣
- ٧ - حكم الساحر ..... ١٣١٣
- ٨ - الأقوال في حقيقة السحر ..... ١٣١٣
- ٩ - السحر الذي فيه كفر اتفاقاً ..... ١٣١٤
- ١٠ - كل رقية فيها شرك لا تجوز ..... ١٣١٤
- ١١ - عدم جواز الاستعانة بالجن ..... ١٣١٤
- ١٢ - معنى استمتاع كل من الأنس والجن ببعضهم البعض ..... ١٣١٤
- ١٣ - رجال الغيب ..... ١٣١٥
- ١٤ - القول بأن الفقراء يسلم لهم حالهم والرد عليه ..... ١٣١٥
- ١٥ - الاعتقاد في بعض البله ..... ١٣١٦
- ١٦ - حديث: «أكثر أهل الجنة البله» ..... ١٣١٧
- ١٧ - الطائفة الملامية ..... ١٣١٧
- ١٨ - من يصعق بالأنغام الحسنة ويهذي بسماعها ..... ١٣١٧
- ١٩ - من يجوز الخروج عن الشريعة متعلقاً بقصة موسى ..... ١٣١٨
- ٢٠ - من يقول بطواف الكعبة معه ..... ١٣١٨
- ٢١ - معنى الكاهن والعرّاف ..... ١٣١٩
- ٢٢ - حكم الكهانة والعرافة ..... ١٣١٩
- ٢٣ - خطورة إتيان الكهان والعرّافين ..... ١٣١٩
- ٢٤ - حكم سؤال العرّاف ..... ١٣١٩
- ٢٥ - سبل الوقاية من السحر ..... ١٣١٩
- ٢٦ - موقف المسلم من السحر والمشعوذين ..... ١٣٢٠
- ٢٧ - الخلاصة ..... ١٣٢٠
- ٢٨ - المناقشة ..... ١٣٢٢
- الحث على الاجتماع والنهي عن التفرّق والاختلاف ..... ١٣٢٣
- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب ..... ١٣٣٠
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق ..... ١٣٣٠

## الصفحة

## الموضوع

- ٣ - معاني الكلمات ..... ١٣٣٠
- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «ونرى الجماعة حقاً وصواباً، والفرقة زيغاً وعذاباً» .. ١٣٣٠
- ٥ - الأدلة الاجتماع والنهي عن الافتراق ..... ١٣٣٠
- ٦ - وجوب الرد إلى الكتاب والسنة عند التنازع ..... ١٣٣٢
- ٧ - أقسام الناس ..... ١٣٣٢
- ٨ - مراتب الافتراق والاختلاف في الدين ..... ١٣٣٢
- ٩ - أنواع الاختلاف ..... ١٣٣٣
- ١٠ - اختلاف التنوع يكون على وجوه ..... ١٣٣٣
- ١١ - اختلاف التضاد ..... ١٣٣٣
- ١٢ - موضع الذم في خلاف التنوع ..... ١٣٣٤
- ١٣ - أكثر البغي في التنوع وأدلة البغي ..... ١٣٣٤
- ١٤ - الاختلاف في كتاب الله على نوعين ..... ١٣٣٤
- ١٥ - الخلاصة ..... ١٣٣٦
- ١٦ - المناقشة ..... ١٣٣٦
- الدين عند الله الإسلام ..... ١٣٣٧
- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب ..... ١٣٤١
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق ..... ١٣٤١
- ٣ - معاني الكلمات ..... ١٣٤١
- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «ودين الله في الأرض والسماء واحد وهو دين الإسلام، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩] وقال تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] وهو بين الغلو والتقصير وبين التشبيه والتعطيل وبين الجبر والقدر وبين الأمن والإياس» .. ١٣٤١
- ٥ - أدلة أن الدين عند الله الإسلام ..... ١٣٤٢
- ٦ - ظهور الإسلام ..... ١٣٤٢
- ٧ - تعليم النبي ﷺ كل بحسبه ..... ١٣٤٢
- ٨ - معنى قول الطحاوي: «بين الغلو والتقصير» ..... ١٣٤٣
- ٩ - معنى قول الطحاوي: «بين التشبيه والتعطيل» ..... ١٣٤٤
- ١٠ - معنى قول الطحاوي: «بين الجبر والقدر» ..... ١٣٤٤
- ١١ - معنى قول الطحاوي: «بين الأمن والإياس» ..... ١٣٤٤
- ١٢ - الخلاصة ..... ١٣٤٤
- ١٣ - المناقشة ..... ١٣٤٥

- البراءة ممن يخالف عقيدة أهل السنة والجماعة ..... ١٣٤٧
- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب ..... ١٣٥٧
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق ..... ١٣٥٧
- ٣ - معاني الكلمات ..... ١٣٥٧
- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «فهذا ديننا واعتقادنا ظاهراً وباطناً ونحن براء إلى الله تعالى من كل من خالف الذي ذكرناه وبيناه ونسأل الله تعالى أن يثبتنا على الإيمان ويختم لنا به ويعصمنا من الأهواء المختلفة والآراء المتفرقة والمذاهب الردية مثل المشبهة والمعتزلة والجهمية والجبرية والقدرية وغيرهم من الذين خالفوا السنة والجماعة وحالفوا الضلالة ونحن منهم براء وهم عندنا ضلال وأردياء وبالله العصمة والتوفيق» ..... ١٣٥٧
- ٥ - التعريف بالمشبهة ورؤوسهم ..... ١٣٥٨
- ٦ - التعريف بالمعتزلة ورؤوسهم ..... ١٣٥٨
- ٧ - أصول المعتزلة ..... ١٣٥٨
- ٨ - التعريف بالجهمية ورؤوسهم ..... ١٣٦٠
- ٩ - قصة الجعد والجهم ..... ١٣٦٠
- ١٠ - ما تفرد به جهم بن صفوان من اعتقاد ..... ١٣٦١
- ١١ - الخلفاء العباسيون والإمام أحمد ..... ١٣٦١
- ١٢ - التعريف بالجبرية ورؤوسهم ..... ١٣٦١
- ١٣ - نصوص في ذم القدرية ..... ١٣٦٢
- ١٤ - تتابع الفتن وترتيبها ..... ١٣٦٢
- ١٥ - تقابل هذه الفرق ..... ١٣٦٢
- ١٦ - سبب الضلال مخالفة سبيل المؤمنين والصراط المستقيم ..... ١٣٦٣
- ١٧ - قول بعض السلف في المنحرفين من العباد والعلماء ..... ١٣٦٣
- ١٨ - طرق الضلال ..... ١٣٦٤
- ١٩ - أهل التبديل نوعان ..... ١٣٦٤
- ٢٠ - تفصيل القول في هذه الفرق ..... ١٣٦٤
- ٢١ - من قال: أن المراد خلاف الظاهر ..... ١٣٦٥
- ٢٢ - الخلاصة ..... ١٣٦٥
- ٢٣ - المناقشة ..... ١٣٦٥
- فهرس المجلد الثالث ..... ١٣٦٨



## فهرس المجلد الأول

<u>الموضوع</u>	<u>الصفحة</u>
* مُقَدِّمَةٌ	٥
- ترجمة الإمام الطحاوي	٩
- ترجمة الشارح ابن أبي العز الحنفي	١٣
* متن العقيدة الطحاوية	١٧
١ - غرض الإمام الطحاوي من هذه العقيدة	٣٠
٢ - معاني الكلمات	٣٠
٣ - العقيدة التي قررها الطحاوي ليست خاصة بالإمام أبي حنيفة وصاحبه	٣٠
٤ - التعريف بالإمام أبي حنيفة وصاحبه	٣١
٥ - بيان أن الأئمة الأربعة على عقيدة واحدة	٣١
٦ - التعريف بأهل السنة والجماعة	٣٣
٧ - نبذة يسيرة عن تاريخ أهل السنة والجماعة	٤١
٨ - الخلاصة	٤٧
٩ - المناقشة	٤٩
مقدمات في الاعتقاد	٥١
١ - غرض الشارح ابن أبي العز من عقد هذه المقدمة	٥٥
٢ - معاني الكلمات	٥٥
٣ - أسماء هذا العلم وألقابه	٥٦
٤ - معنى العقيدة	٥٧
٥ - أهمية العقيدة الطحاوية وشرح ابن أبي العز	٥٧
٦ - تعريف علم التوحيد	٦٠
٧ - مكانة علم التوحيد بين العلوم	٦٠

## الصفحة

## الموضوع

- ٨ - الأدلة على علو علم التوحيد وشرفه ..... ٦٠
- ٩ - معنى أصول الدين بين السلف والمتكلمين ..... ٦١
- ١٠ - وجه تسمية علم التوحيد بـ«الفقه الأكبر» ..... ٦٢
- ١١ - مصادر أهل السنة والجماعة في تلقي العقيدة ..... ٦٢
- ١٢ - قواعد أهل السنة وسمات منهجهم في تقرير العقيدة ..... ٦٣
- ١٣ - القرآن والسنة وحي من الله ﷻ ..... ٦٣
- ١٤ - الكتاب والسنة حوي أصول الدين وفروعه ..... ٦٤
- ١٥ - حاجة الناس إلى الوحي ..... ٦٤
- ١٦ - منزلة العقل في الإسلام ..... ٦٤
- ١٧ - هل تستقل العقول بمعرفة التوحيد؟ ..... ٦٥
- ١٨ - أعرف الناس بالله ﷻ ..... ٦٥
- ١٩ - معرفة الله ﷻ عند أهل التوحيد ..... ٦٦
- ٢٠ - الأصلان التابعان للتوحيد ..... ٦٦
- ٢١ - حكم تعلم علم التوحيد ..... ٦٦
- ٢٢ - هل ما يجب على الأعيان متنوع أم متفق؟ ..... ٦٦
- ٢٣ - الخلاصة ..... ٦٧
- ٢٤ - المناقشة ..... ٦٨
- ظهور الفرق والبدع في الدين ..... ٦٩
- ١ - غرض الشارح ابن أبي العز من عقد هذه المقدمة ..... ٧٧
- ٢ - معاني الكلمات ..... ٧٧
- ٣ - سبب ضلال الفرق ..... ٧٩
- ٤ - مضي خير القرون وبيان حقيقة اتباع النبي ﷺ ..... ٧٩
- ٥ - ظهور الخلاف ..... ٨٠
- ٦ - استمرار طائفة على الحق، ورغبة الطحاوي في تقرير عقيدة السلف عن أبي حنيفة وصاحبيه ..... ٨٠

## الصفحة

## الموضوع

- ٧ - ظهور البدع كلما بُعد العهد ..... ٨١
- ٨ - الطوائف التي ضلت في اتباع الرسل ..... ٨٢
- ٩ - منهج الصوفية في الاستدلال لمسائل العقيدة ..... ٨٢
- ١٠ - منهج الرافضة في الاستدلال لمسائل العقيدة ..... ٨٢
- ١١ - علم الكلام وذم السلف له ..... ٨٣
- ١٢ - منهج المتكلمين في العقيدة ..... ٨٣
- ١٣ - التحريف والتأويل الكلامي المذموم ..... ٨٤
- ١٤ - الدلالة على ذم علم الكلام من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِبَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْرِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾ [الأنعام: ٦٨] ..... ٨٤
- ١٥ - مراتب التحريف البدعي ..... ٨٤
- ١٦ - وجه الشبه بين المنافقين وبين المتكلمين والفلاسفة وحججهم وسبب ذلك . ..... ٨٥
- ١٧ - ذم شيوخ الحنفية لعلم الكلام ..... ٨٥
- ١٨ - دعوى المتكلمين أن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم ..... ٨٦
- ١٩ - مصطلحات المتكلمين وموقف السلف منها ..... ٨٦
- ٢٠ - منهج ابن أبي العز في الطحاوية ..... ٨٧
- ٢١ - الخلاصة ..... ٨٨
- ٢٢ - المناقشة ..... ٨٨
- حقيقة التوحيد ومسامه ..... ٩٣
- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب ..... ١٠٧
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق ..... ١٠٧
- ٣ - معاني الكلمات ..... ١٠٨
- ٤ - الفرق بين الفقرات التي ذكرها الإمام الطحاوي في تقرير التوحيد ..... ١١٠
- ٥ - معنى كلام الإمام الطحاوي: «نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله، إن الله واحد لا شريك له» ..... ١١٢

- ٦ - مفهوم التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين ..... ١١٢
- ٧ - مقارنة بين طريقتي أهل السنة والمتكلمين في حقيقة التوحيد ..... ١١٤
- ٨ - التوحيد أول دعوة الرسل ..... ١١٤
- ٩ - أول واجب على المكلف ..... ١١٤
- ١٠ - الإتيان بخصائص الإسلام دون التكلم بالشهادة ..... ١١٥
- ١١ - أقسام التوحيد ..... ١١٦
- ١٢ - مسمى التوحيد عند الجهم بن صفوان ومن وافقه ..... ١١٧
- ١٣ - شرح قول ابن أبي العز: «وهذا القول قد أفضى بقوم إلى القول بالحلول والاتحاد» ..... ١١٧
- ١٤ - أدلة توحيد الربوبية ..... ١١٨
- ١٥ - تقرير توحيد الربوبية عند المتكلمين ..... ١٢٢
- ١٦ - منهج المتكلمين في إثبات الوجدانية في الربوبية ..... ١٢٢
- ١٧ - خطأ استدلال المتكلمين على دليل التمانع بقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢] ..... ١٢٢
- ١٨ - العباد مفطورون على الإقرار بالتوحيد ..... ١٢٣
- ١٩ - أنواع الفطرة ..... ١٢٤
- ٢٠ - أدلة ثبوت الفطرة ..... ١٢٤
- ٢١ - الطوائف التي غلت في توحيد الربوبية ..... ١٢٥
- ٢٢ - الطوائف التي أشركت في الربوبية ..... ١٢٥
- ٢٣ - المقاييس العقلية لإبطال الشرك في الربوبية في كتاب الله ..... ١٢٦
- ٢٤ - الخلاصة ..... ١٢٧
- ٢٥ - المناقشة ..... ١٢٧
- أقسام التوحيد ..... ١٢٩
- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب ..... ١٤١
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق ..... ١٤١

## الصفحة

## الموضوع

- ٣ - معاني الكلمات ..... ١٤١
- ٤ - تقسيم التوحيد عند أهل السنة ..... ١٤٣
- ٥ - فضائل توحيد الألوهية وثمراته ..... ١٤٤
- ٦ - معنى لا إله إلا الله، ومتى تنفع قائلها؟ ..... ١٤٥
- ٧ - المخالفون لأهل السنة والجماعة في معنى لا إله إلا الله ..... ١٤٥
- ٨ - توحيد الألوهية هو الغاية ..... ١٤٧
- ٩ - مكانة توحيد الألوهية وأهميته ..... ١٤٧
- ١٠ - معنى تحقيق توحيد الألوهية وجزاء من حققه ..... ١٤٨
- ١١ - مراتب الناس في تحقيق توحيد الألوهية ..... ١٤٨
- ١٢ - توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية ..... ١٤٨
- ١٣ - الاستدلال بتوحيد الأسماء والصفات على توحيد العبادة ..... ١٤٩
- ١٤ - موقف أهل الكلام والتصوف من توحيد الألوهية ..... ١٤٩
- ١٥ - موقف المتكلمين من الشرك ..... ١٥٠
- ١٦ - شهادة الله لنفسه بالتوحيد ..... ١٥٠
- ١٧ - مراتب الشهادة ..... ١٥١
- ١٨ - دليل التمانع في الألوهية ..... ١٥٢
- ١٩ - غالب سور القرآن متضمنة لنوعي التوحيد ..... ١٥٢
- ٢٠ - طريقة القرآن في بيان استحقاق الله ﷻ للوحدانية ..... ١٥٣
- ٢١ - طرق الاستدلال على الوحدانية ..... ١٥٤
- ٢٢ - أكمل الناس توحيداً عند أهل السنة ..... ١٥٤
- ٢٣ - أقسام التوحيد عند الصوفية ..... ١٥٤
- ٢٤ - أبيات الهروي التي أوردها ابن أبي العز ..... ١٥٥
- ٢٥ - الخلاصة ..... ١٥٥
- ٢٦ - المناقشة ..... ١٥٦

## الصفحة

## الموضوع

- من أصول التوحيد أن الله تعالى ليس كمثل شيء ..... ١٥٧
- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب ..... ١٧٠
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق ..... ١٧٠
- ٣ - معاني الكلمات ..... ١٧٠
- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «ولا شيء مثله» ..... ١٧١
- ٥ - معنى كلام الطحاوي: «ولا شيء يعجزه» ..... ١٧١
- ٦ - الجمع بين النفي والإثبات في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ  
الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ..... ١٧٢
- ٧ - حكم من مثل صفات الله بصفات الخلق ..... ١٧٢
- ٨ - الممثل يعبد صنماً ..... ١٧٢
- ٩ - من شبه الله بخلقه فقد شابهه النصارى ..... ١٧٢
- ١٠ - التعبير بنفي التمثيل أولى من التعبير بنفي التشبيه ..... ١٧٣
- ١١ - طريقة السلف في التنزيه ..... ١٧٣
- ١٢ - مفهوم التنزيه عند المعطلة ..... ١٧٤
- ١٣ - المعطلة يصفون الله تعالى بالنفي المحض ..... ١٧٤
- ١٤ - الأدلة على أن الاشتراك في الأسماء والصفات لا يستلزم تماثل المسميات ..... ١٧٥
- ١٥ - أمثلة لأسماء سمى بها الله نفسه وسمى بها بعض عباده ..... ١٧٦
- ١٦ - تعريف القدر المشترك ..... ١٧٧
- ١٧ - القدر المشترك ضروري لفهم الخطاب ..... ١٧٧
- ١٨ - أقسام الناس في القدر المشترك ..... ١٧٨
- ١٩ - سبب اضطراب أهل الكلام في القدر المشترك ..... ١٨٠
- ٢٠ - مراتب الخطاب ..... ١٨١
- ٢١ - مذاهب نفاة الصفات ..... ١٨١
- ٢٢ - مذهب أهل الاعتزال في الأسماء والصفات ..... ١٨٢

- ٢٣ - مقارنة بين طريقة السلف وطريقة الأشعرية من حيث الإثبات والنفي في  
نصوص الصفات ..... ١٨٢
- ٢٤ - حوار مع أشعري ..... ١٨٣
- ٢٥ - حوار الأشعري مع معتزلي ..... ١٨٣
- ٢٦ - أهل السنة والجماعة لا يصفون الله تعالى بالنفي المحض ..... ١٨٤
- ٢٧ - الأدلة من الكتاب والسنة على إثبات قدرة الرب ..... ١٨٤
- ٢٨ - معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ  
إِنَّهُ كَانُ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤] ..... ١٨٥
- ٢٩ - النفي قد يأتي مفصلاً والإثبات مجملاً في القرآن ..... ١٨٥
- ٣٠ - الخلاصة ..... ١٨٦
- ٣١ - المناقشة ..... ١٨٧
- كلمة التوحيد: لا إله إلا الله ..... ١٨٩
- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب ..... ١٩٤
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق ..... ١٩٤
- ٣ - معاني الكلمات ..... ١٩٤
- ٤ - كلمة التوحيد نفي وإثبات ..... ١٩٤
- ٥ - معنى كلام الطحاوي: «ولا إله غيره» ..... ١٩٥
- ٦ - إعراب كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» ..... ١٩٥
- ٧ - الفرق بين نفي الوجود والماهية ..... ١٩٥
- ٨ - معنى كلام الطحاوي: «قديم بلا ابتداء» ..... ١٩٦
- ٩ - «القديم» ليس من أسماء الله ﷻ ..... ١٩٦
- ١٠ - معنى كلمة «القديم» ..... ١٩٧
- ١١ - معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥]. ..... ١٩٧

- ١٢ - معنى كلام ابن أبي العز: «والعلم بثبوت هذين الوصفين - الأول والآخر - مستقر في الفطر، فإن الموجودات لا بد أن تنتهي إلى واجب الوجود بذاته قطعاً للتسلسل» ..... ١٩٧
- ١٣ - معنى قول الطحاوي: «لا يفنى ولا يبىد» ..... ١٩٨
- ١٤ - قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧] ..... ١٩٨
- ١٥ - الخلاصة ..... ١٩٨
- ١٦ - المناقشة ..... ١٩٩
- كل ما يحدث في الكون فهو بإرادته ﷻ ..... ٢٠١
- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب ..... ٢٠٧
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق ..... ٢٠٧
- ٣ - معاني الكلمات ..... ٢٠٧
- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «ولا يكون إلا ما يريد» ..... ٢٠٨
- ٥ - علاقة القدر بالتوحيد ..... ٢٠٨
- ٦ - مراتب الإيمان بالقدر ..... ٢٠٨
- ٧ - المخالفون لأهل السنة في الإرادة ..... ٢٠٨
- ٨ - الفرق بين الإرادة الشرعية والإرادة الكونية ..... ٢٠٩
- ٩ - أمثلة على الإرادة الكونية والإرادة الشرعية ..... ٢٠٩
- ١٠ - هل يلزم من الأمر بالشيء لغة وشرعاً وعقلاً أن تعين المأمور على فعله؟ .. ٢١٠
- ١١ - لماذا أمر الله أبا بكر بالإيمان وأعانه؟ ولما أمر أبا لهب بالإيمان ولم يُعنه؟ ٢١٠
- ١٢ - أفعال الله ﷻ وأوامره تصدر عن حكمة ..... ٢١١
- ١٣ - المنحرفون في باب القدر ..... ٢١١
- ١٤ - القدرية يقولون: إنه يقع في ملك الله شيء لا يريده ..... ٢١٢
- ١٥ - إذا قال قائل: إذا كان في علم الله السابق أن أبا لهب لن يؤمن، فلماذا أمره بالإيمان؟ ..... ٢١٢



الموضوع	الصفحة
١٦ - الخلاصة	٢١٢
١٧ - المناقشة	٢١٣
معرفة البشر بربهم بأسمائه وصفاته وعجزهم عن الإحاطة بكنهه وحقيقته	٢١٥
١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب	٢٢٣
٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق	٢٢٣
٣ - معاني الكلمات	٢٢٣
٤ - معنى كلام الطحاوي: «لا تبلغه الأوهام ولا تدركه الأفهام»	٢٢٤
٥ - قصد الطحاوي بالعبارة: «لا تبلغه الأوهام ولا تدركه الأفهام» الرد على الممثلة والمعتلة	٢٢٤
٦ - تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]	٢٢٤
٧ - معنى كلام الطحاوي: «ولا يشبه الأنام»	٢٢٥
٨ - المعتلة مرادهم بنفي التشبيه نفي الصفات	٢٢٥
٩ - معنى التشبيه	٢٢٥
١٠ - الفرق بين التشبيه والتمثيل	٢٢٦
١١ - وجه بطلان طريقة المتكلمين في التنزيه وذلك بنفي التشبيه	٢٢٦
١٢ - حكم الممثلة عند السلف	٢٢٦
١٣ - معنى كلام الطحاوي: «حي لا يموت قيوم لا ينام»	٢٢٧
١٤ - تفسير قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]	٢٢٧
١٥ - مدار الأسماء والصفات على هذين الاسمين «الحي القيوم»	٢٢٨
١٦ - علامة الجهمية عند أهل السنة والجماعة	٢٢٨
١٧ - المبتدعة يرمون أهل السنة بأقبح الألفاظ للتفجير من مذهب أهل السنة	٢٢٨
١٨ - المعتلة والممثلة يستخدمون الأقيسة في حق الله	٢٢٨
١٩ - الممثل يعبد صنماً والمعتل يعبد عدماً	٢٢٩
٢٠ - الخلاصة	٢٢٩
٢١ - المناقشة	٢٢٩

- إثبات الصفات (الخلق والرزق) ومن الصفات الفعلية أنه يحيي ويميت ..... ٢٣١
- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب ..... ٢٣٤
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق ..... ٢٣٤
- ٣ - معاني الكلمات ..... ٢٣٤
- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «خالق بلا حاجة رازق بلا مؤونة» ..... ٢٣٤
- ٥ - معنى كلام الطحاوي: «ميت بلا مخافة وياعث بلا مشقة» ..... ٢٣٥
- ٦ - أنواع الرزق ..... ٢٣٥
- ٧ - هل يشمل الرزق الحلال والحرام ..... ٢٣٥
- ٨ - هل يزيد الرزق وينقص؟ ..... ٢٣٥
- ٩ - الموت صفة وجودية ..... ٢٣٥
- ١٠ - الخلاصة ..... ٢٣٦
- ١١ - المناقشة ..... ٢٣٦
- اتصاف الرب تعالى بصفات الكمال أزلاً وأبداً ..... ٢٣٧
- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب ..... ٢٤٧
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق ..... ٢٤٧
- ٣ - معاني الكلمات ..... ٢٤٧
- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «ما زال بصفاته قديماً قبل خلقه لم يزد بكونهم شيئاً لم يكن قبلهم من صفته، وكما كان بصفاته أزلياً كذلك لا يزال عليها أبدياً» ..... ٢٤٨
- ٥ - أقسام الصفات ..... ٢٤٨
- ٦ - قواعد أهل السنة في الأسماء والصفات ..... ٢٤٨
- ٧ - حلول الحوادث والاستفصال في نفيه ..... ٢٤٩
- ٨ - هل الصفة زائدة على الذات؟! ..... ٢٥٠
- ٩ - معنى قول بعض السلف: الاستواء معلوم والكيف مجهول ..... ٢٥١
- ١٠ - هل الاسم عين المسمى؟ ..... ٢٥١
- ١١ - الاستعاذة بالصفات ..... ٢٥١

## الصفحة

## الموضوع

- ١٢ - التسلسل وأنواعه ..... ٢٥٢
- ١٣ - مذاهب الناس في أفعال الرب ..... ٢٥٣
- ١٤ - الخلاصة ..... ٢٥٣
- ١٥ - المناقشة ..... ٢٥٣
- الله الخالق والبارئ وهو الرب بكل معاني الربوبية قبل أن يخلق الخلق ..... ٢٥٥
- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب ..... ٢٦١
- ٢ - مناسبة الباب لما سبق ..... ٢٦١
- ٣ - معاني الكلمات ..... ٢٦١
- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخالق ولا بإحداث البرية استفاد اسم البارئ» ..... ٢٦٢
- ٥ - معنى كلام الطحاوي: «له معنى الربوبية ولا مربوب» ..... ٢٦٢
- ٦ - معنى كلام الطحاوي: «وكما أنه محيي الموتى بعد ما أحيا استحق هذا الاسم قبل إحيائهم كذلك استحق الخالق قبل إنشائهم» ..... ٢٦٢
- ٧ - معنى الخالق والرب ..... ٢٦٣
- ٨ - ما هو أول هذا العالم؟ ..... ٢٦٣
- ٩ - تفسير قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦] ..... ٢٦٤
- ١٠ - الخلاصة ..... ٢٦٤
- ١١ - المناقشة ..... ٢٦٥
- إثبات قدرة الرب على كل شيء والرد على المعتزلة ..... ٢٦٧
- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب ..... ٢٧٤
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق ..... ٢٧٤
- ٣ - معاني الكلمات ..... ٢٧٤
- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «ذلك بأنه على كل شيء قدير، وكل شيء إليه فقير، وكل أمر عليه يسير، لا يحتاج إلى شيء، ليس كمثلته شيء وهو السميع البصير» ..... ٢٧٥

- ٥ - معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠] ..... ٢٧٥
- ٦ - تسمية الله تعالى بالقادر والقدير والمقتدر ..... ٢٧٥
- ٧ - القادر هو الذي يفعل بمشيئة وقدره ..... ٢٧٦
- ٨ - دوام كون الله تعالى قادراً في الأزل والأبد ..... ٢٧٦
- ٩ - الفرق بين قدرة الرب وقدرة العبد ..... ٢٧٦
- ١٠ - مذهب المعتزلة في قدرة الرب ..... ٢٧٦
- ١١ - تحريف المعتزلة لعموم قدرة الله ..... ٢٧٧
- ١٢ - المحال غير داخل في الشيء ..... ٢٧٧
- ١٣ - هل المعدوم شيء؟ ..... ٢٧٨
- ١٤ - تفسير قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ..... ٢٧٨
- ١٥ - تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠] ..... ٢٧٨
- ١٦ - إعراب الكاف في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ..... ٢٧٨
- ١٧ - هل يوجد تعارض بين قوله: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ [الروم: ٢٧] وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]؟ ..... ٢٧٩
- ١٨ - موقف أحمد بن أبي دؤاد وجهم من إثبات الصفات ..... ٢٧٩
- ١٩ - الخلاصة ..... ٢٧٩
- ٢٠ - المناقشة ..... ٢٨٠
- الله ﷻ خلق الخلق وهو عالم بهم ..... ٢٨١
- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب ..... ٢٨٧
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق ..... ٢٨٧
- ٣ - معاني الكلمات ..... ٢٨٧
- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «خلق الخلق بعلمه» ..... ٢٨٨
- ٥ - الدليل النقلى والعقلي على علم الله ..... ٢٨٨
- ٦ - معنى كلام الطحاوي: «وقدر لهم أقداراً وضرب لهم آجالاً» ..... ٢٨٨
- ٧ - الأدلة على وجود المخلوقات بقدر الله تعالى ..... ٢٨٩

- ٢٨٩ ..... ٨ - الأدلة من الكتاب والسنة على أن الله تعالى قَدَّرَ آجال الخلائق
- ٢٨٩ ..... ٩ - المقتول ميت بأجله خلافاً للمعتزلة
- ٢٩٠ ..... ١٠ - تأثير صلة الرحم والدعاء في طول العمر
- ٢٩٠ ..... ١١ - تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعْمَرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَضُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر: ١١]
- ٢٩١ ..... ١٢ - تفسير قوله تعالى: ﴿يَتَمَحَّوْا لِلَّهِ مَا يَشَاءُ وَيُتَّبِعْ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾﴾ [الرعد: ٣٩]
- ٢٩٢ ..... ١٣ - الخلاصة
- ٢٩٢ ..... ١٤ - المناقشة
- ٢٩٣ ..... شمول علمه ﷺ
- ٣٠٠ ..... ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب
- ٣٠٠ ..... ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق
- ٣٠٠ ..... ٣ - معاني الكلمات
- ٣٠٠ ..... ٤ - معنى قول الطحاوي: «ولم يخف عليه شيء قبل أن يخلقهم، وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم»
- ٣٠١ ..... ٥ - علم الله سابق للمقادير
- ٣٠١ ..... ٦ - الأدلة النقلية والعقلية على ثبوت العلم لله
- ٣٠٢ ..... ٧ - القدرية الأولى تنكر العلم والكتابة
- ٣٠٢ ..... ٨ - معنى قول الطحاوي: «وأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته»
- ٣٠٢ ..... ٩ - الأدلة على إثبات مشيئة الرب
- ٣٠٣ ..... ١٠ - معنى كلام الطحاوي: «وكل شيء يجري بتقديره ومشيئته، ومشيئته تنفذ، لا مشيئة للعباد إلا ما شاء لهم، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن».
- ٣٠٣ ..... ١١ - الفرق بين المشيئة والإرادة
- ٣٠٣ ..... ١٢ - احتجاج المشركين بالمشيئة
- ٣٠٤ ..... ١٣ - الإجابة على احتجاج آدم على موسى بالقدر

- ١٤ - معنى قول الطحاوي: «يهدى من يشاء ويعصم من يشاء فضلاً، ويضل من يشاء ويخذل ويبتلي عدلاً». ..... ٣٠٥
- ١٥ - مراتب الهداية ..... ٣٠٥
- ١٦ - المراد بالهداية في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦] . ٣٠٦
- ١٧ - القدر يحتج به عند المصائب لا عند المعائب ..... ٣٠٦
- ١٨ - حكمة الله في تقدير الكفر والمعاصي ..... ٣٠٦
- ١٩ - الهداية عند المعتزلة ..... ٣٠٧
- ٢٠ - معنى الهداية عند المعتزلة ..... ٣٠٧
- ٢١ - معنى كلام الطحاوي: «كلهم يتقلبون في مشيئته بين فضله وعدله» ..... ٣٠٨
- ٢٢ - معنى كلام الطحاوي: «وهو متعال عن الأضداد والأنداد» ..... ٣٠٨
- ٢٣ - معنى كلام الطحاوي: «لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه ولا غالب لأمره» ..... ٣٠٨
- ٢٤ - معنى كلام الطحاوي: «أما بذلك وأيقنا أن كلاً من عنده» ..... ٣٠٨
- ٢٥ - الخلاصة ..... ٣٠٩
- ٢٦ - المناقشة ..... ٣٠٩
- مبحث النبوات ..... ٣١١
- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب ..... ٣٣٠
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق ..... ٣٣٠
- ٣ - معاني الكلمات ..... ٣٣٠
- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «وأن محمداً عبده المصطفى، ونبيه المجتبي، ورسوله المرتضى. وأنه خاتم الأنبياء، وإمام الأتقياء، وسيد المرسلين وحبیب رب العالمين. وكل دعوى النبوة بعده فغوي وهوى. وهو المبعوث إلى عامة الجن وكافة الوری، بالحق والهدى، بالنور والضياء» ..... ٣٣١
- ٥ - حقيقة النبوة ..... ٣٣١
- ٦ - النبوة اصطفاة واختيار عند أهل السنة والجماعة ..... ٣٣٢
- ٧ - المخالفون لأهل السنة في النبوة ..... ٣٣٢

## الصفحة

## الموضوع

- ٣٣٢ ..... ٨ - حاجة الناس إلى النبوة والرسالة
- ٣٣٢ ..... ٩ - وظائف الرسل
- ٣٣٤ ..... ١٠ - فوائد معرفة الأنبياء والإيمان بهم
- ٣٣٤ ..... ١١ - تعريف النبي والرسول وبيان الفرق بينهما
- ٣٣٥ ..... ١٢ - طرق إثبات النبوة عند أهل السنة
- ٣٣٥ ..... ١٣ - طريق المتكلمين في إثبات النبوة
- ٣٣٥ ..... ١٤ - حقيقة المعجزة عند أهل السنة
- ٣٣٦ ..... ١٥ - حقيقة المعجزة عند أهل الكلام
- ٣٣٦ ..... ١٦ - مقتضى الشهادة لمحمد ﷺ بالنبوة والرسالة
- ٣٣٦ ..... ١٧ - وجوب محبة الرسول ﷺ
- ٣٣٧ ..... ١٨ - معنى محبة الرسول ﷺ وكيف تكون؟
- ٣٣٧ ..... ١٩ - الإطراء والغلو منافع لمحبه ﷺ
- ٣٣٧ ..... ٢٠ - كمال المخلوق في تحقيق العبودية لله
- ٣٣٨ ..... ٢١ - خصائص النبي ﷺ
- ٣٣٨ ..... ٢٢ - التوفيق بين قول النبي ﷺ: (لا تفضلوني على موسى)، وقوله: (أنا سيد ولد آدم ولا فخر)
- ٣٣٩ ..... ٢٣ - شرح حديث: (لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس)
- ٣٣٩ ..... ٢٤ - شرح حديث: (إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً)
- ٣٣٩ ..... ٢٥ - مراتب المحبة
- ٣٤٠ ..... ٢٦ - كل دعوى النبوة بعد النبي ﷺ فغي وهوى
- ٣٤٠ ..... ٢٧ - عموم بعثة النبي ﷺ للإنس والجن
- ٣٤١ ..... ٢٨ - هل الرسل من الإنس فقط؟
- ٣٤١ ..... ٢٩ - موقف النصارى من بعثة النبي ﷺ
- ٣٤١ ..... ٣٠ - تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨].
- ٣٤٢ ..... ٣١ - الخلاصة

- ٣٢ - المناقشة ..... ٣٤٣
- القرآن كلام الله غير مخلوق ..... ٣٤٥
- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب ..... ٣٦٨
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق ..... ٣٦٨
- ٣ - معاني الكلمات ..... ٣٦٩
- ٤ - معنى كلام الطحاوي ..... ٣٦٩
- ٥ - معنى قول الطحاوي: «منه بدا بلا كيفية قولاً» ..... ٣٧٠
- ٦ - عرض عقيدة أهل السنة والجماعة في كلام الله إجمالاً ..... ٣٧٠
- ٧ - عرض عقائد أهل البدع في كلام الله والرد عليها إجمالاً ..... ٣٧٢
- ٨ - نشأة بدعة الكلام النفسي ..... ٣٨٣
- ٩ - حجج من قال ببدعة الكلام النفسي والجواب عليها ..... ٣٩٢
- ١٠ - دعوى المعتزلة أن كلام الله مخلوق والرد عليها ..... ٣٩٦
- ١١ - الأدلة من الكتاب والسنة لتكليم الله ﷻ لأهل الجنة ..... ٣٩٨
- ١٢ - اللوازم الباطلة لقول الاتحادية في مسألة الكلام ..... ٣٩٨
- ١٣ - مناقشة عبد العزيز المكي لبشر المريسي في مسألة الكلام ..... ٣٩٩
- ١٤ - الرد على من قال: إن القرآن أحدثه جبريل أو محمد ﷺ ..... ٣٩٩
- ١٥ - معنى القرآن في اللغة ..... ٤٠٠
- ١٦ - الفرق بين كون القرآن في زبر الأولين وكونه في رق منشور أو لوح محفوظ ..... ٤٠١
- ١٧ - معنى قول السلف: «منه بدا وإليه يعود» ..... ٤٠١
- ١٨ - الفرق بين إنزال القرآن وإنزال المطر ..... ٤٠٢
- ١٩ - مذاهب الناس في مسمى الكلام ..... ٤٠٢
- ٢٠ - أول من قال: (لفظي بالقرآن مخلوق) ..... ٤٠٣
- ٢١ - معنى قول الطحاوي: «صدق المؤمنون على ذلك حقاً، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة ليس بمخلوق». ..... ٤٠٣
- ٢٢ - الخلاصة ..... ٤٠٣



## الصفحة

## الموضوع

- ٢٣ - المناقشة ..... ٤٠٤
- الرؤية عند أهل السنة والجماعة والمخالفين لهم ..... ٤٠٧
- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب ..... ٤٢٤
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق ..... ٤٢٤
- ٣ - معاني الكلمات ..... ٤٢٥
- ٤ - معنى قول الطحاوي ..... ٤٢٥
- ٥ - مسألة الرؤية من أشرف مسائل أصول الدين ..... ٤٢٦
- ٦ - عرض مذهب أهل السنة في الرؤية ..... ٤٢٦
- ٧ - المخالفون لأهل السنة في مسألة الرؤية ..... ٤٢٦
- ٨ - أدلة الرؤية ..... ٤٢٦
- ٩ - شبه المعتزلة حول الرؤية ..... ٤٢٧
- ١٠ - معنى قوله الله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]. ..... ٤٢٩
- ١١ - مذهب الأشعرية والماتريدية في الرؤية ..... ٤٣٠
- ١٢ - الرد على مذهب الأشعرية في الرؤية ..... ٤٣١
- ١٣ - بعض شبهات الأشعرية والماتريدية في الرؤية والرد عليها ..... ٤٣٨
- ١٤ - هل الرؤية بصرية أم قلبية؟ ..... ٤٤٠
- ١٥ - هل الرؤية البصرية لله ممكنة في الدار الدنيا؟ ..... ٤٤٠
- ١٦ - معنى قول الطحاوي: «ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام، فمن رام علم ما حظر عنه علمه، ولم يقنع بالتسليم فهمه، حجه مرامه عن خالص التوحيد، وصافي المعرفة، وصحيح الإيمان، فيتذبذب بين الكفر والإيمان، والتصديق والتكذيب، والإقرار والإنكار، موسوساً تائهاً، شاكاً، لا مؤمناً مصداقاً، ولا جاحداً ولا مكذباً. ولا يصح الإيمان بالرؤية لأهل دار السلام لمن اعتبرها منهم بوهم، أو تأولها بفهم إذ كان تأويل الرؤية - وتأويل كل معنى يضاف إلى الربوبية - بترك التأويل ولزوم التسليم، وعليه دين المسلمين» ..... ٤٤١

- ١٧ - مثل العقل مع النقل كالعامة المقلد مع العالم المجتهد ..... ٤٤٢
- ١٨ - الخلاف في رؤية أهل المحشر لله ﷻ ..... ٤٤٣
- ١٩ - الخلاصة ..... ٤٤٣
- ٢٠ - المناقشة ..... ٤٤٤
- \* فهرس المجلد الأول ..... [١ - ١٨]

## فهرس المجلد الثاني

الموضوع	الصفحة
علم الكلام وذم السلف له	٤٤٥
١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب	٤٦٧
٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق	٤٦٧
٣ - معاني الكلمات	٤٦٧
٤ - تعريف علم الكلام	٤٦٨
٥ - سبب تسميته بعلم الكلام	٤٦٨
٦ - التعريف بأهل الكلام	٤٦٨
٧ - مراحل نشأة علم الكلام	٤٧١
٨ - فرق أهل الكلام	٤٧٢
٩ - ذم السلف لأهل الكلام	٤٧٦
١٠ - حكم علم الكلام	٤٧٧
١١ - نهاية من خاض في علم الكلام	٤٧٧
١٢ - دخول الفساد في العالم	٤٧٩
١٣ - أول من عارض النص إبليس ومثله أهل الفرق والرأي والسياسة	٤٨٠
١٤ - الدواء النافع للحيرة والشك	٤٨٠
١٥ - معنى التأويل	٤٨١
١٦ - تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْمُ تَأْوِيلُهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧]	٤٨١
١٧ - الرد على من قال: أن الأخذ بظاهر القرآن ضلال	٤٨٢
١٨ - معنى قول الطحاوي: «ومن لم يتوق النفي والتشبيه، زلّ ولم يصب التنزيه»	٤٨٤
١٩ - مفهوم التشبيه عند أهل السنة	٤٨٥
٢٠ - التشبيه في اصطلاح المتكلمين	٤٨٥
٢١ - أنواع التشبيه	٤٨٥
٢٢ - أمراض القلوب	٤٨٥

- ٢٣ - معنى قول الطحاوي: «إن ربنا جل وعلا، موصوف بصفات الوجدانية، منعوت بنعوت الفردانية، ليس في معناه أحد من البرية» ..... ٤٨٦
- ٢٤ - الفرق بين الوصف والنعوت ..... ٤٨٦
- ٢٥ - معنى قول الطحاوي: «وتعالى عن الحدود والغايات، والأركان والأعضاء والأدوات، لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات» ..... ٤٨٦
- ٢٦ - حكم الألفاظ التي لم ترد في الشرع وتنازع فيها المتأخرون ..... ٤٨٦
- ٢٧ - مذاهب الناس في المصطلحات الحادثة ..... ٤٨٧
- ٢٨ - الخلاصة ..... ٤٨٩
- ٢٩ - المناقشة ..... ٤٩١
- الإسراء والمعراج ..... ٤٩٣
- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب ..... ٤٩٨
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق ..... ٤٩٨
- ٣ - معاني الكلمات ..... ٤٩٨
- ٤ - معنى قول الطحاوي: «والمعراج حق، وقد أسري بالنبي ﷺ وعرج بشخصه في اليقظة إلى السماء، ثم إلى حيث شاء الله من العلا، وأكرمه الله بما شاء، وأوحى إليه ما أوحى، ﴿مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم: ١١]، فصلّى الله عليه وسلم في الآخرة والأولى» ..... ٤٩٩
- ٥ - مقام العبودية ..... ٤٩٩
- ٦ - متى كانت حادثة الإسراء والمعراج ..... ٥٠٠
- ٧ - هل لليلة الإسراء فضل خاص ..... ٥٠٠
- ٨ - المفاضلة بين ليلة الإسراء وليلة القدر ..... ٥٠٠
- ٩ - حكم الإيمان بالإسراء والمعراج ومناسبة ذكرهما في العقيدة ..... ٥٠٠
- ١٠ - حكم منكر الإسراء والمعراج ..... ٥٠٠
- ١١ - الحكمة من الإسراء من مكة إلى بيت المقدس ..... ٥٠٠
- ١٢ - حديث الإسراء والمعراج ..... ٥٠٠
- ١٣ - مذاهب الناس في شأن الإسراء والمعراج ..... ٥٠٩
- ١٤ - الفرق بين القول بأن الإسراء والمعراج كان مناماً وبين القول أنه بالروح دون الجسد ..... ٥١٠
- ١٥ - أقوال الناس في مسألة رؤية النبي ﷺ لربه ..... ٥١٠
- ١٦ - تعدد حادثة الإسراء عند بعض أهل العلم ..... ٥١١

## الصفحة

## الموضوع

- ١٧ - رؤية النبي ﷺ لجبريل على صورته الحقيقية ..... ٥١١
- ١٨ - فوائد مستنبطة من حديث الإسراء والمعراج ..... ٥١١
- ١٩ - الخلاصة ..... ٥١٢
- ٢٠ - المناقشة ..... ٥١٢
- الحوض** ..... ٥١٥
- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب ..... ٥١٩
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق ..... ٥١٩
- ٣ - معاني الكلمات ..... ٥١٩
- ٤ - معنى قول الطحاوي: «والحوض الذي أكرمه الله تعالى به غيائاً لأمته حق» ..... ٥٢٠
- ٥ - معنى الحوض ..... ٥٢٠
- ٦ - حكم الإيمان بالحوض ..... ٥٢٠
- ٧ - صفة حوض النبي ﷺ ..... ٥٢٠
- ٨ - المذادون عن الحوض ..... ٥٢١
- ٩ - من يطرد عن الحوض؟ ..... ٥٢٢
- ١٠ - أدلة الحوض ..... ٥٢٢
- ١١ - التوفيق بين الروايات المتعارضة في ذكر مسافات الحوض ..... ٥٢٣
- ١٢ - الأقوال في أسبقية الحوض على الصراط ..... ٥٢٣
- ١٣ - صفة الحوض والكوثر ..... ٥٢٣
- ١٤ - الفرق بين الحوض والكوثر ..... ٥٢٤
- ١٥ - حكم من أنكر الحوض والكوثر ..... ٥٢٤
- ١٦ - الخلاصة ..... ٥٢٤
- ١٧ - المناقشة ..... ٥٢٥
- الشفاعة** ..... ٥٢٧
- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب ..... ٥٣٩
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق ..... ٥٣٩
- ٣ - معاني الكلمات ..... ٥٣٩
- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «والشفاعة التي ادخرها لهم حق كما روي في الأخبار» ..... ٥٣٩
- ٥ - أدلة ثبوت الشفاعة ..... ٥٤٠
- ٦ - أقسام الناس في الشفاعة ..... ٥٤٠
- ٧ - أقسام الشفاعة عند الخلق ..... ٥٤١

## الصفحة

## الموضوع

- ٥٤١ - أقسام الشفاعة في القرآن وشروطها .....
- ٥٤٢ - أنواع الشفاعة .....
- ٥٤٣ - الشفاعة التي تتكرر للنبي ﷺ .....
- ٥٤٣ - تفسير قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] .....
- ٥٤٣ - الجمع بين قوله تعالى: ﴿فَمَا نَفَعَهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨] وبين ما ورد في شفاعة النبي ﷺ لعمه أبي طالب .....
- ٥٤٤ - الأعمال الموعود عليها بشفاعة النبي ﷺ .....
- ٥٤٤ - الجواب على شبه منكري الشفاعة .....
- ٥٤٤ - الجواب على تعلق المخالفين بحديث الشفاعة العظمى من أن الأنبياء تفرع إليهم الأمم ويكون المرجع الأخير سيد الثقلين محمد ﷺ ليشفع لهم عند الله .....
- ٥٤٥ - أقسام التوسل .....
- ٥٤٦ - أنواع التوسل المشروع .....
- ٥٤٦ - أنواع التوسل الممنوع .....
- ٥٤٨ - التوسل بالنبي ﷺ .....
- ٥٥٢ - حكم من قال: «اللهم إني أسألك بحق نبيك» .....
- ٥٥٢ - الفرق بين قول القائل: «اللهم إني أسألك بحق فلان»، وبين «اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك» .....
- ٥٥٢ - معنى قول عمر: «اللهم إنا كنا إذا أجدبنا توسلنا بنبينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا» .....
- ٥٥٣ - الفرق بين السؤال بالشيء وبين الإقسام به .....
- ٥٥٣ - جهل الناس بالتوسل والتبرك المشروع .....
- ٥٥٤ - حكم الاستشفاع بالأولياء والصالحين من أموات المسلمين .....
- ٥٥٤ - الخلاصة .....
- ٥٥٥ - المناقشة .....
- ٥٥٧ - الميثاق .....
- ٥٦٥ - غرض المصنف من عقد هذا الباب .....
- ٥٦٥ - مناسبة هذا الباب لما سبق .....
- ٥٦٥ - معاني الكلمات .....
- ٥٦٥ - معنى كلام الطحاوي: «والميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم وذريته حق» ..
- ٥٦٦ - اختلاف أهل العلم في معنى الميثاق اصطلاحاً .....

## الموضوع

## الصفحة

- ٦ - تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ [الأعراف: ١٧٢] ..... ٥٦٧
- ٧ - الجمع بين القولين ..... ٥٦٧
- ٨ - الأدلة التي ذكرها ابن أبي العز لأصحاب القول الثاني ..... ٥٦٨
- ٩ - الحكمة من الاستشهاد في قوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ [الأعراف: ١٧٢] ..... ٥٦٩
- ١٠ - هل الأرواح قبل الأجساد أم لا؟ ..... ٥٦٩
- ١١ - الفرق بين دين التربية والعادة وبين دين العلم ..... ٥٧٠
- ١٢ - المقصود بقول ابن أبي العز: «مسلمة الدار ومسلمة الاختيار» ..... ٥٧٠
- ١٣ - الإجابة على من احتج بتقليد الآباء في الاعتقاد الفاسد بجواز التقليد لهم بالعادات من لبس ومطعم ..... ٥٧٠
- ١٤ - مراحل خلق الإنسان دليل على توحيد الربوبية ..... ٥٧١
- ١٥ - الخلاصة ..... ٥٧١
- ١٦ - المناقشة ..... ٥٧١
- القضاء والقدر ..... ٥٧٣
- ١ - غرض المصنف من هذا الباب ..... ٥٩١
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق ..... ٥٩١
- ٣ - معاني الكلمات ..... ٥٩١
- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «وقد علم الله تعالى فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة وعدد من يدخل النار جملة واحدة فلا يزداد في ذلك العدد ولا ينقص» ... ٥٩١
- ٥ - أدلة علم الله الأزلي ..... ٥٩٢
- ٦ - منزلة الإيمان بالقدر ..... ٥٩٢
- ٧ - معنى القضاء والقدر والفرق بينهما ..... ٥٩٤
- ٨ - الرضا بالقدر ..... ٥٩٦
- ٩ - معنى كلام الطحاوي: «وكذلك أفعالهم فيما علم منهم أن يفعلوه، وكل ميسر لما خلق له، والأعمال بالخواتيم، والسعيد من سعد بقضاء الله، والشقي من شقي بقضاء الله» ..... ٥٩٦
- ١٠ - أدلة أن الأعمال بالخواتيم وأن الإنسان ميسر لما خلق له ..... ٥٩٦

- ١١ - معنى كلام الطحاوي: (وأصل القدر سرّ الله تعالى في خلقه، لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان، وسلم الحرمان، ودرجة الطغيان، فالحذر كل الحذر من ذلك نظراً وفكراً ووسوسة، فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه، كما قال تعالى في كتابه: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣] فمن سأل: لِمَ فعل؟ فقد ردّ حكم الكتاب، ومن ردّ حكم الكتاب كان من الكافرين» ..... ٥٩٧
- ١٢ - إثبات الحكمة لله ﷻ ..... ٥٩٨
- ١٣ - كراهية الخوض في مسائل القدر عند السلف ..... ٥٩٨
- ١٤ - مراتب القدر عند أهل السنة ..... ٦٠٠
- ١٥ - أنواع التقدير ..... ٦٠٢
- ١٦ - أنواع قضاء الله ﷻ ..... ٦٠٢
- ١٧ - أنواع الكتابة ..... ٦٠٣
- ١٨ - الإرادة في القرآن على نوعين ..... ٦٠٣
- ١٩ - مذاهب الناس في باب القدر ..... ٦٠٤
- ٢٠ - نشأة الكلام في القدر ..... ٦٠٥
- ٢١ - المنكرون لمراتب القدر ..... ٦٠٦
- ٢٢ - الرد على من يقول بأن السعادة والشقاء مقدرتان فإذا لا حاجة للعمل ..... ٦٠٦
- ٢٣ - السبب في ضلال كل من الجبرية والقدرية ..... ٦٠٦
- ٢٤ - السبب الذي دعا القدرية إلى القول بأن العبد يخلق فعل نفسه ..... ٦٠٧
- ٢٥ - الجمع بين الإقرار بأن الله قدر على العباد كل شيء وبين تكليفه لهم ..... ٦٠٧
- ٢٦ - الجمع بين الإرادة الكونية القدرية وبين الكراهية والبغض للشيء ..... ٦٠٧
- ٢٧ - الفرق بين الاستعاذة برضا الله من سخطه، وبمعافاته من عقوبته وبين قول النبي ﷺ: (وبك منك) ..... ٦٠٨
- ٢٨ - التوفيق بين تقدير الله لقوى الشر وبين قوله ﷺ: (والشر ليس إليك) ..... ٦٠٨
- ٢٩ - هل يجب على الإنسان أن يرضى بقوى الشر أم لا؟ ..... ٦٠٨
- ٣٠ - هل يمكن لله أن يرضى لعبده شيئاً ثم يعينه عليه؟ ..... ٦٠٩
- ٣١ - الحكم التي بينها الشارع في خلق إبليس وغيره من قوى الشر ..... ٦٠٩
- ٣٢ - الجمع بين رضا العبد لما قدر الله عليه، وبين بغضه للمعاصي ..... ٦١٠
- ٣٣ - احتجاج بعض العصاة بالقدر والرد على شبههم ..... ٦١١



- ٣٤ - معنى التعمق بالقدر وبيان كيف كان ذريعة الخذلان ..... ٦١٣
- ٣٥ - تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَسْتَمْتُوا بِخَلْقِهِمْ فَأَسْتَمْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا أَسْتَمْتَع الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾ [التوبة: ٦٩] ..... ٦١٣
- ٣٦ - مراتب تعظيم أمر الله ..... ٦١٣
- ٣٧ - حكم رد الكتاب ومعنى قوله تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ ..... ٦١٣
- [الأنبياء: ٢٣] ..... ٦١٣
- ٣٨ - معنى قول الطحاوي: «العلم علمان، علم في الخلق موجود وعلم في الخلق مفقود» ..... ٦١٤
- ٣٩ - أثر الإيمان بالقدر وفوائده ..... ٦١٤
- ٤٠ - الخلاصة ..... ٦١٥
- ٤١ - المناقشة ..... ٦١٧
- الإيمان باللوح والقلم ..... ٦٢١
- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب ..... ٦٣٤
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق ..... ٦٣٤
- ٣ - معاني الكلمات ..... ٦٣٤
- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «ونؤمن باللوح والقلم وبجميع ما فيه قد رُقم، فلو اجتمع الخلق كلهم على شيء كتبه الله تعالى فيه أنه كائن ليجعلوه غير كائن لم يقدروا عليه. ولو اجتمعوا كلهم على شيء لم يكتبه الله تعالى ليجعلوه كائناً - لم يقدروا عليه، جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة وما أخطأ العبد لما يكن ليصبيه، وما أصابه لم يكن ليخطئه» ..... ٦٣٤
- ٥ - الأدلة على الإيمان باللوح والقلم ..... ٦٣٥
- ٦ - هل القلم أول المخلوقات؟ ..... ٦٣٥
- ٧ - الأقلام أربعة كما دلّت عليه السنة ..... ٦٣٦
- ٨ - معنى قول النبي ﷺ: (رفعت الأقلام وجفت الصحف) ..... ٦٣٦
- ٩ - موقف أهل السنة من سبق علم الله للمخلوقات قبل إيجادها ..... ٦٣٦
- ١٠ - معنى قول الشافعي: «ناظروا القدرية بالعلم فإن أقرّوا به خصموا وإن أنكروا كفروا» ..... ٦٣٧
- ١١ - الرد على من زعم أن الأخذ بالأسباب ينافي التوكل ..... ٦٣٧
- ١٢ - الجواب على شبهة المعتزلة أن يكون العبد قادراً على تغيير علم الله ..... ٦٣٧
- ١٣ - ذكر بعض النصوص في شأن القدرية ..... ٦٣٨

- ١٤ - معنى قول الطحاوي: «وعلى العبد أن يعلم أن الله قد سبق علمه في كل كائن من خلقه فقدر ذلك تقديراً محكماً مبرماً، ليس فيه ناقص، ولا معقب، ولا مزيل ولا مغير، ولا ناقص ولا زائد في خلقه في سماواته وأرضه، وذلك من عقد الإيمان، وأصول المعرفة، والاعتراف بتوحيد الله تعالى وربوبيته، كما قال تعالى في كتابه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ مَقْدُورًا﴾ [الفرقان: ٢]. وقال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨] ..... ٦٣٨
- ١٥ - وجه اعتبار القدرية مجوس هذه الأمة ..... ٦٣٨
- ١٦ - معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما: «القدر نظام التوحيد» ..... ٦٣٩
- ١٧ - أصول التقدير المطابق للعلم ..... ٦٣٩
- ١٨ - معنى قول الطحاوي: «فويل لمن صار لله تعالى في القدر خصيماً، وأحضر للنظر فيه قلباً سقيماً، لقد التمس بوهمه في فحص الغيب سرّاً كتيماً، وعاد بما قال فيه أفاكاً أثيماً» ..... ٦٣٩
- ١٩ - حياة القلب وموته، ومرضه وشفائه ..... ٦٤٠
- ٢٠ - أنواع مرض القلب ..... ٦٤٠
- ٢١ - الدواء النافع لأمراض القلب ..... ٦٤٠
- ٢٢ - شروط الاستفادة من التداوي بالقرآن ..... ٦٤٠
- ٢٣ - الخلاصة ..... ٦٤١
- ٢٤ - المناقشة ..... ٦٤٢
- العرش والكرسي ..... ٦٤٥
- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب ..... ٦٦٢
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق ..... ٦٦٢
- ٣ - معاني الكلمات ..... ٦٦٢
- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «والعرش والكرسي حق» ..... ٦٦٢
- ٥ - معنى العرش لغةً واصطلاحاً ..... ٦٦٣
- ٦ - الأدلة على ثبوت العرش ..... ٦٦٣
- ٧ - تحريف الفلاسفة والمتكلمين لمعنى العرش والرد عليهم ..... ٦٦٣
- ٨ - معنى الكرسي لغةً واصطلاحاً ..... ٦٦٤
- ٩ - الأدلة على إثبات الكرسي ..... ٦٦٤
- ١٠ - الفرق بين العرش والكرسي ..... ٦٦٤
- ١١ - مذهب أهل السنة في الكرسي ومذهب المخالفين لهم ..... ٦٦٤

## الموضوع

## الصفحة

- ١٢ - معنى كلام الطحاوي: «وهو مستغن عن العرش وما دونه، محيط بكل شيء وفوقه، وقد أعجز عن الإحاطة خلقه» ..... ٦٦٥
- ١٣ - الأدلة على استغناء الله تعالى عن خلقه ..... ٦٦٥
- ١٤ - الأدلة على إحاطة الله بخلقته ..... ٦٦٥
- ١٥ - الأدلة على علو الله ﷻ ..... ٦٦٥
- ١٦ - أنواع العلو ..... ٦٦٧
- ١٧ - المقصود بقوله تعالى: ﴿ءَأْمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِيفَ بَكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [الملك: ١٦] ..... ٦٦٧
- ١٨ - الاستدلال بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَنْهَكُنْ أَبْنِي لِي صَرَخًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ [غافر: ٣٦]. وقال فرعون معارضاً لموسى، ومكذباً له في دعوته إلى الإقرار برب العالمين، الذي على العرش استوى وعلى الخلق اعتمد. .... ٦٦٨
- ١٩ - قول الشارح ابن أبي العز: «من نفى العلو فهو فرعوني ومن أثبته فهو موسوي» ..... ٦٦٨
- ٢٠ - حكم أبي حنيفة فيمن أنكر أن يكون الله فوق العرش ..... ٦٦٨
- ٢١ - اعتراض المعطلة على الدليل العقلي والجواب عليه ..... ٦٦٨
- ٢٢ - اعتراض المعطلة على الدليل الفطري والجواب عليه ..... ٦٦٩
- ٢٣ - الجمع بين علو الله وبين معيته وقربه من خلقه ..... ٦٦٩
- ٢٤ - المخالفون للسلف في مسألة العلو ..... ٦٧٠
- ٢٥ - مذهب الأشاعرة والماتريدية في العلو ..... ٦٧٠
- ٢٦ - الرد على الأشاعرة في دعواهم: إن الله لا داخل العالم ولا خارجه ..... ٦٧٠
- ٢٧ - شبهات المعطلة حول مسألة العلو ..... ٦٨٠
- ٢٨ - الخلاصة ..... ٦٨٣
- ٢٩ - المناقشة ..... ٦٨٣
- صفة الخلقة والمحبة ..... ٦٨٧
- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب ..... ٦٩٢
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق ..... ٦٩٢
- ٣ - معاني الكلمات ..... ٦٩٢
- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «ونقول: إن الله اتخذ إبراهيم خليلاً وكلم الله موسى تكليماً إيماناً وتصديقاً وتسليماً» ..... ٦٩٢
- ٥ - تفسير قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥] ..... ٦٩٣

## الموضوع

## الصفحة

- ٦ - تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] ..... ٦٩٣
- ٧ - الدليل على إثبات الخلة لإبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام ..... ٦٩٣
- ٨ - الجمع بين براءة الرسول ﷺ أن يكون خليل وقول أبي هريرة: أوصاني خليلي ..... ٦٩٤
- ٩ - الجمع بين براءة الرسول ﷺ من أن يكون له خليل وبين اتخاذه لبعض أصحابه حبيباً ..... ٦٩٤
- ١٠ - الجمع بين طلب الصلاة على محمد مثل إبراهيم وآل إبراهيم مع أن المشبه فوق المشبه به ..... ٦٩٤
- ١١ - كلام الله ﷻ للنبي ﷺ بلا واسطة ..... ٦٩٤
- ١٢ - إنكار الجهمية لصفة الخلة والرد عليهم ..... ٦٩٥
- ١٣ - الخلاصة ..... ٦٩٥
- ١٤ - المناقشة ..... ٦٩٦
- أصول الإيمان عند أهل السنة ..... ٦٩٧
- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب ..... ٧١١
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق ..... ٧١١
- ٣ - معاني الكلمات ..... ٧١١
- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «ونؤمن بالملائكة والنبیین والكتب المنزلة على المرسلين ونشهد أنهم كانوا على الحق المبين» ..... ٧١٢
- ٥ - أصول الإيمان عند أهل السنة ..... ٧١٢
- ٦ - موقف الفلاسفة من أصول الإيمان عند أهل السنة ..... ٧١٣
- ٧ - أصول الدين عند المعتزلة ..... ٧١٣
- ٨ - أصول الدين عند الرافضة ..... ٧١٤
- ٩ - من هم أولو العزم؟ ..... ٧١٥
- ١٠ - المفاضلة بين الملائكة وصالحى البشر ..... ٧١٦
- ١١ - الخلاصة ..... ٧١٧
- ١٢ - المناقشة ..... ٧١٧
- نعت أهل القبلة بالإسلام ولو ارتكبوا المعاصي ..... ٧١٩
- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب ..... ٧٢٥
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق ..... ٧٢٥
- ٣ - معاني الكلمات ..... ٧٢٥

الموضوع

الصفحة

- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين ما داموا بما جاء به النبي ﷺ معترفين بكل ما قاله وأخبر مصدقين» ..... ٧٢٥
- ٥ - المراد بأهل القبلة ..... ٧٢٧
- ٦ - معنى كلام الطحاوي: «ولا نخوض في الله ولا نماري في دين الله» ..... ٧٢٧
- ٧ - الأدلة على عدم الخوض في الله ..... ٧٢٨
- ٨ - معنى كلام الطحاوي: «ولا نجادل في القرآن، ونشهد أنه كلام رب العالمين نزل به الروح الأمين، فعلمه سيد المرسلين محمداً ﷺ وهو كلام الله تعالى، لا يساويه شيء من كلام المخلوقين، ولا نقول بخلقه، ولا نخالف جماعة المسلمين» ..... ٧٢٨
- ٩ - المراد بالجدال في قول الطحاوي: «ولا نجادل في القرآن» ..... ٧٢٩
- ١٠ - السبب الذي حدا بالصحابيين أبي بكر وعمر ﷺ إلى جمع القرآن ..... ٧٣٠
- ١١ - جمع الناس على القراءة بحرف واحد ..... ٧٣٠
- ١٢ - هل القراءة بالأحرف السبعة نسخت أم لا؟ ..... ٧٣٠
- ١٣ - هل ترتيب السور والآيات اجتهاد أم توقيفي؟ ..... ٧٣٠
- ١٤ - حكم القول بخلق القرآن ..... ٧٣١
- ١٥ - المراد بالروح في قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣] .. ٧٣١
- ١٦ - المراد بالرسول في قوله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة: ٤٠] ..... ٧٣١
- ١٧ - الخلاصة ..... ٧٣١
- ١٨ - المناقشة ..... ٧٣٢
- التكفير ..... ٧٣٣
- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب ..... ٧٤٩
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق ..... ٧٤٩
- ٣ - معاني الكلمات ..... ٧٤٩
- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله. ولا نقول: لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله» ..... ٧٤٩
- ٥ - تعريف التكفير ..... ٧٥٠
- ٦ - خطورة التكفير ..... ٧٥٠
- ٧ - أقوال السلف في التحذير من التكفير ..... ٧٥١
- ٨ - التفريق بين التكفير المعين والتكفير المطلق ..... ٧٥١
- ٩ - لا يكفر إلا من كفره الله ورسوله ﷺ ..... ٧٥١

- ١٠ - ضوابط التكفير وشروطه وموانعه ..... ٧٥٢
- ١١ - أهل السنة لا يكفرون من كفرهم ..... ٧٥٣
- ١٢ - المخالفون لأهل السنة في التكفير ..... ٧٥٣
- ١٣ - تعريف الكفر ..... ٧٥٣
- ١٤ - أنواع الكفر ..... ٧٥٤
- ١٥ - أمثلة على ألفاظ وأفعال الكفر ..... ٧٥٤
- ١٦ - الفرق بين الكفر الأكبر والأصغر ..... ٧٥٥
- ١٧ - الردة، أقسامها وأحكامها ..... ٧٥٥
- ١٨ - الإشكال في قول الطحاوي: «ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله» ..... ٧٥٧
- ١٩ - مذاهب الناس في تكفير أهل الكبائر ..... ٧٥٨
- ٢٠ - تكفير المعين ..... ٧٥٩
- ٢١ - تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ ..... ٧٦٠
- [المائدة: ٤٤].
- ٢٢ - معنى كلام الطحاوي: «ونرجو للمحسنين من المؤمنين أن يعفو عنهم ويدخلهم الجنة برحمته ولا نأمن عليهم، ولا نشهد لهم بالجنة ونستغفر لمسيئهم ونخاف عليهم ولا نقنطهم» ..... ٧٦٠
- ٢٣ - أدلة الرجاء والخوف ..... ٧٦١
- ٢٤ - استلزام الرجاء للأمر الثلاثة ..... ٧٦٢
- ٢٥ - المشرك لا يرجى له المغفرة ..... ٧٦٢
- ٢٦ - أسباب المغفرة ..... ٧٦٢
- ٢٧ - معنى قول الطحاوي: «والأمن واليأس ينقلان عن ملة الإسلام، وسبيل الحق بينهما لأهل القبلة» ..... ٧٦٣
- ٢٨ - الخوف المحمود والرجاء المحمود واستلزام كل منهما للآخر ..... ٧٦٤
- ٢٩ - نقد حول صاحب منازل السائرين «الرجاء أضعف منازل المرید» ..... ٧٦٥
- ٣٠ - يجب ترجيح الرجاء عند الموت ..... ٧٦٥
- ٣١ - معنى قول الطحاوي: «ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه» ..... ٧٦٥
- ٣٢ - الخلاصة ..... ٧٦٦
- ٣٢ - المناقشة ..... ٧٦٧
- حقيقة الإيمان ومسامه ..... ٧٦٩

## الصفحة

## الموضوع

- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب ..... ٧٩٥
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق ..... ٧٩٥
- ٣ - معاني الكلمات ..... ٧٩٥
- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «والإيمان: هو الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان. وجميع ما صح عن رسول الله ﷺ من الشرع والبيان كله حق» ..... ٧٩٦
- ٥ - معنى الإيمان لغة ..... ٧٩٧
- ٦ - معنى الإيمان في الاصطلاح ..... ٧٩٧
- ٧ - تفاضل الناس في الإيمان ..... ٧٩٨
- ٨ - أقسام الناس من حيث الإتيان بالأعمال ..... ٧٩٨
- ٩ - أدلة أهل السنة ..... ٧٩٨
- ١٠ - الآثار المترتبة على منهج السلف في الإيمان وثمراته: ..... ٧٩٩
- ١ - الالتزام بالتحديدات الشرعية في المسألة. .... ٨٠٠
- ٢ - فتح باب التنافس في ارتقاء درجات الإيمان للوصول إلى أعلى الجنان. . ٨٠٠
- ٣ - تنزيل الناس منازلهم وعدم التسوية بين المؤمنين والفجار. .... ٨٠٠
- ٤ - عدم فتح باب التمني والرجاء الكاذب للعصاة بظنهم أنهم أهل الإيمان الداخلون فيما وعد به المؤمنون. .... ٨٠٠
- ٥ - إثبات أصل الإيمان للعصاة وتصحيح إسلامهم وعدم تكفيرهم. .... ٨٠١
- ٦ - فتح باب الرجاء للعصاة وعدم تقنينهم من رحمة الله ﷻ لوجود أصل الإيمان معهم. .... ٨٠١
- ١١ - المخالفون لأهل السنة في مسمى الإيمان ..... ٨٠١
- ١٢ - لوازم تعريف الإيمان عند الكرامية والجهمية ..... ٨٠٢
- ١٣ - آثار قول المرجئة في مسمى الإيمان ..... ٨٠٣
- أ - مخالفة كلام الله ﷻ وكلام رسوله ﷺ في تحديد الإيمان ووصفه ..... ٨٠٣
- ب - زعمهم أن الفاسق مؤمن كامل الإيمان ومنهم من يدخل النار يوم القيامة. .... ٨٠٤
- ج - وصفهم الفساق بصفة المدح والثناء وهي الإيمان. .... ٨٠٤
- د - مساواتهم بين أفسق الناس وأتقى الناس في الإيمان. .... ٨٠٤
- هـ - تهاونهم بأعظم الأصول الدينية وهو توحيد الألوهية. .... ٨٠٤
- ١٤ - أدلة مرجئة الفقهاء والرد عليها ..... ٨٠٥
- ١٥ - موقف الأشعرية والماتريدية من النصوص على أن العمل داخل في مسمى الإيمان ..... ٨١٩

## الموضوع

## الصفحة

- ١٦ - الخلاف بين أصحاب أبي حنيفة وجمهور أهل السنة خلاف حقيقي ..... ٨٢١
- ١٧ - عقيدة أهل السنة والجماعة في زيادة الإيمان ونقصانه ..... ٨٢٣
- ١٨ - أدلة أهل السنة والجماعة على أن الإيمان يزيد وينقص ..... ٨٢٣
- ١٩ - المخالفون لأهل السنة في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه ..... ٨٢٦
- ب - الجواب عن أدلة أصحاب أبي حنيفة ..... ٨٣٠
- ٢٠ - موقف الماتريدي والأشعرية من النصوص الدالة على زيادة الإيمان ونقصانه ..... ٨٣٦
- ٢١ - معنى كلام الطحاوي: «والإيمان واحد، وأهله في أصله سواء والتفاضل بينهم بالخشية والتقى، ومخالفة الهوى وملازمة الأولى» ..... ٨٣٩
- ٢٢ - مذهب أهل السنة والجماعة في الاستثناء في الإيمان ..... ٨٣٩
- ٢٣ - مذهب مرجئة الفقهاء في الاستثناء والجواب عليه ..... ٨٣٩
- ٢٤ - معنى الإسلام ..... ٨٤٨
- ٢٥ - علاقة الإسلام بالإيمان ..... ٨٤٨
- ٢٦ - معنى كلام الطحاوي: «وجميع ما صح عن النبي ﷺ حق» ..... ٨٥٥
- ٢٧ - مذهب أهل السنة في خبر الواحد ..... ٨٥٥
- ٢٨ - حجية خبر الواحد ..... ٨٥٥
- ٢٩ - التفريق بين المتواتر والآحاد بدعة دخيلة على الإسلام ..... ٨٥٦
- ٣٠ - تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلًّا مُبِينًا﴾ [٣٦] [الأحزاب: ..... ٨٥٧
- ٣١ - المخالفون لأهل السنة في خبر الواحد ..... ٨٥٧
- ٣٢ - مستند نفاة الصفات في رد الأحاديث الصحيحة ولازم قولهم ..... ٨٥٧
- ٣٣ - الأدلة العقلية قطعية عند المتكلمين، وأما الأحاديث فهي ظواهر باطنية ... ٨٥٨
- ٣٤ - الخلاصة ..... ٨٥٨
- ٣٥ - المناقشة ..... ٨٦٠
- الولاية والأولياء ..... ٨٦٣
- ١ - غرض المصنف من عقد هذا الباب ..... ٨٦٨
- ٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق ..... ٨٦٨
- ٣ - معاني الكلمات ..... ٨٦٨
- ٤ - معنى كلام الطحاوي: «والمؤمنون كلهم أولياء الرحمن، وأكرمهم عند الله أطوعهم وأتبعهم للقرآن» ..... ٨٦٨



الموضوع	الصفحة
٥ - تعريف الولاية والولي	٨٦٨
٦ - الولاية لا تختص بأحد من البشر	٨٦٩
٧ - تفاضل الناس في الولاية	٨٦٩
٨ - أقسام الناس في الولاية	٨٦٩
٩ - تفاضل الناس في العداوة	٨٦٩
١٠ - أوصاف الأولياء	٨٧٠
١١ - الأنبياء أفضل من جميع الأولياء	٨٧٠
١٢ - المخالفون لأهل السنة في مسألة الولاية	٨٧٠
١٣ - شروط الولي عند الصوفية	٨٧٠
١٤ - أدلة الولاية	٨٧١
١٥ - اجتماع الولاية والعداوة في الشخص الواحد عند جمهور أهل السنة	٨٧٢
١٦ - الولاية الكاملة	٨٧٢
١٧ - مراتب الأولياء	٨٧٢
١٨ - الاستثناء في الولاية	٨٧٣
١٩ - أكرم المؤمنين عند الله	٨٧٣
٢٠ - الخلاصة	٨٧٣
٢١ - المناقشة	٨٧٣
<b>الإيمان والإسلام</b>	
١ - غرض الشارح من عقد هذا الباب	٨٨٥
٢ - مناسبة هذا الباب لما سبق	٨٨٥
٣ - معاني الكلمات	٨٨٥
٤ - معنى كلام الطحاوي: «والإيمان: هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وحلوه ومره من الله تعالى»	٨٨٥
٥ - معنى الإسلام	٨٨٦
٦ - الإسلام والإيمان إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا	٨٨٦
٧ - كان النبي ﷺ يقرأ في ركعتي الفجر بسورتي الإخلاص	٨٨٦
٨ - تفسير الإيمان في حديث وفد عبد القيس بأركان الإسلام	٨٨٦
٩ - حكمة اقتصار النبي ﷺ في حديث جبريل على الأمور الخمسة الظاهرة	٨٨٧
١٠ - الجمع بين قول الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨] وبين قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ سَيْتَةٍ مِّنْ سَيْتَةٍ فَمِنَ نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩]	٨٨٠

الصفحة

الموضوع

- ١١ - معنى قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾﴾ [النساء: ٧٩] ..... ٨٨٨
- ١٢ - اختلاف العلماء في معنى الحسننة والسيئة في قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩] ..... ٨٨٨
- ١٣ - الحكمة من إضافة الحسننة إلى الله والسيئة إلى العبد ..... ٨٨٩
- ١٤ - الفوائد المستنبطة من قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩] ..... ٨٨٩
- ١٥ - الجواب على احتجاج المعتزلة بالآية: ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩] على أن العبد يخلق فعل نفسه ..... ٨٨٩
- ١٦ - معنى قوله ﷺ: (والخير كله بيدك والشر ليس إليك) ..... ٨٩٠
- ١٧ - حكم إضافة الشر مفرداً إلى الله تعالى ..... ٨٩٠
- ١٨ - تأييد الله للملوك الظالمين ألا يعتبر شراً محضاً؟! ..... ٨٩١
- ١٩ - معنى قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ..... ٨٩١
- ٢٠ - الحكمة من أمر الناس بالدعاء: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ في كل صلاة ..... ٨٩١
- ٢١ - جمع النبي ﷺ في صلاته بين التوحيد والاستغفار ..... ٨٩٢
- ٢٢ - معنى قول النبي ﷺ: (ولا ينفع ذا الجد منك الجد) ..... ٨٩٢
- ٢٣ - حكم من آمن ببعض الرسل وكفر ببعض ..... ٨٩٢
- ٢٤ - معنى قول الطحاوي: «ونحن مؤمنون بذلك كله، لا نفرق بين أحد من رسله، ونصدقهم كلهم على ما جاءوا به» ..... ٨٩٣
- ٢٥ - الخلاصة ..... ٨٩٣
- ٢٦ - المناقشة ..... ٨٩٥
- \* فهرس المجلد الثاني ..... [١ - ١٦]